

توضيحُ المقاصدِ وتصحيحُ القواعدِ

في شرح

قصيدة الامام ابن القيم

الموسومةُ بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

تأليف

أحمد بن إبراهيم بن عيسى

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي

بحقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

المكتب الاسلامي

بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلامياً
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامياً

فصل

في جناية التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود والمقبول
شرع الناظم رحمه الله في ذكر التأويل وما جنى على الشريعة المطهرة
من البلايا والمحن ، والشورور والفتن ، وذكر ما يقبل منه وما يرد . قال :
هذا وأصل بلية الاسلام من تأويل ذي التحريف والبطلان
وهو الذي قد فرق السبعين بل زادت ثلاثاً قول ذي البرهان
يشير الى قوله عليه السلام «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ..» الحديث (١)
وهو الذي قتل الخليفة جامع القرآن ذا النورين والاحسان
يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وهو الذي قتل الخليفة بعده أعني علياً قاتل الأقران
وهو الذي قتل الحسين وأهله فغدوا عليه ممزقي اللحام
وهو الذي في يوم حرثهم أبا ح حمى المدينة معقل الايمان
حتى جرت تلك الدماء كأنها في يوم عيد سنة القربان
أي وقعة الحرة ، وذلك أن يزيد بن معاوية وجه مسلم بن عقبة المري

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، من حديث معاوية رضي الله عنه قال : فام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « الا ان من كان قبلكم من أهل الكتاب اقرقوا
على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين : ثنتان وسبعون
في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة » وهو حديث صحيح .

في جيش عظيم من أهل الشام ، فنزل بالمدينة فقاتل أهلها ، فهزمهم ، وقتلهم بحرة المدينة قتلاً ذريعاً ، واستباح المدينة ثلاثة أيام ، فسميت وقعة الحرة لذلك ، وفيها يقول الشاعر .

فان تقتلوننا يوم حرة واقم فاننا على الاسلام أول من قتل

وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ، ويقال لها : حرة زهرة ، وكانت الوقعة بموضع يعرف بـ (واقم) على ميل من مسجد رسول الله ﷺ ، فقتل بها بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين ، وعم ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، وقتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل ، من قريش سبعة وتسعون قتلوا جهراً ظلماً في الحرب ، وصبراً . كذا ذكر القرطبي رحمه الله في «المدكرة» وفي كتاب «آكام المرجان في أحكام الجان» للشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي الصفدي الحنفي قال : كانت وقعة الحرة لثلاث ليال بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث وستين على باب طيبة ، واستشهد فيها خلق كثير وجماعة من الصحابة . قال خليفة : فجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمائة وستون^(١) . وروي أن رسول الله ﷺ وقف على الحرة وقال : «ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أهتي بعد أصحابي» وكانت سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية ، وأخرجوا مروان بن الحكم ، وبني أمية ، وأمروا عليهم حنظلة بن عبد الله الغسيل ، ولم يوافق أهل المدينة أحد من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا فيهم ، فجهز اليهم يزيد

(١) في الاصل : وستين .

ابن معاوية مسلم بن عقبة ، فأوقع بهم . قال السهيلي : وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : هذا خف ، وبجازفة ، والحرة التي تعرف بها هذا اليوم يقال لها : حرة زهرة ، وعرفت (حرة زهرة) بقرية كانت لبني زهرة ، قوم من اليهود قال الزبير في فضائل المدينة : كانت قرية كبيرة في الزمن القديم ، وكان فيها ثلثمائة صانع ، وكان يزيد قد أعذر الى أهل المدينة ، وبذل لهم من العطاء أضعاف أضعاف ما يعطي الناس ، واجتهد في استمالتهم الى الطاعة ، والتحذير من الخلاف ، ولكن أبى الله الاما أراد ، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه مختلفون . انتهى .

وغداله الحجاج يسفكها ويقتل صاحب الايمان والقرآن
وجرى بمكة ما جرى من أجله من عسكر الحجاج ذي العدوان
وهو الذي أنشأ الخوارج مثلما أنشأ الروافض أخبث الحيوان
ولأجله شتموا خيار الخلق بعد الرسل بالعدوان والبهتان
ولأجله سل البغاة سيوفهم ظناً بأنهم ذوو إحسان
ولأجله قد قال أهل الاعتزال مقالة هدّت قوى الايمان
ولأجله قالوا بأن كلامه سبجانه خلق من الاكوان
ولأجله قد كذبت بقضائه شبه المجوس العابدي النيران
ولأجله قد دخلوا أهل الكبا تر في الجحيم كعابدي الأوثان

ولأجله قد أنكروا الشفاعة المختار فيهم غاية النكران.
ولأجله ضرب الامام بسوطهم صديق أهل السنة الشيباني.
ولأجله قد قال جهم ليس رب العرش خارج هذه الأكوان
كلا ولا فوق السموات العلى والعرش من رب ولا رحمان
ما فوقها رب يطاع جباهنا تهوي له بسجود ذي خضعان
ولأجله جحدت صفات كماله والعرش أخلوه من الرحمن
ولأجله أفنى الجحيم وجنة المأوى مقالة كاذب فتات
ولأجله قالوا الاله معطل أزلأ بغير نهاية وزمان
ولأجله قد قال ليس لفعله من غاية هي حكمة الديان
ولأجله قد كذبوا بنزوله نحو السماء بنصف ليل ثان
ولأجله زعموا الكتاب عبارة وحكاية عن ذلك القرآن
ما عندنا شىء سوى المخلوق والقرآن لم يسمع من الرحمن
ماذا كلام الله قط حقيقة لكن مجاز ويح ذي البهتان
ولأجله قتل ابن نصر أحدا ذاك الخزاعي العظيم الشأن
إذ قال ذا القرآن نفس كلامه ما ذاك مخلوق من الأكوان
أي : ولأجله قتل الوائق أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ،

وقصته معروفة ، ذكرها ابن الجوزي في « مناقب الامام أحمد » رحمه الله تعالى . قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى في « مناقب الامام أحمد » أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ، كان من أهل الدين والصلاح ، والأمايرين بالمعروف ، وسمع الحديث من مالك بن أنس ، وحماد بن زيد ، وهشيم في آخرين . وقد روى عنه يحيى بن معين وغيره . وكان قد اتهم بأنه يريد الخلافة ، فأخذ وحمل الى الواثق . فقال له : دع ما أخذت له ، ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله . قال : مخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله . قال : أفترى ربك في القيامة ؟ قال : كذا جاءت الرواية . قال : ويحك وكما يرى المحدود الجسم ؟ ودعا بالسيف ، وأمر بالنطح فأجلس عليه وهو مقيد ، وأمر بشد رأسه بجبل ، وأمرهم أن يمدوه ، ومشى اليه حتى ضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه الى بغداد ، فنصب بالجانب الشرقي أياماً ، وفي الجانب الغربي أياماً .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز باسناده عن أبي بكر المروذي قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وذكر أحمد بن نصر . فقال : رحمه الله ما كان أسخاه ، لقد جاد بنفسه . قال الخطيب : ولم يزل رأس أحمد بن نصر منصوباً ببغداد ، وجسده مصلوباً بـ « سر من رأى » ست سنين الى أن حط ، وجمع بين رأسه وبدنه ، ودفن بالجانب الشرقي في المقبرة المعروفة بالمالكية ، ودفن في شوال سنة سبع وثلاثين .

وهو الذي جر ابن سينا والألي قالوا مقالته على الكفران
فتأولوا خلق السموات العلى وحدوثها بحقيقة الامكان
وتأولوا علم الإله وقوله وصفاته بالسلب والبطلان

وتأولوا البعث الذي جاءت به رسل الإله لهذه الأبدان
بفراقها لعناصر قد رُكبت حتى تعود بسيطة الأركان
وهو الذي جر القرامطة الألى يتأولون شرائع الايمان
فتأولوا العملي مثل تأول السـعـمـي عندكمُ بلا فرقان
وهو الذي جر النصير وحزبه حتى أتوا بعساكر الكفران
فجرى على الاسلام أعظم محنة وخمارها فينا الى ذا الآن
قوله : وخمارها فينا الى ذا الآن ؛ أي : أن قتن التتار لم تزل الى زمان

الناظم ، وقد تقدم بعض ما فعلوه ببغداد في الفصل الذي أوله :

وأتى ابن سينا بعد ذلك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان
وما جرى على الاسلام من هؤلاء الملاعين كثير شهير ، فان حديثهم يأكل
الاحاديث ، ولا يمكن نشير الى بعض ما جرى في عصر الناظم وقبله ، وما
فعله شيخ الاسلام رحمه الله ، فان له اليد البيضاء في جهادهم ، قرأت في
ترجمته لبعض أصحابه قال : وفي أول رمضان سنة ثنتين وسبعمئة كانت
وقعة شقحب المشهورة ، وحصل للناس شدة عظيمة ، وظهر فيها من
كرامات الشيخ ، وإجابة دعائه ، وعظيم جهاده ، وفرط شجاعته ،
ونهاية كرمه ، ونصحه للاسلام ، وغير ذلك ما يتجاوز الوصف . قال
بعض أصحابه : ثم ساق الله جيش الاسلام العرمرم المصري صجة أمير
المؤمنين ، والملك الناصر محمد بن قلاوون سوقاً حثيثاً للقاء التتار ،
فاجتمع الشيخ بالخليفة والسلطان وإعيان الأمراء ، وكلمهم بمرج الصفر قبلي
دمشق ، وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات ، وبقي الشيخ هو

وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائماً بجهاده ولأمة حربه ، بوصي الناس بالثبات ، ويعدهم النصر ، ويبشرهم بالغنيمة ، والفوز بأحدى الحسينين ، إلى أن صدق الله وعده ، وأعز جنده ، وهزم التتار وحده ، ودخل جيش الاسلام الى دمشق ، والشيخ في أصحابه شاك في سلاحه ، داخلا معهم ، عالية كلمته ، مقبولة شفاعته ، مكرماً ، معظماً ، يقول للمداحين : أن رجل ملة ، لا رجل دولة ، وأخبرني حاجب من الحجاب ذو دين وأمانة وصدق . قال : قال لي الشيخ يوم اللقاء : يا فلان الدين ، أو قفني موقف الموت ، فسقته الى مقابلة العدو ، وهم منحدرون كالسيل ، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار ، فرفع طرفه الى السماء ، وحرك شفتيه ، ثم انبعث وأقبل على القتال ، ثم حال القتال والالتحام وما عدت رأيته ، حتى فتح الله والنحز التتار الى جبل صغير عصموا أنفسهم به من سيوف المسلمين آخر النهار ، واذا بالشيخ وأخيه يصيحان تحريضاً على القتال ، وتخويفاً للناس من الفرار . فقلت : لك البشارة بالنصر ، فهام محصورون بهذا السفح ، وفي غد إن شاء الله يؤخذون عن آخرهم ، قال : فحمد الله ، وأثنى عليه ، ودعاني دعاء رأيت بركته في ذلك الوقت وبعده . وقال ابن فضل الله : وحكي من شجاعته في مواقف الحروب نوبة شقحب ، ونوبة كسروان ، ما لم يسمع الا عن صناديد الرجال ، وأبطال اللقاء ، وأحلاس الحرب ، تارة يياشر القتال ، وتارة يجرى عليه ، وركب البريد الى مهنا بن عيسى أمير العرب ، واستحضره الى الجهاد ، وركب بعدها الى السلطان ، واستنفره وواجه بالكلام الغليظ أمراءه وعسكره ، ولما جاء السلطان الى شقحب ، لاقاه الى قرب الحرة ، وجعل يشجعه ويثبته ، فلما رأى السلطان كثرة التتار قال : يا خالد بن الوليد . فقال له : لا تقل هذا ، بل قل : يا الله ،

واستغث بالله ربك وحده ، ووحده تنصر ، وقل : يامالك يوم الدين ، إياك
نعبد ، وإياك نستعين ، ثم صار تارة يقبل على الخليفة ، وتارة على السلطان ،
ويديهما ، ويربط جأشهما ، حتى جاء نصر الله والفتح . وحكي أنه قال
السلطان : اثبت فانك منصور . فقال له بعض الأمراء : قل : ان شاء
الله . فقال : ان شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً ، فكان كما قال ، وقبل ذلك في
نوبة غازان فعل من أنواع الجهاد وأنواع الخير ، من انفاق الأموال ، وإطعام
الطعام ، وغير ذلك ما هو معروف مشهور ، فرحمه الله ورضي عنه .

وجميع ما في الكون من بدع وأحداث تخالف موجب القرآن
فأساسها التأويل ذو البطلان لا تأويل أهل العلم والايان
إذ ذاك تفسير المراد وكشفه وبيان معناه الى الأذهان
قد كان أعلم خلقه بكلامه صلى عليه الله كل أوان
يتأول القرآن عند ركوعه وسجوده تأويل ذي برهان
هذا الذي قالته أم المؤمنين حكاية عنه لها بلسان
فانظر الى التأويل ما تعني به خير النساء وأفقه النسوان
أتظنها تعني به صرفاً عن المعنى القوي لغير ذي الرجحان
وانظر الى التأويل حين يقول علمه لعبد الله في القرآن
ماذا أراد به سوى تفسيره وظهور معناه له بيان
يقول ابن عباس هو التأويل لا تأويل جهميّ أخي بهتان

وحقيقة التأويل معناه الرجوع إلى الحقيقة لا إلى البطلان
وكذلك تأويل المنام حقيقة المرئي لا التحريف بالبهتان
وكذلك تأويل الذي قد أخبرت رسل الإله به من الإيمان
نفس الحقيقة إذ تشاهدها لدى يوم المعاد بروية وعيان
لا خلف بين أئمة التفسير في هذا وذلك واضح البرهان
هذا كلام الله ثم رسوله وأئمة التفسير للقرآن
تأويله هو عندهم تفسيره بالظاهر المفهوم للأذهان
ما قال منهم قط شخص واحد تأويله صرف عن الرجحان
كلا ولا نفي الحقيقة لا ولا عزل النصوص عن اليقين فذان
تأويل أهل الباطل المردود عند أئمة العرفان والإيمان
وهو الذي لا شك في بطلانه والله يقضي فيه بالبطلان
فجعلتم للفظ معنى غير معناه لديهم باصطلاح ثان
وحملت لفظ الكتاب عليه حتى جاءكم من ذلك محذوران
كذب على الألفاظ مع كذب على من قالها كذبان مقبوحان
وتلاها أمران أقبح منها جحد الهدى وشهادة البهتان
إذ يشهدون الزور إن مراده غير الحقيقة وهي ذو بطلان

اعلم أن كلام الناظم في هذه الآيات هو معنى ما ذكره شيخ
الاسلام في « التدمرية » فانه قال : القاعدة الخامسة : انا نعلم ما أخبرتنا
من وجهه دون وجهه ، فان الله قال : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء : ٨٢ وقال : (أفلم
يسدروا القول) المؤمنون : ٦٨ وقال : (كتاب أنزلناه اليك مبارك
ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) ص : ٢٩ وقال : (أفلا يتدبرون القرآن
أم على قلوب أقفالها) محمد : ٢٤ فأمر بتدبر القرآن كله . وقد قال تعالى :
(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وإنخر
متشابهات فأما الذي في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الابواب) آل عمران : ٧ .
وجمهور سلف الأمة وخلفها ، على أن الموقف على قوله :

(وما يعلم تأويله الا الله) .

وهذا هو المأثور ، عن أبي بن كعب ، وابن مسعود ، وابن عباس .
وغيرهم . وروي عن ابن عباس ، أنه قال : التفسير على أربعة أوجه :
تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير
تعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه الا الله ، من ادعى علمه فهو كاذب . وقد
روي عن مجاهد ، وطائفة ، أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله . وقد
قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس ، من فاتحته الى خاتمته ،
أفقه عند كل آية ، وأسأله عن تفسيرها ، ولا منافاة بين القولين عند
التحقيق ، فان لفظ التأويل قد صار متعدد الاصطلاحات ، مستعملاً في ثلاثة
معان : أحدها ، وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه

وأصوله ، أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترون به ، وهذا الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات ، وترك تأويلها ، وهل ذلك محمود ، أو مذموم ، أو حق ، أو باطل ؟ والثاني : أن التأويل بمعنى التفسير ، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن ، كما يقول ابن جرير وأمثلة من المفسرين . واختلف علماء التأويل ، ومجاهد إمام المفسرين ، قال الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد ، فحسبك به ، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي ، والبخاري ، وغيرهما ، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المثابه ، فالمراد معرفة تفسيره . الثالث من معاني التأويل : هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام ، كما قال تعالى : (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) الاعراف : ٦٣ فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد : هو ما أخبر الله به فيه ، بما يكون من القيامة ، والحساب ، والجنة ، والنار ، ونحو ذلك ، كما قال في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته : (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يوسف : ١٠٠ فجعل عين ما وجد في الخارج : هو تأويل الرؤيا ، فالتأويل الثاني : هو تفسير الكلام ، وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ ، حتى يفهم معناه ، أو تعرف علته ، أو دليله ، وهذا التأويل الثالث هو عين ما هو موجود في الخارج ، ومنه قول عائشة : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبمجدك ، اللهم اغفر لي » يتأول القرآن^(١) يعني قوله (فمبجح بمجد ربك وستغفره) النصر : ؛ وقول سفيان بن عيينة : السنة : هي تأويل الأمر

(١) رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ،

والنهي ، فان نفس الفعل المأمور به ، هو تأويل الأمر به ، ونفس الموجود المخبر عنه ، هو تأويل الخبر ، والكلام خبر وأمر ؛ وهذا يقول أبو عبيد وغيره : الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة ، كما ذكروا ذلك في اشتمال الصماء ، لأن الفقهاء يعلمون تفسير ما أمر به ونهى عنه ؛ أعلمهم بمقاصد الرسول ﷺ ، كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما ، من مقاصدهما ، ما لا يعلم بمجرد اللغة ؛ ولكن تأويل الأمر والنهي ، لا بد من معرفته ، بخلاف تأويل الخبر . اذا عرف ذلك ، فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات ، وتأويل ما أخبر الله تعالى به من الوعد والوعيد ، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد . ولهذا ما يجيء في الحديث ؛ يعمل بحكمه ، ويؤمن بتشابهه ، لأن ما أخبر الله عن نفسه ، وعن اليوم الآخر ، فيه ألفاظ متشابهة ، يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا ، كما أخبر أن في الجنة لهما ، ولبناً ، وعسلاً ، وخرأ ، ونحو ذلك ، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظاً ومعنى ، ولكن ليس هو مثله ، ولا حقيقته كحقيقته ، فأسماء الله تعالى وصفاته أولى ، وان كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه ، ان لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ، ولا حقيقته كحقيقته ، والاخبار عن الغائب ، لا يفهم ، إن لم يعبر عنه بالاسماء المعلومة معانيها في الشاهد ، ويعلم بها ما في الغائب ، بواسطة العلم بما في الشاهد ، مع العلم بالفارق المميز ، وأن ما أخبر الله به من الغيب ، أعظم مما في الشاهد ، وفي الغائب ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؛ فنحن إذا أخبرنا بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار ؛ علمنا معنى ذلك ، وفهمنا ما أريد منا فهمه ، بذلك الخطاب ،

وفسرنا ذلك . وأما نفس الحقيقة المخبر عنها ، مثل التي لم يكن بعد ، وإنما يكون يوم القيامة ؛ فذلك من التأويل الذي لا يعلمه الا الله ؛ ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف ، عن قوله : (الرحمن على العرش استوى) طه : د قالوا : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وكذلك قال ربعة شيخ مالك قبله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ومن الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا الايمان . فبين أن الاستواء معلوم ، وأن كيفية ذلك مجهولة ، ومثل هذا يوجد كثيراً في كلام السلف والأئمة ، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله تعالى ، وأنه لا يعلم كيف الله الا الله ، فلا يعلم ما هو إلا هو . وقد قال النبي ﷺ : « لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » وهذا في « صحيح مسلم » وغيره . وقال في الحديث الآخر : « اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو نزلته في ، كتابك أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك » والحديث في « المسند » . و « صحيح أبي حاتم ، وأطال الكلام . وهو كلام نفيس ، وهو معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى .

فصل

فيما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه

وعليكم في ذا وظائف أربع والله ليس لكم بهن يدان
منها دليل صارف للفظ عن موضوعه الأصلي بالبرهان

إذ مدعي نفس الحقيقة مدع للأصل لم يحتاج إلى برهان
فاذا استقام لكم دليل الصرف يا هيات طولبتم بأمر ثان
وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي قلتم هو المقصود بالتيان
فاذا أتيتم ذلك طولبتم بأمر ثالث من بعد هذا الثاني
إذ قلتم إن المراد كذا فما ذا دلکم أنخرص الكهان
هب أنه لم يقصد الموضوع لکن قد يكون القصد معنى ثان
غير الذي عيتموه وقد يكون اللفظ مقصوداً بدون معان
كتعبد وتلاوة ويكون ذا لك القصد أنفع وهو ذو إمكان
من قصد تحريف لها يسمى بتأويل ويل مع الاتعاب للاذهان
والله ما القصدان في حدسوا^(١) في حكمة المتكلم المنان
بل حكمة الرحمن تبطل قصده التحريف حاشا حكمة الرحمن
وكذاك تبطل قصده إنزالها من غير معنى واضح التيان
وهما طريقا فرقتين كلاهما عن مقصد القرآن منحرفان
حاصل كلام الناظم في هذا الفصل ، إزام أهل التأويل أربعة لوازم ،
ولا سبيل لهم إلى دليل قاطع بها . الأول : المطالبة بدليل حارف للفظ
عن موضوعه الأصلي ، وهو أن الأصل في الألفاظ الحقيقية ، فالمدعي النقل
عن الحقيقية ، يحتاج إلى دليل قاطع ، فاذا أقاموا الدليل الموجب للصرف

عن الحقيقة ، وهيات ، طولبوا بالأمر الثاني ، وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي
قوله . فإذا أقاموا احتمالاً أو احتمالين أو ثلاثة ، طولبوا بالدليل على أن المراد
أحد المحتملات ، وليس عندهم إلا التخرص والظن ، وإذا قدرنا أنه لم يقصد
الموضوع ، فقد يكون القصد معنى آخر ، كالتعبد ونحوه . وإذا كان
المقصود بها التعبد والتلاوة ، فذاك القصد أنفع ، وهو ممكن ، وهو أولى
من أن يكون القصد بإنزائها ، تحريفها المسمى بالتأويل ، ولهذا قال الناظم :
والله ما القصدان في حد سوا الخ .. أي : أن حكمة المولى سبحانه تأبى
ذلك ، أي تأبى أن ينزلها سبحانه لقصد التأويل والتحريف ، إلا أن ينزل
ألفاظاً ليس لها معان . وإن كانت هاتان الطريقتان الباطلتان ، طريقتين
لفرقتين منحرفتين عن مقاصد القرآن . وقوله : وعليكم في ذا وظائف
أربع الخ .. تقدمت ثلاث منها ، ويأتي الرابع في الفصل بعده ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل

هو أتى ابن سينا بعد ذا بطريقة أخرى ولم يأنف من الكفران
قال المراد حقائق الألفاظ تحيلاً وتقريباً إلى الأذهان
عجزت عن الإدراك للمعقول إلا في مثال الحسن كالصبيان
كي يبرز المعقول في صور من المحسوس مقبولاً لذوي الأذهان

قتسلط التأويل إبطال لهذا القصد وهو جنائية من جان
هذا الذي قد قاله مع نفيه لحقائق الألفاظ في الأذهان
وطريقة التأويل أيضاً قد غدت مشتقة من هذه الخلقان
وكلاهما اتفقا على أن الحقيقة منتف مضمونها بيان
لكن قد اختلفا فعند فريقكم ما إن أردت قط بالتيان
لكنّ عندهم أريد ثبوتها في الذهن إذ عدمت من الإحسان
إذ ذاك مصلحة المخاطب عندهم وطريقة البرهان أمر ثان
فكلاهما ارتكبا أشد جنائية جنيت على القرآن والايان
جعلوا النصوص لأجلها غرضاً لهم قد خرّ قوه بأسمهم الهديان

يعني الناظم أن ابن سينا وأمثاله من الملاحدة الفلاسفة لما فتح المتكلمون
باب التأويل ، الذي هو تحريف النصوص ، فإن حقيقة قول المتكلمين :
إن الرب لم يكن قادراً ، ولا كان الكلام والفعل ممكناً له ، ولم يزل
كذلك دائماً مدة ، أو تقدير مدة لا نهاية لها ، ثم إنه تكلم وفعل من غير
سبب اقتضى ذلك ، وجعلوا مفعوله هو فعله ، وإرادته بعلة أزلية ، والمفعول
متأخراً ، وجعلوا القادر يرجع أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح . وكل
هذا خلاف المعقول الصريح ، وخلاف الكتاب والسنة . وأنكروا صفاته
ورؤيته ، وقالوا : كلامه مخلوق ، وهو خلاف دين الإسلام . والذين
اتبعوا هؤلاء المتكلمين وأثبتوا الصفات . قالوا : يريد جميع المرادات
بإرادة واحدة ، وكل كلام تكلم به أو يتكلم به ، إنما هو شيء واحد لا يتعدد

ولا يتبعض، وإذا رؤي رؤي بلا مواجهة ولا معاينة. إنه لم يسمع، ولم ير الأشياء حتى وجدت، لم يقم به أنه موجود، بل حاله قبل أن يسمع ويصر، كحالته بعد ذلك، إلى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح والمنقول الصحيح، فلما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء، وأن هذا هو الإسلام الذي عليه هؤلاء، وعلموا فساد هذا، أظهروا قولهم بقدم العالم، واحتجوا بأن تجدد الفعل - بعد أن لم يكن، بمتنع، بل لا بد لكل متجدد من سبب حادث، فيكون الفعل دائماً، ثم ادعوا دعوى كاذبة، لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها. وهو أنه إذا كان الفعل دائماً، لزم قدم الأفلاك والعناصر، ثم لما أرادوا تقرير، النبوة جعلوها فيضاً فاض من العقل الفعال أو غيره، من غير أن يكون رب العالمين يعلم أن له رسولاً معيناً، ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا يعلم الجزئيات ولا تنزل من عنده ملك، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ﷺ، وهو العقل الفعال، وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر، وغير ذلك مما أخبرنا به الرسول ﷺ. وزعموا أن ماجاء به الرسول ﷺ، إنما أراد به خطاب الجمهور، بما يخيل إليهم، بما ينتفعون به، من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق، وعلمت الناس ما الأمر عليه. وهذا معنى قول الناظم حكاية عن ابن سينا. قال: المراد حقائق الألفاظ تخيلاً وتقريباً إلى الأذهان. لأن الجمهور لا يمكنهم إدراك المعقول، إلا في مثال محسوس فأبرزت الرسل المعقول في المحسوس، حتى تقبله أذهان الجمهور. فيقول الناظم: هذا هو الذي قد قاله ابن سينا، مع نفيه لحقائق الألفاظ في

الأذهان . فالتأويل عند ابن سينا لأجل إبطال هذا القصد ، ولهذا يحرم
التأويل عند الفلاسفة إلا للعارف ، وأشار الناظم إلى ذلك بقوله :

فلذاك يحرم عندهم تأويله لكنه حل لذي العرفان
قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتسلط الأوغاد والأوقاح والـ أذال بالتحريف والبهتان

كل إذا قابلته بالنص قا به بتأويل بلا برهان

ويقول تأويلي كتأويل الذين تأولوا فوقية الرحمن

بل دونه فظهورها في الوحي بالنصين مثل الشمس في التبيان

أيسوغ تأويل العلو لكم ولا تتأولوا الباقي بلا فرقان

وكذلك تأويل الصفات مع أنها مل الحديث ومل ذي القرآن

والله تأويل العلو أشد من تأويلنا لقيامه الأبدان

وأشد من تأويلنا لحياته ولعالمه ومشية الكوان

وأشد من تأويلنا لحدوث هذا العالم المحسوس بالإمكان

وأشد من تأويلنا لبعض الشرا نع عند ذي الانصاف والميزان

وأشد من تأويلنا لكلامه بالفيض من فعال ذي الكوان

وأشد من تأويل أهل الرفض أخبار الفضائل حازها الشيخان

وأشد من تأويل كل مؤول نصاً بأن مراده الوحيان

أذ صرح الوحيان مع كتب الإله جميعها بالفوق للرحمن
فلأي شيء نحن كفار بهذا التأويل بل أنتم على الايمان
إننا تأولنا وأنتم قد تأولتم فهاتوا واضح الفرقان
الكم على تأويلكم أجران حيث لنا على تأويلنا ووزان
هذي مقاتلهم لكم في كتبهم منها نقلناها بلا عدوان
ردوا عليهم إن قدرتم أو فتنحوا عن طريق عساكر الايمان
لا تحطمنكم جنودهم كحطسم السيل ما لاقى من الديدان
الأوغاد : جمع وغد وهو الذي يخدم بلاء بطنه . والأوقاح : جمع
وقح وهو الذي لاحياء له . يعني أن الأوغاد والأوقاح والارذال من
الباطنية والفلاسفة وغيرهم ، لما رأوا تأويل المتكلمين لعلو الرب سبحانه
وتعالى ، وفوقيته على خلقه ، وكذا تأويلهم لصفاته تعالى . فقال أولئك
للمتكلمين : تأويلكم للعلو أعظم من تأويلنا للقيامة ، وأشد من تأويلنا
لحياته سبحانه وعلمه ومشيته ، وأشد من تأويلنا لحدوث العالم بالإمكان ،
وأعظم من تأويلنا لكلامه بأنه فاض من العقل الفعال ، وأشد من تأويل
الروافض للأخبار التي في فضائل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ،
وأشد من تأويل كل مؤول ، لأنه قد صرح الوحيان ، وجميع الكتب
الإلهية بالفوقية فلاي شيء نكفر بتأويلنا ، وأنتم مؤمنون . فنحن قد
تأولنا كما تأولتم ، فهاتوا فرقا واضحا ، وهذا معنى قول الناظم : هذي مقاتلهم
لكم في كتبهم الخ . فردوا عليهم إن قدرتم ، وهيات ، وإلا فتنحوا عن

طريق عساكر الإيمان ، فهم الذين يردون على أولئك الأوغاد ، وذلك أنهم ،
قبلوا ما أخبر الله به عن نفسه ، أو أخبر به رسوله ، إثباتاً بلا تأويل ،
وتنزيهاً بلا تعطيل ، وقبلوا ما جاء عن الله ورسوله . وقالوا : آمنا به كل
من عند ربنا ، والحمد لله وحده .

قال الناظم :

وكذا نطالبكم بأمر رابع والله ليس لكم بذا إمكان
وهو الجواب عن المعارض إذ به الد عوى تتم سليمة الأركان
لكن ذاعين المحال ولو يسا عدم عليه رب كل لسان
فأدلة الإثبات حقاً لا يقو م لها الجبال وسائر الاكوان
تنزيل رب العالمين ووحيه مع فطرة الرحمن والبرهان
أني يعارضها كناسة هذه الـ أذهان بالشبهات والهديان
وجعاجع وفراق ماتحتها إلا السراب لوارد ظمآن
فلهنكم هذي العلوم اللاء قد ذخرت لكم عن تابع الإحسان
بل عن مشايخهم جميعاً ثم وفقتم لها من بعد طول زمان
والله ما ذخرت لكم لفضيلة لكم عليهم يا أولي النقصان
لكن عقول القوم كانت فوق ذا قدراً وشأنهم فأعظم شان
وهم أجل وعلمهم أعلى وأشرف أن يشاب بزخرف الهديان
فلذلك صانهم الإله عن الذي فيه وقعتم صون ذي إحسان

سميتم التحريف تأويلاً كذا العطيل تنزيها هما لقبان
وأضفتهم أمراً إلى ذا ثالثاً شراً وأقبح منه ذا بهتان
فجعلتم الإثبات تجسماً وتشبيهاً وذا من اقبح العدوان
فقلبتهم تلك الحقائق مثل ما قلبت قلوبكم عن الإيمان
وجعلتم الممدوح مذموماً كذا بالعكس حتى استكمل اللسان
وأردتم أن تحمدوا بالاتباع نعم لمن يافرقه البهتان؟
وبغيتهم أن تنسبوا للابتداء عساكر الآثار والقرآن
وجعلتم الوحيين غير مفيدة للعلم والتحقيق والبرهان
لكن عقول الناكين عن الهدى لهم تفيد ومنطق اليونان
وجعلتم الإيمان كفراً والهدى عين الضلال وذا من الطغيان
ثم استخفيتهم عقولاً ما أرا د الله أن تزكو على القرآن
حتى استجابوا مهطعين لدعوة التعطيل قد هربوا من الإيمان
يا ويحهم لو يشعرون بمن دعا ولما دعا قعدوا قعود جبان
هذا هو الرابع من الأمور التي تقدمت في الفصل قبله ، لأنه طالبهم
بثلاثة أشياء ، وبقي الرابع : وهو أننا نطالبهم بالجواب عن المعارض لهم ،
وهو أدلة الإثبات ، وجوابهم عنها عين الحال . وكيف يعارض النصوص
القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والفطرة ؛ كناسة الآراء والأذهان ،

وجماجم وفراقع ما تحتها إلا السراب للوارد الظمان ، فليتهمم الاعتياض بهذه العلوم التي قد ذخرت عن الصحابة والتابعين ، والأئمة المهديين ، فإن الله تعالى صانهم ونزههم عن هذا الذي وقع فيه هؤلاء ، نعوذ بالله من الخذلان .

وقوله : سميت التحريف تأويلاً الخ . أي : أنهم سمو تحريفاتهم تأويلاً ، وسموا التعطيل تنزيهاً ، وأضافوا الى ذلك أمراً ثالثاً أقبح وأشنع ، وهو أنهم سمو الاثبات تجسيماً وتشبيهاً ، فقبلوا الحقائق ، وجعلوا المدوح مذموماً ، والمذموم بمدوحاً ، فدلّسوا ولبسوا .

وقوله : وأردتم أن تحمدوا بالاتباع الخ .. أي : أنهم أرادوا أن يحمدوا باتباع الكتاب والسنة ، وهم عن ذلك براحل ، وهذا معنى قوله : لكن لمن ، ومع ذلك نسبوا للابتداع عساكر الآثام والقرآن ، وصرحوا بأن نصوص الوحيين لاتفيد اليقين ، وأن العلم واليقين إنما يستفاد من غيرهما ، كعقوفهم ، ومنطق اليونان ، وقالوا : إذا تعارضت الأدلة اللفظية والقواطع العقلية بزعمهم ، قدمنا القواطع العقلية ، وجعلوا الايمان كقراً ، والهدى ضلالاً ، ثم استخفوا أصحاب العقول الضعيفة غير الزكية ، فاستجابوا مهطعين لدعوتهم ، واتبعوه على تحريفهم وتأويلهم .

فصل

في شبهه المحرفين للنصوص باليهود وارثهم التحريف منهم وبراءة أهل الاثبات بما رموه به من هذه الشبه .

هذا وثمّ بلية مستورة فيهم سأبديها لكم بيان .

ورث المحرف من يهود وهم أولو التحريف والتبديل والكتان
فأراد ميراث الثلاثة منهم فعصت عليه غاية العصيان
إذ كان لفظ النص محفوظاً فما التبديل والكتان في الإمكان
فأراد تبديل المعاني إذ هي المقصود من تعبير كل لسان
فأتى اليها وهي بارزة من الألفاظ ظاهرة بلا كتان
فنفى حقائقها وأعطى لفظها معنى سوى موضوعه الحقان
فجنى على المعنى جناية جاحد وجنى على الألفاظ بالعدوان
وأتى الى حزب الهدى أعطاهم شبه اليهود وذا من البهتان
إذ قال إنهم مشبهة وأنتم مثلهم فمن الذي يلحاني
في هتك أستار اليهود وشبههم من فرقة التحريف للقرآن
مراد الناظم رحمه الله أن المحرف ، أي : المؤول ورت ، التحريف من
اليهود . وهم أولو التحريف والتبديل والكتان ، فأراد المحرف ميراث
الثلاثة منهم ، فعصت عليه ، ولم يمكنه ذلك ، لأن لفظ النص محفوظ ،
قد تولى الله حفظه ، كما قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ،
الحجر : ٩ فعدل الى تبديل المعاني ، لأنها هي المقصودة بالتعبير ، ولم يمكنه
الكتان أيضاً ، فنفى حقائقها ، وأعطى لفظها معنى غير معناه الموضوع له ،
فجحد المعنى ، وجنى على اللفظ بالعدوان ، ثم بعد ذلك سمي أهل الاثبات
والهدى مشبهة ، وأنهم مثل اليهود ، وهذا معنى قول الناظم : ممن الذي

يلجاني في هتك أستار اليهود وشبههم . ومعنى يلجاني : ينازعي . قال في « القاموس » لاحاه ملاحاة ولحاء : نازعه . انتهى . أي : من ينازعي في هتك أستار المعطلة ، وتشبيههم باليهود . ثم شرع الناظم في بيان شبههم المحقق باليهود فقال :

يامساين بحق ربكم اسمعوا قولي وعوه وعي ذي عرفان
ثم احكموا من بعد من هذا الذي أولى بهذا الشبه بالبرهان
أمر اليهود بأن يقولوا حطة فأبوا وقالوا حطة لهوان
وكذلك الجهمي قيل له استوى فأبى وزاد الحرف للنقصان
قال استوى استولى وذا من جهله لغة وعقلاً ما هما سيان
عشرون وجهاً تبطل التأويل باستولى فلا تخرج عن القرآن
قد أفردت بمصنف هو عندنا تصنيف حبر عالم رباني
ولقد ذكرنا أربعين طريقة قد أبطلت هذا بحسن بيان
هي في الصواعق إن ترد تحقيقها لا تحتفي الا على العميان
نون اليهود ولام جهمي هما في وحي رب العرش زائدتان
وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان
فهما إذاً في نفهم لصفاته العليا كما بينته أخوان
شرع الناظم رحمه الله تعالى في ايضاح ما ذكره من شبه المعطلة باليهود ،

وأثمهم ورثوا منهم التحريف ، فذكر أن اليهود قيل لهم : (قولوا حطة) البقرة : ٥٨ والأعراف : ١٦١ فأبوا وقالوا : حنطة ، وكذلك الجهمية . قيل لهم : استوى ؟ فأبوا وقالوا : استولى : وليس كذلك ، فإن هذا من جهل الجهمي بمعنى استوى لغة وعقلاً ، وذكر أن تفسير الاستواء بالاستيلاء باطل من عشرين وجهاً ، أفردها شيخ الاسلام في مصنف مفرد ، وقد ساقها الناظم فيما تقدم ، وزاد وجهاً فصارت إحدى وعشرين وجهاً . قوله : ولقد ذكرنا أربعين طريقة . أي : وقد أبطلنا تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين طريقاً ، ذكرها الناظم رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بـ « الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة » وهو في مجلدات في غاية الاجادة والنفاسة ، فجزاه الله عن الاسلام خيراً .

وقوله : قد أفردت بمصنف هو عندنا الخ . يعني به شيخ الاسلام كما تقدم .
قوله :

وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان

أي : أن الجهمية شابهوا اليهود أيضاً ، فالجهمية نفوا صفات الرب سبحانه ، واليهود وصفوه بالنقصان ، فوصفوه بأنه فقير ، تعالى الله عن ذلك ، وأن يده مغلوله ، ووصفوه بالندم ، والتعب ، تعالى الله وتقدس عن إفكهم .

فصل

في بيان بهتانهم في تشبيه أهل الاثبات بفرعون ، وقولهم : إن مقالة العلو عنه أخذوها وإنهم أولى بفرعون وأنهم أشباهه .

ومن العجائب قولهم فرعون مذ به العلو وذلك في القرآن
ولذلك قد طلب الصعود اليه بالصرح الذي قد رام من هامان
هذا رأينا به كتبهم ومن أفواههم سمعاً الى الآذان
فاسمع إذا من الذي أولى بفرعون المعطل جاحد الرحمن
وانظر الى من قال موسى كاذب حين ادعى فوقية الرحمن
فمن المصائب أن فرعونيكم أضحى يكفر صاحب الايمان
ويقول ذلك مبدل للدين ساع بالفساد وذا من البهتان
ان المورث ذالهم فرعون حين رمى به المولود من عمران
فهو الامام لهم وهاديهم بمتبوع يقودهم الى التيران
هو أنكر الوصفين وصف الفوق والتكليم انكاراً على البهتان
إذ قصده إنكار ذات الرب فالتعطيل مرقاة لذا النكران
وسواه جاء بسلم وبآلة وأتى بقانون على بنيان
وأتى بذلك مفكراً ومقدراً ورث الوليد العابد الاوثان .

وأتى الى التعطيل من أبوابه لامن ظهور الدار والجدران
وأتى به في قالب التنزيه والتعظيم تليساً على العميان
وأتى الى وصف العلو فقال ذا التجسيم ليس يليق بالرحمن
فاللفظ قد أنشأه من تلقائه وكساه وصف الواحد المنان
والناس كلهم صبي العقل لم يبلغ ولو كانوا من الشيخان
الا أناساً ساهموا الوحي هم أهل البلوغ وأعقل الانسان
فأتى الصبيان فانقادوا له كالشاء اذ تنقاد للجوبان
فانظر الى عقل صغير في يدي شيطان ما يلقي من الشيطان
أي : ومن العجائب أن المعطلة تزعم أن العلو مذهب فرعون ، وهذا
من قلب الحقائق وقد تقدم توضيح ذلك . قوله : إذ قصده إنكار ذات
الرب تعالى الخ . أي : إن قصد فرعون اللعين إنكار ذات الرب تعالى . قوله :
وسواه جاء بسلم وبآلة الخ ، أي : أن هؤلاء النفاة ، وضعوا القوانين فيما
جاءت به الانبياء عن الله ، فما وافق تلك القوانين قبلوه ، وما خالفها لم
يتبعوه ، وتأرلوه أو فوضوه ، قوله : وأتى بذاك مفكراً ومقدراً .
أي : الثاني فكر وقدر فيما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسله ،
وأنه ورث بذلك الوليد بن المغيرة ، الذي ذكره الله تعالى في قوله : (انه
فكر وقدر) المدثر : ١٣ الآية . ورحم الله الناظم ، فلقد استعظم نسبتهم
مذهب العلو الى فرعون ، فلودفع الى زمن من زاد في الطنبور نعمة ،
وصنف مصنفاً في إيمان فرعون ، وإن كان المحيي ابن عربي قد زعم ذلك ،

فمذهبه معلوم ، ومشربه مذموم ، فالله المستعان . قوله : إذ تنقاد
للجوبان ، وهو الراعي .

فصل

في بيان تدليسهم وتليبهم الحق بالباطل

قالوا اذا قال الجسم ربنا حقاً على العرش استوى بلسان
فسلوهم كم للعرش معنى واستوى أيضاً له في الوضع خمس معان
وعلى فكم معنى لها أيضاً لدى عمرو فذاك إمام هذا الشأن
بين لنا تلك المعاني والذي منها أريد بواضح التبيان

يعني أن المعطلة لشدة تدليسهم وتليبهم ، قالوا : إذا قالت المثبتة :
إن الله تعالى استوى على العرش ، فسلوهم : كم للعرش معنى . واستوى : كم
معنى لها لدى عمرو . أي عند عمرو ، وهو سيديويه ، إمام النحاة ، فإن اسمه
عمرو بن عثمان بن قنبر . قال صاحب « العواصم والقواصم » : إذا قال
لك الجسم (الرحمن على العرش استوى) : طه : ه فقل : استوى على
العرش ، تستعمل على خمسة عشر وجهاً ، فأيا تريد ؟ انتهى . قال
شيخ الاسلام في تفسير سورة (الإخلاص) : ومن قال : الاستواء له معان
متعددة ، فقد أجمل كلامه ، فإنهم يقولون : استوى فقط ، ولا يصلونه بجرف ،
وهذا له معنى . ويقولون : استوى على كذا ، وله معنى ، واستوى إلى كذا ،
وله معنى ، واستوى مع كذا ، وله معنى ، فتتووع معانيه بحسب صلاته .

وأما استوى على كذا ، فليس في القرآن ولغة العرب المعروفة إلا بمعنى واحد . قال تعالى : (فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) الفتح : ٢٩ وقال : (واستوت على الجودي) هود : ٤٤ وقال : (لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا ستويتم عليه) الزخرف : ١٣ وقد أتى النبي ﷺ بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الغرز قال : « بسم الله » فلما استوى على ظهرها قال : « الحمد لله » . وقال ابن عمر : أهل رسول الله ﷺ بالحج ، فلما استوى على بعيره... وهذا المعنى يتضمن شيئين : علوه على ما استوى عليه ، واعتداله ايضاً ، فلا يسمون المائل على الشيء مستويّاً عليه . ومنه حديث الخليل بن أحمد لما قال : استوا .
وقوله :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهباق

هو من هذا الباب ، فان المراد به بشر بن مروان ، واستواؤه عليها ، أي على كرسي منكبها ، لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء ، بل استواء منه عليها ، إذ لو كان كذلك لكان عبد الملك الذي هو الخليفة قد استوى ايضاً على العراق وعلى سائر مملكة الاسلام ، ولكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان والشام ومصر وسائر ما فتحه ، ولكان رسول الله ﷺ قد استوى على اليمن وغيرها مما فتحه . ومعلوم أنه لم يوجد في كلامهم استعمال الاستواء في شيء من هذا ، وإنما قيل فيمن استوى بنفسه على بلد : فإنه مستو على سرير ملكه ، كما يقال : جلس فلان على السرير ، وقعد على التخت . ومنه قوله : (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً) يوسف : ١٠٠ وقوله : (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء

ولما عرش عظيم) النمل : ٢٣ وقول الزمخشري وغيره: استوى على كذا، بمعنى ملك دعوى ، مجردة ، فليس لها شاهد في كلام العرب . ولو قدر ذلك لكان بهذا المعنى باطلاً في استواء الله على العرش ، لأنه أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقد أخبر أن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض ، كإدلال على ذلك الكتاب والسنة ، فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه ، فكيف يكون الاستيلاء عليه مؤخراً عن خلق السموات والأرض ؟! وايضاً فهو مالك لكل شيء مستول عليه ، لا يخص العرش بالاستواء ، وليس هذا كتخصيصه بالربوبية في قوله : (ورب العرش) المؤمنون : ٨٦ فإنه قد يخص لعظمته ، ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال : رب العرش ، ورب كل شيء ، وأما الاستواء المخصص بالعرش ، فلا يقال : استوى على العرش ، وعلى كل شيء ، ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شيء ، ولا وجد في كتاب ولا سنة ، كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة ، وفي كل شيء عامة ، وكذلك لفظ الخلق ونحوه من الالفاظ التي تخص وتعم ، كقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق) العلق : ١-٢ فالاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش لا تضاف إلى غيره لا خصوصاً ولا عمومياً ، وهذا مبسوط في موضع آخر . انتهى كلامه .

قال الناظم :

فاسمع فداك معطل هذي السجعاجع ما الذي فيها من الهديان
قل للمجعجع ويحك اعقل ما الذي قد قلته إن كنت ذا عرفان
العرش عرش الرب جل جلاله واللام للمعهود في الأذهان

ما فيه إجمال ولا هو موهم نقل المجاز ولا له وضعاف
، ومحمد والانبيا جميعهم شهدوا به للخالق الرحمن
منهم عرفناه وهم عرفوه من رب عليه قد استوى ديان
لم تفهم الأذهان منه سرير بلقيس ولا بيتاً على الأركان
كلا ولا عرشاً على بحر ولا عرشاً لجبريل بلا بنيان
كلا ولا العرش الذي إن ثل من عبد هوى تحت الحضيض الداني
كلا ولا عرش الكروم وهذه الأعناب في حرث وفي بستان
لكنها فهمت بحمد الله عرش الرب فوق جميع ذي الأركان
، وعليه رب العالمين قد استوى حقاً كما قد جاء في القرآن
اي أن قوله تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ المراد
به عرش الرب سبحانه ، واللام للعهد الذهني ولا تفهم الأذهان من العرش
غير ذلك ، كعرش بلقيس المذكور في قوله تعالى : (ولها عرش
عظيم) النحل : ٢٣ ولا بيتاً على الأركان كما في قوله تعالى : (خاوية على
عروشها) البقرة : ٢٥٩ ولا عرشاً على الماء المذكور في حديث رواه سنيد
بن دارد في تفسيره مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : « إن إبليس اتخذ عرشاً
على الماء مثل عرش الرحمن عز وجل ... » الحديث ، وهو حديث
منكر ، ولا عرشاً لجبريل ولا العرش المذكور في قولهم : ثل عرشه ،
أي : ذهب سلطانه وجاهه ونحو ذلك ، ومنه قول عمر رضي الله عنه : كاد
عرشي أن يثل ، ولا عرش الكروم . قال ابن عباس : معروشاً : ما يعرش

من الكرم ، والعروش الأبنية ، وعرش البيت سقفه ، ولا العروش التي هي البيوت من سقف ونحوه . وهذا بحمد الله من أظهر المعارف التي لا تحتاج الى الاسهاب والاطناب .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا استوى الموصول بالحرف الذي ظهر المراد به ظهور بيان
لافيه إجمال ولا هو مفهم للاشتراك ولا مجاز ثاني
تركيبه مع حرف الاستعلاء نص في العلو بوضع كل لسان
فاذا تركب مع الى فالقصد مع معنى العلو لوضعه ببيان
وإلى السماء قد استوى فمقيد بتمام صنعتهما مع الاتقان
لكن على العرش استوى هو مطلق من بعد ما قدمت بالاركان
لكنها الجهمي يقصر فهمه عن ذا فتلك مواهب المنان
فاذا اقتضى واو المعية كان معناه استواءه مقدم والثاني
فاذا أنى من غير حرف كان معناه الكمال فليس ذا نقصان
لا تلبسوا بالباطل الحق الذي قد بين الرحمن في الفرقان
وعلى الاستعلاء فهي حقيقة فيه لدى أبواب هذا الشأن
أما الاستواء المطلق فله عدة معان، فإن العرب تقول : استوى كذا ،
أي : انتهى ، وكمل . ومنه قوله تعالى : (ولما بلغ أشده واستوى) القصص : ١٤
وتقول : استوى وكذا نحو قولهم : استوى الماء والحشبة ، واستوى الليل

والنهار إذا ساواه. وتقول : استوى إلى كذا : إذا قصد إليه علو أو ارتفاعاً ، نحو : استوى إلى السطح والجبل . واستوى على كذا ؛ أي : ارتفع عليه ، ولا تعرف العرب غير هذا ، فالاستواء في هذا التركيب نص لا يحتمل غير معناه ، كما هو نص في قوله تعالى : (ولما بلغ أشده واستوى) القصص : ١٤ لا يحتمل غير معناه ، ونص في قولهم : استوى الليل والنهار ، في معناه لا يحتمل غيره . وقول الناظم : تركيبه مع حرف الاستعلاء نص الخ . أي : أن استواء الرب سبحانه المعدي بأداة على المعلق بعرشه المعرف باللام المعطوف بـم على خلق السموات والأرض ، المطرد في موارده على أسلوب واحد ، لا يحتمل معنيين البتة ، فاستواء الرب على عرشه المختص به الموصول بأداة على ، نص في معناه لا يحتمل سواه ، والله علم .

قال الناظم رحمه الله :

وكذلك الرحمن جل جلاله لم يحتمل معنى سوى الرحمن
ياويحه بعماء لو وجد اسمه الرحمن محتملاً لخمس معان
لقضى بأن اللفظ لا معنى له إلا التلاوة عندنا بلسان
فلذلك قال أئمة الاسلام في معناه ما قد ساءكم بيان
ولقد أحلناكم على كتب لهم هي عندنا والله بالكليات
يقول الناظم رحمه الله : وكذلك اسم الرحمن لا يحتمل معنى
سوى الرحمن .

قوله : ياويحه بعماء ، أي : ياويح المعطل بسبب عماء ، لو وجد اسم

الرحمن محتماً لخمسة معان لأظهرها، وقضى، أي حكم بأنه لا معنى للرحمن إلا التلاوة . وقد قال أئمة الإسلام في معناه : ما ساءكم أيها المعطلة ، وهو موجود في كتبهم بالكيمان ، أي : بالكثرة . ولنذكر بعض ما ذكره العلماء في معنى الرحمن الرحيم . كما أحال على ذلك الناظم ، فيها اسمان مشتقان من رحم يجعله لازماً بنقله إلى باب فعل بضم العين ، أو بتنزيهه منزلة اللازم ، إذ هما صفتان مشبهتان ، وهي لا تشتق من متعد . والرحمن أبلغ من الرحيم ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً . كما في قطع وقطع ، ومن غير الغلب قد يفيد نقص البناء ما لا يفيد زائده من المبالغة ، كحذر وحاذر ، فان حذر أبلغ من حاذر . فالرحمن صفة في الأصل بمعنى كثير الرحمة جداً ، ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها ، وهو الله . والرحيم : ذو الرحمة الكثيرة .

وقال الناظم في « بدائع الفوائد » : أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت ، فإنها دالة على صفات كانه ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه تعالى ، ووصفه لا ينافي اسميته ووصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله ، ومن حيث هو اسم في القرآن ورد غير تابع معنى ، كقوله تعالى : (الرحمن علم القرآن) الرحمن : ١ (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك : ٢٠ وهذا شأن الاسم العلم . ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى ، حسن بجيئه مفرداً غير تابع ، كجبيء اسمه (الله) كذلك ، وهذا لا ينافي دلالة على صفة الرحمن ، كاسمه (الله) فإنه دال على صفة الألوهية ، ولم يجيء قط تابعاً لغيره ، بل متبوعاً ، بخلاف العليم والتقدير والسميع والبصير ، ولهذا لا يجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة .

قال رحمه الله تعالى : وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالارحوم . وكان الأول الوصف ، والثاني الفعل ، فالأول دال على أن الرحمة صفة ، أي صفة ذات له سبحانه ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه رحمة ، أي : صفة فعل له سبحانه ، فإذا أردت فهم هذا فذأمل قوله تعالى : (وكان بالؤمنين رحيمًا) الأحزاب : ٤٣ (إنه بهم رؤوف رحيم) التوبة : ١١٧ ولم يجيء قط رحمن بهم ، فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته .

قال رحمه الله تعالى : وهذه النكتة لا تكاد تجدها في كتاب ، وان تنفست عندها مرآت فلبك ، لم تنجل لك صورتها . انتهى .

فصل

في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمال عدة معان حتى أسقطوا الاستدلال بها .

واللفظ منه مفرد ومركب في الاعتبار فما هما سيان
واللفظ في التركيب نص في الذي قصد المخاطب منه في التبيان
أو ظاهر فيه وذا من حيث نسبته إلى الأفهام والأذهان
فيكون نصاً عند طائفة وعند سواهم هو ظاهر التبيان
وإحدى سواهم مجمل لم يتضح لهم المراد به اتضح بيان

فالأولون لإفهم ذاك الخطأ ب وإفهم معناه طول زمان
طال المراس لهم لمعناه كما اشتدت عنايتهم بذلك الشأن
والعلم منهم بالمخاطب إذ هم أولى به من سائر الإنسان
ولهم أتم عناية بكلامه وقصوده مع صحة العرفان
فخطابه نص لديهم قاطع فيما أريد به من التبيان
لكن من هو دونهم في ذلك لم يقطع بقطعهم على البرهان
ويقول يظهرذا وليس بقاطع في ذهنه لا سائر الأذهان
ولإلفه بكلام من هو مقتد بكلامه من عالم الأزمان
هو قاطع بمراده وكلامه نص لديه واضح التبيان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل أن الألفاظ قسمان : مفرد
ومركب ، وأن المركب نص في الذي قصد المخاطب ، أو ظاهر ، وأن ذلك
من الامور النسبية ، أي : بالنسبة إلى الافهام والأذهان ، فيكون نصاً بالنسبة
إلى طائفة ، وعند طائفة هو ظاهر ، وعند غيرهم هو مجمل ، والمجمل هو
اللفظ المتردد بين محتلين فأكثر على السواء ، وقيل : ما لم تتضح دلالاته ،
وقيل : ما أفاد جملة من الاشياء . وقيل : ما لا يفهم منه عند الإطلاق معنى .
أي : معين . وقيل : ما لا يفهم منه مراد المتكلم .

قوله : فالأولون ، أي : الطائفة الأولى بسبب الفهم للخطاب والفهم
للمعنى ، وطول ممارستهم لمعناه لشدة عنايتهم بمعرفة الخطاب ، وعلمهم

بالمخاطب - بكسر الطاء - فيكون خطابه عندهم نصاً قاطعاً . وأما الطائفة الأخرى فهم لنقصهم عن الأولين في تلك الحصال التي تقدمت ، يرون ذلك ظاهراً ، أي : بالنسبة إليهم لا إلى غيرهم ، وهذا معنى قول الناظم : وليس بقاطع الخ . وأما كلام من هو مقتد بكلامه من العلماء فهو لإلفه بكلامه يقطع بمراده ، وكلامه عنده نص واضح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والفتنة العظمى من المتسلق المـخـدوع ذي الدعوى أخي الهذيان

لم يعرف العلم الذي فيه الكلا م ولا له إلف بهذا الشأن
لكنه منه غريب ليس من سكانه كلاً ولا والجيران
فهو الزنيم دعي قوم لم يكن منهم ولم يصحبهم بمكان
وكلامهم أبداً لديه مجمل وبمعزل عن إمرة الايقان
شد التجارة بالزيوف يخالها نقداً صحيحاً وهو ذو بطلان
حتى إذا ردت إليه ناله من ردها خزي وسوء هوان
فأراد تصحيحاً لها إذ لم يكن نقد الزيوف يروج في الأثمان
ورأى استحالة ذابدون الطعن في باقي النقود فجاء بالعدوان
واستعرض الثمن الصحيح بجبله وبظلمه يبغيه بالبهتان
عوجاً ليسلم نقده بين الورى ويروج فيهم كامل الأوزان

أشار الناظم رحمه الله بهذه الأبيات إلى القائلين بالإجمال ، وهم المدعون الذين لم يعرفوا العلم الذي فيه الكلام ، ولا إلف لهم به ، فهم غرباء منه ليسوا من سكانه ولا جيرانه ، فاذا وجدوا الكلام فهو لديهم مجمل وبمعزل عن اليقين .

قوله : فهو الزنيم دعي قوم ... الخ . قال في « القاموس » : الزنيم : المستلحق في قوم ، والدعي مزنم كمعظم : اللثيم المعروف بلؤمه أو شره . انتهى . وفي « مختار الصحاح » : الزنيم : المستلحق في قوم ليس منهم لا يحتاج إليه ، وكأنه فيهم زئمة ، وهي شيء يكون للمعز في آذانها كالقرط ، وهي أيضاً شيء يقطع من أذن البعير ويترك معلقاً . وقوله تعالى : (عتل بعد ذلك زنيم) القلم : ١٣ قال عكرمة : هو اللثيم يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزئمتها . انتهى .

قوله : شد التجارة بالزيوف .. الخ . قال في « القاموس » : والدرهم زيوفاً ، صارت مردودة لغش درهم زيف وزائف ، أو الأولى ردية جمع زياف ، وفلان الدرهم جعلها زيوفاً كزيفها هي ، أي : أن تجارته وبضاعته في العلم زيوف وهو يظنها نقوداً صحيحة ، فلما ردت عليه ناله من ردها أشد الحزى وأعظم الهوان ، فأراد تصحيحها ، وأنى ذلك؟! فصار يطعن في باقي النقود الصحيحة بجعله وظلمه ، يبغيها عوجاً حتى يسلم ذلك النقد الزائف بين الناس ويروج بين الجهال والطفام .

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس ليسوا أهل نقد للذي قد قيل إلا الفرد في الأزمان .

والزيف بينهم هو النقد الذي قد راج في الأسفار والبلدان .

إذهم قد اصطلحوا عليه وارتضوا بجوازه جهراً بلا كتمان
فإذا أتاهم غيره ولو انه ذهب مصفى خالص العقيان.
ردوه واعتذروا بأن نقودهم من غيره بمراسم السلطان
فاذا تعاملنا بنقد غيره قطعت جوامكننا من الديوان
والله منهم قد سمعنا ذا ولم نكذب عليهم ويحذي البهتان
أي : أن أكثر الناس ليسوا بأهل معرفة للزيوف ، اللهم إلا الواحد
بعد الواحد في الأزمنة . والنقد الزائف هو الذي قد راج بين الناس ، فإذا
أتى الناس غيره ولو أنه ذهب مصفى خالص العقيان : أي : الذهب ، لأن
العقيان هو الذهب ، ردوه واعتذروا بأن نقودهم من غيره ، فإذا تعاملنا بغير
ذاك النقد قطعت جوامكننا من الديوان .

قوله : والله منهم قد سمعنا ذا .. الخ . وبأس ما فعلوا حيث
اعتاضوا عن الآخرة بالدنيا والله أعلم .
قال الناظم رحمه الله :

يا من يريد تجارة تنجيه من غضب الإله وموقد النيران
وتفيدة الأرباح بالجنات والبحور الحسان ورؤية الرحمن
في جنة طابت ودام نعيمها ماللغناء عليه من سلطان
هيء لها ثمناً تباع بمثله لاتشترى بالزيف من أثمان
نقداً عليه سكة نبوية ضرب المدينة أشرف البلدان

أظننت يا مغرور بائعها الذي يرضى بنقد ضرب جنك سخان
ممتك والله المحال النفس إن طمعت بذا وخذعت بالشيطان
فاسمع إذا سبب الضلال ومنشأ التخليط إذ يتناظر الخصمان
يحتج باللفظ المركب عارف مضمونه بسياقه لبيان
واللفظ حين يساق بالتركيب محفوف به للفهم والتبيان
جند ينادي بالبيان عليه مثل ندائنا باقامة وأذان
كي يحصل الإعلام بالمقصود من إirاده ويصير في الأذهان
في فك تركيب الكلام معاند حتى يقلقله من الاركان
ويروم منه لفظه قد حملت معنى سواه في كلام ثان
فيكون دبوس السلاق وعدة للدفع فعل الجاهل الفتان
فيقول هذا مجمل واللفظ محتمل وذا من أعظم البهتان
وبذاك يفسد كل علم في الورى والفهم من خبر ومن قرآن
إذا كثرت الألفاظ تقبل ذاك في الأفراد قبل العقد والتبيان
لكن إذا ما ركبت زال الذي قد كان محتملا لدى الواحدان
فاذا تجرد كان محتملا لغير مراده أو في كلام ثان
لكنّ ذا التجريد ممتنع فان يفرض يكن لاشك في الأذهان

والمفردات بغير تركيب كمثل الصوت تنعقه بتلك الضان
وهذا لك الاجمال والتشكيك والتجهيل والتحريف والاتيان بالبطان
فاذا هم فعلوه راموا نقله لمركب قد حف بالتيان
وقضوا على التركيب بالحكم الذي حكموا به للمفرد الواحدان
جهلا وتجهيلاً وتدايساً وتلبيساً وترويحاً على العميان
يعني الناظم رحمه الله أن اللفظ حين يساق بالتركيب فمحفوف به من
القرائن ما يبين المراد، وذلك معنى قوله : جند ينادي عليه ... الخ . أي :
فاذا أتى معاند وفك تركيب الكلام وقلقل أركانه، وأراد منه لفظة قد حملت
معنى آخر في كلام ثان .

وقوله : فيكون دبوس السلاق. قال في « القاموس » : دبوس كتبور
واحد الدبابيس للمقامع كأنه مربب . سلق العظم : التحاه وفلاناً طعنه ،
فيقول : يحتمل ويحتمل ، وهذا اللفظ مجمل ، فبذاك تفسد علوم الورى ، لأن ،
أكثر الألفاظ تقبل ذلك في الأفراد قبل التركيب . ولكن الأمر كما قال
الناظم : التجريد ممتنع ، وإن فرض فهو في الأذهان . وأما المفردات فهي كمثل
الصوت تنعقه بالضان ، وقصدهم بذلك التشكيك والتجهيل والتحريف
والله المستعان .

فصل

في بيان شبه غلظهم في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني

هذا هداك الله من إضالهم وضلالهم في المنطق اليونان
كمجردات في الخيال وقد بنى قوم عليها أو هن البنيان
ظنوا بأن لها وجوداً خارجاً ووجودها لو صح في الأذهان
أنت وتلك مشخصات حصلت في صورة جزئية بعيان
لكنها كلية إن طابقت أفرادها كاللفظ في الميزان
يدعونه الكلي وهو معين فرد كذا المعنى هما سيان
تجريد ذا في الذهن أو في خارج عن كل قيد ليس في الامكان
لا الذهن يعقله ولا هو خارج هو كالخيال لطيفة السكران
لكن تجردها المقيد ثابت وسواه ممتنع بلا إمكان
فتجرد الاعيان عن وصف وعن وضع وعن وقت لها ومكان
فرض من الأذهان يفرضه كفر ض المستحيل هما لها فرضان
الله أكبركم دهي من فاضل هذا التجرد من قديم زمان
تجريد ذي الألفاظ عن تركيبها وكذلك تجريد المعاني الثاني

والحق أن كليهما في الذهن مفروض فلا تحكم عليه وهو في الأذهان فيقودك الخصم المعاند بالذي سامته للحكم في الأعيان فعليك بالتفصيل إن هم أطلقوا أو أجملوا فعليك بالتيان يعني الناظم رحمه الله تعالى أن غلط المتكلمين في تجريد الألفاظ، يشبه غلط الفلاسفة في تجريد المعاني ، وذلك أن الفلاسفة يزعمون أن الجواهر العقلية التي هي العقل والنفس والمادة والصورة ، لها حقيقة في الخارج ، والصواب أنه لاحقيقة لها في الخارج، وإنما هي أمور معقولة في الذهن مجردة العقل من الأمور المعينة ، كما يجوز العقل الكليات المشتركة بين الأصناف كاخوانية الكلية ، والانسانية الكلية . والكليات إنما تكون كليات في الأذهان لا في الأعيان ، وهذا معنى قول الناظم : يدعونه الكلي وهو معين ... الخ .

ومن هؤلاء من يظن أنها تكون في الخارج كليات ، وأن في الخارج ماهيات كلية مقارنة للأعيان غير الموجودات المعينة ، وكذلك منهم من يثبت كليات مجردة عن الأعيان يسمونها المثل الأفلاطونية ، منهم يثبت دهر مجرداً عن المتحرك والحركة ، ويثبت خلاء مجرداً ليس متجهزاً ، لا قائماً بمتحيز ، ويثبت هيولى مجردة عن جميع الصور . الهيولى في لغتهم بمعنى : المحل . يقال للفضة هيولى الخاتم ، والدرهم والخشب هيولى الكرسي ، أي هذا المحل الذي تصنع فيه هذه الصورة . وهذه الصورة الصناعية عرض من الاعراض ، ويدعون أن الجسم هيولى محل الصورة الجسمية غير نفس الجسم القائم بنفسه ، وهذا غلط ، وإنما هذا يقدر في النفس كما يقدر امتداد مجرد عن كل تمتد ، وعدد مجرد عن كل معدود ، ومقدار مجرد عن كل مقدر ، وهذه كلها أمور

مقدرة في الأذهان لا وجود لها في الأعيان ، وهؤلاء الذين جردوا الحقائق عن قيودها ، وأخذوها مطلقة أخرجوها عن مسمياتها ، وما هيئاتها جميع القيود الخارجة ، فلم يجعلوها داخلة في حقيقتها ، فأثبتوا إنساناً لا طويلاً ولا قصيراً ، ولا أسود ولا أبيض ، ولا في زمان ولا في مكان ، ولا ساكناً ولا متحرراً ، ولا هو في العالم ولا خارجه ، ولا له لحم ولا عظم ، ولا عصب ولا ظفر ، ولا له شخص ولا ظل ، ولا يوصف بصفة ، ولا يتقيد بتقيد . ثم أروا الإنسان الخارجي بخلاف ذلك كله ، فقالوا : هذه عوارض خارجة عن حقيقته ، وجعلوا حقيقته تلك الصورة الخالية التي جردوها ، فهي المعنى الحقيقية هؤلاء الذين اعتبروها مجردة عن سائر القيود ، وجعلهم تلك الأمور التي لا تكون إنساناً في الخارج ، لأنها خارجة عن حقيقته ، كجعل هؤلاء القيود التي لا يكون اللفظ مقيداً إلا بها ، مقتضية لمجازة ، فتأمل هذا التشابه والتناسب بين الفريقين ، هؤلاء في تجريد المعاني ، وهؤلاء في تجريد الألفاظ ، وتأمل ما دخل على هؤلاء وهؤلاء من الفساد في اللفظ والمعنى ، وبسبب هذا الغلط دخل من الفساد في العلوم ما لا يعلمه إلا الله تعالى . وهذا معنى قول الناظم : فتجرد الأعيان عن وصف ... الخ . أي إن تجرد المعين عن الوصف والوضع والوقت والمكان إنما هو شيء يفرضه الذهن كفرض المستحيل . قوله : الله أكبركم دمي من فاضل ، فإنك والإصغاء إلى التجريدين ، لأن الحق إنما مفروضان في الذهن ، فلا تسلم ما ادعاه المتكلمون والفلاسفة فيها ، فيقودك الخضم المعاند بهذا الذي سلمته وتصير مغلوباً معه مقهوراً والله أعلم .

فصل

في بيان تدقيقهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب

وتمسكوا بظواهر المنقول عن أشياخهم كتمسك العميان
وأبوا بأن يتمسكوا بظواهر النصين واعجبا من الخذلان
قول الشيوخ محرم تأويله إذ قصدهم للشرح والتبيان
فاذا تأولنا عليهم كان إبطلا لما راموا بلا برهان
فعلى ظواهرها تمر نصوصهم وعلى الحقيقة حملها لبيان
ياليتم أجر وانصوص الوحي ذال المجرى من الآثار والقرآن
بل عندهم تلك النصوص ظواهر لفظية عزلت عن الايقان
لم تغن شيئا طالب الحق الذي ينبغي الدليل ومقتضى البرهان
وسطا على الوحيين بالتحريف إذ سموه تأويلا بوضع ثان
فانظر الى الأعراف ثم ليوسف والكهف وافهم مقتضى القرآن
فاذا مررت بآل عمران فهمت القصد فهم موفق رباني
معنى كلام الناظم في هذا الفصل أن النفاة تمسكوا بظواهر المنقول عن
مشايخهم ، وأبوا عن التمسك بظواهر النصين ، ويجرم عندهم تأويل قول
المشايخ ، لان قصدهم الشرح والبيان قالوا : فاذا تأولنا عليهم ، كان

ذلك إبطالاً لما قصدوه ، فلذاك حملوا نصوصهم على ظواهرها ، واعتقدوها على حقيقتها ، فيآلياتهم أجروا نصوص الكتاب والسنة هذا المجرى ، ولكن عندهم أن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، ولذلك سظروا عليها بالتحريف ، وسموه تأويلاً ، وتأويلهم هذا ليس هو المعنى بالتأويل في الكتاب والسنة ، ولهذا قال الناظم : فانظر الى الأعراف .. الخ يعني قوله تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله) الأعراف : ٥٣ وقوله تعالى في سورة يوسف : (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يوسف : ١٠٠ وقوله تعالى في سورة الكهف عن الحضرة في قصة موسى : (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً) الكهف : ٨٣ .

قوله : فاذا مررت بآل عمران ... الخ . يعني قوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) آل عمران : ٧ . قال شيخ الاسلام : إن الصواب قول من يجعله معطوفاً ، وتكون الواو لعطف المفرد على مفرد ، أو يكون كلا القولين حقاً ، وهي قراءتان ، والتأويل المنفي غير التأويل المثبت ، وأن الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف ، فيكون التأويل المنفي عامه عن غير الله ، هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره ، وهذا فيه نظر ، وابن عباس جاء عنه أنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وجاء عنه ، أن الراسخين لا يعلمون تأويله ، وجاء عنه أنه قال : التفسير على أربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ، ومن ادعى علمه فهو كاذب . وهذا القول يجمع القولين ، ويبين أن العلماء يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم ، وأن فيه ما لا يعلمه إلا الله ، فأما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله :

(الا الله) آل عمران : ٧ جعل التأويل بمعنى التفسير ، فهذا خطأ قطعاً .
انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وعلمت أن حقيقة التأويل تبين الحقيقة لا المجاز الثاني
ورأيت تأويل النفاة مخالفاً لجميع هذا ليس يجتمعان
اللفظ هم أنشوا له معنى بذا ك الاصطلاح وذاك أمر دان
وأتوا الى الالحاد في الأسماء والتحرير للألفاظ بالبهتان
فكسوه هذا اللفظ تليسا وتد لسا على العميان والعوران
تقدم معنى هذه الأبيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاستن كل منافق ومكذب من باطني قرمطي جاني
في ذا بسنتهم وسمى جحده للحق تأويلا بلا فرقان
وأتى بتأويل كتأويلاتهم شبرا بشبر صارخاً بأذات
إننا تأولنا كما أولتم فأتوا نحاكمكم الى الوزان
في الكفتين تحط تأويلاتنا وكذلك تأويلاتكم بوزان
هذا وقد أقررتم أنا بأيدينا صريح العدل والميزان
وغدوتم فيه تلاميذا لنا أو ليس ذلك منطلق اليونان

منا تعلمتم ونحن شيوخكم لا تجحدونا منة الاحسان
فسلوا مباحثكم سؤال تفهم وسلوا القواعد ربة الاركان
من أين جاءتكم وأين أصولها وعلى يدي من يأولي النكران؟!
فلأني شيء نحن كفار وأنتم مؤمنون ونحن متفقان؟
إن النصوص أدلة لفظية لم تفض قط بنا الى إيقان
فلذلك حكمنا العقول وأنتم أيضاً كذلك فنحن مصطلحان
فلأني شيء قد رميتم بيننا حرب الحروب ونحن كالاخوان
الاصل معقول ولفظ الوحي معزول ونحن وأنتم صنوان
لا بالنصوص نقول نحن وأنتم أيضاً كذلك فنحن مصطلحان
فذروا عداوتنا فان وراءنا ذاك العدو الثقيل ذو الاضغان
فهمُ عدوكمُ وهمُ أعداؤنا فجميعنا في حريمهم سيان
تقدم الكلام في معنى هذه الايات، ومعنى ذلك أن القرامطة والباطنية
ونحوهم من أعداء الشريعة ، كلهم يقولون لنفاة علو الرب تعالى على عرشه
وصفاته : تأويلنا ما في الكتاب والسنة ، من ذكر المعاد ، وحياة الرب .
ومشيئته ، وعلمه ، وتأويلنا لحدوث العالم ونحو ذلك كتأويلكم ،
فلأني شيء نحن كفار ، وأنتم مؤمنون ؟ ! فهاتوا واضح الفرق بيننا
وبينكم ، ولن يجد المتكلمون إلى ذلك سبيلاً ، فإن القرامطة والباطنية ،

لما جحدوا الشريعة ، وتناولوا التأويلات الشنيعة ، فتأولوا العمليات مع العمليات ، فقالوا : الصلوات الخمس معرفة أسرارنا ، وصيام شهر رمضان كتمان أسرارنا . والحج هو الزيارة لشيوخنا المقدسين ، وإنما فتح لهم هذا الباب الجهمية والرافضة ، حيث صار بعضهم يقول : الامام المبين علي بن أبي طالب ، والشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية ، والبقرة المأمور بذبحها عائشة ، واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين ، فليسان حال القرامطة أوقالهم يقول للجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من أهل التحريف والتأويل : إذا كنا نحن وانتم قد حكمتنا العقول . فلأي شيء تنصبون لنا العداوة ، وترمون بيننا الحرب؟! فإن العرش عندنا وعندكم ليس فوقه إلا العدم المحض ، والنفي الصرف ، وكذا عندنا أن الكتب المنزلة ليست كلام الله ، بل هي فيض من (العقل) الفعال ، وعندكم أنها مخلوقة ، فعندنا وعندكم أنه لا قول لله سبحانه في الأرض ، وليس فوق السماء رب ، وكذا عندنا رؤيته تعالى محال ، وعند متقدميكم أنه لا يرى ، لكن متأخروكم يقولون : يرى رؤية المعدوم ، لأنهم يقولون : يرى ولكن لا بشرط اتصال الأشعة ، ومقابلة الرائي المرئي ، فعلام هذا الحرب مع الوفاق ، والصلح الذي بيننا ؟ ! فدعوا عداوتنا ، واحملوا معنا على الجحمة ، فانهم أعداؤنا وأعداؤكم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

تلك الجحمة الألى قالوا بأن الله فوق جميع ذي الاكوان
واليه يصعد قولنا وفعالنا واليه ترقى روح ذي الايمان

واليه قد عرج الرسول حقيقة وكذا ابن مريم مصعد الابدان
وكذاك قالوا إنه بالذات فوق العرش قدرته بكل مكان
وكذاك ينزل كل آخر ليلة نحو السماء فها هنا جهتان
للابتداء والانتهاء وذان للـ أجسام أين الله من هذان
وكذاك قالوا إنه متكلم قام الكلام به فيا إخوان
أيكون ذلك بغير حرف أم بلا صوت فهذا ليس في الامكان
وكذاك قالوا ما حكينا عنهم من قبل قول مشبه الرحمن
فذروا الحراب لنا وشدوا كلنا جمعاً عليهم حملة الفرسان
حتى نسوقهم بأجمعنا الى وسط العرين ممزقي اللحمان
قال في « القاموس » : العرين كأمير : مأوى الاسد ، والضبع ،
والذئب ، والحية . انتهى .

ولقد كوونا بالنصوص وما لنا بلقاءها أبد الزمان يدان
كم ذابقال الله قال رسوله من فوق أعناق لنا وبنان
اذ نحن قلنا قال آرسطو المعلم اولاً او قال ذلك الثاني
وكذاك ان قلنا ابن سينا قال ذا او قاله الرازي ذوو التبيان
قالوا لنا قال الرسول وقال في القرآن كيف الدفع للقرآن
وكذاك أنتم منهم ايضاً بهـ هذا المنزل الضنك الذي تريان

ان جئتموهم بالعقول أتوكم بالنص من أثر ومن قرآن
فتحالفوا إنا عليهم كلنا حزب ونحن وأنتم سلمان
فاذا فرغنا منهم فخلافتنا سهل فنحن وأنتم أخوان
فالعرش عند فريقنا وفريقكم ما فوقه أحد بلا كتمان
مافوقه شيء سوى العدم الذي لا شيء في الاعيان والاذهان
ما الله موجود هناك وإنما الـ عدم المحقق فوق ذي الاكوان
والله معدوم هناك حقيقة بالذات عكس مقالة الديسان
هذا هو التوحيد عند فريقنا وفريقكم وحقيقة العرفان
وكذا جماعتنا على التحقيق في التوراة والانجيل والفرقان
ليست كلام الله بل فيض من الـفعال او خلق من الاكوان
فالأرض ما فيها له قول ولا فوق السما للخلق من ديان
بشرأتى بالوحي وهو كلامه في ذاك نحن وأنتم مثلان
ولذا قلنا إن رؤيتنا له عين المحال وليس في الامكان
وزعمتم أنا نراه رؤية الـ معدوم لا الموجود في الاعيان
اذ كل مرئي يقوم بنفسه او غيره لابد في البرهان
من أن يقابل من يراه حقيقة من غير بعد مفرط وتدان

ولقد تساعدنا على ابطال ذا أنتم ونحن فما هنا قولان
أما البلية فهي قول مجسم قال القران بدا من الرحمن
هو قوله وكلامه منه بدا لفظا ومعنى ليس يفترقان
سمع الامين كلامه منه وأداه الى المختار من انسان
فله الأداء كما الأدا لرسوله والقول قول الله ذي السلطان
هذا الذي قلنا وأنتم إنه عين المحال وذاك ذو بطلان
فاذا تساعدنا جميعاً انه ما بيننا لله من قرآن
إلا كبيت الله تلك اضافة المخلوق لا الأوصاف للديان
فعلام هذا الحرب فيما بيننا مع ذا الوفاق ونحن مصطلحان؟!
فاذا أيتتم سامنا فتحيزوا لمقالة التجسيم بالادعائ
عودوا مجسمة وقولوا ديننا الـ إثبات دين مشبه الديان
أولا فلا منا ولا منهم وذا شأن المناق إذ له وجهان
هذا بقول مجسم وخصومه ترميه بالتعطيل والكفران
هو قائم هو قاعد هو جاحد هو مثبت تلقاه ذا لونات
يوماً بتأويل يقول وتارة يسطو على التأويل بالنكران

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في المطالبة بالفرق بين ما يتأول وما لا يتأول

فنقول فرق بين ما أولته ومنعته تفريق ذي برهان
فيقول ما يفضي الى التجسيم أوّ لناه من خبر ومن قرآن
كالاستواء مع التكلم هكذا لفظ النزول كذاك لفظ يدان
إذ هذه أوصاف جسم محدث لا ينبغي للواحد المنان
فنقول أنت وصفته أيضاً بما يفضي الى التجسيم والحدثان
فوضعتة بمشيئة مع قدرة وكلامه النفسيّ وهو معان
أو واحد والجسم حامل هذه الـ أوصاف حقاً فأت بالفرقان
بين الذي يفضي الى التجسيم أو لا يقتضيه بواضح البرهان
والله لو نشرت شيو خك كلهم لم يقدروا أبدا على الفرقان

شرح الناظم رحمه الله في مطالبة المتكلمين في الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول من نصوص الكتاب والسنة ، وذلك أن بعض المتكلمين يثبت الصفات السبعة ، كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسبع ، والبصر ، والكلام . وبعضهم يزيد على هذه الصفات صفة التكوين ، فتصير الصفات الثابتة عندهم ثمانية ، فيقال لهؤلاء : لا فرق بين ما أثبتموه ونفيتموه ، بل القول في

أحدهما كالقول في الآخر ، فان قائم : إن إرادته مثل إرادة المخلوقين ،
فكذلك محبته ، ورضاه ، وغضبه ، وهذا هو التمثيل . وإن قائم : له إرادة
تليق به . قيل لكم : وكذلك له محبة تليق به ، والمخلوق محبة تليق به .
وله سبحانه رضى وغضب يليق به ، والمخلوق رضى وغضب يليق به ،
وان قلتم : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، فيقال لكم : الإرادة
ميل النفس الى جلب منفعة ، أو دفع مضرة . فان قلتم : هذه إرادة المخلوق
قيل لكم : وهذا غضب المخلوق ، وكذلك يلزمون بالقول في كلامه ، وسمعه ،
وبصره ، وعلمه ، وقدرته ، إن نفوا عنه المحبة والرضى ، والغضب ، ونحو
ذلك مما هو من خصائص المخلوقين ، فهذا منتف عن السمع ، والبصر ،
والكلام ، وجميع الصفات . وان قائم : إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص
بالمخلوقين . قيل لكم : وهكذا السمع ، والبصر ، والكلام ، والقدرة ،
والعلم ، فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض ، يقال له فيما نفاه ، كما يقوله هو
لمنازعه فيما أثبتته ، وهذا هو معنى قول الناظم : فيقول ما يفضي الى التجسيم الخ ...
وهذا الالتزام لازم لهم كما ترى ، وجوابهم عنه في غاية الصعوبة . ولهذا
قال الناظم :

والله لو نشرت شيو خك كلهم لم يقدرُوا أبدأ على الفرقان
وقوله : فأت بالقرآن ، كذا في النسخ ، والصواب فأت بالفرقان . أي :-
بالفرقان بين ما يتأول وما لا يتأول .

فصل

في ذكر فرق آخر لهم وبيان بطلانه

فلذلك قال زعيمهم في نفسه فرقاً سوى هذا الذي تريان
هذي الصفات عقولنا دلت على إثباتها مع ظاهر القرآن
فلذلك صناها عن التأويل فاعجب يا أخا التحقيق والعرفان
كيف اعترف القوم أن عقولهم دلت على التجسيم بالبرهان
فيقال هل في العقل تجسيم أم المعقول ينفيه كذا النقصان
إن قلت ينفيه فانفوا هذه الـ أوصاف وانسلخوا من القرآن
أو قلت يقضي باثبات له ففراركم منها لأي معان؟!
أو قلت ينفيه في وصف ولا ينفيه في وصف بلا برهان
فيقال ما الفرقان بينهما وما البرهان فأتوا الآن بالفرقان
ويقال قد شهد العيان بأنه ذو حكمة وعناية وحنان
مع رافة ومحبة لعباده أهل الوفاء وتابعي القرآن
ولذلك خصوا بالكرامة دون أعداء الإله وشيعة الكفران
وهو الدليل لنا على غضب وبغض منه مع مقت لذي العصيان

والنص جاء بهذه الأوصاف مع مثل الصفات السبع في القرآن

ويقال سلمنا بأن العقل لا يقضي اليها فهي في الفرقان

أفنفى آحاد الدليل يكون للمدلول نفيًا يا أولي العرفان

أو نفي مطلقه يدل على انتفا المدلول في عقل وفي قرآن

أبعد ذلك الانصاف ويحكم سوى محض العناد ونخوة الشيطان

وتحيز منكم اليهم يا أولي القرآن والآثار والايام؟!!

ذكر الناظم لمثبي بعض الصفات دون بعض فرقاً آخر ، وبين بطلانه ،

وذلك أنهم إن قالوا : أثبتنا تلك الصفات ، لأن العقل دل على إثباتها مع النقل ،

فإن الفعل الحادث دل على القدرة ، والتخصيص دل على الإرادة ، والإحكام

دل على العلم ، وهذا الصفات مستلزمة للحياة ، والحي لا يخلو عن السمع ،

والبصر ، والكلام . أو ضد ذلك ، فيقال لهم عن هذا جوابان :

أحدهما أن يقال : عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين ،

فهب أن ما سلكتموه من الدليل العقلي لا يثبت ذلك ، فإنه لا ينفى ،

وليس لكم أن تنفوه بغير دليل ، لأن النافي عليه الدليل ، كما على المثبت ،

والسمع قد دل عليه ، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي ، فيجب

إثبات ما أثبتته الدليل السالم عن المعارض المقاوم .

الثاني : أن يقال : يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبتتم به تلك

من العقليات ، فيقال : نفع العباد بالاحسان اليهم يدل على الرحمة ، كدلالة

التخصيص على المشيئة ، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم ، وعقاب الكافرين

بدل على بغضهم ، كما قد ثبت بالشهادة والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه ، والغايات الموجودة في مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة ، تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشيئة وأولى ، لقوة العلة الغائية ، ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في المخلوقات من النعم والحكم ، أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة، وهذا شرح كلام الناظم في هذا الفصل ، والله أعلم .

فصل

في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة عقلاً ونقلاً

واعلم بأن طريقهم عكس الطريق المستقيم لمن له عينان
جعلوا كلام شيوخهم نصاً له الأحكام موزوناً به النصان
وكلام رب العالمين وعبده متشابهاً متحملاً لمعان
فتولدت من ذينك الأصليين أو لاد أتت للغبي والبهتان
إذ من سفاح لانكاح كونها بئس الوليد وبئست الألوان
عرضوا النصوص على كلام شيوخهم فكأنها جيش لذي سلطان
والعزل والابقاء مرجعه الى السلطان دون رعية السلطان
وكذلك أقوال الشيوخ فإنها الميزان دون النص والقرآن

إن وافقا قول الشيوخ فمحرّباً أو خالفت فالدفع بالإحسان
إما بتأويل فإن أعيب فتفـويض وتركها لقول فلان
إذ قوله نص لدينا محكم فظواهر المنقول ذات معان
والنص فهو به عليم دوننا وبجمله ما حيلة العميان
الامتسكهم بأيدي مبصر حتى يقودهم كذبي الأرسان
فأعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلد صاحب البرهان
ورأوه بالتقليد أولى من سواه هـ بغير ما (هـدي ولا)^(١) برهان
وعمواعن الوحيين إذ لم يفهموا معناهما عجباً لذي الحرمان

أشار الناظم رحمه الله تعالى لهذه الأبيات إلى أن طريق النفاة عكس
طريق أهل الاستقامة ، فإن النفاة جعلوا كلام شيوخهم نصاً محكماً . وقول
الناظم : جعلوا كلام شيوخهم نصاً له الاحكام ، هو بكسر الهجزة ، أي
محكماً ، وكلام الله ورسوله متشابهاً مجملاً ، فلما بنوا الأمر على هذين
الأصلين الباطلين تولد من ذلك أنهم يعرضون النصوص على كلام مشايخهم ؛
فإن وافقتها قبلوها وإن خالفتها دفعوها إما بالتأويل ، فإن عجزوا عن ذلك
فالتفويض . ويقولون : كلام الشيخ أولى ، وهو أعلم منا بالنصوص ، ونحن
مقلدون ، ونحن كالعميان ، والأعمى لا بد له من قائد ونحو ذلك .

قال الناظم : فأعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلد صاحب البرهان .
المقلد بفتح اللام ، أي عجباً لعميان البصائر كيف أبصروا أن مقلدهم
أولى بالصواب من غيره من المقلدين ، فأعجب لهذا الحرمان .

(١) زيادة ليست في الاصل ، ولا في غيره من النسخ ، ولا يستقيم الوزن بدونها .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

قول الشيوخ أتم تبياناً على السوحين لا والواحد المنان
النقل نقل صادق والقول من ذي عصمة في غاية التبيان
وسواه إما كاذب أو صح لم يك قول معصوم وذو تبيان
أفيستوي النقلان بأهل النهى والله لا يتأثر النقلان
هذا الذي ألقى العداوة بيننا في الله نحن لأجله خصمان
أي أنهم لما عموا عن الوحين ، وزعموا أنهم لا يفهمون معناهما ، فكيف
يفهمون كلام الشيوخ ، مع أن الوحين أتم بياناً من كلامهم ، ولأن الوحين
نقل صادق عن قائل معصوم . وأما أقوال الشيوخ فهي إما نقل كاذب ، وإن
صحت فهي عن غير معصوم ، فهل يستوي النقلان ؟ كلا وهيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

نصر والضلالة من سفاهة رأيهم لكن نصرنا موجب القرآن
ولنا سلوك ضد مسلكتهم فما رجلا منا قط يلتقيان
إنا أئينا أن ندين بما به دانوا من الآراء والبهتان
إنا عزلناها ولم نعبأ بها يكفي الرسول ومحكم الفرقان
من لم يكن يكفيه ذان فلا كفا ه الله شر حوادث الأزمان
من لم يكن يشفيه ذان فلا شفا ه الله في قلب ولا أبدان

من لم يكن يغنيه ذان رماه رب العرش بالإعدام والحرمان
من لم يكن يهديه ذان فلاهدا ه الله سبيل الحق والإيمان
إزال الكلام مع الكبار وليس مع تلك الأراذل سفلة الحيوان
أو ساخ هذا الخلق بل إئتانه جيف الوجود وأخبث الانتان
الطالبين دماء أهل العلم بالكفران والعدوان والبهتان
الشامتي أهل الحديث عداوة للسنة العليا مع القرآن
جعلوا مسبتهم طعام حلوقهم فالله يقطعها من الأذقان
كبراً وإعجاباً وتيها زائداً وتجاوزاً لمراتب الإنسان
لو كان هذا من وراء كفاية كنا حملنا راية الشكران
لكنه من خلف كل مخدّف عن رتبة الإيمان والإحسان
قوله : كبراً وإعجاباً ... الخ هذا مأخوذ من قول القائل :

حجاب وإعجاب وفرط تصلف ومد يد نحو العلي بتكلف
فلو كان هذا من وراء كفاية لهان^(١) ولكن من وراء تخلف
قال الناظم رحمه الله تعالى :

من لي بشبهه خوارج قد كفروا بالذنب تأويلاً بلا إحسان
ولهم نصوص قصرها في فهمها فأتوا من التقصير في العرفان
وخصوصاً منا قد كفرونا بالذي هو غاية التوحيد والإيمان

في الاصل لهاء ، وهو خطأ .

يقول الناظم : إن الخوارج أحسن حالاً منكم أيها الخصوم ، لأن الخوارج في تكفيرهم بالذنوب أخذوا بنصوص الوعيد اكن أخطؤوا في ذلك ، وقصرت أفعالهم . وأما أنتم فخالقتم النصوص وكفرتهم من أخذها وقدمها على غيرها ، بل كفرتهم بما هو غاية التوحيد والإيمان .

فصل

في بيان كذبهم ورميم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبياف شبهتهم
المحقق بالخوارج .

ومن العجائب أنهم قالوا المن قد حان بالآثار والقرآن
أنتم بذا مثل الخوارج إنهم أخذوا الظواهر ما هتدوا المعان
فانظر إلى ذالبيت هذا وصفهم نسبوإ إليه شيعة الإيـمان
سلوا على سنان الرسول وحزبه سيفين سيف يد وسيف لسان
خرجوا عليهم مثلما خرج الألى من قبلهم بالغي والعدوان
والله ما كان الخوارج هكذا وهم البغاة أئمة الطغيان
كفرتهم أصحاب سنته وهم فساق ملته فمن يلحاني
إن قلت هم خير وأهدى منكم والله ما الفتنان مستويان
شتان بين مكفر بالسنة العمليا وبين مكفر العصيان
قلتـم تأولنا كذاك تأولوا وكلاكما فتنان باغيتان

ولكم عليهم ميزة التعطيل والتجريف والتبديل والبهتان
ولهم عليكم ميزة الاثبات والتصديق مع خوف من الرحمن
ألکم علی تأویلکم أجراء إذ لهم على تأويلهم ووزران
حاشا رسول الله من ذا الحكم بل أنتم وهم في حكمه سيان
وكلا كما للنص فهو مخالف هذا وبينكما من الفرقان
هم خالفوا نصاً لنص مثله لم يفهموا التوفيق بالإحسان
لكنكم خالفتم المنصوص للشبه التي هي فكرة الأذهان
فلأي شيء أنتم خير وأقرب منهم للحق والإيمان
هم قدموا المفهوم من لفظ الكتا ب على الحديث الموجب التبيان
لكنكم قدمتم رأي الرجا ل عليهما أفأنتم عدلان
أم هم إلى الاسلام أقرب منكم لاح الصباح لمن له عينان
والله يحكم بينكم يوم الجزا بالعدل والإيناف والميزان
هذا ونحن ففهم بل منكم برآء الا من هدى وبيان
شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان كذبهم في رميهم أهل الحق بأنهم
أشبه الخوارج ، وأوضح شبههم المحقق بالخوارج ، وذلك أن النفة قالوا
للمثبته : أنتم أخذتم بالضواهر ولم تهتدوا للمعاني كالخوارج .
قال الناظم : فانظر إلى ذا الهت هذا وصفهم . . أي : أنهم وصفوا

المشبهة بما هو وصفهم ، وذلك أنهم سلوا السيوف على السنة وأهلها ، وخرجوا عليهم كخروج الخوارج على الأمة ، لكن الخوارج مع بغيتهم وطغيانهم كفروا فساق الملة ، وأما هم فكفروا من اتبع الكتاب والسنة ، فيقول الناظم : فمن يلحاني ؛ أي : ينازعني إن قلت : إن الخوارج خير وأهدى منكم ، وشتان بينكم وبينهم ، لأنكم تكفرون باتباع السنة وتقديم النصوص على غيرها ، وهم يكفرون بالذنوب والمعاصي ، وإذا قلتم : تأولنا ، فهم كذلك تأولوا ، وكلاهما فئتان باغيتان ، ولكن زدتم عليهم بالتعطيل والتحريف والتبديل والبهتان ، وهم تميزوا عنكم بالإثبات والتصديق والخوف من الله ، أفلكم على تأويلكم أجران إذ لهم على تأويلهم وزران؟! وحاشا رسول الله من هذا الحكم ، بل أنتم وهم في حكمه سيان ، ومع هذا فكلاهما مخالف للنص ، ولكن بينكما فرق كثير ، لأنهم خالفوا نصاً لنص آخر لما لم يفهموا التوفيق بين النصوص ، وأما أنتم فخالفتم النصوص بالعدوان والشبه التي ما نزل الله بها من سلطان ، وهم أيضاً قدموا ما فهموه من القرآث على الحدث وأما أنتم فخالفتم القرآن والحدث ، وقدمتم عليها آراء الرجال فهم أقرب منكم إلى الاسلام ، والله يحكم بينكم وبينهم يوم القيامة وهو العليم الحكيم ، ومع هذا فنحن منكم ومنهم براء إلا من هدى وبيان .

ثم شرع الناظم في بيان الموازنة بينهم وبين الخوارج وترجيح الخوارج عليهم فقال :

ل خصومنا واحكم بلاميلان	فانسمع إذا قول الخوارج ثم قو
إن كنت ذا علم وذا عرفان	من ذا الذي منا إذا أشباههم
تعدل وما ذي قسمة الديان	قال الخوارج الرسول اعدل فلم

وكذلك الجهمي قال نظير ذا لكنه قد زاد في الطغيان!

قال الصواب بأنه استولى فلم قلت استوى وعدلت عن تبيان

أي: أن الخوارج قال قائلهم وهو ذو الخويرة التيمي للنبي ﷺ وهو يقسم: اعدل يا رسول الله كما في الصحيح عن أبي سعيد قال: بينا النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله ذو الخويرة التيمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل» قال عمر بن الخطاب: ائذن لي فأضرب عنقه. قال: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية...» الحديث (١). وكذلك الجهمي قال: الصواب: استولى على العرش، فلم قلت يا رسول الله: استوى؟.

وكذاك ينزل أمره سبحانه لم قلت ينزل صاحب الغفران

ماذا بعدل في العبارة وهي موهمة التحيز وانتقال مكان

أي وكذلك الجهمي لما قال الرسول: «ينزل ربنا». قال الجهمي: بل ينزل أمره، لأن النزول يقتضي الحركة والانتقال.

وكذلك قلت بأن ربك في السماء أوهمت حيز خالق الإكوان

كان الصواب بأن يقال بأنه فوق السماء سلطان ذي السلطان

أي: قال الجهمي: إنك قلت أيها الرسول عن الله إنه في السماء وذلك يقتضي.

(١) رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

التحيز والمكان لله ، كان الصواب بأن يقال بأنه فوق السماء سلطانه سبحانه .
وكذلك قلت اليه يعرج والصواب ب إلى كرامة ربنا المنان
أي : أن الجهمي لنفيه علو الرب سبحانه فوق خلقه يقول : الصواب أن
العروج إلى كرامة الله ، لا إلى الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذلك قلت بأن منه ينزل القرآن تنزيلاً من الرحمن
كان الصواب بأن يقال نزوله من لوحه أو من محل ثان
أي : أن الجهمي قال للرسول : لم ذكرت أن القرآن ينزل من
الرحمن ، والصواب أن نزوله من اللوح المحفوظ ، أو من محل آخر .

وتقول أين الله والأين فمتنع عليه وليس في الإمكان
لو قلت من كان الصواب كما ترى في القبر يسأل ذلك الملكان

أي : يقول الجهمي للرسول : إنك تقول : أين الله ؟ والأين فمتنع على الله تعالى
ومحال ، وليس بممكن ، والصواب أن تقول : من الله ؟ كما يسأل الملكان
في القبر الميت فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتقول اللهم أنت الشاهد الأعلى تشير بأصبع وبنان
نحو السماء وما إشارتنا له حسية بل تلك في الأذهان
والله ما ندري الذي نبديه في هذا من التأويل للاخوان

هلنا لهم إن السما هي قبلة الداعي كبيت الله ذي الاركان
قالوا لنا هنا دليل أنه فوق السماء بأوضح البرهان
فالناس طراً إنما يدعونه من فوق هذي فطرة الرحمن
لا يسألون القبلة العليا ولكن يسألون الرب ذا الاحسان
قالوا وما كانت إشارته إلى غير الشهيد منزل الفرقان
أترأه أمسى للسم مستشهداً حاشاه من تحريف ذي البتآن
أى : أن الجهمي يقول للرسول : إنك تشير بأصبعك إلى السماء - في خطبته
بعرفة - في الموقف العظيم ، وتقول : « اللهم أشهد »^(١) ونحن لا ندرى ما
تبدية من التأويل في هذا . فإن قلنا للناس : ان السماء قبلة الداعي كبيت
الله . قالوا لنا : هذا دليل أنه فوق السماء ، لأن الناس إنما يدعونه من فوق ، وعلى
هذا فطرا الله الخلق ، ومعلوم بالضرورة أنهم لا يسألون القبلة ، وكذلك معلوم
أنهم لا يستشهدون السماء ، وإنما يستشهدون من فوقها سبحانه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك قلت بانه متكلم وكلامه المسموع بالآذان
نادى الكلم بنفسه وكذلك قد سمع النداء في الجنة الأيوان
وكذا ينادي الخلق يوم معادهم بالصوت يسمع صوته الثقلان
إني أنا الديان آخذ حق مظلوم من العبد الظلوم الجاني

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن جابر رضي الله عنه في باب : حجة النبي صلى الله عليه وسلم .

وتقول إن الله قال وقائل
قول بلا حرف ولا صوت يرى
أوقعت في التشبيه والتجسيم من
لو لم تقل فوق السماء ولم تشر
وسكت عن تلك الأحاديث التي
وذكرت أن الله ليس بداخل
كنا انتصفنا من أولي التجسيم بل
لكن منحتم سلاحاً كلما
وغدوا بأسهمك التي أعطيتهم
لو كنت تعدل في العبارة بيننا
هذا لسان الحال منهم وهو في
يبدو على فلتات ألسنتهم وفي
سما إذا قرىء الحديث عليهم
فهنالك بين النازعات وكوَّرت
ويكاد قائلهم يصرح لو يرى
يعني أن الجهمي يقول : إنك يا رسول الله قلت بأنه سبحانه متكلم
وكذا يقول وليس في الإمكان
من غير ما شفة وغير لسان
لم ينف ما قد قلت في الرحمن
بإشارة حسية ببيان
قد صرحت بالفوق للديان
فينا ولا هو خارج الأكوان
كانوا لنا أسرى عبيد هوان
شأؤوا لنا منهم أشد طعان
يرموننا غرضاً بكل مكان
ما كان يوجد بيننا رجفان
ذات الصدور يغل بالكتان
صفحات أوجهم يرى بعيان
وتلوت شأده من القرآن
تلك الوجوه كثيرة الألوان
من قابل فتراه ذا كتمان
يا رسول الله قلت بأنه سبحانه متكلم

بكلام مسموع ، وذكرت أنه نادى الكليم ، وكذا نادى الأبوين في الجنة ، وأنه ينادي الخلق يوم المعاد ، وتقول: إن الله قال ، وقائل ، ويقول ، ولا يمكن قول بلا حرف ولا صوت ولا شفة ولا لسان ، فإذا نحن لم ننف ما قلته في الرحمن وقعنا في التشبيه والتجسيم ، ولكن لو لم تقل : فوق السماء ، ولم تشر إليه الإشارة الحسية ، ولم تنطق بالأحاديث التي صرحت بالفوقية ، وذكرت أن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه ، كنا انتصفنا من المجسمة وكانوا لنا أسرى ، ولكنك منحتهم سلاحاً كلما شأوا وطاعونا به أشد المطاعنة ، وغدوا يرموننا بتلك الأسهم التي أعطيتهم ، وصرنا لهم غرضاً بكل مكان . والغرض قال في « القاموس » الغرض محرّك: هدف يرمى فيه جمعه أغراض ، فلو كنت عدلت بيننا في العبارة لم يوجد بيننا رجفان: قال في « القاموس » رجف حرك وتحرك واضطرب شديداً رجفاً ورجفاناً ورجوفاً ورجيفاً .

قوله : هذا لسان الحال منهم ... الخ ؛ أي : إنهم يقولون هذا بلسان حالهم . ولكنه مكتوم في صدورهم مغلول ، ومع ذلك فهو يبدو على فلتات ألسنتهم ، ويرى في صفحات وجوههم ، لا سيما إذا قرىء الحديث عليهم ، وتلى شاهده من القرآن ، فهناك بين (النازعات) و (كورت) ، أي إنك إذا قرأت عليهم الحديث وتلوت ما يصدقه من القرآن تلونت وجوههم فتارة تظلم ، وتارة تصفر وتغير كحالة من في نزع الموت . والنازعات في قوله تعالى (والنازعات غرقا) النازعات : ١ هي الملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم على قول أكثر المفسرين . وقوله تعالى : (إذا الشمس كورت) التكوير : ١ قال ابن عباس : أظلمت . وقال مقاتل والكلبي : ذهب ضوءها . وقال مجاهد : اضمحلت . وقيل : غورت ، والله أعلم .

قوله: ويكاد قائلهم يصرح. أي: بما في نفسه لو يرى قابلاً، بل ذكر شيخ الإسلام في بعض رسائله أن بعض من خاطبه صرح بأنه لا يقبل من الرسول ﷺ ما يقوله في هذا الباب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

يا قوم شاهدنا رؤوسكم على هذا ولم نشهده من إنسان
إلا وحشو فواده غل على سنن الرسول وشيعة القرآن
أي إنا رأينا رؤوسهم على هذا الذي ذكرناه ، ولم نشهده من أحد
إلا وفواده محشو غلاً على سنن الرسول وشيعة القرآن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو الذي في كتبهم لكن بلطف عبارة منهم وحسن بيان
وأخو الجهالة نسبة للفظ والمعنى فنسب العالم الرباني
يقول الناظم: إن هذا الذي ذكرناه عنهم هو الذي في كتبهم، لكنهم يلطفون
العبارة ويحسنون الكلام، ولكن الجاهل نسبة للفظ والمعنى، فنسب
العالم الرباني؛ أي: أن العالم الرباني نظره إلى ما يتضمنه اللفظ، وأما الجاهل
فنظره مقصور على اللفظ .

وقوله: نسبة. بفتح النون وإسكان السين، وضم الباء؛ أي: أن العالم
ينسب إلى المعاني، وأما الجاهل فهو ينسب إلى الألفاظ، فهو دائر معها.
ثم اعتذر الناظم عما لعله ينسبه من لا علم عنده إلى الحيف عليهم فيما نسبه
إليهم، فقال:

يا من يظن بأننا حفنا عليهم كتبهم تنبيك عن ذا الشأن

أي : ظلمناهم وجرنا عليهم . قال في « القاموس » الحيف : الجور ، والظلم
فانظر ترى لكن نرى لك تركها حذراً عليك مصائد الشيطان
فشباكها والله لم يعلق بها من ذي جناح قاصر الطيران
الأرايت الطير في قفص الردى يبكي له نوح على الأغصان
ويظل يخبط طالباً للخلاصه فتضيق عنه فرجة العيدان
والذنب ذنب الطير خلى أطيب الثمرات في أعال من الأفنان
وأتى الى تلك المزابيل يتتغي الفـضلات كالحشرات والديدان
ياقوم والله العظيم نصيحة من مشفق وأخ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في تلك الشباك وكنت ذا طيران

يقول الناظم رحمه الله : يا من يظن بأنا حفنا عليهم ؛ أي : على النفاة .
أي : جرنا عليهم وظلمناهم ، كتبهم تنبئك عما ذكرنا ، وقد أثقلت ظهر
البيسطة ، فطالعها إن شئت ، لكن نرى لك تركها حذراً عليك أن تصيدك
شبههم الشيطانية ، فكم وقع في تلك الشباك من قاصر الطيران ، فتراه عند
وقوعه في تلك المصائد حائراً ندماً ما نأ يبكي لوقوعه في مهامه الخيرة والشكوك ،
وكل هذا على طريق النصح من الناظم ، فجزاه الله تعالى خيراً الجزاء ، عملاً
بقوله **ﷺ** « الدين النصيحة »^(١) ثم بين أنه قد جرب ذلك ، وأنه وقع

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن أبي رقية عيم بن أوس الداري رضي الله عنه .

في بعض تلك الشباك والمصائد حتى أتاح له المولى بفضله من أوضح له تلك
الشبه ، وأزاح عنه تلك الشكوك ، وهو شيخ الاسلام ، وأشار الى ذلك بقوله
حتى أتاح لي الإله بفضله من ليس تجزيه يدي ولساني
حبره أتى من أرض حران فيا أهلاً بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يده يدي وسار فلم يرم حتى أراني مطلع الايمان
ورأيت أعلام المدينة حولها نزل الهدى وعساكر القرآن
ورأيت آثاراً عظيماً شأنها محجوبة عن زمرة العميان
ووردت رأس الماء أبيض صافياً حصاؤه كلالىء التيجان
ورأيت أكواباً هناك كثيرة مثل النجوم لوارد ظمآن
ورأيت حوض الكوثر الصافي الذي لازال يشخب فيه ميزابان
ميزاب سنته وقول إلهه وهما مدى الأيام لاينيان
والناس لا يردونه إلا من الآف أفراداً ذور ايمان
وردوا عذاب مناهل أكرم بها ووردتم أنتم عذاب هوان
قوله : حران . قال في « القاموس » : حران كشداد : موضع بالشام ،
والنسبة حرثاني ، ولا تقل : حراني وان كان قياساً .

قوله : حتى أتاح لي الإله بفضله الخ . قال في « القاموس » تاح له الشيء

بتييح : يتها أنتهى . وكم أنقذ الله بشيخ الاسلام ومصنفاته العظام
من حيرة تلك الشبهات والأضاليل ، وكاد يخرج بها عن سواء السبيل .

قال الشيخ الامام أبو حفص عمر بن علي البزاز أحد تلامذة شيخ الاسلام
في ترجمته : حدثني غير واحد من العلماء الفضلاء النبلاء المعينين بالحوض
في أقاويل المتكلمين لاصابة الصواب ، وتميز القشر من اللباب : إن كلاً
منهم لم يزل حائرآ في تجاذب أقوال الأصوليين ، ومعقولاتهم ، وإنه لم
يستقر في قلبه منها قول : ولم بين له من مضمونها حق ، بل رآها كلها
موقعة في الحيرة والتضليل ، وجلها مدعن بتكافى الأدلة والتعطيل ، وإنه
كان خائفاً على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل ، حتى من
الله عليه بمطالعة مؤلفات هذا الامام أحمد بن تيمية شيخ الاسلام ،
بما أورده من النقلات والعقليات في هذا النظام . فمأه إلا أن وقف عليها
وفهمها ، فرآها موافقة للعقل السليم ، وعلمها حتى انجلي ما كان قد غشيه من
أقوال المتكلمين من الظلام ، وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشك ، فظفر
بالمرام . انتهى .

قوله : ورأيت أكواباً ، هي جمع كوب ، وهي أقداح بلا عرى
وقوله : وردوا عذاب النخ ... بكسر العين . وعذاب هو ان بالفتح ؛ أي :
وردوا المناهل الحلوة العذبة من الكتاب والسنة ، ووردتم الشكوك والحيرة ، وهي
العذاب بعينه ، بل ربما تفضي الى العذاب الأكبر ، نعوذ بالله من موجبات غضبه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فبحق من أعطاكم ذا العدل والإنصاف والتخصيص بالعرفان

من ذا على دين الخوارج بعدذا أنتم أم الحشوي ماتريان ؟

والله ما أنتم لدى الحشوي أهلاً أن يقدمكم على عثمان
فضلاً عن الفاروق والصدّيق فضلاً عن رسول الله والقرآن
والله لو أبصرتهم لرأيتهم الحشوي حامل راية الإيمان
وكلام رب العالمين وعبده في قلبه أعلى وأكبر شأن
من أن يحرف عن مواضعه وأن يقضى له بالعزل عن إيقان
ويرى الولاية لابن سينا أو أبي نصر أو المولود من صفوان
أو من يتابعهم على كفرانهم أو من يقدمهم من العميان
يا قومنا بالله قوموا وانظروا وتفكروا في السر والاعلان
تظراً وإن شئتم مناظرة فمن متنى على هذا ومن وحدان
أي الطوائف بعد ذا أدنى إلى قول الرسول ومحكم القرآن
فإذا تبين ذا فإما تتبعوا أو تعذروا أو تؤذنوا بطعان

أقسم الناظم على النفاة بحق الله الذي أعطاهم العدل والانصاف ، وهذا
على طريق التهكم ؛ أي : إذا سمعتم ما تقدم ، فهل أنتم مثل الخواج أو أعظم
منهم مضرة على الدين ، أم المنبوذ عندكم بالحشو ؟ ثم أقسم قسماً آخر : انكم
لستم بأهل أن يقدمكم على عثمان رضي الله عنه ، فضلاً عن الفاروق والصدّيق ،
فضلاً عن رسول الله والقرآن ؟ وان كلام رب العالمين وعبده أعلى في قلبه
من أن يحرفه عن مواضعه ، وأن يرميه بأنها نصوص لفظية لا تفيد
اليقين ، ويرى الولاية لابن سينا أو أبي نصر ، هو الفارابي ، أو المولود من
صفوان ، وهم الجهيم .

فصل

في تلقيهم أهل السنة بالحشوية وبيان من أولى بالوصف المذموم من هذا القب من الطائفتين ، وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدعة :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى بالوحي من أثر ومن قرآن حشوية يعنون حشواً في الوجود وفضلة في أمة الانسان ويظن جاهلهم بأنهم حشوا رب العباد بداخل الأكوان إذ قولهم فوق العباد وفي السما رب ذو الملكوت والسلطان ظن الحمير بأن في للظرف والرحمن محوي بظرف مكان والله لم يسمع بذا من فرقة قالته في زمن من الأزمان لا تبتهوا أهل الحديث به فما ذا قولهم تباً لذي البهتان بل قولهم إن السموات العلى في كف خالق هذه الأكوان حقاً كخردلة ترى في كف ممسكها تعالى الله ذو السلطان أترونه المحصور بعد أم السما يا قومنا ارتدعوا عن العدوان شرع الناظم رحمه الله في بيان عدوان النفاة ، وتلقيهم أهل السنة والحديث بالانقلاب الشنيعة لتنفير الطغام وأشباه الأنعام ، كما لقبوهم بالحشوية وغير ذلك من الألقاب الآتية . والحشوية : قال في « شرح مختصر

التحرير « سما حشوية لأنهم كانوا يجلسون في حلقة الحسن البصري أمامه ،
فلما أنكر كلامهم ، قال : ردوهم إلى حشو الحلقة ، أي جانبها . وقال ابن
الصلاح : فتح الشين غلط ، وإنما هو بالإسكان ، وكذلك قال البرماوي
بالسكون ، لأنه إمامن الحشو ، لأنهم يقولون بوجود الحشو في كلام المعصوم ،
أو نحو ذلك . ورأيت كلاماً لشيخ الاسلام في معنى الحشو فيه مخالفة لهذا .
وقد فسر الناظم معنى الحشوية بقوله : يعنون حشواً في الوجود
وفضلة ... الخ أي : أن المعطلة يعنون بقولهم : حشوية ، أن المثبتة حشوفي
الوجود وفضلة في الناس ، وجهالهم يظنون أن معنى الحشو أنهم بقولهم :
إن الله سبحانه في السماء وفوق خلقه ، قد حشوا رب العباد بالأكوان ،
وهذا معنى قوله : ظن الحمير ... الخ .

قوله : ظن الحمير بأن في للظرف ، أي : إذا ظنوا أنا إذا قلنا : الله
في السماء ، ففي للظرفية ، تعالى الله عن ذلك ، ولهذا قال : والله لم يسمع بذا
من فرقة قالت في زمن من الأزمان . وقد صنف أبو اسحق إبراهيم بن عثمان
ابن درباس الشافعي مصنفاً سماه « تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة » .

وقوله : بل قولهم : إن السموات العلى ... الخ أي : أن قول
أهل السنة والحديث : إن السموات السبع في كف الرحمن جل وعلا
كخردلة في كف بمسكها ، كما في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة عن
النبي ﷺ أنه قال : « يقبض الله تعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوي
السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض » وفي « الصحيحين »
واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

ﷺ: « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ وفي لفظ في « الصحيح » عن عبد الله بن مقسم : أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي ﷺ قال : « يأخذ الله (عز وجل) سمواته وأرضيه بيديه ويقول : أنا الله ، ويقبض أصابعه ويسطها ، أنا الملك ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني أقول أساقط هو برسول الله ﷺ ؟ وفي لفظ قال : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول : « يأخذ الجبار (عز وجل) سمواته وأرضيه ، وقبض بيده وجعل يقبضها ويسطها ويقول : أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً ، أنا الذي أعيدها ، أين الملوك ؟ أين الجبارون ؟ » وفي لفظ ! « أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » ويتميل رسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني أقول : أساقط هو برسول الله ﷺ . ? والحديث مروى في « الصحيح » و « المسانيد » وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضاً ، وفي بعض ألفاظه : قال : « قرأ على المنبر (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الزمر : ٦٧ الآية . قال : مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة » وفي لفظ : « يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده ، فيجعلها في كفه ، ثم يقول بهما هكذا كما يقول الصبيان بالكرة : أنا الله الواحد » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما السموات السبع ولأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة

في يد أحدكم. قال شيخ الإسلام في كتاب «العرش» وهذه الآثار معروفة.
قال الناظم .

كم ذا مشبهة وكم حشوية فالبهت لا يخفى على الرحمن
ياقوم إن كان الكتاب وسنة المختار حشواً فاشهدوا ببيان
إنا بحمد إلهنا حشوية صرف بلا جحد ولا كتمان
تدرون من سمّت شيوخكم بهذا الاسم في الماضي من الأزمان
سمي به ابن عبيد عبد الله ذا ك بن الخليفة طارد الشيطان
فورثتم عمراً^(١) كما ورثوا عبد الله أني يستوي الارثان
تدرون من أولى بهذا الاسم وهو مناسب أحواله بوزان
من قد حشى الأوراق والأذهان من بدع تخالف موجب القرآن
هذا هو الحشوي لأهل الحديث أئمة الإسلام والإيمان
وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الأذغان
ووردتم القلوط مجرى كل ذي الأوساخ والاقذار والانتان
وكسلمت أن تصعدوا للورد من رأس الشريعة خيبة الكسلان
يقول الناظم : كم ذا تنبزون أهل الإثبات بهذا البهت والكذب الصريح ،
فإن كان الكتاب والسنة حشواً ، فاشهدوا أنا حشوية بلا جحد ولا كتمان

(١) هو عمرو بن عبيد .

ونحو من هذا قوله رحمه الله :

فان كان تجسياً ثبوت صفاته وتنزيها عن كل تأويل مفترى
فاني بحمد الله ربي مجسم هلموا شهوداً واملؤوا كل محضر

قوله : سمي به ابن عبيد عبد الله ، أي : أول من نطق بهذا
الاسم هو عمرو بن عبيد المعتزلي . قال : كان عبد الله بن عمر حشوبياً ، يعني
عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وهذا معنى قول الناظم : ذلك ابن
الحليفة طارد الشيطان . ومراده بالحليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقوله : طارد الشيطان ، يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر :
« ما رأك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » (١) .

قوله : تدرؤن من أولى بهذا الاسم ... الخ أي : أن الأولى
والأحق بهذا الاسم منه حشو الأوراق والأذهان من البدع المضلة ، والآراء
المضحكة المخالفة للقرآن والسنة ، فهذا هو الحشوي على الحقيقة ، لا أئمة الحديث
وأئمة الإسلام والإيمان .

قوله : موجب القرآن ، هو بفتح الجيم .

قوله : وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الأذهان ،
أي : أن أهل الحديث والسنة وردوا مناهل السنن العذبة التي ليست زبالة
الأذهان ، والزبالة : قال في «القاموس» : زبل زرع يزيله : سده . وكتاب :
ما تحمله النحلة .

ووردتم القلوط .. الخ . سيأتي بيان القلوط في الفصل المعقود له .

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه بلفظ « والذي نفسي

بيده ما أفيك الشيطان قط سالكاً فجاً غير فجك » .

فصل

في بيان عداوتهم في تلقب أهل القرآن والحديث بالمجسمة وبيان
أنهم أولى بكل لقب خبيث :

كم ذا مشبهة مجسمة نوا بته مشبهة جاهل فتاف
أسماء سميت بها أهل الحديث وناصرى القرآن والايام
سميتوهم أنتم وشيوخكم بهتاً بها من غير ما سلطان
وجعلتموها سبة لتنفروا عنهم كفعل الساحر الشيطان
ما ذنبهم والله إلا أنهم أخذوا بوحى الله والفرقان
وأبوا بأن يتحيزوا لمقالة غير الحديث ومقتضى القرآن
وأبوا يدينوا بالذي دنتم به من هذه الآراء والهديان
وصفوه بالأوصاف فى النصين من خبر صحيح ثم من قرآن
إن كان ذا التجسيم عندكم فيا أهلاً به ما فيه من نكران
إنا مجسمة بحمد الله لم نجد صفات الخالق الرحمن
والله ما قال امرؤ منا بأن الله جسم يا أولي البهتان
والله يعلم أننا فى وصفه لم نعو ما قد قال فى القرآن

أو قاله أيضاً رسول الله فهو الصادق المصدوق بالبرهان
أو قاله أصحابه من بعده فهم النجوم مطالع الإيما
سموه تجسيميا وتشبيهاً فلسفياً جاحديه لذلك الهذيان
أي : أن النفاة والمعطة سموا أهل الإثبات بأسماء بشعة قصداً للتفجير
عنهم ، فإنهم يسمونهم مشبهة ؛ أي : أنهم يشبهون الله بخلقه ، وسموهم مجسمة ،
أي : يقولون بأن الله جسم ، تعالى الله عن ذلك ، وسموهم نوابت ،
والنوابت هم كما قال في « القاموس » : الأعمار من الأحداث ، ونبتت لهم
نابذة نشأ لهم نشأ صغار . وقد قال الإمام أبو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي
الرازي ، علامة أهل البدع ، الواقعة في أهل الأثر ، وعلامة الجهمية ، أن
يسموا أهل السنة مشبهة ونابذة ، وعلامة القدرية ، أن يسموا أهل السنة مجبرة ،
وعلامة الزنادقة ، أن يسموا أهل الأثر حشوية . انتهى . نقله عنه الذهبي في
كتاب « العلو » .

قوله لتنفروا عنهم ... الخ ؛ أي : أنهم سموا أهل الحديث بهذه الأسماء
ولقبوهم بهذه الألقاب للتفجير عنهم ، وإلافهم لم يتعدوا ما قال الله ورسوله ،
ولم يقل أحد منهم : إن الله تعالى جسم ، جل عن ذلك ، ومع ذلك فأهل
الأثبات لما أثبتوا ما أثبتته الله ورسوله لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل
ولا تمثيل ، وإن سميت المعطلة ذلك تشبيهاً وتجسيمياً ، وأهل الإثبات لا يحدونه
لأجل تشنيعاتهم وهذيانهم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

بل بيننا فرق لطيف بل هو الفرق العظيم لمن له عينان

إن الحقيقة عندنا مقصودة بالنص وهو مراده التبيان
لكن لديكم فهي غير مرادة أنى يراد محقق البطلات
فكلامه فيما لديكم لاحقيقة تحته تبدو الى الأذهان
في ذكر آيات العلو وسائر الـ أوصاف وهي القلب للقرآن
بل قول رب الناس ليس حقيقة فيما لديكم يا أولي العرفان
وإذا جعلتم ذا مجازاً صح ان ينفى على الأطلاق والامكان
وحقائق الألفاظ بالعقل انتفت فيما زعمتم فاستوى النفيات
نفي الحقيقة وانتفاء اللفظ إن دلت عليه فحظكم نفيان
ونصينا اثبات ذاك جميعه لفظاً ومعنى ذاك اثباتان
فمن المعطل في الحقيقة غيركم لقب بلا كذب ولا عدوان
وإذا سببتم بالمحال فسبنا بأدلة وحجاج ذي برهان
تبدي فضائحكم وتهتك ستركم وتبين جهلكم مع العدوان
يا بعد ما بين السباب بنذاكم وسبابكم بالكذب والطغيان
من سب بالبرهان ليس بظالم والظلم سب العبد بالبهتان
فحقيقة التجسيم ان يك عندكم وصف الإله الخالق الديان
بصفاته العليا التي شهدت بها آياته ورسوله العدلان

فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا في كل مجتمع وكل مكان
انا مجسمة بفضل الله وليشهد بذلك معكم الثقلان
الله أكبر كشرت عن نايها السحرب العوان وصيح بالأقران
وتقابل الصفاز وانقسم الورى قسمين واتضحت لنا القسمان
معنى كلام الناظم أن الحقيقة عند المثبتة مقصودة بالنص والمراد به التبيان ،
وأما عندكم أيها النفة فهي غير مرادة ، لأن الحقيقة عندكم لم تدل إلا على
التشبيه والتجسيم ، فكلام الله ورسوله في آيات العلو والصفات ، وكذا
كلام رسوله ﷺ ليس بحقيقة بل هو مجاز . والمجاز هو ما يصح نفيه .
وحقائق الألفاظ دل العقل بزعمكم على نفيها فاستوى ؛ أي : تم عندكم نفيان :
نفي الحقيقة ، ونفي دلالة اللفظ عليها . وأما المثبتة فهم أثبتوا اللفظ والمعنى
بغير تشبيه ولا تمثيل فلهم اثباتان ، فأنتم المعطلة حقاً ، وإذا سببتم بالكذب
والمحال فسبنا بالأدلة والحجج ، ويا بعد ما بين السبابين (١) ، لأنكم تسبون
بالكذب والطغيان ونحن نسب بالبرهان ، فمن سب بالبرهان فليس بظالم
ولما الظلم هو السب بالبهتان .

وقوله : كشرت عن نايها الخ ... قال في « القاموس » كشر عن أسنانه
يكشر كشرأ : أبدى ، يكون في الضحك وغيره .

قوله : العوان ؛ هي الحرب بعد الحرب . قال في « مختار الصحاح »
العوان النصف في سنها من كل شيء ، والجمع 'عون . والعوان من الحرب
التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرأ .

فصل

في بيان مورد أهل التعطيل وانهم تعرضوا بالقلوط عن مورد السلسيل

ياوارد القلوط ويحك لو تری ماذا علی شفیتك والاسنان
أو- ماتری آثارها في القلب والسنیات والاعمال والاركان
لو طاب دنك الورد طابت كلها أنى تطیب موارد الانتان
ياوارد القلوط طهر فاك من خبث به واغسله من انتان
ثم اشتم الحشوي حشو الدين والقرآن والآثار والایمان
أهلاً بهم حشو الهدى وسواهم حشو الضلال فما هما سیان
أهلاً بهم حشو اليقين وغيرهم حشو الشكوك فما هما صنوان
أهلاً بهم حشو المساجد والسوى حشو الكنیف فما هما عدلان
أهلاً بهم حشو الجنان وغيرهم حشو الجحیم أیستوي الحشوان؟!
ياوارد القلوط ويحك لو تری الحشوي وارد منهل القرآن
وتراه من رأس الشریعة شارباً من كف من قد جاء بالفرقان
وتراه یسقي الناس فضلة كأسه وختامها مسك علی ریحان
لعذرتة إن بال فی القلوط لم یشرب به مع جملة العمیان

ياوارد القلوط لانكسل فرا س الماء فاقصده قريب دان .
هو منهل سهل قريب واسع كاف اذا نزلت به الثقلان .
والله ليس بأصعب الوردین بل هو أسهل الوردین للظمآن
القلوط ، بفتح القاف وتشديد اللام وبالطاء المهملة ، هو نهر بدمشق
الشام يحمل أقدار البلد وأوساخه وإتتانه ويسمى في هذا الوقت : قليطاً
بالتصغير والله أعلم .

فصل

في بيان هدمهم لقواعد الإسلام والإيمان بعز لهم نصوص السنة والقرآن .

ياقوم بالله انظروا وتفكروا في هذه الأخبار والقرآن
مثل التدبر والتفكر للذي قد قاله ذو الرأي والحسبان
فأقل شيء أن يكونا عندكم حداً سواءياً أولي العدوان
والله ما استويالدى زعمائكم في العلم والتحقيق والعرفان
عز لو سما بل صرحوا بالعزل عن نيل اليقين ورتبة البرهان
قالوا وتلك أدلة لفظية لسنا نحكمها على الايقان
ما أنزلت لينال منها العلم بالاثبات للأوصاف للرحمن

بل بالعقول ينال ذاك وهذه عنه بمعزل غير ذي سلطان
فبجهدنا تأويلها والدفع في أكتافها دفعاً الذي الصولان

أشار الناظم رحمه الله الى أنهم بما فعلوه وهو عزلهم النصوص عن إفادة
اليقين هدموا قواعد الإسلام والإيمان، فقال : يا قوم بالله انظروا الخ ، أي :
تفكروا وتدبروا في الكتاب والسنة كتدبركم وتفكركم في كلام المشايخ ،
فأقل شيء أن يكونا عندكم سواء ، ثم أقسم أنها ما استويا عند زعمائكم في
العلم والتحقيق والعرفان ، بل يقولون : تلك أدلة لفظية وما وضعه مشايخنا
قواطع عقلية ، وتلك الظواهر اللفظية لم تنزل لتعلم منها صفات الرب عز
وجل ، وإنما يعلم ذلك بالعقل ؛ وممع ذلك فنجتهد في دفعها كدفع الصائل ،
فإن أمكن تأويلها فذاك ، وإلا فأخر الأمر التفويض .

قوله : في أكتافها ، الكنف : الجانب والظل والناحية ، قاله في «القاموس»
ثم ضرب الناظم لذلك مثلاً فقال :

ككبير قوم جاء يشهد عند ذي حكم يريد دفاعه بليان
فيقول قدرك فوق ذا وشهادة لسواك تصلح فاذهبين بأمان
وبوده لو كان شيء غير ذا لكن مخافة صاحب السلطان

أي : أن مثل نصوص الكتاب والسنة الدالة على إثبات العلو والصفات
عندهم كرجل كبير ذي منصب ، جاء يشهد عند بعض الحكام وهو يريد
أن لا يقبل شهادته ، ويريد دفعه بالأسهل فيقول : أنت جليل القدر ، عظيم
لمنصب ، وقدرك فوق هذا ، والشهادة تصلح لسواك ، مع أن ذلك الحاكم يود أن

يرده بغير هذا الرد ، لكن لأجل مخافة صاحب السلطان يدفعه بهذا الدفع

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلقد أتانا عن كبيرٍ فيهمُ وهو الحقير مقالة الكفران
لو كان يمكنني وليس بممكن لحكمت من ذا المصحف العثماني
ذكر استواء الرب فوق العرش لـكن ذاك ممتنع على الانسان
يعني جهنم بن صفوان ، وقد تقدمت قصته هذه أول الشرح ، وقد
رواها ابن أبي حاتم كما ذكره الذهبي في كتاب « العلو » .

قال أبي حاتم : ثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي ، ثنا يحيى بن
أيوب ، ثنا أبو نعيم البلخي وكان قد أدرك جهماً قال : كان لهم صاحب يكرمه
ويقدمه على غيره ، فإذا هو قد صبح به ، وندر به ووقع فيه . فقلت له :
قد كان يكرمك ! فقال : إنه قد جاء منه ما لا يحتمل ؛ بينا هو يقرأ
(طه) والمصحف في حجره فلما أتى على هذه الآية (الرحمن على
العرش استوى) طه : ه قال : لو وجدت السبيل إلى أن أحكما من المصحف
لفعلت . فاحتملت هذه . ثم إنه بينا هو يقرأ آية إذ قال : ما أظرف محمدآ
إذ قالها ، ثم إنه بينا هو يقرأ (طسم القصص) والمصحف في حجره ، إذ مر
بذكر موسى فرفع المصحف بيده ورجليه وقال : أي شيء هذا ذكره هنا ؟ فلم
يتم ذكره . ثم قال الذهبي : أخرجها عبد الله بن أحمد عن الصنعاني عن يحيى بن
أيوب . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والله لولا هيبة الاسلام والقرآن والأمراء والسلطان
لأتوا بكل مصيبة ولدكدكوا الإسلام فوق قواعد الأركان
فلقد رأيتم ماجرى لأئمة الإسلام من محن على الأزمان
لأسيا لما استألوا جاهلاً ذا قدرة في الناس مع سلطان
وسعوا إليه بكل إفك بين بل قاسموه بأغلظ الأيمان
أن النصيحة قصدهم كنصيحة الشيطان حين خلا به الأيوان
يشير الناظم بهذه الأبيات إلى أنه لولا هيبة الإسلام والقرآن والأمراء
لأنت المتبدعة بكل مصيبة ، ولدكدكوا الإسلام ، وشاهد هذا منهم لما
استألوا المأمون عبد الله بن الرشيد العباسي ، وقام بامتحان الناس بأن
القرآن مخلوق ، وحصل للأئمة ما حصل من الكروب والمشاق ، ولكن
أعجلته المنية فأوصى إلى أخيه أبي اسحق المعتصم وحصل ما حصل من
أغنى ، وحبسوا الإمام أحمد وضربوه ، وبعد ذلك في خلافة الواثق قتل أحمد
ابن نصر الحزاعي ، وامتحان الإمام محمد بن عبد الرحمن الأدرمي ، وكانوا
لا يولون قاضياً ولا غيره إلا إن كان ممن يقول بخلق القرآن ، وذلك مشهور
في كتب التواريخ مع أن المأمون قبل ذلك لم يزل يداري العلماء في القول
بهذه المسألة ثم صدع بذلك .

قال الذهبي في « تاريخ الإسلام » أخبرني جماعة إجازة أن الكندي
أخبرهم ، أنبأنا القزاز ، أنبأ الخطيب ، أنبأ أبو بكر الحيري ، ثنا الأصم ،

ثنا يحيى بن أبي طالب أخبرني الحسن بن شاذان الواسطي الحافظ ، حدثني ابن عرعة ، حدثني يحيى بن أكرم قال : قال لنا المأمون : لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت : القرآن مخلوق فقيل : ومن يزيد حتى يتقى ؟ فقال : ويحك إني لا أتقيه لأن له سلطنة ، ولكن أخاف إن أظهرته فيرد علي فيختلف الناس ويكون فتنة . وأما المأمون فهو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن عبد الله المنصور أبو العباس الهاشمي ولد سنة سبعين ومائة عندما استخلف أبوه الرشيد ، وقرأ العلم في صغره ، وسمع من هشيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبي معاوية الضير وطبقتهم وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها ، جره ذلك إلى القول بخلق القرآن . روى عنه ولده الفضل ويحيى بن أكرم والأمير عبد الله بن طاهر ودعبل الخزاعي وآخرون ، وكان من رجال بني العباس حزماء وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاءاً وهيبة وشجاعة وسؤدداً وسماحة ، وله محاسن وسيرة طويلة ، وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها وحسم عليها في سنة ٢١٨ وامتحن العلماء فعوجل ولم يمهل . مات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ . انتهى ملخصاً من « تاريخ الإسلام » للذهبي رحمه الله تعالى :

قوله : بل قاسموه بأعظم الأيمان أن النصيحة قسدهم ... الخ ؛ أي : يخلفون له بأعظم الأيمان أن قسدهم النصيحة ، كما قاسم ابليس الأيوين كما في قوله تعالى : (وقاسمها إني لكأ لمن الناصحين) الأعراف : ٢١

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فيرى عمائم ذات أذنان على تلك الفشور طويلة الأردان
ويرى هبولاً لا تهول لمبصر وتهول أعمى في ثياب جبان
فإذا أصاح بسمعه ملئوه من كذب وتليس ومن بهتان
فيرى ويسمع فشرهم وفشارهم يا مخنة العينين والآذان
فتحوا جراب الجهل مع كذب فخذ واحمل بلا كيل ولا ميزان
وأثروا إلى قلب المطاع ففتشوا عما هناك ليدخلوا بأمان
فإذا بدا غرض لهم دخلوا به منه إليه كحيلة الشيطان
فإذا رأوه هش نحو حديثهم ظفروا وقالوا ويح آل فلان
هو في الطريق يعوق مولانا عن المقصود وهو عدو هذا الشأن
فإذا هم غرسوا العداوة واطبوا سقي الغراس كفعل ذي البستان
حتى إذا ما أثرت ودنا لهم وقت الجذاد وصار ذا إمكان
ركبوا على جرد لهم وحمية واستنجدوا بعساكر الشيطان
فهناك ابتليت جنود الله من جند اللعين بسائر الألوآن
ضرباً وحبساً ثم تكفيراً وتبديعاً وشتماً ظاهر البهتان

تقدم الكلام في تفسير الهبول .

قوله : ظفروا وقالوا ويح آل فلان ، يحتمل أنه بالطاء المشالة من الظفر ،
ويحتمل أنه بالطاء وهو الوثب في ارتفاع .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلقد رأينا من فريق منهم أمراً تهد له قوى الإيمان
من سبهم أهل الحديث ودينهم أخذ الحديث وترك قول فلان
يأمة غضب الاله عليهم الأجل هذا تشتموا بهوان ؟
تبا لكم إذ تشتمون زوامل الإسلام حزب الله والقرآن
وسيتموهم ثم لستم كفأهم فرأوا مستبكم من نقصان
هذا وهم قبلوا وصية ربهم في تركهم لمسة الأوثان
حذر المقابلة القبيحة منهم بمسبة القرآن والرحمن
وكذاك أصحاب الحديث فإنهم ضربت لهم ولكم بذا مثلان
سبوكم جهّـا لهم فسببتم سنن الرسول وعسكر الإيمان
وصددتم سفهاءكم عنهم وعن قول الرسول وذا من الطغيان
ودعوتموهم للذي قالته أشـى ياخ لكم بالحرص والحسبان
فأبوا إجابتكم ولم يتحيزوا إلا إلى الآثار والقرآن
وإلى أولي العرفان من أهل الحديث خلاصة الانسان والأكوان
يشير إلى أن المعطلة يسبون أصحاب الحديث غاية السب ، ويثلبونهم
أعظم الثلب ، وأن أهل الحديث قبلوا وصية ربهم في قوله تعالى : (ولا تسبوا

الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم (الأنعام : ١٠٨) فإله سبحانه قد نهى عن سب معبودات المشركين لئلا يسبوا الله سبحانه ، فكذلك أصحاب الحديث تركوا مسببة النفاة والمعطلة لئلا يسبوهم فيتعدى السب إلى الرحمن والقرآن والسنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

قوم أقامهم الإله لحفظ هذا الدين من ذي بدعة شيطان
وأقامهم رسماً من التبديل والـتـحريف والتتميم والنقصان
يؤوي إليه عساكر الفرقان
فهم المحك فمن يرى متنقصا لهم فزندق خيث جنان
إن تهمه فقبلك السلف الألى كانوا على الإيمان والإحسان
أيضاً قد اتهموا الخبيث على الهدى والعلم والآثار والقروآن
وهو الحقيق بذلك إذ عادي رواة الدين وهي عداوة الديان
فاذا ذكرت الناصحين لربهم وكتابه ورسوله بلسان
فاغسله ويملك من دم التعطيل والتكذيب والكفران والبهتان
أتسبهم عدواً وألست بكفئتهم فالله يفدي حزبه بالجاني
قوم هم بالله ثم رسوله أولى وأقرب منك للإيمان
شتان بين التاركين نصوصه حقاً لأجل زبالة الأذهان
والتاركين لأجلها آراء من آرائهم ضرب من الهديان

لما فسا الشيطان في آذانهم ثقلت رؤوسهم عن القرآن
فلذلك ناموا عنه حتى أصبحوا يتلاعبون تلاعب الصبيان
والركب قد وصلوا العلى وتيمموا من أرض طيبة مطلع الايمان
وأثوا الى روضاتها وتيمموا من أرض مكة مطلع القرآن
قوم إذا ما ناجذ النص بدا طاروا له بالجمع والوحدان
وإذا بدا علم الهدى استبقوا له كسابق الفرسان يوم رهان
وإذا هم سمعوا بمبتدع هذى صاحوا به طراً بكل مكان
ورثوا رسول الله لكن غيرهم قد راح بالثقصان والحрман
وإذا استهب سواهم بالنصر لم يرفع به رأساً من الخسران
عضوا عليه بالنواجذ رغبة فيه وليس لديهم بمهان
ليسوا كمن نبذ الكتاب حقيقة وتلاوة قصدا بترك فلان
عزلوه في المعنى وولوا غيره كأبي الربيع خليفة السلطان

أي : أن النفاة والمعطلة نزلوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ منزلة
الخليفة أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ، وقد بويع المذكور بالخلافة
بعهد من أبيه في جمادى الاولى سنة إحدى وسبعمائة ، لأن الخليفة المذكور
يدعى له على المنابر ، ويضرب اسمه فوق السكة . وليس له من الأمر شيء ،
فحال كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ عندهم كحال أبي الربيع
مع السلطان محمد بن قلاوون الألفي . قوله يرك على الإسلام . (قال في «القاموس» :
رك يرك زكاً وزكاً وزكاً وزكاً وزكاً : مريقارب خطوه ضعفاً ، ومشى
زكياً : ممرط . والزكاة بالكسر : السلاح ، وبالضم : الغيظ والغم ،
وتركرك : أخذ عدته)^(١)

(١) «بياض» في الأصل ، استدر كناه من «القاموس» .

قوله : فهم المحك . يشبه هذا ما أنشده ابن أعين في الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة ويجب أحمد يعرف المتسك
وإذا رأيت لأحمد متقصاً فاعلم بأن ستوره ستهتك
قال الناظم رحمه الله تعالى :

ذكروه فوق منابر وبسكة رقموا اسمه في ظاهر الأثمان
والأمر والنهي المطاع لغيره ولمتد ضربت بنذا مثلان
بالعقول أيستوي من قال بالقرآن والآثار والبرهان؟!
ومخالف هذا وفطرة ربه الله أكبر كيف يستويان
بل فطرة الله التي فطروا على مضمونها والعقل مقبولان
والوحي جاء مصداقاً لهما فلا تلق العداوة ماها حربان
سلمان عند موفق ومصّدق والله يشهد إنها سلمان
فاذا تعارض نص لفظ وارد والعقل حتى ليس يلتقيان
فالعقل إما فاسد ويظنه الـرأى صحيحاً وهو ذو بطلان
أو أن ذاك النص ليس بثابت ماقاله المعصوم بالبرهان
ونصوصه ليست تعارض بعضها بعضاً فسل عنها علم زمان
وإذا ظننت تعارضاً فيها فذا من آفة الأفهام والأذهان

أو أن يكون البعض ليس بثابت ما قاله المبعوث بالقرآن
لكن قول محمد والجهم في قلب الموحد ليس يجتمعان
إلا ويطرد كل قول ضده فإذا هما اجتمعا فمقتلان
يقول الناظم: إذا تعارض النقل والعقل، فإما أن يكون العقل فاسداً،
وإما أن يكون النص ليس بثابت، والنصوص لا تعارض وما يظن فيها
من التعارض فهو من آفة الأفهام والاذهان أو بعضها ليس بثابت، ما قاله
الرسول ﷺ .

قوله: إنها سلمان. هو بكسر الهمزة وتسكين النون للوزن. وأصله إن
المؤكدة. ثم قال الناظم: لكن قول محمد والجهم في قلب الموحد ليس
يجتمعان إلا ويطرد كل قول ضده .

والناس بعد على ثلاث حزبه أوحربه أو فارغ متوان
قوله: حزبه... الخ الحزب: الورد والطائفة والسلاح وجماعة الناس .
قوله. أو حربه . الحزب معروف وهو بفتح الحاء وبالراء الساكنة
ويذكر، مفرد حروب، ودار الحرب: بلاد المشركين الذين لا صلح بيننا وبينهم .
فاختر لنفسك أين تجعلها فلا والله لست برابع الأعيان
من قال بالتعطيل فهو مكذب بجميع رسل الله والفرقان
إن المعطل لا إله له سوى المنحوت بالأفكار في الأذهان
وكذا إله المشركين نُحيتة الأيدي هما في نحتهم سيان

قوله : نحيته هي فعيلة بمعنى مفعولة ؛ أي : منحوتة . قال في «القاموس»
نحته ، ينحته كيضربه وينصره ويعلمه : براه . انتهى .

لكن إله المرسلين هو الذي فوق السماء مكون الأكوان
تالله قد نسب المعطل كل من بالبينات أتى إلى الكتمان
والله ما في المرسلين معطل نافي صفات الواحد الرحمن
كلا ولا في المرسلين مشبه حاشاهم من إفك ذي بهتان
فخذ الهدى من عبده وكتابه فهم إلى سنبل الهدى سبيان

فصل

في بيان بطلان قول الملحدين : إن الاستدلال بكلام الله ورسوله
لا يفيد العلم واليقين .

واحذر مقالات الذين تفرقوا شيعاً وكانوا شيعه الشيطان
واسأل خبيراً عنهم ينبيك عن أسرارهم بنصيحة وبيان
قالوا الهدى لا يستفاد بسنة كلا ولا أثر ولا قرآن
إذ كل ذلك أدلة لفظية لم تبد عن علم ولا إيقان
فيها اشتراك ثم إجمال يرى وتجاوز بالزبد والنقصان
وكذلك الإضمار والتخصيص ~~والحذف~~ الذي لم يبد عن تبيان

والنقل آحاد فموقوف على صدق الرواة وليس ذا برهان
إذ بعضهم في البعض يقدح دائماً والقدح فيهم فهو ذو إمكان
وتواتر وهو القليل ونادر جداً فأين القطع بالبرهان
هذا ويحتاج السلامة بعد من ذلك المعارض صاحب السلطان
وهو الذي بالعقل يعرف صدقه والنفي مظنون لدى الانسان
فلأجل هذا قد عزلناها ووايينا العقول ومنطق اليونان
فانظر الى الإسلام كيف بقاؤه من بعد هذا القول ذي البطلان
وانظر الى القرآن معزولاً لديهم عن نفوذ ولاية الايقان
وانظر الى قول الرسول كذاك معـزولاً لديهم ليس ذا سلطان
والله ما عزلوه تعظيماً له أياضن ذلك قط ذو عرفان
يا ليتهم إذ يحكمون بعزله لم يرفعوا آيات جنك سخان
يا ويلهم ولوا نتائج فكرهم وقضوا بها قطعاً على القرآن
ورذالهم ولوا إشارات ابن سينا حين ولوا منطق اليونان
وانظر الى نص الكتاب مجدلاً وسط العرين ممزق اللجان
بالطعن بالاجمال والاضمار والاستخصيص والتأويل بالبهتان
والاشراك وبالجماز وحذف ما شأؤوا بدعواهم بلا برهان

وأنظر إليه ليس ينفذ حكمه بين الخصوم وماله من شان
وأنظر إليه ليس يقبل قوله في العلم بالأوصاف للرحمن
لكنها المقبول حكم العقل لا أحكامه لا يستوي الحكمان
بيكي عليه أهله وجنوده بدمائهم ومدامع الأجفان
عهدوه قدماً ليس يحكم غيره وسواه معزول عن السلطان
إن غاب ثابت عنه أقوال الرسو ل همالهم دون الوري حكمان
فأناهم ما لم يكن في ظنهم في حكم جنكس خان ذي الطغيان
بجنود تعطيل وكفران من الممغول ثم اللاص والعلان
فعلوا بملته وسنته كما فعلوا بأتمته من العدوان
والله ما نقادوا الجنكس خان حتى أعرضوا عن محكم القرآن
والله ما ولوه الا بعد عز ل الوحي عن علم وعن إيقان
عزلوه عن سلطانه وهو اليقين المستفاد لنا من السلطان
هذا ولم يكف الذي فعلوه حتى تمموا الكفران بالبهتان
جعلوا القرآن عضين إذ عضوه أنواعاً معددة من النقصان
منها انتفاء خروجه من ربنا لم يبد من رب ولا رحمن

لكنه خلق من اللوح ابتدا ء' وجبرئيل أو الرسول الثاني
ماقاله رب السموات العلى ليس الكلام بوصف ذي الغفران
تباً لهم سلبوه أكمل وصفه عضوه وعضه الريب والكفران
هل يستوي بالله نسبته الى بشر ونسبته الى الرحمن
من اين للمخلوق عز صفاته الله أكبر ليس يستويان
بين الصفات وبين مخلوق كما بين الإله وهذه الأكوان
هذا وقد عضوه أن نصوصه معزولة عن أمرة الإيقان
لكن غايتها الظنون وليته ظناً يكون مطابقاً ببيان
لكن ظواهر لا يطابق ظنها ما في الحقيقة عندنا بوزان
إلا إذا ما أولت فجازها بزيادة فيها أو النقصان
أوبالكناية واستعارات وتشبيهه وأنواع المجاز الثاني
فالقسط ليس يفيد والظن منفي كذلك فانتفى الأمران
فلم الملامة اذ عزلناهما ووالينا العقول وفكرة الأذهان!
فالتدعيعظم في النصوص أجوركم يأمة الآثار والقرآن
ماتت لدى الأقوام لا يحيونها أبداً ولا تحييم لهوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الرد على الملحدين القائلين بأن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد اليقين ، وهو المراد عندهم بالأدلة اللفظية ، وذلك أنهم قالوا : الاستدلال بكلام الله ورسوله موقوف على مقدمات ظنية ، مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ، ونفي المجاز والإضمار والتخصيص والاشتراك والنقل ، ومعارضة العقل للسمع ، وانتفاؤها مضمون ، والموقوف على المظنون مضمون .

قال شيخ الإسلام في اربل كتاب «العقل والنقل» ذكر الرازي في اول كتابه «نهاية العقول» أن الاستدلال بالسمعيات في المسائل الأصولية لا يمكن مجال لان الاستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية ، وعلى دفع المعارض العقلي ، وأن العلم بانتفاء المعارض لا يمكن ، اذ يجوز ان يكون في نفس الأمر دليل عقلي يناقض ما دل عليه القرآن ولم يخطر ببال المستمع . وقد بسطنا الكلام على ما زعمه هؤلاء من أن الاستدلال بالأدلة السمعية موقوف على مقدمات ظنية ، مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ، ونفي المجاز والاضمار والتخصيص ، والاشتراك والنقل والمعارض العقلي بالسمعي . وقد كنا صنفنا في فساد هذا الكلام مصنفاً قديماً من نحو ثلاثين سنة ، وذكراً طرماً من بيان فساده في الكلام على المحصل وفي غير ذلك ، فذاك كلام في تقرير الأدلة السمعية وبيان أنها قد تفيد اليقين والقطع . انتهى كلامه .

قوله : جعلوا القرآن عضيّن... الخ العضيّن : جمع عضة ، وأصلها عضة فاعلة من عضة الشاة إذا جعلها أعضاء وأجزاء ، فيكون المعنى على هذا الذي جعلوه أجزاء متفرقة بعضه شعر ، وبعضه سحر ، وبعضه كهانة ، ونحو ذلك ونذكر هنا ما ذكره المفسرون في معنى قوله تعالى (الذين جعلوا القرآن

عضين) الحجر : ٩١ عن المشركين ثم نبين كيفية جعل الملحدين القرآن
عضين . روى البخاري عن ابن عباس : جعلوا القرآن عضين قال : هم اهل
الكتاب جزؤوه اجزاء فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وروي أيضاً عن
ابن عباس قال : (كما انزلنا على المقتسمين) الحجر : ٩٠ قال آمنوا ببعض
وكفروا ببعض ، اليهود والنصارى . قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد
والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك . وقال
الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس : (جعلوا القرآن عضين) قال :
السحر . وقال عكرمة : العضة : السحر بلسان قريش . يقول السحرة :
إنها الكهانة . وقال مجاهد : عضوه أعضاء ، قالوا : سحر وقالوا : كهانة ، وقالوا :
أساطير الاولين . وقال عطاء : قال بعضهم : ساحر وقالوا : مجنون ، وقالوا : كاهن
فذلك العضين . وكذا روي عن الضحاك وغيره

ومعنى كلام الناظم : إن هؤلاء الملحدين جعلوا القرآن أجزاء ونقصوه أعظم
النقصان ، منها أنهم قالوا : لم يبدأ من الله سبحانه وإنما بدأ من غيره ، إما
أنه خلق من اللوح المحفوظ أو أنشأه جبريل أو الرسول الثاني وهو محمد صلى
الله عليه وسلم ، والقائلون بالكلام النفسي جعلوا بعضه كلام الله وهو المعنى ،
وبعضه كلام غيره وهو الألفاظ فسلبوه بذلك أكمل وصفه إذ قالوا : لم يتكلم
الله به .

وعضوه أيضاً أي نقصوه بأن قالوا : إن نصوصه لا تفيد اليقين ، وأي
تنقص أعظم من هذا ؟ ! نعوذ بالله من موجبات غضبه .

قوله منها انتفاء خروجه من ربنا ... الخ قال النبي ﷺ « ماتت قرب العباد

إلى الله بمثل ماخرج منه» يعني القرآن . وقال خباب بن الأرت : ياهنتاه
تقرب إلى الله بما استطعت ، فلن تقرب إليه بشيء أحب إليه مما خرج منه
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما قرئ عليه قرآن مسيلمة الكذاب فقال :
إن هذا كلام لم يخرج من ال ، يعني رب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وقولهم خلاف الحس والمعقول والمنقول والبرهان
مع كونه أيضاً خلاف الفطرة الأولى وسنة ربنا الرحمن
والله قد فطر العباد على التفاضل هم بالخطاب لمقصد التبيان
كل يدل على الذي في نفسه بكلامه من أهل كل لسان
فترى المخاطب قاطع بمراده هذا مع التقصير في الإنسان
اذ كل لفظ غير لفظ نبينا هو دونه في ذابلا نكران
شرع الناظم في بيان بطلان قول النفاة ، وأنه خلاف الحس والعقل
والنقل والفطرة ، وذلك أن الله سبحانه فطر العباد على التفاهم بالخطاب ، فكل
يدل على الذي في نفسه بكلامه من جميع الألسنة .

قوله فترى المخاطب قاطع بمراده ؛ أي : ترى المخاطب بفتح الطاء
قاطع بمراد المخاطب بكسر الطاء وذلك مع التقصير في الإنسان ، ؛ كل لفظ
غير لفظ الرسول ﷺ هو دونه بغير شك ، حاشا كلام الله تعالى فهو

الغاية القصوى في التبيان ولهذا قال الناظم :

حاشا كلام الله فهو الغاية القصوى له أعلى ذرى التبيان
لم يفهم الثقلان من لفظ كما فهموا من الأخبار والقرآن
فهو الذي استولى على التبيان كاستيلائه حقاً على الإحسان
مابعد تبيان الرسول لناظر إلا العمى والعيب في العميان
ثم شرع الناظم في بيان أن بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان فقال :

فانظر الى قول الرسول لسائل من صحبه عن رؤية الرحمن
حقاً ترون الحكم يوم اللقا رؤيا العيان كما يرى القمران
كالبدر ليل تمامه والشمس في نحر الظهيرة ماهما مثلان
بل قصده تحقيق رؤيتنا له فأتى بأظهر ما يرى بعيان
ونفى السحاب وذاك أمر مانع من رؤية القمرين في ذا الآن
فإذا أتى بالمتضي ونفى الموا نع خشية التقصير في التبيان
صلى عليه الله ما هذا الذي يأتي به من بعد ذا التبيان
ماذا يقول القاصد التبيان يا أهل العمى من بعد ذا التبيان
فبأي لفظ جاءكم قلم له ذا اللفظ معزول عن الايقان
وضربتم في وجهه بعساكر التأويل دفعا منكم بليان

يعني الناظم بهذه الأبيات أن بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان كما روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « أن اناساً قالوا يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا : لا . قال فإنكم ترونه كذلك » . . . الحديث .

وفي « الصحيحين » وغيرهما أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، « أن ناساً في زمن النبي ﷺ قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم فهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوماً ليس دونها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوماً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما . . . » الحديث . فهل بعد هذا البيان والإيضاح شيء .

قوله : فإذا أتى بالمتقضي هو بكسر الضاد اسم فاعل وهو أن ليس دون الرؤية سحاب والشمس في نحر الظهيرة ، فإذا تم المتقضي حصل المتقضي ولكن لاحيلة في أهل التعريف والتعطيل .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لوأنتكم والله عاملتم بذا أهل العلوم وكتبهم بوزان
فسدت تصانيف الوجود بأسرها وغدت علوم الناس ذات هوان
هذا وليسوا في بيان علومهم مثل الرسول ومنزل القرآن
والله لو صح الذي قد قلتم قطعت سبيل العلم والايان

فالعقل لا يهدي إلى تفصيلها لكن ما جاءت به الوحيان
فإذا غدا التفصيل لفظياً ومعزولاً عن الايقان والرجحان
فهناك لا علم أفادت لا ولا ظناً وهذا غاية الحرمات
لو صح ذلك القول لم يحصل لنا قطع بقول قط من إنسان
وغدا التخاطب فاسداً وفساده أصل الفساد لنوع ذا الانسان
ما كان يحصل علمنا بشهادة ووصية كلا ولا إيمان
وكذلك الاقرار يصبح فاسداً إذ كان محتملاً لسبع معان
وكذا عقود العالمين بأسرها باللفظ إذ يتخاطب الرجلان
أيسوغ للشهدا شهادتهم بها من غير علم منهم ببيان
إذ تلكم الألفاظ غير مفيدة للعلم بل للضر ذي الرجحان
بل لا يسوغ لشاهد أبداً شها دته على مدلول نطق لسان
بل لا يراقدم بلفظ الكفر من متكلم بالظن والحسبان
بل لا يباح الفرج بالاذن الذي هو شرط صحته من النسوان
أيسوغ للشهداء جزمهم بأن رضيت بلفظ قابل لمعان
هذا وجملة ما يقال بأنه في ذا فساد العقل والأديان

أي لو أنكم عامنتم اهل الكتاب وكتبهم بما عاملتم به الوحين ففسدت
تصانيف الناس ، وأيضاً لو صح هذا الذي قلموه لانقطعت سبيل العلم

والإيمان لأن العقل لا يهدي إلى تفصيلها ولا سبيل إلى تفصيلها إلا بما جاء عن الله ورسوله ، فإذا صار التفصيل لفظياً وهو معزول عن اليقين فحينئذ لا تنفيد علماً ولا ظناً . وأيضاً لو صح ما قلتموه فسد الخطاب ولم يصح لنا قطع بقول من إنسان فلا يصح لنا علم بشهادة ولا وصية ولا يمين ولا إقرار ، بل لا يراق دم بلفظ كفر ، ولا يبساح فرج بالإذن الذي هو شرط صحته من النساء ولا يسوغ للشهد اعجز مهم بأنها رضيت إذ ذاك قابل للمعاني المذكورة بل تفسد بذلك العقول والأديان ، ونعوذ بالله من العمى والخذلان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا ومن بهتانهم أن اللغات أتت بنقل الفرد والوحدان
فانظر إلى الألفاظ في جريانها في هذه الأخبار والقرآن
أنتظنها تحتاج نقلاً مسنداً متواتراً أو نقل ذي وحدان
أم قد جرت مجرى الضروريات لا تحتاج نقلاً وهي ذات بيان
إلا الأقل فإنه يحتاج للنقل الصحيح وذاك ذو تبيان

حامل معنى هذه الأبيات أن المعطلة يقولون : إن اللغات أتت بنقل
الآحاد ، وهذا تدليس وتلبيس لأن الألفاظ من الأخبار والقرآن يفهم منها
مراد المتكلم بمجرد سماعها من غير حاجة إلى النقل ، اللهم إلا الأقل كما قال
الناظم فإنه يحتاج للنقل الصحيح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومن المصائب قول قائلهم بأن الله أظهر لفظه بلسان
وخلافهم فيه كثير ظاهر عربي وضع ذلك أم سرياني

وكذا اختلافهم، أمشتقاً يرى
والأصل ماذا فيه خلف ثابت
هذا ولفظ الله أظهر لفظه
فانظر بحق الله ماذا في الذي
هل خالف العقلاء أن الله رب العالمين مدبر الأكوان
ما فيه إجمال ولا هو موهم
واختلف في أحوال ذلك اللفظ لا
في وضعه لم يختلف رجلا
وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة
أفيسهم خلف بأن مرادهم
وإذا هم اختلفوا بلفظة أحمد
أفيسهم خلف بأن مرادهم
ونظير هذا ليس يحصر كثرة
أبمثل ذا الهذيان قد عزلت نصو
فالحمد لله المعافي عبده
فلاجل ذا نبذوا الكتاب وراءهم
أم جامداً قولان مشهوران
عند النحاة وذاك ذو ألوان
نطق اللسان بهامدى الأزمان
قالوه من لبس ومن بهتان
نقل المجاز ولاله وضعان
في وضعه لم يختلف رجلا
فيه لهم قولان معروفان
حرم الإله وقبلة البلدان
فيدلهم قولان المذكوران
منه رسول الله ذو البرهان
ياقوم فاستحيوا من الرحمن
ص الوحي عن علم وعن إيقان
بما بلاكم يا ذوي العرفان
ومضوا على آثار كل مهان

ولأجل ذلك غدوا على السنن التي جاءت وأهلها ذوي أضغان
يرمونهم كذباً بكل عزيمة حاشاهم من إفك ذي بهتان

أي: ومن المصائب التي تلبس بها المعطلة إنهم قالوا بأن لفظه الله فيها
خلاف ، هل هو عربي أم سرياني ؟ وكذا فيه اختلاف ؛ هل هو مشتق أم
هو جامد ؟ وأصله ماذا ؟ ومع هذا فلفظ الله أظهر لفظه نطق اللسان بها .
فانظر أيها الناظر في هذا الكتاب ما في هذا الكلام من التلبيس والبهتان ،
وذلك أنه لا خلاف بين العقلاء ان الله اسم لرب العالمين ، خالق السموات
والأرض الذي يحيي ويميت ، وهو رب كل شيء ومليكه ، فهم لا يختلفون
في أن هذا الاسم يراد به هذا المسمى وهو أشهر عندهم وأعرف من كل اسم وضع
لكل مسمى ، وإن كان الناس متنازعين في اشتقاقه فليس ذلك بنزاع في معناه ، ولا
يتطرق الى ذلك إجمال ولا مجاز ، ومن غير نظر إلى أنه عربي أم سرياني ؟
وهل هو مشتق أم جامد ؟ فإن هذا خلاف في أحوال اللفظ لا في وضعه .

ثم ضرب الناظم لذلك مثلاً فقال : وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة ... الخ
وفيه لهم قولان ، فليس بينهم خلاف بأن مرادهم حرم الله وقبلة المسلمين .
ونظير هذا إذا اختلفوا بلفظة أحمد ، ولهم في ذلك قولان فليس بينهم
خلف بأن مرادهم منه رسول الله ﷺ ، وانظار هذا لا تحصى . أفبمثل هذا
الهديان تعزل نصوص الكتاب والسنة عن إفادة اليقين ؟ ثم حمد الله على المعافاة
بما ابتلاهم به من المحنة ، وخلافه . نصوص الكتاب والسنة .

فصل

في تزويه أهل الحديث والشريعة عن الألقاب القبيحة الشنيعة :

فرموهم بغياً بما الرامي به أولى ليدفع عنه فعل الجاني
يرمي البريء بما جناه مباحثاً ولذاك عند الغر يشتهان
سموهم حشوية ونوابستا ومجسمين وعابدي أوثان
وكذاك أعداء الرسول وصحبه وهم الروافض أخبث الحيوان
نصبوا العداوة للصحابة ثم سموهم بالنواصب شيعة الرحمن
وكذا المعطل شبهه الرحمن بالمعدوم فاجتمت له الوصفان
وكذاك شبه قوله بكلامنا حتى نفاه وذان تشبيهان
وكذاك شبه وصفه بصفاتنا حتى نفاها عنه بالبهتان
وأتى إلى وصف الرسول لربه سماه تشبيهاً فيا اخوان
بالله من أولى بهذا الاسم من هذا الخبيث المنخبث الشيطان
إن كان تشبيهاً ثبوت صفاته سبحانه فبأكمل ذي شان
لكن نفي صفاته تشبيهاً بالجمادات وكل ذي نقصان
بل بالذي هو غير شيء وهو معدوم وإن يفرض ففي الأذهان
فمن المشبه بالحقيقة أنتم أم مثبت الاوصاف للرحمن

أي : إن المعطلة وموا أهل الحديث بألقاب قبيحة شنيعة ، ولقبوهم بما هم أولى به - أعني النفاة - فسموهم حشوية ونوابت ومجسمة وعباد أوثان وقد تقدم معنى ذلك وكذلك الروافض أعداء الرسول وصحبه نصبوا العداوة للصحابة رضي الله عنهم ، ثم سمو أهل السنة نواصب ، وكذلك المعطلة شهبوا الله تعالى بالمعدوم ولم يفهموا من صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله إلا التشبيه ، فنفوا ذلك ثم شهبوا الله تعالى بالمعدوم ، فجمعوا الوصفين ، شهبوا أولاً ثم عطلوا ثانياً ، وسموا أهل الحديث أيضاً مشبهة ، وهم قد شهبوا الله تعالى وتقدس بالجامدات وكل ذي نقص ، بل شهبوه بالمعدوم ، فيقول الناظم : فمن الذي أولى بهذا الاسم - يعني التشبيه - أنتم أم المثبتة؟ وحاشا المثبتة فهم أولى بالله ورسوله ، وقولهم هو الحق الذي دل عليها النقل الصريح .

فصل

في نكتة بديعة تبين ميراث الملقبين من المشركين والموحدين . والملقبين الأولى بفتح القاف ، والثانية بكسر ها .

هذا وثم لطيفة عجب سائب -ديها لكم يامعشر الاخوان
فاسمع فذاك معطل ومشبه واعقل فذاك حقيقة الانسان
لا بد أن يرث الرسول وضده في الناس طانفتان مختلفان

فالوارثون له على منهاجه والوارثون لضده ففتان
إحداهما حرب له ولحزبه ما عندهم في ذلك من كتمان
فرموه من ألقابهم بعظائم هم أهلها لا خيرة الرحمن
فأتى الألى ورثوهم فرموا بها ورآته بالبغي والعدوان
هذا يحقق إرث كل منهما فاسمع وعه يامن له أذنان
والآخرون أولو النفاق فأضروا شيئاً وقالوا غيره بلسان
وكذا المعطل مضمّر تعطيله قد أظهر التنزيه للرحمن
هذي مواريث العباد تقسمت بين الطوائف قسمة المنان

أي : من المعلوم أنه لا بد أن يرث الرسول ﷺ وضده طائفتان :
إحداهما : حرب له ، أي : محارب له ولدينه . والثانية : ورثته وأتباع سنته .
قوله : فرموه من ألقابهم بعظائم النخ ؛ أي : إن أعداء الرسول ﷺ
الذين في وقته رموه بعظائم كقوهم : ساحر ومجنون ، كذاب ومفتر مذمم
وكذا ورثة أعدائه رموا به ورثته بغيّاً وعدواناً ، وهذا يحقق إرث كل منها .
قوله : فاسمع وعه ، فعل أمر من الوعي ، وأتى بهاء السكت لاستجلاب
النطق بالساكن ، أي : إن المنافقين أضروا النفاق ، وأظهروا غيره وكذا
المعطل أظهر التنزيه وأضمر غيره والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وشم لطيفة أخرى بها سلوان من قد سب بالبهتان
تجد المعطل لاعناً لمجسم ومشبّه لله بالإنسان

والله يصرف ذلك عن أهل الهدى كمحمد ومذمم اسمان
هم يشتمون مذمماً ومحمدٌ عن شتمهم في معزل وصيان
صان الإله محمداً عن شتمهم في اللفظ والمعنى هما صنوان
كصيانة الأتباع عن شتم المعطل المشبه هكذا الإرتان
والسب مرجعه عليهم إذ هم أهل لكل مذمة وهوان
وكذا المعطل يلعن اسم مشبه واسم الموحّد في حمى الرحمن
هذي حسان عرائس زفت لكم ولدى المعطل هن غير حسان
والعلم يدخل قلب كل موفق من غير بواب ولا استئذان
ويرده المحروم من خذلانه لاتشقنا اللهم بالحرمان
يافرقة نفت الاله وقوله وعلوه بالمجد والكفران
موتوا بغيظكم ، فربي عالم بسرائر منكم وخبث جنان
خالله ناصر دينه وكتابه ورسوله بالعلم والسلطان
والحق ركن لايقوم لهده أحد واو جمعت له الثقلان
توبوا إلى الرحمن من تعظيكم فالرب يقبل توبة الندمان
من تاب منكم فالجنان مصيره أو مات جهمياً ففي النيران

مضمون هذه اللطيفة التي ابداهها الناظم رحمه الله تعالى أن المعطلة دائماً
يلعنون المجسمة والمشبهة ، والله يصرف ذلك عن أهل الهدى والسنة المتبعين ،

لما أثبت الله ورسوله من صفات الله تعالى بغير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ، وكذلك كانت حال قريش مع رسول الله ﷺ يسمونه اسم مذمم ، يعنون بذلك رسول الله ﷺ لأنهم يسمونه مذمماً وهو ﷺ في معزل عن سبهم وصيانة من الله تعالى ، ففي هذا تسلية للسلف فأتباعهم ، لأن السب يرجع إلى المعطلة لأنهم أهل كل مذمة وهوان وكذا المعطل يلعن اسم مشبه واسم الموحد في حمى الرحمن تبارك وتعالى .

قال ابن اسحق في « سيرته » : وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مذمماً ثم يسبون ، فكان رسول الله ﷺ يقول : « ألا تعجبون لما يصرف الله عني من قريش ، يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد »

فصل

في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع ديانات الانبياء

واسمعه سر أعجيباً كان مكمّـتوماً من الأقسام منذ زمان
فأذعته بعد اللتيا والتي نصحاً وخوف معرفة الكتبان
جيم وجيم ثم جيم معهما مقرونة مع أحرف بوزان
فيها لدى الأقسام طلسم متى تحلله تحلل ذروة العرفان
فإذا رأيت النور فيه تقارن السجيات بالثلثيث شر قران

دلت على أن النحوس جميعها سهم الذي قد فاز بالخذلان
جبروا رجاء ثم جيم تجهم فتأمل المجموع في الميزان

قوله : بعد اللتيا والتي . هما من اسماء الدواهي ، واللتيا أصغر من التي
وهي في الأصل تصغيرها ، ثم هما من الاسماء الموصولة ، وحذفت صلتها وذلك
في عظم الأمر وشدته ، كأنه قال : كفيته التي عظمت شدتها ، وتناهد
بليتها ، وكأنه يريد باللتيا صغار المغارم ؛ أي : غرمها في ماله ، وبالتالي عظامها
كالدّم يعقله عن القاتل ونحوه .

قوله : جيم وجيم النخ ؛ أي : تلك الجيمات مقرونة مع أحرف ؛ أي :
جبروا رجاء وتجهم .

قوله : طلسم ، هو واحد الطلاسم وهي اسماء مخصوصة لها تعلق بالأفلاك
والكواكب في أجسام مخصوصة للمعارف وغيرها مع قوة نفس صالحة لهذا
العمل ، فتحدث عندها أحكام مخصوصة كما زعم أربابه .

قوله : فإذا رأيت الثور فيه تقارن الجيمات بالتثليث ... هذا شي عند
المنجمين يسمى بالتثليث والتربيع ، ويسمونه النصة ؛ أي إذا تقارنت الجيمات
الثلاث في برج الثور وهو أحد البروج الاثني عشر المذكورة في قوله :

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمت عقرب بالقوس جدبا فملا الدلو بركة الحيتان

يقول الناظم : إذا حصل هذا القران في البرج المذكور فاحكم لمن
حصل له هذا الطالع بخلاصه من ربة الإيمان ، ثم شرع الناظم في بيان
كيفية الخروج عن جميع ديانات الأنبياء من حصلت له هذه الجيمات ، فقال :

فاحكم بطالعها لمن حصلت له بخلاصه من ربقة الإيمان
فاحمل على الاقدار ذنبك كله حمل الجذوع على قوى الجدران
وافتح لنفسك باب عذرك إذ ترى الأفعال فعل الخالق الديان
فالجبر يشهدك الذنوب جميعها مثل ارتعاش الشيخ ذي الرجفان
لافعال أبدأ ولا هو قادر كالميت أدرج داخل الأكفان
والأمر والنهي اللذان توجهها فهما كأمر العبد بالطيران
وكأمره الأعمى بنقطه، مصاحف أو شكلها حذراً من الالحان
وهذه جيم الجبر لأن عند الجبرية أن العباد مجبورون على أفعالهم ، وأنها
مثل ارتعاش المرتعش أو كالميت يدرج في الأكفان ، وكأمر الأعمى بنقط
المصاحف أو شكلها .
قوله :

وإذا ارتفعت دريجة أخرى رأيت الكل طاعات بلا عصيان
إن قيل قد خالفت أمر الشرع قل لكن أطعت إرادة الرحمن
ومطيع أمر الله مثل مطيع ما يقضي به وكلاهما عبدان
عبد الأوامر مثل عبد مشيئة عند المحقق ليس يفترقان
فانظر إلى ما قادت الجيم التي للجبر من كفر ومن بهتان
أي : إذا ارتفع الجبري درجة أخرى رأى الكل طاعات ، وفي هذه
الحال يقول قائلهم :

أصبحت منفعلا لما تختاره مني ففعلي كله طاعات

ويقول : إن خالفت الشرع فقد أطعت القدر والإرادة ، ومطيع الأمر
مثل مطيع القضاء ، وعبد الأمر مثل عبد المشيئة . ونحو ذلك. قوله عند
المحقق ، أي : بزعمهم ، فهذا ما قادت به جيم الجبر من الكفر والبهتان .
قوله :

وكذلك الأرجاء حين تقر بالسمعبود تصبح كامل الإيمان
فارم المصاحف في الحشوش و خرب البيت العتيق وجد في العصيان
واقتل إذا ما اسطعت كل موحد وتمسحن بالقس والصلبان
واشتم جميع المرسلين ومن أتوا من عنده جهراً بلا كتمان
وإذا رأيت حجارة فاسجد لها بل خر للأصنام والأوثان
وأقر أن الله جل جلاله هو وحده البادي لذى الأكوان
وأقر أن رسوله حقاً أتى من عنده بالوحي والقرآن
فتكون حقاً مؤمناً وجميع ذا وزر عليك وليس بالكفران
هذا هو الإرجاء عند غلاتهم من كل جهمي أخي الشيطان
فأضف إلى الجيمين جيم تجهم وانف الصفات والحق بالأرسان
قل ليس فوق العرش رب عالم بسرائر منا ولا إعلان
بل ليس فوق العرش ذو سمع ولا بصر ولا عدل ولا إحسان
بل ليس فوق العرش معبود سوى العدم الذي لا شيء في الأعيان

بل ليس فوق العرش من متكلم بأوامر وزواجر وقران
كلا ولا كلم إليه صاعد أبداً ولا عمل لذى شكران
إني وحظ العرش منه كحظ ما تحت الثرى عند الحضيض الداني
بل نسبة الرحمن عند فريقهم للعرش نسبتته الى البنيان
فعليتها استولى جميعاً قدرة وكلاهما من ذاته خلوان
هذا الذي أعطته جيم تجهم حشواً بلا كيل ولا ميزان
تالله ما استجمعن عند معطل جياتها ولديه من إيمان

شرع الناظم في بيان ما تقتضيه جيم الإرجاء ، وهو أن عندهم إذا أقر
الإنسان بأن الله وحده هو الخالق ، وأن رسوله حق أتى من عند الله فهذا
هو الإيمان عندهم ، وإن فعل ما فعل فهو ذنب ووزر وليس بكفر .

قوله : فارم المصاحف في الحشوش ، وخرّب البيت العتيق ، واقتل إن
استطعت الموحدين ، واشتم جميع المرسلين ، واسجد للأصنام ، ولا يضرك
ذلك إذا أقررت بأن الله الخالق ، وأن رسوله ﷺ حق ، فهذا هو الإرجاء
عند غلاة الجهمية .

قوله : فأضف الى الجيمين جيم تجهم ، وهذه الجيم تقتضي نفي الصفات ،
وأن الله سبحانه ليس فوق العرش بل ليس فوق العرش معبود سوى العدم ،
وليس فوق العرش رب متكلم ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا ينزل من عنده
شيء ، بل نسبة الرحمن عندهم للعرش والحضيض التجتاني سواء ، وهو سبحانه

قد استولى عليها بالقدرة ، فهذا الذي أعطته جيم التجهم ، ثم أقسم الناظم
أن من اجتمعت له هذه الجيات الثلاث فقد خلس من ربة الإيمان ، ثم قال :
والجهم ، أصلها جميعاً فاغتدت مقسومة في الناس بالميزان
والوارثون له على التحقيق هم أصحابها لاشيعة الإيمان
لكن تقسمت الطوائف قوله ذو السهم والسهمين والسهمان
لكن نجأهل الحديث المحض أتباع الرسول وتابعوا القرآن
عرفوا الذي قد قال مع علم بما قال الرسول فهم أولو العرفان
وسواهم في الجبل والدعوى مع الكبر العظيم وكثرة الهديان
مدوا يداً نحو العلي بتكلف وتخلف وتكبر وتوان
أترى ينالوها وهذا شأنهم حاشا العلي من ذا الزبون الفاني
قوله : والجهم أصلها بفتح همزة وتشديد الصاد أي : أسسها ،
ولكن تقاسمها الناس ، فبعضهم أخذ سهماً ، وبعضهم سهمين ، وبعضهم أخذ
السهم الثلاثة ، نعوذ بالله من ذلك . والسهمان بضم السين جمع سهم . ولم ينبج
من هذه الجيات إلا أهل الحديث المحض الذين تبعوا القرآن والرسول ،
وعضوا على سنته بالنواجذ ، والحمد لله على الإسلام والسنة .

فصل

في جواب الرب تبارك وتعالى يوم القيامة ، إذا سئل المعطل والمثبت
عن قول كل واحد منهما :

وسل المعطل ما تقول إذا أتى ففتان عند الله تختصان
إحداهما حكمت على معبودها بعقولها وبفكرة الأذهان
سمته معقولاً وقالت إنه أولى من المنصوص بالبرهان
والنص قطعاً لا يفيد فنحن أولنا وفوضنا لنا قولان
قالت وقلنا فيك لست بداخل فينا ولست بخارج الأكوان
والعرش أخليناك منك فلست فوق العرش لست بقابل لمكان
وكذلك لست بقاتل القرآن بل قد قاله بشر عظيم الشأن
ونسبته حقاً إليك بنسبة الشـريف تعظيماً لذي القرآن
وكذلك قلنا لست تنزل في الدجى إن النزول صفات ذي الجثمان
وكذلك قلت ألت ذات وجه ولا سمع ولا بصر فكيف يدان
وكذلك قلنا لا ترى في هذه الدنيا ولا يوم المعاد الثاني
وكذلك قلنا ما لـفعلك حكمة من أجلها خصصته بزمان

ماثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل بلا رجحان
لكن منا من يقول بحكمة ليست بوصف قام بالرحمن
هذا وقلنا ما اقتضته عقولنا وعقول أشياخ ذوي عرفان
قالوا لنا لا تأخذوا بظواهر الـ وحين تنسلخوا من الإيمان
بل فكروا بعقولكم إن شئتم أو فاقبلوا آراء عقل فلان
فلأجل هذا لم نحكم لفظ آ ثار ولا خبر ولا قرآن
إذ كل أدلة لفظية معزولة عن مقتضى البرهان

فصل

والآخرون أتوا بما قد قاله من غير تحريف ولا كتمان
قالوا تلقينا عقيدتنا عن الـ وحين بالأخبار والقرآن
فالحكم ما حكما به لا رأي أهـ لالاختلاف وظن ذي الحسبان
آراءهم أحداث هذا الدين نا قضة لأصل طهارة الإيمان
آراءهم ريح المقاعد أين تلك الريح من روح ومن ريحان
قالوا وأنت رقيبنا وشهيدنا من فوق عرشك يا عظيم الشأن
إنا أيننا أن ندين ببدعة وضلالة أو إفك ذي بهتان

لكن بما قد قلته أوقاله من قد أتانا عنك بالفرقات
وكذاك فارقناهم حين احتياج الناس للأنصار والأعوان
كيلا نصير مصيرهم في يومنا هذا ونطمع منك بالغفران
فمن الذي منا أحق بأمنه فاختر لنفسك يا أخا العرفان
لا بد أن نلقاه نحن وأنتم في موقف العرض العظيم الشأن
وهناك يسألنا جميعاً ربنا ولديه قطعاً نحن محتصمان
فتقول قلت كذا وقال نينا أيضاً كذا فإمامنا الوحيان
فافعل بنا ماأنت أهل بعد ذا نحن العبيد وأنت ذو الإحسان
أفتقدرون على جواب مثل ذا أم تعدلون إلى جواب ثان
مافيه قال الله قال رسوله بل فيه قلنا مثل قول فلان
وهو الذي أدت إليه عقولنا لما وزنا الوحي بالميزان
إن كان ذلكم الجواب مخلصاً فامضوا عليه يا ذري العرفان
تالله ما بعد البيان لمنصف إلا العناد ومركب الخذلان

حاصل كلام الناظم في هذين الفصلين أنه يحكي جواب المعطل والمنثب
عن قول كل واحد منها إذا سألهما الرب تعالى يوم القيامة ، ومعنى ما ذكره
أن المعطل يقول لربه إذا سأله يوم القيامة : يارب إني حكمت عليك بالعقل
والفكرة . وهذا أولى من المنصوص ، وقلت : إنك لست بداخل العالم ولا
خارجه ، وإنك لست فوق العرش ، وإنك لست بقائل القرآن ، بل هو

عبارة أو حكاية عبر بها رسولك البشري وهو محمد ﷺ عن المعنى
النفسي ، وإن نسبه إليك نسبة تشریف كما يقال : بيت الله ، وكذا قلنا :
لست تنزل في الدجى لأن النزول من صفات الأجسام ، وكذا قلنا : لا وجه
لك ولا سمع ولا بصر ولا يدان ، وكذا قلنا : إنك لا ترى في الآخرة ،
وكذا قلنا : ما فعلك حكمة ، وليس ثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل ،
ومع ذلك فمننا من يقول : الحكمة ليست تقوم بالرحمن سبحانه ، لأن ذلك
يستلزم قيام الحوادث به تعالى ، وقلنا ما اقتضته عقولنا وعقول أشياخنا ،
وهم قد قالوا : لا تأخذوا بظواهر الوحيين ، بل فكروا بعقولكم أو فاقبلوا
رأي فلان وفلان ، قالوا : فلأجل هذا لم نحكم لفظ آثار ولا قرآن ، لأنها أدلة
لفظية لاتفيد اليقين ، وأما الآخرون وهم المثبتة فإنهم أتوا بما قد قاله الله ورسوله
من غير تحريف ولا كتمان ، وقالوا : تلقينا عقيدتنا عن الوحيين ، والحكم
عندنا ما حكما به ، لا رأي أهل الاختلاف والظنون الفاسدة . قالوا : لا بد
أن نلقاه نحن وأنتم في موقف العرض ، وهناك يسألنا جميعاً ربنا فنقول :
قلت كذا وقال نبينا كذا ، فافعل بنا ما أنت أهل له ، فنحن عبيدك وأنت
ذو الإحسان ، افتقدرون أيها المعطلة على مثل هذا الجواب ؟ أم تجيبون
بجواب ليس فيه قال الله قال رسوله ؟ بل تقولون : قولنا مثل قول فلان ،
وهذا هو الذي أدت إليه عقولنا ، فإن كان هذا الجواب مخلصاً لكم فامضوا
عليه ، والله الموفق .

فصل

في تحميل أهل الإثبات للمعطين شهادة تؤدى عند رب العالمين .

يا أيها الباغي على أتباعه بالظلم والبهتان والعدوان
قد حملوك شهادة فاشهد بها إن كنت مقبولاً لدى الرحمن
واشهد عليهم إن سألت بأنهم قالوا إله العرش والأكوان
فوق السموات العلى حقاً على العرش استوى سبحانه ذي السلطان
والأمر ينزل منه ثم يسير في الأقطار سبحانه العظيم الشان
وإليه يصعد ما يشاء بأمره من طيبات القول والشكران
واليه قد صعد الرسول وقبله عيسى بن مريم كاسر الصلبان
وكذلك الأملاك تصعد دائماً من ههنا حقاً إلى الديان
وكذلك روح العبد بعد مماتها ترقى إليه وهو ذو إيمان
واشهد عليهم أنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن
سمع الأمين كلامه منه وأداه إلى المبعوث بالفرقان
هو قول رب العالمين حقيقة لفظاً ومعنى ليس يفرقان
واشهد عليهم أنه سبحانه قد كلم المولود من عمران

سمع ابن عمر از الرسول كلامه منه إليه مسمع الأذان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأب الله ناجاه بلا كتمان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأب الله نادى قبله الأبوان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأب الله يسمع صوته الثقلان
والله قال بنفسه لرسوله إني أنا الله العظيم الشأن
والله قال بنفسه لرسوله إذهب إلى فرعون ذي الطغيان
والله قال بنفسه حمّ مع طه ومع يس قول بيان
واشهد عليهم أنهم وصفوا الإله بكل ما قد جاء في القرآن
وبكل ما قال الرسول حقيقة من غير تحريف ولا عدوان
واشهد عليهم أن قول نبيهم وكلام رب العرش ذا التبيان
نص يفيد لديهم علم اليقين إفادة المعلوم بالبرهان
واشهد عليهم أنهم قد قابلوا التـعـطـيل والتـمـثـيل بالـتـكـرار
إن المعطل والممثل ماسما متيقنين عبادة الرحمن
ذا عابد المعدوم لا سبحانه أبداً وهذا عابد الأوثان
واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الـأـسـماء والأوصاف للديان
وكذلك الأحكام أحكام الصفا ت وهذه الأركان للإيمان

قالوا عليم وهو ذو علم ويعلم غاية الأسرار والإعلان
وكذا بصير وهو ذو بصر ويبصر كل مرئي وذو الأكوان
وكذا سميع وهو ذو سمع ويسمع كل مسموع من الأكوان
متكلم وله كلام وصفه ويكلم المخصوص بالرضوان
وهو القوي بقوة هي وصفه وعليك يقدر يا أبا السلطان
وهو المرید له الإرادة هكذا أبداً يريد صنائع الاحسان
حاصل كلام الناظم في هذه الأبيات أن المثبتة قد حملوا المعطلة شهادة
تؤدي عندهم سبحانه باثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله من الصفات من
غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، وذلك كهلوا الله تعالى على خلقه ، ونزول
الأوامر منه سبحانه ، وصعود الكلم الطيب اليه ، ومعراج الرسول اليه ،
ورفع عيسى بن مريم عليه السلام الى الله ، وكذا صعود الملائكة اليه دائماً ،
وكذا روح المصدق بعد الممات تصعد اليه ، وأنه سبحانه متكلم بالوحي
والقرآن ، وإن الأمين جبريل سمع كلامه ، وأداه الى الرسول ﷺ
وأنه قول رب العالمين حقيقة لفظه ومعناه . واشهد عليهم أيها المعطل
أنه سبحانه كلم المولود من عمران ، وهو موسى عليه السلام ،
وأن الله ناداه وناجاه وكذا اشهد عليهم أنهم قالوا : بأن الله نادى قبله
الأبوين آدم وحواء ، واشهد عليهم أنهم قالوا : بأن الله ينادي خلقه يوم القيامة
بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، واشهد عليهم أنهم قالوا : إن
الله سبحانه قال : بنفسه (حم) و (طه) و (يس) وأنهم وصفوه سبحانه

بكل ما قد جاء في القرآن ، وبكل ما قال الرسول ، من غير تحريف ولا عدوان ، واشهد عليهم أن كلام الله ورسوله عندهم نص يفيد علم اليقين ، واشهد عليهم أنهم أنكروا التعطيل والتمثيل ، وأن المعطل والممثل غير متيقنين عبادة الرحمن عز وجل ، لأن المعطل يعبد عدماً ، والممثل يعبد صنماً ، تعالى الله وتقدس ، واشهد عليهم أيها المعطل أنهم قد أثبتوا أسماء الرب تعالى وصفاته المقدسة ، وكذا أثبتوا أحكام الصفات ، وأنه سبحانه عليم يعلم ويعلم السر وأخفى ، وكذا أثبتوا أنه سبحانه بصير وذو بصر ويبصر كل شيء ، وكذا أثبتوا أنه سبحانه سميع وذو سمع ويسمع كل مسموع ، وأنه سبحانه متكلم وله كلام ، ويكلم من شاء سبحانه ، وكذا أثبتوا له سبحانه القوة بقرة هي وصفه وهو على كل شيء قدير ، وأثبتوا أنه تعالى مرید وله الإرادة ويريد سبحانه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والوصف معنى قائم بالذات والـ أسماء إعلام له بوزان
أسماءه ذات على أوصافه مشتقة منها اشتقاق معان
وصفاته ذات على أسمائه والفعل مرتبط به الأمران
والحكم نسبتها إلى متعلقا ت تقتضي آثارها بيان
ولربما يعني به الاخبار عن آثارها يعني به أمران
والفعل إعطاء الإرادة حكمها مع قدرة الفعال والإمكان
فاذا انتفت أوصافه سبحانه فجميع هذا بين البطلان

أي إن صفاته سبحانه معان قائمة بذاته ، والأسماء أعلام ، والأسماء تدل على الصفات ، وهي مشتقة منها ، وصفاته دلت على أسمائه . وتوضيح ذلك أنه لما اتصف سبحانه بالعلم اشتق له منه اسم العليم ، ولما اتصف سبحانه بالرحمة اشتق له منها اسم الرحمن ، وهكذا قوله : والحكم نسبتها الى متعلقات تقتضي آثارها بيان ، يعني أن أحكام الصفات تنسب الى متعلقات تقتضي آثارها وذلك أن نقول : هو سبحانه عليم ويعلم كل شيء ، بصير ويبصر كل شيء ، سميع ويسمع كل شيء ، كما تقدم في الأبيات .

قوله : فإذا انتفت أوصافه سبحانه الخ... ؛ أي : اذا انتفت صفاته سبحانه ، فجميع هذا باطل بغير شك ، وأهل الاثبات يشبتون جميع ذلك خلافاً للمعطلة القائلين بأنه سبحانه عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ، بصير بلا بصر ، ونحو ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم قالوا به—ذا كله جهراً بلا كتمان
واشهد عليهم أنهم برآء من تأويل كل محرف شيطان
واشهد عليهم أنهم يتأولو ن حقيقة التأويل في القرآن
هم في الحقيقة أهل تأويل الذي يعني به لا قائل الهذيان
واشهد عليهم أن تأويلاتهم صرف عن المرجوح للرجحان

أي : واشهد عليهم أيها المعطل أنهم يتأولون ، ولكن لا بالمعنى المصطلح عليه عند كثير من المتأخرين الذين تكلموا في الفقه وأصوله ، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترن به ، فهذا القسم

من التأويل باطل عند المشتبه ، والتأويل الذي يشبثونه هو بمعنى التفسير ، وهذا معنى قول الناظم : هم في الحقيقة أهل تأويل الذي يعني به الخ . وذلك كما يقول ابن جرير وأمثاله من المفسرين ، ومجاهد إمام المفسرين ، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي والبخاري وغيرهما : فاذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه ، فالمراد معرفة تفسيره ،

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم حملوا النصوص على الحقيقة لا المجاز الثاني
الا اذا ما اضطرهم لمجازها الممضطر من حس ومن برهان
فهنالك عصمتها اباحتها بغير تجانف لللاثم والعدوان
حاصل ما نتكلم به في هذه الأبيات أن نذكر كلام العنماء في المجاز
وثبوتها أو نفيه ، ثم نتكلم على معنى الأبيات الثلاثة بما يسره الله تعالى (١)
فنقول : قال الشيخ علاء الدين المرداوي في كتاب « التحرير » في
اصول الفقهاء الأربعة وغيرهم : المجاز واقع ، وخالف الأستاذ والشيخ وغيرهما
وردوه إلى المتواطىء ، وعلى الأول ليس المجاز بأغلب في الأصح ، وهو
في القرآن عند أحمد وأكثر أصحابه . والأكثر ، وعنه : لا ، اختاره ابن حامد
والتميمي ، والحرزي وغيرهم . وقيل : ولا في الحديث أيضاً . انتهى كلامه .
ومعنى كلامه أن الأئمة الأربعة وغيرهم ذهبوا إلى وقوع المجاز ، وخالف في
ذلك الأستاذ يعني الشيخ أباسحق الاسفراييني الشافعي ، والشيخ ، يعني به

(١) ذكر المصنف رحمه الله ما اراد ذكره من كلام العلماء ، ولكنه لم يتكلم على

معنى الايات الثلاثة . (ابن مانع)

شيخ الاسلام رحمها الله تعالى ، وكلامه رحمه الله معروف في كتاب « الايمان » وهو أنه اختار نفي المجاز في الكتاب والسنة ولغة العرب . والناظم رحمه الله في هذا الموضوع اختار في المسألة تفصيلاً . وهوان النصوص تحمل على الحقيقة إلا عند الاضرار الى المجاز ، فتصرف اليه . وقد قال في كلام له : المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص ، وإنما يدخل في الظاهر المحتمل له ، وكون اللفظ نصاً يعرف بشيئين : احدهما : عدم احتمال له غير معناه وضماً . والثاني : ما اطرده استعماله على طريقة واحدة في جميع موارد ، فإنه نص في معناه لا يقبل تأويلاً ولا مجازاً وان قدر تطرق ذلك الى بعض أفراد ، وصار بمنزلة خبر التواتر لا يتطرق احتمال الكذب اليه وإن تطرق الى واحد بمفرده .

وهذه قاعدة نافعة تدل على خطأ كثير من التأويلات للسمعيات التي اطرده استعمالها في ظاهرها ، وتأويلها والحالة هذه غلط ، فان التأويل إنما يكون لظاهر قد ورد شاذاً مخالفاً لغيره من السمعيات ، فيحتاج الى تأويله ليوافقها ، وأما اذا اطردت كلها على وتيرة واحدة ، (فقد) صارت بمنزلة النص وأقوى وتأويلها ممتنع . انتهى كلامه .

وهذا الذي ذكره قد ذكره غيره من العلماء ، وهو أنهم قالوا : إن الأدلة إذا تكاثرت ودلت على معنى ، ثم ورد دليل واحد يخالف تلك الأدلة ، وجب الأخذ بتلك الأدلة ، وتأويل ذلك الدليل الواحد حتى يوافقها . وقد رأيت شيخ الاسلام أثبت المجاز في بعض كلامه ، قال في «الفتيا الدمشقية» واعلم ان من لم يحكم دلالات اللفظ ، ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي ، أو العرفي أو الشرعي ، إما في الألفاظ المفردة ، وإما في المركبة ، وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من

التركيب الذي يتغير به دلالاته في نفسه ، وتارة بما اقتوتن به من القرائن اللغوية التي تجعلها مجازاً ، وتارة بما يدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه ، وسياق الكلام الذي يعين أحد احتمالات اللفظ ، أو يبين أن المراد به هو مجازه . . . إلى غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور ، وإلا فقد يتخبط في هذه المواضع . نعم إذا لم يقتن باللفظ قط شيء من القرائن المتصلة تبين مراد المتكلم ، بل علم مراده بدليل آخر لفظي منفصل ، فهنا أريد به خلاف الظاهر ، كالعموم الخصوص بدليل منفصل . . . إلى أن قال : إن الألفاظ نوعان : أحدهما : مامعناه مفرد ، كلفظ الأسد ، والحمار ، والبحر ، والكلب ، فهذا إذا قيل : أسد الله وأسد رسوله ، أو قيل للبليد : حمار . أو قيل للعالم أو السخي أو الجواد : أمن الحيل بجرأً ، أو قيل للأسد : كلب ، فهذا مجاز ، ثم اقتوتن به قرينة تبين المراد . كقول النبي ﷺ : لفرس أبي طلحة : « ان وجدناه لبحراً » وقوله : « إن خالداً سيف من سيوف الله سله الله على انشر كين »^(١) وقوله لعثمان : « ان الله مقمصك قميصاً » .

(١) أورده بهذا اللفظ الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » من رواية ابن عساكر عن عمر . ورمز له بالضعف . ولكن رواه احمد في « المسند » من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم عبد الله وأخو العشيبة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين » قال البيهقي في « جمع الزوائد » رواه احمد ، والطبراني بنحوه ورجالها ثقات ، ورواه الترمذي من رواية زيد بن اسلم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ « نعم عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله » قال الترمذي : هذا حديث غريب ، ولا يعرف لزيد بن اسلم سماع من أبي هريرة ، وهو حديث مرسل عندي . ورواه الطبراني عن أنس بن مالك قال : نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مؤتة على المنبر قال : « ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله » قال البيهقي ورجاله رجال الصحيح . وعن عبد الله بن جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نعى أهل مؤتة قال : « ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد فتح الله عليه » قال البيهقي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن احمد بن حنبل وهو امام ثبت

وقول ابن عباس : الحجر الأسود بين الله في الارض ، فمن استلمه وصافحه فكأنما بايع ربه ، (١) أو كما قال ، ونحو ذلك ، فهنا اللفظ فيه تجوز. إلى اخر كلامه . فهذا ظاهر في اثبات المجاز والله أعلم .

وأما الناظم رحمه الله تعالى فقد رأيت في كلامه في النظم ، وفي كلامه الذي نقلناه عنه . ولكنه قد بالغ في كتاب « الصواعق المرسله » في ابطال المجاز ، واستدل لذلك بنحو خمسين وجهاً . ورد على ابن جني كلامه في المجاز من أوجه كثيرة والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى .

واشهد عليهم أنهم لا يكفروا بكم بما قلتم من الكفران
اذ أنتم أهل الجهالة عندهم لستم أولي كفر ولا ايمان
لا تعرفون حقيقة الكفران بل لا تعرفون حقيقة الايمان
الا اذا عازدتم ورددتم قول الرسول لأجل قول فلان
فهناك أنتم أكفر الثقلين من انس و جن ساكني النيران

يأتي الكلام في مسألة التكفير ان شاء الله تعالى في الفصل الذي أوله :
ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الـأقدار واردة من الرحمن
واشهد عليهم أن حجة ربهم قامت عليهم وهو ذو غفران

(١) هذا الحديث روي موقوفاً على ابن عباس ، وروي مرفوعاً بعدة روايات لا تخلو كلها

واشهد عليهم أنهم هم فاعلو ن حقيقة الطاعات والعصيان
والجبر عندهم محال هكذا نفي القضاء فبُست الرأيان
واشهد عليهم ان ايماء الورى قول وفعل ثم عقد جنان
ويزيد بالطاعات قطعاً هكذا بالضد يمسي وهو ذو نقصان
والله ما ايمان عاصينا كايهان الامين منزل القرآن
كلا ولا ايمان مؤمننا كايهان الرسول معلم الايمان
واشهد عليهم أنهم لم يخلدوا أهل الكبائر في حميم آن
بل يخرجون باذنه بشفاعة وبدونها لمساكن بجنان
واشهد عليهم أن ربهم يرى يوم المعاد كما يرى القمران
واشهد عليهم أن أصحاب الرسول خيار خلق الله من انسان
حاشا النيين الكرام فانهم خير البرية خيرة الرحمن
وخيارهم خلفاؤه من بعده وخيارهم حقاً هما العمران
والسابقون الأولون أحق بالتقديم ممن بعدهم ببيان
كل بحسب السبق أفضل رتبة من لاحق والفضل للمنان

قد تكلمنا على أكثر مضمون هذه الأبيات في غضون هذا الشرح .
وَأما مسألة خلق أفعال العباد ، ومسألة الإيمان ، وأنه قول وعمل ونية و

يزيد وينقص ، فينبسط الكلام عليها بعض البسط ، لأنها من الأصول الكبار
لأهل السنة والجماعة ، فنقول :

قوله : واشهد عليهم أنهم فاعلون حقيقة الطاعات الخ . . . أي : أن
أهل الإثبات ، أهل السنة والجماعة ، يؤمنون بالقدر خيره وشره . والإيمان
بالقدر على درجتين : كل درجة تتضمن شيئين . فالدرجة الأولى الإيمان بأنه
تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً ،
وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والآجال ، ثم كتب الله في اللوح
المحفوظ مقادير الخلق . فأول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب ، فقال : ما أكتب ؟
فقال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ^(١) ، فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه ،
وما أخطاه لم يكن ليصيبه كما قال سبحانه : (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات
وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) المجادلة : ٧ وقال
تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ، ولا في أنفسكم إلا في كتاب من
قبل أن نبرأها) الحديد : ٢٤ وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه ، يكون
في مواضع جملة وتفصيلاً . فقد كتبت في اللوح المحفوظ : فإذا خلق جسد
الجنين قبل نفخ الروح ، بعث إليه ملك ، فيأمر بأربع كلمات ، فيقال :
اكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ، ^(٢) وأما الدرجة الثانية ،

(١) رواه احمد في « المسند » (٣١٧/٥) وسنده حسن ، ورواه أبو داود رقم
(٤٧٠٠) ورواه الترمذي في الدر وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأخرجه
في التفسير من هذا الوجه وقال : حديث غريب ، فالحديث بمجموع طرقه صحيح ه

(٢) يشير بذلك الى ما في « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :

حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « إن أحدكم يجمع خلقه في
بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم
يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ،
وشقي أو سعيد . . . » الحديث

فهو مشيئة الله تعالى النافذة ، وقدرته الشاملة ؛ وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى ، لا يكون في ملكه ما لا يريد سبحانه ، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء ، إلا الله سبحانه خالقه ، ولا خالق غيره ، ولا رب سواه . وقد أمر العباد بطاعته ، وطاعة رسوله ، ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد ، والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن ، والكافر ، والبر ، والفاجر ، والمصلي . ولله عباد قدرة على أفعالهم ، وإرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كما قال : (لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) التكاوير : ٢٨ ، ٢٩ وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ « مجوس هذه الأمة »^(١) ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجونه عن أفعال الله وحكمها ومصالحها .

قوله : والجبر عندهم الحال الخ . . . اعلم أن أئمة السلف رحمة الله عليهم أنكروا الجبر . قال الخلال في كتاب « السنة » الرد على القدرية ،

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٦٩١) وفي سنده انقطاع ، ورواه أحمد في « المسند » وفيه ضعف . ورواه الآجري في كتاب « الشريعة » ص (١٩٠) وفيه ضعف أيضاً ولكن ربما كان مجموع طرقه يصلح للاحتجاج .

وقولهم . إن الله أجبر العباد على المعاصي ، ثم روي عن عمر ، وابن عثمان عن بقية بن الوليد قال : سألت الزبيدي والأوزاعي عن الجبر ، فقال الزبيدي : أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، ولكن يقضي ، ويقدر ، ويخلق ، ويجبل عبده على ما أحب . وقال الأوزاعي : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ، ولا السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء ، والقدر ، والخلق ، والجبل ؛ فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ ، وإنما وضعت هذا مخافة أن يرتاب رجل من أهل الجماعة والتصديق . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : فهذان الجوابان اللذان ذكرهما هذان الإمامان في عصر تابعي التابعين ، من أحسن الأجوبة .

أما الزبيدي محمد بن الوليد صاحب الزهري ، فإنه قال : أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، فنفي الجبر ، وذلك لأن الجبر المعروف في اللغة ؛ هو إلزام الإنسان بخلاف رضاه ، كما يقول الفقهاء في باب النكاح : هل تجبر المرأة على النكاح ، أو لا تجبر ؟ وإذا عضلها الولي ماذا تصنع ؟ فيعنون بجبرها ، إنكاحها بدون رضاها واختيارها ، ويعنون بعضلها ، منعها بما ترضاه وتختاره . فقال : الله أعظم من أن يجبر أو يعضل ، لأن الله سبحانه قادر على أن يجعل العبد مختاراً راضياً لما يفعله ؛ وبمغضاً وكرهاً لما يتركه ، كما هو الواقع ، فلا يكون العبد مجبوراً على ما يجبه ويرضاه ويريده ، وهي أفعاله الاختيارية ، ولا يكون معضولاً عما يتركه فيغضه ويكرهه ، أو لا يريد ، وهي تروكه الاختيارية .

وأما الأوزاعي : فإنه منع من إطلاق هذا اللفظ ، وإن عني به هذا المعنى ، حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة ، فيفضي إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل ، وذلك لا يسوغ .

فان قيل : إنه يراد به معنى صحيح . قال الخلال : أنا أبو بكر المروزي قال : سمعت بهض المشيخة يقول : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : أنكر سفيان الثوري الجبر وقال : الله جبل العباد . وقال المروزي : أظنه أراد قول النبي ﷺ لأشج عبد القيس يعني قوله الذي في « صحيح مسلم » « إن فيك خلقتين يحبها الله : الحلم ، والأناة » فقال : أخلقين تخلقت بهما ، أو خلقين جبلت عليهما ؟ فقال : بل خلقين جبلت عليهما «^(١) فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبها الله . ولهذا احتج البخاري وغيره على خلق أفعال العباد بقوله تعالى : (إن الإنسان خلق هلوعاً . إذا مسه الشر جزوعاً . وإذا مسه الخير منوعاً) المعارج : ١٩ - ٢١ فأخبر أنه خلق على هذه الصفة ، واحتج غيره بقول الخليل : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) إبراهيم : ٤٠ وقوله : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) البقرة : ١٢٨ وجواب الأوزاعي أقوم من جواب الزبيدي ، لأن الزبيدي نفى الجبر ، والأوزاعي منع إطلاقه ، إذ هذا اللفظ قد يحتمل معنى صحيحاً ، ففيه قد يقتضي نفي الحق والباطل ، كما ذكر الخلال ما ذكره عبد الله بن أحمد في كتاب « السنة » فقال : ثنا محمد بن بكار ، ثنا أبو معشر ، ثنا بن محمد بن كعب ، قال : إنما سمي الجبار ، لأنه يجبر الخلق على ما أراد ، فإذا امتنع من إطلاق اللفظ المجمل المشتبه ، زال المحذور ، وكان أحسن من نفيه ، وإن كان ظاهراً في المعنى الفاسد ، خشية أن يظن أنه ينفي المعنيين جميعاً ، وهكذا يقال في نفي الطاقة عن المأمور ، فإن إثبات الجبر في المحذور نظير سلب الطاقة في المأمور ،

(١) رواه مسلم عن ابن عباس بلفظ « إن فيك خلقتين يحبها الله : الحلم والأناة » وفي رواية لمسلم أيضاً « ان فيك خلقتين » . ورواه بالزيادة التي في الكتاب أبو يعلى في مسنده وغيره .

وهكذا كان يقول الامام أحمد وغيره من أئمة السنة . قال الحلال : أنبأ
الميموني قال : سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - يناظر خالد بن
خراس ، يعني في القدر ، فذكروا رجالاً فقال عبد الله : إنما كرهه من هذا إن تقول :
أجبر الله وقال : أنبأ المروزي ، قلت لأبي عبد الله : رجل يقول : إن الله
أجبر العباد . فقال : هكذا لا تقول ، وأنكر هذا . وقال : يضل من يشاء ،
ويهدي من يشاء . قال : أنبأ المروزي ، قال : كتب الى عبد الوهاب في
أمر حسن بن خلف العكبري ، وقال : إنه تنزه عن ميراث أبيه . فقال :
رجل قدرني . قال : إن الله لم يجبر العباد على المعاصي ، فرد عليه أحمد بن
رجاء فقال : إن الله جبر العباد على ما أراد ، أراد بذلك إثبات
القدر ، فوضع أحمد بن علي كتاباً يحتج فيه ، فأدخلته على أبي عبد الله
فأخبرته بالقصة ، فقال : ويضع كتاباً؟! وأنكر عليها جميعاً ، على ابن رجاء
حين قال : جبر العباد ، وعلى القدري حين قال : يجبر ، وأنكر على أحمد
ابن علي وضعه الكتاب ، واحتجاه ، وأمر بهجرانه لوضعه الكتاب ، وقال
لي : يجب على ابن رجاء أن يستغفر ربه لما قال : جبر العباد ، فقلت لأبي
عبد الله : فما الجواب في هذه المسألة؟ قال : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء .
قال المروزي في هذه المسألة : إنه سمع أبا عبد الله لما أنكر على الذي قال :
لم يجبر ، وعلى من رد عليه جبر . فقال أبو عبد الله : كلما ابتدع رجل بدعة
اتسع الناس في جوابها ، وقال : يستغفر ربه الذي رد عليهم بمحدثه ، وأنكر
على من رد بشيء من جنس الكلام إذا لم يكن له فيها إمام تقدم . قال
المروزي : فما كان بأسرع من أن قدم أحمد بن علي من عكبر ، ومعه مشيخة
وكتاب من أهل عكبر ، فأدخلت أحمد بن علي على أبي عبد الله فقال :

ياأبا عبد الله هو ذا الكتاب ، ادفعه الى أبي بكر حتى يقطعه ، وأنا أقوم
على منبر عكبر ، وأستغفر الله عز وجل . فقال أبو عبد الله لي : ينبغي
أن يقبلوا منه ، فرجعوا له . وقد بسطنا الكلام في هذا المقام في غير هذا
الموضع . انتهى كلام شيخ الاسلام .

قوله : واشهد عليهم أن إيمان الورى قول وفعل الخ . . . هذه المسألة
من مسائل الأصول الكبار ، ومذهب أهل السنة والجماعة ، أن الإيمان
تصديق بالجان ، وعمل بالأركان ، وقول باللسان ، وأنه يزيد وينقص .
وذهب جهم ، والصالحي ، والأشعري في المشهور من قوله ، إلى أن الإيمان
هو تصديق القلب . وذهبت المرجئة ، إلى أن الإيمان هو قول اللسان
وتصديق القلب . وذهبت الكرامية ، إلى أن الإيمان هو تصديق اللسان فقط .
قال الامام الشافعي رحمه الله في « الأم » : وكان الإجماع من الصحابة
والتابعين من بعدهم ومن أدر كنههم يقولون : إن الإيمان قول ، وعمل ،
ونية ، لا تجزىء واحدة من الثلاثة الا بالأخرى .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ولهذا كان القول ! إن الايمان قول ،
وعمل عند أهل السنة ، ومن شعائر السنة .

وروى أبو عمر الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الحمال
قال : أملى علينا اسحاق بن راهويه ، أن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ،
لاشك أن ذلك كما وصفنا ، وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة ، والآثار العامة
المحكمة ، وأقوال أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم جراً على ذلك ،
وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد ، لا يختلفون فيه ؛

وكذلك في عهد الازاعي بالشام ، وسفيان الثوري بالعراق ، ومالك بن أنس بالحجاز ، ومعر باليمن على ما فسرنا وبيننا أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص .

وقال اسحاق : من ترك الصلاة متعمداً حتى ذهب وقتها ، الظهر إلى المغرب ، والمغرب إلى نصف الليل ، فانه كافر بالله العظيم ، يستاب ثلاثة أيام ، فإن لم يرجع وقال : تركها كفوفاً ، ضربت عنقه ، يعني تركها وقال ذلك ، وأما اذا صلى وقال ذلك ، فهذه مسألة اجتهاد . قال : واتبعهم على ما وصفنا من بعدهم من عصرنا هذا أهل العلم ، إلا من باين الجماعة ، واتبع الأهواء المختلفة ، فأولئك لا يعبا الله بهم لما باينوا الجماعة .

قوله : ويزيد بالطاعات قطعاً الخ ، اي : أن أهل السنة والحديث ، على أن الإيمان يتفاضل ، وجمهورهم يقول : يزيد وينقص ، ومنهم من يقول : يزيد ، ولا ينقص ، كما روي عن مالك في احدي الروايتين ، ومنهم من يقول : يتفاضل ، كعبد الله بن المبارك ، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة ، ولم يعرف فيه مخالف منهم ، فروى الناس من وجود كثيرة مشهورة عن حماد بن سامة ، عن ابي جعفر ، عن جده عمير بن حبيب وهو من أصحاب رسول الله ﷺ قال : الإيمان يزيد وينقص . قيل له : وما زيادته ونقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه ، فذلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا ، فذلك نقصانه .

وروى اسماعيل بن عياش عن جرير بن عثمان عن الحارث بن محمد ، عن أبي الدرداء ، قال : الإيمان يزيد وينقص . وقال احمد بن حنبل : ثنا يزيد ، ثنا جرير بن عثمان قال : سمعت أسيخنا أو بعض أسيخنا أن أبا الدرداء ، قال : من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه ، وما ينقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أن يزيد

إيمانه ، أم ينقص ؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان: أُنَى تأتيه ؟
وروى أسماعيل بن عياش ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الله بن ربيعة
الخرمي ، عن أبي هريرة قال : الإيـمان يزيد وينقص . وقال أحمد بن
حنبل : ثنا يزيد بن هارون ، ثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن ذر قال :
كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه : هلموا نزدد إيماناً ، فيذكرون الله
عز وجل . وقال أبو عبيد : في « الغريب » في حديث علي : إن الإيـمان
يبدو لمظة في القلب ، كلما ازداد الإيـمان ، ازدادت اللمظة . وروي ذلك
عن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن هند الحملي عن علي قال . الأصمعي اللحظة
مثل النكتة أو نحوها .

وقال أحمد بن حنبل : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن هلال ، عن عبد الله
ابن عكيم قال : سمعت ابن مسعود يقول في دعائه : اللهم زدنا إيماناً
وابقانا وفقها .

وروى سفيان الثوري عن جامع بن شداد ، عن سواد بن هلال قال :
كان معاذ بن جبل يقول للرجل : اجلس بنا نؤمن ساعة نذكر الله تعالى .
وروى أبو اليمان : ثنا صفوان ، عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن راحة
كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه يقول : قم بنا نؤمن ساعة ، فنجلس في
مجلس ذكر . وهذه الزيادة قد ذكرها الصحابة ، وأثبتوها بعد موت
النبي ﷺ ونزول القرآن كله . وصح عن عمار بن ياسر أنه قال : ثلاث
من كن فيه فقد استكمل الإيـمان . الانصاف من نفسه ، والانفاق من
الافتقار ، وبذل السلام للعالم . ذكره البخاري عنه في « صحيحه » وقال
جندب بن عبد الله : وابن عمر وغيرهما : تعلمنا الإيـمان ، تعلمنا القرآن ،
فازدنا إيماناً . والآثار في هذا كثيرة ، رواها المصنفون في هذا الباب عن

الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة . وقال الحافظ ابو عمر بن عبد البر
في « التمهيد » أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان . قول وعمل ،
ولا عمل إلا بنية ، والإيمان عندهم يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعصية ،
الطاعات كلها عندهم إيمان ، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه ، فإنهم
ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى إيماناً قالوا : لما الايمان التصديق والإقرار ،
ومنهم من زاد المعرفة ، وذكر ما احتجوا به ... الى أن قال : وأما سائر
الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز ، والعراق والشام ، ومصر ، منهم
مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي ،
والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو عبيد القاسم بن
سلام ، وداود بن علي ، والطبري ، ومن سلك سبيلهم ، فقالوا : الايمان
قول وعمل ، قول باللسان وهو الإقرار ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح
مع الاخلاص بالنية الصادقة ، قالوا : وكل ما يطاع الله عز وجل به من
فريضة ونافلة ، فهو من الايمان ، والايان يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ،
وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملوا الايمان من أجل ذنوبهم ، وإنما
صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر . ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن ... » الحديث ^(١) يريد مستكمل الايمان ، ولم يرد به
نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك ، بدليل الاجماع على توريث الزاني ،
والسارق ، والشارب للخمر إذا صلوا الى القبلة ، وانتحلوا دعوة الإسلام ،
من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الأحوال ، واحتجوا على ذلك ، ثم
قال : وأكثر أصحاب مالك قالوا : إن الايمان والاسلام شيء واحد ، قال :

(١) متفق عليه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

وأما قول المعتزلة ، فالإيمان عندهم جماع الطاعات ، ومن قصر عن شيء منها فهو فاسق ، لا مؤمن ، ولا كافر ، وعولاء هم المحققون بالاعتزال أصحاب المنزلة بين المنزلتين ... الى أن قال : وعلى أن الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الأثر ، والفقهاء من أهل الفتيا في الامصار .

وروى ابن القاسم عن مالك أن الايمان يزيد ، وتوقف في نقصانه . وروى عنه عبد الرزاق ، ومعن بن عيسى ، وابن نافع أنه يزيد وينقص ، وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله . ثم ذكر حجاج المرجئة ، ثم حجاج أهل السنة ، ورد على الخوارج التكفير بالحدود المذكورة للعصاة في الزنا والسرقه ، ونحو ذلك ، وبالموارثة . ومحدث عبادة بن الصامت من أصاب ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له . وقال : الايمان مراتب ، بعضها فوق بعض ، فليس ناقص الايمان ككمال الايمان . قال الله تعالى : (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الى قوله : (أولئك هم المؤمنون حقا) الأنفال : ٢-٣ ؛ وكذلك قول صلى الله عليه وسلم « المؤمن من آمنه الناس » من المسلم سلم الناس من لسانه ويده »^(١) اي حقاً ، ومن هذا قوله « اكمل المؤمنين إيماناً »^(٢) ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص . وقوله :

(١) رواه احمد والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان بلفظ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دماغيهم واموالهم » . وروى البخاري ومسلم الفقرة الأولى من هذا الحديث ،

(٢) ورد هذا الحديث بلفظ « اكمل المؤمنين إيماناً احسنهم خلقاً » رواه احمد ، وابو داود ، والترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة .

« أوثق عرى الايمان : الحب في الله ، والبغض في الله » ^(١) وقوله : « لا ايمان لمن لا امانة له » ^(٢) يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض ، وذكر الحديث الذي رواه الترمذي وغيره « من أحب لله وأبغض لله . . » ^(٣) الحديث . وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على أن الايمان قول ، وعمل ، ونية ، واصابة السنة . ومن حجج الجهمية على ان الأعمال ليست من الايمان أنهم قالوا : ان القرآن نفى الايمان عن غيره هؤلاء كقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . . .) الأنفال : ٢ - ٤ الايات . ولم يقل : ان هذه الاعمال من الايمان قالوا : فنحن نقول : من لم يعمل هذه الأعمال لم يكن مؤمناً ، لأن انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أنهم سلموا أن هذه الأعمال لازمة لايمان القلب ، فإذا انتفت لم يبق في القلب ايمان ، وهذا هو المطلوب ، وبعد هذا فكونها لازمة أو جزء ، نزاع لفظي :

الثاني : أن نصوصاً صرحت بأنها جزء كقوله : « الايمان بضع وسبعون شعبة ، أو ست وسبعون شعبة » . ^(٤)

(١) رواه احمد في « المسند » عن البراء بن عازب . والطبراني في « الكبير » عن ابن عباس وفي « الصغير » عن ابن مسعود ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه احمد في « المسند » وابن حبان ، والطبراني في « الأوسط » و« الصغير » وهو حديث حسن .

(٣) رواه ابو داود في « سننه » وسنده حسن . وتامه « واعطى الله ومنع لله فقد استكمل الايمان .

(٤) أخرجه الشيخان ، ولفظ : ست وسبعون شعبة ، من رواية ابي عوانة في صحيحه .

الثالث : أنكم إن قلتم بأن من انتفى عنه هذه الأمور فهو كافر خال من كل إيمان ، كان قولكم قول الخوارج ، وأنتم في طرف ، والخوارج في طرف ، فكيف توافقونهم في هذه الأمور؟! ومن هذه الأمور إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج ، والجهاد ، والإجابة الى حكم الله ورسوله وغير ذلك مما لا تكفرون تاركه ، وإن كفرتموه كان قولكم قول الخوارج .

الرابع : ان قول القائل إن انتفاء بعض هذه الاعمال يستلزم أن لا يكون في قلب الانسان شيء من التصديق بأن الرب حق ، قول يعلم فسادة بالاضطرار .

الخامس : أن هذا إذا ثبت في سائر الراجبات ، فيرتفع النزاع المعنوي . ومن حججهم العقلية أيضاً أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله ، ولهذا ما صنف الفخر الرازي « مناقب الامام الشافعي » ذكر قوله في الايمان ، وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين ، وقد ذكر الشافعي أنه إجماع الصحابة والتابعين ، فاستشكل الرازي قول الشافعي جداً ، لأنه كان قد انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج ، والمعتزلة ، والجهمية ، والكرامية ، وسائر المرجئة ، وهو أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله ، لكن هو لم يذكر الاظهار شبهتهم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله : والجواب عما ذكره هو سهل ، فانه يسلم له أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت ، لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء . والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون : إن الذنب يقدر في كمال الايمان ، ولهذا نفى الشارع عن الايمان عن هؤلاء ، فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعاً مع

الذنوب ، لكن يقولون بقي بعضه ، إما أصله وأكثره ، وإما غير ذلك ،
فيعود الكلام إلى أنه يذهب بعضه ، ويبقى بعضه . ولهذا كانت المرجئة
تنفر من لفظ النقص أعظم من نفرتها من لفظ الزيادة ، لأنه إذا نقص لزم
ذهابه كله عندهم ، إن كان متعدداً متبعضاً عند من يقول بذلك ، وهم
الخوارج ، والمعتزلة . وأما الجهمية فهو واحد عندهم ، لا يقبل التعدد ،
فيثبتون واحداً للاحقيقة له ، كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب ، ووحدانية
صفاته عند من أثبتها منهم . ومن العجب أن الاصل الذي أوقعهم في هذا
الاعتقاد ، اعتقادهم أنه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان ، وبعض الكفر ،
او ما هو ايمان ، وما هو كفر ، واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين ،
كما ذكر ذلك ابو الحسن وغيره ، فلأجل اعتقادهم هذا الاجماع وقعوا فيما
هو مخالف للاجماع الحقيقي ، اجماع السلف الذي ذكر غير واحد من الأئمة ،
بل وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الايمان . انتهى
المقصود من كلامه . وقد بسط رحمه الله الكلام في الايمان ، وكلام الناس
فيه ، وما لهم وعليهم في كتاب « الايمان » الكبير ، فمن أراد ذلك فليراجعه ،
والله أعلم .

قوله : العمران ، يعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهذا من

باب التغليب ، كما قالوا : سيرة العمرين .

فصل

في عهد المثيين مع رب العالمين

ياناصر الاسلام والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان
يامن هو الحق المبين وقوله ولقاؤه ورسوله ببيان
اشرح لدينك صدر كل موحد شرحاً ينال به ذرى الايمان
واجعله مؤتماً بوحيك لا بما قد قاله ذو الافك والبهتان
وانصر به حزب الهدى واكتب به حزب الضلال وشيعة الشيطان
وانعش به من قصده احيائه واعصمه من كيد امرىء فتان
واضرب بحقك عنق اهل الزيغ والتبديل والتكذيب والطغيان
فوحق نعمتك التي اوليتني وجعلت قلبي واعى القرآن
وكتبت في قلبي متابعة الهدى فقرأت فيه أسطر الايمان
ونشلتني من حباب الهوى بجبائل من محكم الفرقان
وجعلت شرني المنهل العذب الذي هو رأس ماء الوارد الظمان
وعصمتني من شرب سفلى الماء تحسنت نجاسة الآراء والأذهان

وحفظتني مما ابتليت به الألى حكموا عليك بشرعة البهتان
نبدوا كتابك من وراء ظهورهم وتمسكوا بزخارف الهديان
وأريتني البدع المضلة كيف يلـتقيها مزخرفة الى الانسان
شيطانه فيظل ينقشها له نقش المشبه صورة بدهان
فيظنها المغرور حقاً وهي في التـحقيق مثل الآل في القيعان
لأجاهدن عداك ما أبقيتني ولأجعلن قتـالهم ديداني
ولأفضحهم على روس الملا ولأفرين أديهم بلسان
ولأكشفن سرائر أخفيت على ضعفاء خلقك منهم ببيان
ولأتبعنهم الى حيث انتهوا حتى يقال أبعد عبـادان
عبادان بفتح العين وتشديد الباء الموحدة ، وفيه المثل المعروف : ليس
وراء عبادان قرية . في « القاموس » عبادان جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة
ساكبتين في بحر فارس . انتهى .

ولأرجنهم بأعلام الهدى رجم المرید بثاقب الشهبان
ولأقعدن لهم مراصد كيدهم ولأحصرنهم بكل مكان
ولأجعلن لحومهم ودماءهم في يوم نصرک أعظم القربان
ولأحملن عليهم بعساكر ليست نفر إذا التقى الزحفان
بعساكر الوحبين والفطرات والمعقول والمنقول بالاحسان

حتى يبين لمن له عقل من الأولى بحكم العقل والبرهان
ولأنصحن الله ثم رسوله وكتابه وشرائع الإيمان
إن شاء ربي إذا يكون بحوله أو لم يشأ فالأمر للرحمن
قوله : نقش المشبه صورة بدهان . المشبه : المصور ، أي : كما ينقش
المصور الصور المنقوشة في الحيطان بالدهانات من أحمر ، وأخضر ، وأصفر
ونحو ذلك .

قال في « القاموس » النقش : تلوين الشيء بلونين أو ألوان ، كالتنقيش .
انتهى . قوله : الآل هو المراب .

قوله : القيعان . قال في « القاموس » القاع : أرض سهلة مطمئنة قد
انفجرت عنها الجبال والآكام ، جمع قيع ، وقيعة ، وقيعان بكسرهن ،
وأقواع ، وأقوع . انتهى .

قوله : ولأفرين . قال في « القاموس » : فراه يفريه شقه فاسداً أو
صالحاً ، كفراه وأفراه . انتهى . يقال : فلان يفري الفري ، أي : يعمل
العمل البالغ .

قوله : المرید ، مرد كنصر ، وكرم ، مروداً ، ومرادة ، فهو مارداً ،
ومريد ، ومتمرد : « قاموس » .

فصل

في شهادة أهل الاثبات على أهل التعطيل انه ليس في السماء إله يعبد ولا
الله بيننا كلام ولا في القبر رسول الله

إنا تحمّلنا الشهادة بالذي قلتُم نؤديها لدى الرحمن
ما عندكم في الأرض قرآن كلا م الله حقاً يا أولي العدوان
كلا ولا فوق السموات العلى رب يطاع بواجب الشكران
كلا ولا في القبر أيضاً عندكم من مرسل والله عند لسان
هاتيك عورات ثلاث قد بدت منكم فغطوها بلا روغان
فالروح عندكم من الأعراض قا ثمة بجسم الحي كالألوان
وكذا صفات الحي قائمة به مشروطة بحياة ذي الجثمان
فاذا انتفت تلك الحياة فينتفي مشروطها بالعقل والبرهان
ورسالة المبعوث مشروط بها كصفاته بالعلم والإيمان
فاذا انتفت تلك الحياة فكل مشروط بها عدم لدى الاذهان

أقول: رأيت في كتاب « القول المفيد في مدح النظر وذم التقليد » لبعض
الشافعية ، ونقلته من خط مصنفه .

قال : قال ابن حزم في كتاب « الملل والنحل » عن الشيخ أبي الحسن
الأشعري : إنه يعتقد إذا حاضت الجارية ، أو بلغ الغلام ونبت شعر عانته
ولم يعرف الله بالدليل والبرهان ، فكل منها كافر حلال الدم .

هذا قوله عنه في هذا الكتاب ، وهذا القول في غاية البشاعة ، وما رأيت هذا في كلام أبي الحسن الأشعري . وقد يكون أبو محمد اطلع على ما لم اطلع أنا عليه ، فانه لا يشك أحد في فضيلته وكثرة علمه ، وانما كان فيه حط على العلماء خصوصاً الأشعري ، فانه ذكر عنه أنه كان يعتقد أن الروح عرض ، وأن الانسان اذا مات لم يبق له وجود ، وسفه ابن حزم هذا الرأي ، وقال : انه يلزم منه خطأ كثير ، وإن سائر الأكارب من الخلق ، من الأنبياء ، والأولياء إذا قال أحد : صلى الله عليهم ، أو رحمهم الله ، كان الكلام فاسداً لا طائل فيه ، لأنهم ليسوا موجودين ، فيكون كل الخلق مجمعين على الباطل ، وهذا الكلام مخالف للكتاب والسنة ، واستشهد على تزييف هذا القول بآيات من الكتاب العزيز ، وأحاديث صحيحة من السنة . وأما آيات الكتاب ، فقوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله) آل عمران : ١٦٩ - ١٧٠ . ولا شك أن أبدانهم موتى مشاهدة بالحس ، فالكلام عن أرواحهم . قال تعالى عن آل فرعون : (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) غافر : ٤٦ . ولا شك أن أجسادهم غرقى موت ، وأكل أكثرهم السمك ، وفنوا ، فهو عن ارواحهم . ومتى قال قائل : إن الموات الجماد أو الفاني يدرك أو يحس ، كان هذا الكلام سفسطة ، ويؤيد ذلك ماورد في السنة الشريفة من قوله **ﷺ** لما وقف على قلب بدر وفيه جثث المشركين « يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة وربيعه ابني شيبة ، يا فلان ، يا فلان ، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعدكم حقاً ؟ » قالوا : يا رسول الله ، أتخاطب الجمادات ؟ قال : « إنهم لأسمع منكم ، ولكن

لا يستطيعون الكلام» (١) وليس ذلك إلا لأرواحهم . وقوله ﷺ في بعض خطبه « حتى إذا حمل الميت على نعشه ، رفرف روحه فوق النعش يقول : يا أهلي ، ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حله ومن غير حله فالمهنة لغيري ، والتبعة علي ، فاحذروا ما حل بي » فهذا قول الروح والجسد ميت فوق النعش ، فلو كانت الروح عرضاً لعدمت عند عدم الجسم ، فان العرض يبطل ببطلان الحامل له وهو الجسم ، فمتى كان يرفرف ويتكلم بذلك الكلام والجسد ميت؟! قال صاحب « القول المفيد » أقول: وبما يشد كلام ابن حزم أنه ﷺ صلى بالأنبياء ليلة الاسراء ، فلا يخلو إما أن يكون صلى بأرواحهم ، أو بأبدانهم ، لاجاز أن يكون بأبدانهم ، فإن الأبدان موتى مدفونين بالأرض ، فبقي أن يكون بأرواحهم . وان كان يقول : إن الله أحياهم على طريق المعجزة للنبي ﷺ وعليهم أجمعين .

فنقول : إما أن يكون استمروا أحياء ، أو عادوا (ماتوا) لا يجوز القول بموتهم ، لقوله تعالى عن أهل السعادة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى)
الدخان : ٥٦ فكيف يمكن أن يموت من وصل بهم أهل السعادة الى مرتبة السعادة ، مرتين ، وغيرهم مرة واحدة؟! هذا فاسد ، ولا يصح استمرارهم أحياء لقوله ﷺ :
« أنا أول من تنشق عنه الأرض » (٢) وقوله عليه السلام : « أنا أول الناس بعثاً يوم القيامة » (٣) فما بقي الا أن يكون صلى بأرواحهم ، والأشعري .

(١) رواه أحمد والشيخان ، والطبراني وغيرهم بألفاظ متقاربة . وهو حديث صحيح .

(٢) رواه الترمذي بهذا اللفظ ، ورواه مسلم بلفظ « أنا أول من ينشق عنه القبر »

(٣) اورده الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» بلفظ « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا » .

وقال : رواه الترمذي ورزم له بالضعف .

لا يقول بالأرواح على ما ذكره عنه ابن حزم ، وأنها عرض ، والعرض يفنى عند فساد الأجسام ، فإن العرض وجوده بوجود الجسم ، فإذا فسد الحامل فسد المحمول . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الجيوش الاسلامية » وهذا القول في النبوة بناء على أصل الجهمية وأفراخهم أن الروح عرض من أعراض البدن ، كالحياسة ، وصفات الحي مشروطة بها ، فإذا زالت بالموت تبعثها صفاته فزالت بزوالها ، ونجا متأخروهم من هذا الالتزام ، وفروا الى القول بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم ، فجعلوا لهم معاداً يختص بهم قبل المعاد الأكبر ، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت ، وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة واستيفاء الحجج لهم ، وبيان ما في ذلك في كتاب « الكافية الشافية » انتهى .

ونقل الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب في « طبقات الحسابلة » ترجمة الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي أنه قال يوماً على المنبر : أهل البدع تقول : ما في السماء أحد ، ولا في المصحف قرآن ، ولا في القبر نبي ، ثلاث عورات لكم . ونقل الحافظ ابن رجب في ترجمة الامام شيخ الاسلام عبد الله ابن محمد الأنصاري الحنبلي عن محمد بن طاهر قال : سمعت أحمد بن أميرجه القلانسي خادم الأنصاري يقول : حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير الطوسي وكان أصحابه كاقوه الخروج اليه ؛ وذلك بعد المحنة ورجوعه من بلخ ، فلما دخل عليه أكرمه وأجله ، وكان في العسكر أئمة من الفريقين في ذلك اليوم وقد علموا أنه يحضر ، فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة

بين يدي الوزير ، فان أجاب بما يجيب به (هراة) سقط من عين الوزير ، وإن لم يجب سقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه ، فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من أصحاب الشافعي ، يعرف بالعلوي الدبوسي ، فقال : يأذن الشيخ الامام أن أسأل مسألة ؟ فقال : سل . فقال : لم تلعن فلاناً ؟ فسكت ، وأطرق الوزير لما علم من جوابه ، فلما كان بعد ساعة قال له الوزير : أجه . فقال : لا أعرف فلاناً ، وانما ألعن من لم يعتقد أن الله عز وجل في السماء وأن القرآن في المصحف ، وان النبي اليوم نبي ، ثم قام وانصرف ، فلم يكن أحداً أن يتكلم بكلمة من هيئته وصلابته وصولته ، فقال الوزير للسائل ومن معه : هذا أردتم ؟ كنانسمع أنه يذكر هذا (هراة) ، فاجتهدتم حتى سمعناه بأذاننا ، وما عسى أن أفعل به ، ثم بعث خلفه خلعة وصلية ، فلم يقبلها ، وخرج من غوره الى هراة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه ياكثره الخلقان
قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الأرض والرجمان
من فوقه أطباق ذاك التراب واللبان --- بنات قد عرضت على الجدران
لو كان حياً في الضريح حياته قبل المات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل من فوقها والله هذي سنة الرحمن

أتراه تحت الأرض حياً ثم لا يفتيمهم بشرائع الإيمان
ويريح أمته من الآراء والسخلف العظيم وسائر البهتان
أم كان حياً عاجزاً عن نطقه وعن الجواب لسائل لهفان
وعن الحراك فما الحياة اللات قد أثبتموها أوضحوها بيان؟

لما ذكر الناظم قول القائلين بأن الروح عرض، والعرض لا يقوم بنفسه،
بل لا يقوم إلا بغيره، كالألوان، أي: كما أن الألوان التي هي الأعراض
كالخمر، والصفرة، والخضرة، ونحوها لا تقوم إلا بجسم، فإذا كانت الروح
عرضاً لا تقوم بغيرها، وفارقت الجسم، بطلت صفات الجسم، والرسالة
حقة الرسول ﷺ، فيزعمهم أن الرسول ﷺ لما مات انتفت صفة الرسالة،
فلما رأوا شناعة هذا اللازم، فروا إلى القول بأن الرسول ﷺ حي في قبره
كحياته على وجه الأرض، وهذا معنى قول الناظم: ولأجل هذا رام ناصر
قولكم ترقيعه الخ. فاحتج الناظم عليهم بأن الرسول ﷺ لو كان حياً في
الضريح كحياته قبل الموات، فأى حاجة إلى دفنه؟ بل يكون فوق الأرض،
وهذه سنة الله في الأحياء، وكيف يكون حياً تحت الأرض كحياته على
وجهها، ثم لا يفتي أصحابه بالشرائع، ولا يريح أمته من الآراء والاختلافات
العظيمة التي حدثت بعده؟! فان كان عاجزاً عن النطق، والجواب، والحركة
فما الحياة التي أثبتموها؟

قوله: الرجبان هو جمع رجم بالتحريك وهو القبر.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

هذا ولم لا جاءه أصحابه يشكون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم شهود عيان

هل جاءكم أثر بأن صحابه سألوه فتياً وهو في الأكون
فأجابهم بجواب حي ناطق فأتوا إذاً بالحق والبرهان
هلا أجابهم جواباً شافياً إن كان حياً ناطقاً بلسان
هذا وما شددت ركائبه عن الحجرات للقاصي من البلدان
مع شدة الحرص العظيم له على إرشادهم بطرائق التبيان
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم ويكون للتبيان ذا كتمان
أي : اذا كان حياً في قبره كحياته على وجه الأرض ، فلم لم يشك
أصحابه إليه بأس الفاجر الفتان ، يشير الى وقعة الحرة لما قاتلهم مسلم بن
عقبة المري ، وقتل من أهل المدينة من شاء الله ، واستباح المدينة المنورة
ثلاثة أيام ، وذلك بأمر الفاجر الفتان يزيد بن معاوية قوله : إذا كان ذلك دأبهم
ونبيهم حي يشاهدهم الخ . . أي : أن هذا دأبهم في حياته ﷺ ، إنهم كانوا
يشكون اليه كما كانوا يشكون اليه إذا نزل بهم القحط ، وغير ذلك .
قوله : هل جاءكم أثر بأن صحابه الخ . . أي : هل جاءكم أثر بان أصحابه
استفتوه بعد موته ﷺ فأجابهم بجواب حي ناطق وهو عندهم ﷺ ، هذا
مع شدة حرصه ﷺ على إرشادهم ، كما نعته الله عز وجل بقوله (لقد جاءكم
رسول من أنفسكم) الآية . التوبة : ١٢٨ فهل يجوز أن يقال بأنه يشاهد
اختلافهم ، ويكتم التبيان ، حاشاه من ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

إن قلمتُ سبق البيان صدقتمُ قد كان بالتكرار ذا إحسان
هذاوكم من أمرٍ اشكل بعده أعني على علماء كل زمان
أوماترى الفاروق ودّاً بأنه قد كان منه العهد ذا تبيان؟

بالجد في ميراثه وكلاثة وبيعض أبواب الربى الفتان
قد قصر الفاروق عند فريقكم إذ لم يسله وهو في الأكفان
أتراهم يُأتون حول ضريحه لسؤال أهمهم أعز حسان
ونبيهم حي يشاهدهم ويسمعهم ولا يأتي لهم بيان
أفكان يعجز أن يجيب بقوله إن كان حياً داخل البنيان؟
يا قومنا استحيوا من العقلاء والسمبعوث بالقرآن والرحمن
والله لا قدر الرسول عرفتم كلا ولا للنفس والانسان
من كان هذا القدر مبلغ علمه فليستتر بالصمت والكتمان
ولقد أبان الله أن رسوله ميت كما قد جاء في القرآن
أفجاء أن الله باعته لنا في القبر قبل قيامة الأبدان؟
أثلاث موات تكون لرسله ولغيرهم من خلقه مواتان؟!
إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ في الأرض حياً قط بالبرهان
أفهل يموت الرسل أم يبقوا إذا مات الورى أم هل لكم قولان؟!
فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيـؤوا بالدليل فنحن ذوا أذهان
أو لم يقل من قبلكم للرافعي السـ أصوات حول القبر بالنكران؟
لا ترفعوا الأصوات حرمة عبده ميتاً كحرمة لدى الحيوان
قد كان يمكنهم يقولوا إنه حي فعضوا الصوت بالإحسان

لكنهم بالله أعلم منكم ورسوله وحقائق الإيمان
ولقد أتوا يوماً إلى العباس يستسقون من قحط وجذب زمان
هذا وبينهم وبين نبيهم عرض الجدار وحجرة النسوان
فنبههم حي ويستسقون غير نبيهم حاشا أولى الإيمان

يقول الناظم : إن قلت : سبق البيان من الرسول ﷺ ، قلنا ، صدقتم ،
لكن يحسن تكرار البيان ، لاسيما لما وقعت تلك الحوادث المهمة والبدع
المدممة ، فيرشدكم ﷺ إلى الصواب ، ويريجهم من تلك الفتن الشديدة
الالتهاب ، ﷺ وكما أشكل بعده من الأمور . وفي « الصحيحين » عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قال : ثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ
عنهن : الجد ، والكلالة ، وأبواب من الربا « فعلى هذا قد قصر الفاروق
رضي الله عنه عنكم ، فلسان حالكم يقول : قصرت يا عمر هلا سألت رسول
الله ﷺ ، إذ هو عندك حي ، فهو يجيبك .

قوله : أترام يأتون حول ضريحه لسؤال أمهم الخ . . أترام بضم التاء
أي : أتظنهم يأتون إلى أمهم عائشة رضي الله عنها يسألونها ونبيهم حي يشاهدكم
ويسمعهم ، ثم لا يسألونه ولا يبين لهم ما أشكل عليهم ؟! هذا محال من أعظم
المحالات ، ولهذا قال : يا قومنا استحيوا من العقلاء ، فانكم لم تعرفوا قدر
الرسول ، ولا قدر النفس ، ومن كان هذا مبلغ علمه فالصمت أستوله ،
والكتمان أولى به .

قوله : ولقد أبان الله أن رسوله الخ . . أي : أن الله سبحانه قال في
القرآن (إنك ميت وإنهم ميتون) الزمر : ٣٠ فإذا صح وثبت أن الرسول
ﷺ قد مات ، فهل جاء عنه أن الله باعته في القبر قبل القيامة ؟! فإذا قلت

بذلك ، فهل يكون للرسول ثلاث موتات وأغيرهم موتتين؟! وذلك أنه عند النفخ في الصور لا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات ، فإذا كانت الرسل أحياء عند النفخ في الصور، فهل يموتون ؛ أم يبقون إذا مات الناس؟ فتكلموا بالعلم لا بالدعوى .

قوله : أعز حصان . بفتح الحاء؛ أي : عفيفة ، ومنه : أحصنت فرجها ، وأحصنت المرأة ، أي : تزوجت ، وتأتي بمعنى العفة ، والحرية ، والاسلام .
قوله : أو لم يقل من قلبكم للرافعي الأصوات حول القبر بالنكرات الى آخر الآيات .

قوله : من قلبكم بفتح القاف . يشير الى ما رواه القاضي عياض في «الشفاء» من رواية : محمد بن حميد ، قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله تعالى أدب قوماً فقال : (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية الحجرات : ٣ ومدح قوماً فقال : (إن الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله) الآية الحجرات : ٣ وذم قوماً فقال : (إن الذي ينادونك الآية الحجرات : ٤ ؛ وان حرمة ميتاً كحرمة حياً ، فاستكان لها أبو جعفر . الى آخر الحكاية .

تنبيه : إنما ذكر الناظم هذه الحكاية في معرض الاحتجاج والالزام ، والا فمحمد بن حميد ضعيف .

وقد أطال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي في «الصارم المنكي» الكلام على هذه الحكاية ، وبين حال محمد بن حميد . . . الى أن قال : فانظر هذه الحكاية ، وضعفها ، وانقطاعها ، ونسكارتها ، وجهالة بعض روايتها ، ومخالفتها لما ثبت عن مالك وغيره من العلماء . انتهى .

قوله : ولقد أتوا يوماً الى العباس يستسقون الخ . . يشير الى مارواه البخارى عن أنس أن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنا اذا وجدنا توسلنا اليك بنبيك فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون . أفترأهم يعتقدون حياة نبيهم ﷺ كحياته على وجه الأرض؟ ويستسقون بغيره؟! حاشاهم من ذلك .

فصل

فما احتجوا على حياة الرسل في القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه حي كما قد جاء في القرآن
والرسل أكمل حالة منه بلا شك وهذا ظاهر التبيان
فلذلك كانوا بالحياة أحق من شهدائنا بالعقل والبرهان
وبأن عقد نكاحه لم يفسخ فساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هذا لم يحل لغيره منهن واحدة مدى الأزمان
أفليس في هذا دليل أنه حي لمن كانت له أذنان
أو لم ير المختار موسى قائماً في قبره لصلاة ذي القربان
أفميت يأتي الصلاة وأن ذا عين المحال وواضح البطلان؟!
أو لم يقل إني أرد على الذي يأتي بتسليم مع الإحسان؟

أُريد ميت السلام على الذي يأتي به هذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم أحياء في الأجداد ذا تبيان
وبأن أعمال العباد عليه تعرض دائماً في جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي قد خص بالفضل العظيم الشأن

معنى هذه الآيات أن القائنين بحياة الرسل في القبور ، احتجوا بأشياء .
منها الشهداء ، فانهم أحياء بنص القرآن . كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩
والرسل أكمل من الشهداء بغير شك ، فهم أحق بالحياة من الشهداء .
واحتجوا أيضاً بأن عقد نكاحه ﷺ لم يفسخ من أزواجه ، وأنهن في عصمته ،
ولهذا لم يحل نكاحهن لغيره . واحتجوا أنه ﷺ رأى موسى أيلة المعراج
يصلي في قبره (١) وبأنه ﷺ يرد السلام على المسلمين عليه ، كما في قوله ﷺ :
« ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » (٢)
واحتجوا أيضاً بالحديث الذي جاء بأنهم أحياء في قبورهم . واحتجوا أيضاً

(١) يشير بذلك الى الحديث الذي رواه مسلم والنسائي عن انس رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتيت لية أسري بي على موسى فأثماً يصلي في قبره
عند الكتيب الأحمر » .

(٢) رواه ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه ، وصححه النووي في « رياض
الصالحين » و « الاذكار » .

بأن أعمال العباد تعرض عليه في يوم الخميس ، ويوم الاثنين^(١) .
ثم شرع الناظم في الجواب عن حججهم فقال :

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذلك حججتنا عليكم وهي ذات بيان
إن الشهيد حياته منصوصة لا بالقياس القائم الأركان
هذا مع النهي المؤكد أننا ندعوه ميتاً ذاك في القرآن
ونسأؤه حل لنا من بعده والمال مقسوم على السهمان

(١) لقد اشتبه على الشارح حديثان في حديث ، فحديث عرض الأعمال على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر يوم الخميس ويوم الاثنين . ونصه « حياتي خير لكم ، تحذون ويحدث لكم فإذا انامت كانت وفاتي خيراً لكم ، تعرض علي أعمالكم ، فان رأيت خيراً حدث الله ، وإن رأيت شراً استغفرت الله لكم » رواه ابن سعد في « الطبقات » عن بكر بن عبد الله المزني مرسلًا ، واوره الحافظ عبد الغني المقدسي في كتاب « فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » عن بكر بن عبد الله المزني مرسلًا من طريقين . ورواه البزار موصولًا ، عن عبد الله بن مسعود . وقال الحافظ الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، فهو حديث ثابت ، وهو مراد الشارح . وحديث عرض الاعمال على الله تعالى الذي فيه ذكر يوم الاثنين ويوم الخميس ، رواه مسلم في « صحيحه » والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه بلفظ « تعرض الاعمال في كل يوم خميس واثنين ، فيمفر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين اخيه شحنة ، فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا » وفي رواية « تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس . . . » الحديث .

هذا وان الأرض تأكل لحمه وسباعها مع أمة الديدان
لكنه مع ذلك حي فارح مستبشر بكرامة الرحمن
فالرسل أولى بالحياة لديه مع موت الجسوم وهذه الأبدان
وهي الطرية في التراب وأكلها فهو الحرام عليه بالبرهان
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا أيضاً وقد وجدوه رأي عيان
فانظر إلى قلب الدليل عليهم حرفاً بحرف ظاهر التبيان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى أن دليل القائلين بحياة الأنبياء في قبورهم، هو حجبتنا عليهم . وهذا قال : فيقال : أصل دليلكم في ذلك هو حجبتنا عليكم ، وهو أن الشهيد ثبت حياته بالنص ، وهو قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء) آل عمران : ١٦٩

قوله : مع النهي المؤكد اننا ندعوه ميتاً . يعني قوله تعالى : (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل بل أحياء ولكن لا تشعرون) البقرة : ١٥٤ فمع ثبوت حياة الشهيد بالنص لا بالقياس ، فمساؤه حل لنا من بعده بالنكاح ، وماله مقسوم بالميراث مع هذه الحياة ، ومع النهي المؤكد عن أن ندعوه ميتاً ، والأرض والسباع والديدان تأكل لحمه ، ولكنه مع ذلك حي فارح مستبشر بكرامة الله ، كما في قوله تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) آل عمران : ١٧٠ فالرسل أولى بالحياة مع موت جسومهم وهي طرية في التراب . وقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، كما في قوله عز وجل : « أكلوا علي من الصلاة يوم الجمعة وليتها ، فان صلاتكم معروضة علي ، قالوا :

كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي : بليت . فقال : إن الله حرم
على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء^(١)
قوله : ولبعض أتباع الرسول يكون ذا . أي : أن بعض أتباع
الرسول يكون كذلك . أي : أن الأرض لاتأكل لحمه ، وقد شوهد ذلك
رأي عيان ، أي : رؤي ذلك بعين المشاهدة ، فانظر كيف قلبنا الدليل
عليهم حراماً بجرف ، وهذا ظاهر بحمد الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكن رسول الله خص نساؤه بخصيصة عن سائر النسوان
خيرن بين رسوله وسواه فاخترن الرسول لصحة الإيمان
شكر الإله لهن ذاك وربنا سبحانه للعبد ذو شكران
قصر الرسول على أوائك رحمة منه بهن وشكر ذي الإحسان
وكذلك أيضاً قصرهن عليه معلوم بلا شك ولا حسابان
زوجاته في هذه الدنيا وفي الأخرى يقيناً واضح البرهان
فلذا حرم على سواه بعده إذ ذاك صون عن فراش ثان
لكن أتين بعدة شرعية فيها الحداد وملزم الأوطان

يشير الناظم الى الجواب عن قولهم : إن نساءه صلى الله عليه وسلم لم ينفخ نكاحهن ،
ويهن حرم على غيره . ووجه ذلك أن الله سبحانه خيرهن بين رسوله ،

(١) رواه أبو داود في «سننه» وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والحاكم

وصححه ، ورواه احمد في «المستد» وهو حديث صحيح

وبين من سواه ، فاخترن الرسول ﷺ ، لصحة إيمانهن ، فشكر الله لهن ذلك ،
وقصر رسوله عليهن بقوله : (لا يحل لك النساء من بعد) الأحزاب : ٥٢
رحمة منه بهن وشكراً لهن . وكذلك أيضاً قصرهن عليه ، وهن زوجاته في
الدنيا والآخرة . ولذلك حرم من علي من سواه بعده ، ولكن مع ذلك لما توفي
ﷺ أتت بعدة شرعية والله أعلم .

قوله :

هذا ورؤيته الكليم مصلياً في قبره أثر عظيم الشأن
في القلب منه حسيكة هل قاله فالحق ما قد قاله البرهان
ولذا كعرض في الصحيح محمد^(١) عنه على عمد بلا نسيان
والدارقطني الإمام أعله براوية معلومة التبيان
أنس يقول رأى الكليم مصلياً في قبره فاعجب لذا الفرقان
فرواه موقوفاً عليه وليس بالمرفوع واشوقاً إلى العرفان
بين السياق إلى السياق تفاوت لا تطرحه فإهما بيان
لكن تقلد مسالماً وسواه ممن صح هذا عنده بيان
فرواته الأثبات أعلام الهدى حفاظ هذا الدين في الأزمان
لكن هذا ليس مختصاً به والله ذو فضل وذو إحسان
فروى ابن حبان الصدوق وغيره خبراً صحيحاً عنده ذا شأن

(١) اي محمد بن اسماعيل البخاري صاحب « الصحيح »

فيه صلاة العصر في قبر الذي قدمات وهو محقق الإيمان
فتمثل الشمس التي قد كان ير عاها لأجل صلاة ذي القربان
عند الغروب يخاف فوت صلاته فيقول للملكين هل تدعان
حتى أصلي العصر قبل فواتها قالوا ستفعل ذلك بعد الآن
هذا مع الموت المحقق لا الذي حكيت لنا بثوته القولان

قوله : هذا ورؤيته الكلم مصلياً الخ . . أي : وأما احتجاجهم برؤيته
صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام يصلي في قبره ، ففيه نظر ، وذلك أن الامام الدارقطني
أعله بأنه روي موقوفاً على أنس ، ولذلك أعرض عنه البخاري فلم يروه في « صحيحه »
وأما مسلم فرواه موقوفاً وتفرد به عن البخاري ، وعلى تقدير رفعه فليس مختصاً
بموسى عليه السلام ، فقد روى ابن حبان وغيره عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« ان الميت اذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه قال :
فان كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن
شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان عند
رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى
عن يمينه فيقول الصيام : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة :
ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة ،
والصلة ، والمعروف ، والاحسان ، ماقبلي مدخل ، فيقول له : اجلس ،
فيجلس وقد مثلت له الشمس وقد دنت للغروب فيقول له : هذا الرجل
الذي كان فيكم ماتقول فيه ؟ وما تشهد به عليه ؟ فيقول : دعوني حتى أصلي ،
فيقولون : إنك ستصلي ، أخبرنا عما نسألك عنه . . . » الحديث . وقد رواه الامام
أحمد في « المسند » (١)

(١) ورواه الطبراني في « الاوسط »

وقوله : هذا مع الموت المحقق الخ . أي : أن هذا المذكور في هذا الحديث محقق الموت ، وقد طلب الصلاة وهي في القبر ، والصلاة في القبر ليست مختصة بموسى عليه السلام .

وقوله : لا الذي حكيت به القولان . أي : أن صلاة موسى عليه السلام في قبره ليلة المعراج قد روي فيها الحديث ، وتقدم أن الدارقطني أعلاه بأنه روي موقوفاً على أنس ، ولهذا لم يروه البخاري في « صحيحه » وأما مسلم فرواه مرفوعاً ، فهذا معنى قول الناظم : لا الذي حكيت به القولان . قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثابت البناني قد دعى الرحمن دعوة صادق الايقان

أن لا يزال مصلياً في قبره إن كان أعطى ذاك من إنسان

أي : أن ثابت البناني رحمه الله قد دعى الله أن يرزقه الصلاة في قبره كما قال ابن سعد في « الطبقات » وابن أبي شيبة في « المصنف » والإمام أحمد في الزهد معاً ، أخبرنا عفان بن مسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني قال : اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره ، فأعطني الصلاة في قبري . وروى أبو نعيم عن يوسف بن عطية قال : سمعت ثابتاً يقول لحמיד الطويل : هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء ؟ قال : لا . قال ثابت : اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لثابت أن يصلي في قبره . وروي أيضاً عن جبير قال : أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البناني حده ، ومعى حميد الطويل ، فلما سويتنا عليه اللبن سقطت لبنة ، فحاذأ أنا به يصلي في قبره ، وكان يقول في دعائه : اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها ، فحاذأنا الله ليرود دعاءه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكن رؤيته لموسى ليلة المعراج فوق جميع ذي الأركان
يرويه أصحاب الصحاح جميعهم والقطع موجه بلا نكران
ولذلك ظن معارضاً لصلاته في قبره إذ ليس يجتمعان
وأجيب عنه بأنه أسري به ليراه ثم مشاهداً بعيان
فراه ثم وفي الضريح وليس ذا بتناقض إذ أمكن الوقتان

أي : أن رؤيته موسى عليه السلام ليلة المعراج في السماء يرويه أصحاب
الصحاح جميعهم ، وهو مقطوع بصحته ، ولذلك ظن معارضاً لصلاته في
قبره ، ولكن أجيب عنه كما قال الناظم بأنه أسري به بإذن الله ليراه هناك ،
ورآه أيضاً في الضريح ، وهذا ليس بتناقض ، لأن ذلك ممكن . أي : أن
رؤيته في السماء وفي القبر ممكنة ، والله أعلم . وقد قال الناظم في كتاب
« الروح » وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى موسى قائماً يصلي في
قبره ليلة الإسراء ، ورآه في السماء السادسة أو السابعة ، فالروح كانت هناك ولها
اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه ، وتعلق به بحيث يصلي في قبره ، ويرد سلام
من يسلم عليه ، وهي في الرفيق الأعلى ، ولا تنافي بين الأمرين ، فإن شأن
الأرواح غير شأن الأبدان ، وهذا جمع حسن ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا ورد نينا للسلام من يأتي بتسليم مع الاحسان
ماذاك مختصاً به أيضاً كما قد قاله المبعوث بالقرآن

من زار قبر أخ له فأتى بتسليم عليه وهو ذو إيمان
رد الإله عليه حقاروحه حتى يرد عليه رد بيان

يشير إلى ما رواه أبو داود باسناد حسن عن أبي هريرة أن رسول الله
ﷺ قال : « ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أورد عليه
السلام »^(١) ويجاب عنه بأن ذلك ليس خاصاً به ﷺ . فقد روى أبو عمر
ابن عبد البر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ « ما من
رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام » .

تنبيهه : اعلم أن القائلين بحياة الأنبياء في القبور أشكل عليهم قوله ﷺ
« الا رد الله علي روحي » وأجابوا عند مجوابين : أحدهما : ذكره الحافظ أبو بكر
البيهقي أن المعنى : إلا وقد رد الله علي روحي ، يعني أن النبي ﷺ بعد ما
مات ودفن رد الله عليه روحه لأجل سلام من يسلم عليه ، واستمرت في
جسده ﷺ .

الجواب الثاني : أنه يحتمل أن يكون رداً معنوياً ،
وأن تكون روحه الشريفة مشغلة بشهود الحضرة الالهية والملائ
الأعلى عن هذا العالم ، فاذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم
لتدرك سلام من يسلم عليه وترد عليه .

والجواب أن في كل واحد من الجوابين نظر ، أما الأول وهو الذي
ذكره البيهقي في الجزء الذي جمعه في حياة الأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم ،
فمضمونه رد روحه ﷺ بعد موته الى جسده ، واستمرارها فيه قبل سلام
من يسلم عليه ، وليس هذا المعنى المذكوراً في الحديث ، ولا هو ظاهره ،
بل هو مخالف لظاهره ، فإن قوله : « الا رد الله علي روحي » بعد قوله :

(١) قال الامام النووي في « رياض الصالحين » : رواه ابو داود باسناد صحيح .

« ما من أحد يسلم علي » يقتضي رد الروح بعد السلام؛ ولا يقتضي استمرارها في الجسد . وليعلم أن رد الروح في البدن وعودها الى الجسد بعد الموت لا يقتضي استمرارها فيه ، ولا يستلزم حياة أخرى قبل يوم النشور ، نظير الحياة المعهودة ، بل إعادة الروح الى الجسد في البرزخ إعادة برزخية لا تزيل عن الميت اسم الموت ، وقد ثبت في حديث البراء بن عازب الطويل المشهور في عذاب القبر ونعيمه^(١) ، وفي بيان الميت وحاله ، أن روحه تعاد الى جسده مع العلم بأنها غير مستمرة فيه ، وأن هذه الاعادة ليست مستلزمة لإثبات حياة مزيلة لاسم الميت ، بل هي نوع حياة برزخية ، والحياة جنس تحتها أنواع ، وكذلك الموت ، فإثبات بعض أنواع الموت لا ينافي الحياة ، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان إذا استيقظ من النوم قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور »^(٢) وتعلق الروح بالبدن واتصالها به يتنوع أنواعاً :

أحدها : تعلقها به في هذا العالم يقظة ومناماً .

الثاني : تعلقها به في البرزخ ، والأموات متفاوتون في ذلك ، فالذي للرسول والأنبياء أكمل مما للشهداء ، ولهذا لا تبلى أجسادهم ، والذي للشهداء أكمل مما لغيرهم من المؤمنين الذين ليسوا بشهداء . والثالث : تعلقها به يوم البعث والنشور في اليوم الآخر . ورد الروح الى البدن في البرزخ ، لا يستلزم الحياة المعهودة ، ومن زعم استلزامه لها لزمه ارتكاب أمور باطلة مخالفة

(١) رواه احمد ، وابوداود .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » عن حذيفة وابي ذر ، ومسلم عن ابي البراء ، واصحاب السنن عن حذيفة ولفظ الترمذي « الحمد لله الذي أحيانا نفسي بعدما أماتها واليه النشور » وقال حديث حسن صحيح .

لنفس ، والشرع ، والعقل . وهذا المعنى المذكور في حديث ابي هريرة من رده ﷺ السلام على من يسلم عليه (١) قد ورد نحوه في الرجل يمر بقبر أخيه كما تقدم ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وحديث ذكر حياتهم بقبورهم لما يصح وظاهر النكران
فانظر الى الاسناد تعرف حاله ان كنت ذا علم بهذا الشأن

أما حديث حياة الأنبياء في قبورهم ، وهو ما رواه أبو يعلى ، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه ، انه ﷺ قال : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » . وقد أجاب الناظم عنه بأنه غير صحيح ، ولكن على تقدير صحته ، فلا شك أنه لا يراد بهذه الحياة الحقيقة ، ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها ، من أعمال ، وتكليف ، وعبادة . ونطق ، وغير ذلك ، وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها ، وبحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الحقيقية الى تلك الحياة البرزخية ، وهذا معنى قول الناظم :

هذا ونحن نقول هم أحياء لكن عندنا كحياة ذي الأبدان
والتراب تحتمهم وفوق رؤوسهم وعن الشمايل ثم عن أيمن
مثل الذي قد قلموه معاذنا بالله من إفك ومن بهتان
بل عند ربهم تعالى مثلما قد قال في الشهداء في القرآن
لكن حياتهم أجلّ وحالهم أعلى وأكمل عند ذي الاحسان

(١) هو حديث ابي داود عن ابي هريرة « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » .

قوله : لكن عندنا كحياة ذي الأبدان ، هذا موصوف صفة ؛ أي :
مثل الذي قد قلتموه . : لانقول بذلك ، معاذ الله من ذلك ؛ أي : لانقول
كما قلتم : إن حياتهم عندنا كحياتهم على وجه الأرض . نعوذ بالله من إفك
ومن بهتان ، بل هم أحياء عند الله كما قال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ لكن
حياة أجل وأعلى من حياة الشهداء ، والله اعلم .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وأما عرض أعمال العبا د عليه فهو الحق ذو إمكان
وأتى به أثر فان صح الحديث به فحق ليس ذا نكران
لكن هذا ليس مختصاً به أيضاً بأثار روين حسان
فعلى أي الانسان يعرض سعيه وعلى أقاربه مع الإخوان
إن كان سعيّاً صالحاً فرحوا به واستبشروا بالذة الفرحان
أو كان سعيّاً سيئاً حزنوا وقا لو ارب راجعه إلى الاحسان
ولذا استعاذ من الصحابة من روى هذا الحديث عقيب بلسان
يارب إني عائد من خزية أخزى بها عند القريب الداني
ذاك الشهيد المرتضى ابن روضة المحبوب بالغفران والرضوان
لكن هذا ذو اختصاص والذي للمصطفى ما يعمل الثقلان

يريد ما رواه ابن حبان وغيره ، من حديث أوس رضي الله عنه مرفوعاً
« أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه

الصعقة، فأكثرُوا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي » قالوا :
وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (اي بليت) فقال عليه الصلاة
والسلام : « ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » (١) وقد
أجاب عنه الناظم بأن هذا ليس من خصائصه ﷺ كما روى أحمد ، وابن
مندة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم
وعشائركم من الأموات ، فان كان خيراً استبشروا ، وان كان غير ذلك
قالوا : اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك » وروى الحكيم الترمذي ،
وابن ابي الدنيا في كتاب المنامات ، والبيهقي في « شعب الايمان » عن
النعمان بن بشير ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اتقوا الله في إخوانكم
من أهل القبور ، فان أعمالكم تعرض عليهم » وروى ابن ابي الدنيا ،
والاصهباني في « الترغيب » عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
لا تقضحوا موقاكم بسيئات أعمالكم ، فانها تعرض على أوليائكم من أهل
القبور ،

قوله : ولذا استعاذ من الصحابة من روى الخ روى ابن المبارك ،
والاصهباني ، عن ابي الدرداء . قال : إن أعمالكم تعرض على موتاكم ، فيسرون
ويسأون ، ويقول : اللهم اني أعوذ بك أن أعمل عملاً تخزي به عبد الله
ابن رواحة ، ولكن يجاب عن ذلك أيضاً بأنه مع ذلك لا يجوز ان يطلب
منهم شيء ، ولا يسألون شيئاً بعد وفاتهم ، سواء كان بلفظ استغاثة ، أو

(١) ورواه ابو داود رقم (١٠٤٧) وسنده صحيح ، ورواه النسائي وابن

توجه ، أو استشفاع ، أو غير ذلك ، فجميع ذلك من وظائف الألوهية ، فلا يليق جعله لمن يتصف بالعبودية ، ولا ملازمة بين مسألة الحياة ، وبين مسألة الاستغاثة . وما يقطع به أن أحداً في زمانه ﷺ أو من بعده في القرون الثلاثة المشهود لأهلها بالإنجاة والصدق - وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب - ما استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على إزالتها إلا الله سبحانه ، بل كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الأمور ، ولم يعبدوا إلا إياه . ولقد جرت عليهم أمور مهمة ، وشدائد مدلّمة في حياته ﷺ وبعد وفاته ، فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، أو قالوا : إنا مستغيثون بك يا رسول الله ، أم بلغك أنهم لاذوا بقبره الشريف وهو سيد القبور حين ضاقت منهم الصدور ، كلا لا يمكن لهم ذلك ، بل الأمر بعكس ما هنالك ، فلقد أثنى الله عليهم ورضي عنهم فقال عز من قائل (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الأنفال : ٩ . مبيناً سبحانه أن هذه الاستغاثة هي أخص الدعاء وأجل أحوال الالتجاء ، ففي استغاثة المظطرين بغيره تعالى عند كربته تعطيل لتوحيد معاملته الخاصة به .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذي نهايات لأقدام الورى	في ذا المقام الضنك صعب الشان
والحق فيه ليس تحمله عقو	ل بني الزمان لغلظة الأذهان
ولجلهم بالروح مع أحكامها	وصفاتها للالف بالأبدان
فأرض الذي رضي الاله لهم به	أتريد تنقض حكمة الديان

هل في عقولهم بأن الروح في أعلى الرفيق مقيمة بجنان
وترد أوقات السلام عليه من أتباعه في سائر الأزمان
وكذلك إن زرت القبور مسلماً ردت لهم أرواحهم للآن
فهمُ يردون السلام عليك لـكن لست تسمعه بذى الأذنان
هذا وأجواف الطيور الخضر مسكنها لدى الجنات والرضوان
من ليس يحمل عقله هذا فلا تظلمه واعذره على النكران
للروح شأن غير ذى الأجسام لا تهمله شأن الروح أعجب شأن
وهو الذي حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفرد في الأزمان
هذا وأمر فوق ذالو قلته بادرت بالانكار والعدوان
فلذلك أمسكت العنان ولو أرى ذاك الرفيق جريت في الميدان

قال الناظم في كتاب « الروح » له مانعه : واما السلام على أهل
القبور وخطابهم ، فلا يدل على أن ارواحهم ليست في الجنة ، وأنها على
أفنية القبور ، فهذا سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام الذي روحه في أعلى
عليين مع الرفيق الأعلى يسلم عليه عند قبره ، ويرد سلام المسلم عليه ، وقد
وافق أبو عمر رحمه الله تعالى على أن أرواح الشهداء في الجنة ، ويسلم عليهم
عند قبورهم ، كما يسلم على غيرهم ، كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسلم
عليهم ، و كما كان الصحابة يسلمون على شهداء أحد ، وقد ثبت أن أرواحهم
في الجنة تمرح حيث شاءت ، كما تقدم ، ولا يضيق عطئك عن كون الروح

في الملائ الأعلی تسرح في الجنة حيث شاءت ، وتسمع سلام المسلم عليها عند قبرها
وتدنو حتى ترد عليه السلام ، وللروح شأن آخر غير شأن البدن ، وهذا
جبريل صلوات الله وسلامه عليه ، وآه النبي صلى الله عليه وسلم له ستائة جناح
منها جناحان قد سد بها ما بين المشرق والمغرب ، وكان يدنو من النبي
صلى الله عليه وسلم يضع ركبتيه ويديه على فخذه ، وما أظنك يتسع بطانك أنه
كان حينئذ في الملائ الأعلی فوق السموات حيث هو مستقره . وقد دنا من
النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدنو ، فإن التصديق بهذا له قلوب خلقت له ،
وأهلت لمعرفته ، ومن لم يتسع بطانه لهذا فهو أضيّق أن يتسع الايمان بالتنزل
الإلهي الى سماء الدنيا كل ليلة ، وهو فوق سمواته على عرشه ، لا يكون
فوقه شيء البتة ، بل هو العالِي على كل شيء ، وعلوه من لوازم ذاته ،
وكذلك دنوه عشية عرفة من اهل الموقف ، وكذلك بجيئه يوم القيامة
مخاسبة خلقه ، وإشراق الأرض بنوره ، وكذلك بجيئه الى الأرض حين
دحاها وسواها ومدّها وبسطها وهيأها لما يراد منها ، وكذلك بجيئه
إليها قبل يوم القيامة حين يقبض من عليها ولا يبقى أحد ، كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم « فأصبح ربك يطوف في الأرض » وقد خلت عنه البلاد ، هذا
وهو فوق سمواته على عرشه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وقولي إنها مخلوقة وحدوثها المعلوم بالبرهان
هذا وقولي إنها ليست كما قد قال أهل الافك والبهتان
لداخل فينا ولاهي خارج عنا كما قالوه في الديان
وا لله لا الرحمن أثبتم ولا أرواحكم يامدعي العرفان

عظمت الأبدان من أرواحها والعرش عظمت من الرحمن

قوله : هذا وقولي إنها مخلوقة الخ . هذه المسألة ذكرها الناظم في كتاب « الروح » وحاصل كلامه أنه قال : أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أن روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة ، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، كما يعم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث ، وأن معاد الأبدان واقع ، وأن الله تعالى وحده الخالق ، وكل ما سواه له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهم القرون المفضلة ، وهم على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها ، وأنها مخلوقة ، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة ، فزعم أنها قديمة غير مخلوقة ، واحتج لذلك أنها من أمر الله ، وأمر الله غير مخلوق ، وبأن الله أضافها إليه ، كما أضاف إليه علمه ، وكتابه ، وقدرته ، وسمعه ، وبصره ، ويده . وتوقف آخرون فقالوا : لانقول : مخلوقة ، ولما غير مخلوقة ، وقد سئل عن ذلك حافظ أصحابان أبو عبد الله بن منده فقال : أما بعد فإن سائلا سأل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام أنفس الخلق وأبدانهم ، وذكر أن أقواماً تكلموا في الروح ، وزعموا أنها غير مخلوقة ، وخص بعضهم منها أرواح القدس ، وأنها من ذات الله . قال : وأنا أذكر أقاويل متقدميهم ، وأبين ما يخالف أقاويلهم من الكتاب والأثر ، وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم ، وأوضح خطأ المتكلم في الروح بغير علم ، وأن كلامهم يوافق قول جهم بن صفوان وأصحابه ، فذكر أن الناس اختلفوا في معرفة الأرواح ومحلها من النفس . فقال بعضهم : الأرواح كلها مخلوقة . قال : وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر ، واحتجت بقول النبي ﷺ « الأرواح جنود مجنودة ، فما تعارف منها ائتلف » رواد الامام أحمد ، ومسلم

وأبو داود ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه البخاري من حديث سلمان الفارسي ، وعبد الله بن عباس ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عتبة رضي الله عنهم . والجنود المجنّدة لا تكون إلا مخلوقة وقال بعضهم : الأرواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجّت بقول الله تعالى (قل الروح من أمر ربي) الأسراء : ٨٥

وقال بعضهم : الأرواح نور من نور الله تعالى ، وحياء من حياته ، واحتجوا بقول النبي ﷺ « إن الله خلق خلقه من ظلمة ، ثم القي عليهم من نوره » وتام الحديث : « فمن أصابه من ذلك النور يومئذاهتدى ، ومن أخطأه ضل » رواه الامام أحمد ، والحاكم ، والترمذي ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه . وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه : تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ماتأولته النصارى في روح عيسى ، وماتأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله تعالى ، وتقدست أسماءه ، فصار في المؤمن ، فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعاً ، لأن عيسى عندهم روح من الله فصار في مريم ، فهو غير مخلوق عندهم . وقال صنف من الزنادقة ، وصنف من الروافض : إن روح آدم عليه السلام مثل ذلك إنه غير مخلوق ، وتأولوا قوله : (ونفخت فيه من روحي) الحجر : ٢٩ وقوله : (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) السجدة : ٩٠ فزعموا أن روح ابن آدم ليس بمخلوق ، كما تأول من قال : إن النور من الرب غير مخلوق ، قالوا : ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ، ثم هو في آكل نبي ووصي ، الى أن صار في علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، ثم في ابنية الحسن ، والحسين ، رضي الله عنهما ، ثم في كل وصي وإمام فيه يعلم الامام كل شيء ، ولا يحتاج أن يتعلم من أحد .

قال : ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح في آدم وبنيه ، وعيسى ومن سواه من بني آدم ، كلها مخلوقة ، الله خلقها وأنشأها وكونها ، وأخبر عنها ، ثم أضافها إلى نفسه ، كما أضاف إليه سائر خلقه . قال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) الجاثية : ١٣

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر أهل السنة . وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين ، مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف ، وكذلك أبو محمد ابن قتيبة .

قال الناظم في كتاب « الروح » قد تكلم في هذه المسألة طوائف من اكبر العلماء والمشايخ ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة ، وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتاباً كبيراً ، وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره ، والشيخ أبو سعيد الخراز ، وأبو يعقوب النهرجوري ، والقاضي أبو يعلى . وقد نص على ذلك الأئمة الكبار ، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليه السلام ، فكيف بروح غيره كما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه ، فيما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية . انتهى .

قوله : هذا وقولي إنها ليست كما قد قال أهل الافك والبهتان النخ
قال الناظم في كتاب « الروح » في المسألة التاسعة عشرة : لما سئل عن حقيقة الروح ، وهل هي النفس أو غيرها ؟ وذكر مذاهب الناس في ذلك . قال : وقالت طائفة ليست النفس جسماً ولا عرضاً ، وايست في مكان .

ولا لها طول ، ولا عرض ، ولا عمق ، ولا لون ، ولا بعض ، ولا هي في العالم ، ولا خارج العالم ، ولا مجانبة له ، ولا مباينة . وهذا قول المشائين ، وهو الذي حكاه الأشعري عن أرسطاطاليس ، وزعموا أن تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ، ولا بالمجاورة ، ولا بالمساكنة ، ولا بالاتصال ، ولا بالمقابلة ، وإنما هو التدبير فقط ، واختار هذا المذهب البوشنجي ، ومحمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، والغزالي ، وهو قول ابن سينا وأتباعه ، وهو أردأ المذاهب وأبطلها ، وأبعدها من الصواب ، ثم ذكر على ابطال هذا المذهب نحو مائة وستة عشر دليلاً ، ثم اجاب عن أدلة المنازعين بما ليس هذا موضع ذكره ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معقل الاسلام وحصونه
جيلا بعد جيل .

لا يفزعك قواقع وفراقع وجماعع عريت عن البرهان
ما عندهم شيء يهولك غير ذا ك المنجنيق مقطع الاركان
وهو الذي يدعونه التركيب منـصوبا على الاثبات منذ زمان
أرأيت هذا المنجنيق فانهم نصبوه تحت معقل الايمان
بلغت حجارته الحصون فهدت الشرقات واستوات على الجدران

الله كم حصن عليه استولت الكفار من ذا المنجنيق الجاني
والله ما نصبوه حتى عبروا قصداً على الحصن العظيم الشان
ومن البلية أن قوماً بين أهـل الحصن واطوهم على العدوان
ورموا به معهم وكان مصاب أهـل الحصن منهم فوق ذي الكفران
فتركبت من كفرهم ووافق من في الحصن أنواع من الطغيان
وجرت على الاسلام أعظم محنة من ذين تقديراً من الرحمن
والله لولا أن تدارك دينه الـرحمن كان كسائر الأديان
لكن أقام له الاله بفضلته يزكاً من الأنصار والأعوان
فرموا على ذا المنجنيق صواعقاً وحجارة هدته للأركان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الجواب عن شبهتهم العظمى التي بها يصولون
وعمدتهم الكبرى التي بها يهلون ، وهي حجة التركيب . قوله : لا يفزع عنك
فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الخفيفة .

قوله : المنجنيق . (آلة ترمى بها الحجارة ، كالمجنوق معربة ، جمع
منجنوقات ، ومجانق ومجانق ، وقد جنقوا يجنقون ، وجنقوا تجنقاً)
قوله : معاقل الاسلام (جمع معقل ، وهو الحصن والملاجئ ، أي
حصون الاسلام)

فاسألهم ماذا الذي يعنون بالـتركيب فالتركيب ست معان
إحدى معانيه هو التركيب من متباين كتركب الحيوان
من هذه الأعضا كذا أعضاؤه قد ركبت من أربع الأركان

أفلازم ذا للصفات لربنا وعلوه من فوق كل مكان
ولعل جاهلكم يقول مباهاةً ذا لازم الاثبات بالبرهان.
فالبهت عندكم رخيص سعره حشواً بلا كيل ولا ميزان
هذا هو المعنى الأول من معاني التركيب ، فان الناظم ذكر أن
للتركيب ست معان ، وهذا التركيب كما قال الناظم كتركيب الحيوان من هذه
الأعضاء ، وكذلك تركب الأعضاء من الأركان الأربعة ، وهي الماء والهواء
والتراب ، والنار . والرب تعالى موصوف بصفاته العلى ، ولا يلزم
هذا التركيب .

وقوله : أفلازم ذا للصفات لربنا ؟ . وهذا استفهام انكار ؛ أي :
ليس بلازم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثانيها فتركيب الجوار ر وذاك بين اثنين يفترقان
كالجسر والباب الذي تركيبه بجواره لمخلة من باب
والأول المدعو تركيب امتزاج ج واختلاط وهو ذو تبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته أيضاً تعالى الله ذو السلطان ؟

هذا هو المعنى الثاني من معاني التركيب ، وهو تركيب الجوار ،
كتركيب الباب على الجسر ، والأول يسمى تركيب امتزاج
قال الناظم رحمه الله تعالى :

والثالث التركيب من متماثل يدعى الجواهر فردة الأركان

هذا هو المعنى الثالث من معاني التركيب ، وهو التركيب من الجواهر المنفردة ، ووثبات ذلك هو قول بعض المتكلمين ، وإنكار ذلك هو قول ابن كلاب وأتباعه ، وهو قول الهشامية ، والنجارية والضرارية ، وبعض الكرامية . وستأتي الإشارة الى بطلانه من كلام الناظم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والرابع الجسم المركب من هيو لاه وصورته لذي اليونان
فالجسم فهو مركب من زين عند الفيلسوف وذاك ذو بطلان
ومن الجواهر عند أرباب الكلام م وذاك ايضاً واضح البطلان
هذا هو المعنى الرابع من معاني التركيب وهو التركيب من الهيو لى
والصورة عند الفلاسفة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فالمثبتون الجوهر الفرد الذي زعموه أصل الدين والايان
قالوا بأن الجسم منه مركب ولهم خلاف وهو ذو ألوان
هل يمكن التركيب من جزئين أو من أربع أو ستة وثمان
أوست عشرة قد حكاه الأشعريّ لذي مقالات على التبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته وعلّوه سبحان ذي السبحان ؟
والحق أن الجسم ليس مركباً من ذا ولا هذا هما عدمان
والجوهر الفرد الذي قد أثبتوه ه ليس ذا أبداً وذا إمكان
لو كان ذلك ثابتاً لزم المحال ل لواضح البطلان والبهتان

من أوجه شتى ويعسر نظمها جداً لأجل صعوبة الأوزان
أتكون خردلة تساوي الطود في الأجزاء في شيء من الأذهان
إذ كان كل منها أجزاءه لا تنتهي بالعد والحسبان
وإذا وضعت الجوهرين وثالثاً في الوسط وهو الحاجز الوسطان
فلأجله افترقا فلا يتلاقيا حتى يزول إذا فيلتقيان
ما مسه إحداهما منه هو الممسوس للثاني بلا فرقان
هذا محال أو تقولوا غيره فهو انقسام واضح التبيان
شرع الناظم رحمه الله تعالى في إبطال القول بالجواهر الفرد ، مع أن
القائلين به من المتكلمين يزعمون أن اثباته هو أصل الدين والإيمان .

قال أبو المعالي الجويني رحمه الله تعالى وغيره : اتفق المسلمون على أن
الأجسام تنتهي في تجزئها وانقسامها حتى تصير أفراداً ، ومع هذا فقد
شك هو فيه ، وكذلك شك فيه أبو الحسن البصري ، وأبو عبد الله الرازي .
قال شيخ الإسلام : ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين ،
ولا من الصحابة ، ولا التابعين فهم باحسان ، ولا أحد من أئمة العلم المشهورين
بين المسلمين . وأول من قال ذلك في الإسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة .
وهذا من الكلام الذي ذمه السلف وعابوه ، ولكن حاكي هذا الاجماع ،
لما لم يعرف أصول الدين إلا ما في كتب الكلام ، ولم يجد إلا من يقول .
بذلك ، اعتقد هذا إجماع المسلمين . والقول بالجواهر الفرد باطل ، والقول
بالمهولى والصورة باطل . انتهى كلامه .

قوله : هل يمكن التركيب من جزئين الخ . أي : أن القائلين بالجواهر

الفرد اختلفوا ، هل يمكن تركيب الجسم من جزئين ، أو أربعة ، أو ستة ، أو ثمانية ، أو ستة عشر ، على خلاف بينهم ، حكاه الأشعري في المقالات .
وفي « العقل والنقل » لشيخ الاسلام : من يثبت الجوهر الفرد ويقول بتماثل الاجسام ، وأن ما يحدثه الله تعالى من الحوادث ، إنما هو تحويل الجواهر التي هي اجسام من صفة إلى صفة مع بقاء أعيانها ، وينكرون الاستحالة ، وجمهور العقلاء وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم ، وأن الله تعالى يحدث الأعيان ويبدعها ، وإن كان يحيل الجسم الأول الى جرم آخر ، فلا يقولون : إن جرم النطفة باق في بدن الانسان ، ولا جرم النواة باق في النخلة انتهى كلامه .

وقول الناظم : أتكون خردلة تساوي الطود الخ .. أي : أتكون الخردلة التي في غاية الصغر والحقارة تساوي الجبل العظيم ، يجامع أن أجزاء كل منها لا تنتهي بالحد والحسبان ، هذا في غاية الاحالة . ثم ذكر الناظم دليلاً آخر على بطلان هذا المذهب ، فقال : واذا وضعت الجوهريين وثالثاً الخ .. أي : اذا فرضنا جزءاً بين جزئين ، فاما أن يكون الوسط حاجباً للطرفين عن التماس ، أو لا ، فعلى الأول يكون للوسط طرفان ، بأحدهما يماس أحد الجزئين ، وبالأخر يماس الآخر ، فلا محالة يكون بين جهتيه امتداد قابل للقسمة ولو وهماً ، وكذا يكون للجزئين الطرفين جتھان ، بأحدهما يماس كل من ذينك الجزئين الوسط ، وبالأخر يكون فارغاً من لقائه ، فيكونان منقسمين ، وعلى الثاني ، فاما أن يكون الوسط متداخلاً في أحد الطرفين ، أو في كليهما ، فلا يحصل منها حجم ، فلا يتألف منها جسم ، أو لا يكون بين تلك الأجزاء ترتيب ، فلا يتصور منها تركيب ، وللقائلين بإبطال الجوهر الفرد دلة أخرى على بطلانه ، تر كناها اختصاراً ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والخامس التركيب من ذات مع الأوصاف هذا باصطلاح ثان
سموه تركيباً وذلك وضعهم ما ذاك في عرف ولاقرآن
لسنا نقر بلفظة موضوعه بالاصطلاح لشيعه اليونان
أو من تلقى عنهم من فرقة جهمية ليست بذى عرفان
من وصفه سبحانه بصفاته العليا ويترك مقتضى القرآن
والعقل والفطرات أيضاً كلها قبل الفساد ومقتضى البرهان
سموه ما شئتم فليس الشأن في الأسماء بالألقاب ذات الشأن
هل من دليل يقتضي إبطال ذا التركيب من عقل ومن فرقان
والله لو نشرت شيو حكمهم لما قدروا عليه لو أتى الثقلان
هذا هو القسم الخامس من أقسام التركيب عندهم ، وهو التركيب من
ذات وصفات ، وهذا على اصطلاح اليونان ومن وافقهم من الجهمية ، وهو
من أظهر الأمور بطلاناً ، وسيأتي إبطاله في كلام الناظم وقول الناظم : لسنا نقر
بلفظة موضوعه الخ .. كذا في جميع ما رأينا من النسخ (نقر) بالقاف من الإقرار ،
وصواب اللفظة (نقر) بالفاء أي : ليس نقر بسبب هذا الاصطلاح الذي
اصطلحتموه ، من وصفه سبحانه بصفاته العليا ، والجار والمجروو وهو قوله :
من وصفه ، متعلق بـ (نقر) والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والسادس التركيب من ماهية ووجودها ما هاهنا شيان

الا اذا اختلف اعتبارهما فذا في الذهن والثاني ففي الاعيان
فهناك يعقل كون ذا غير لذا فعلى اعتبارهما هما غيران
أما اذا اتحدا اعتباراً كان نفس وجودهما هو ذاتها لاثان
من قال شيئاً غير ذا كان الذي قد قاله ضرب من الفعلان
هذا وكم خبط هنا قد زال بالتفصيل وهو الاصل في العرفان
هذا هو القسم السادس من اقسام التركيب ، وهو التركيب من الوجود
والماهية ، وحاصل كلام الناظم هنا أن الوجود والماهية اذا اختلف اعتبارهما
فأخذ أحدهما ذهنياً ، والآخر خارجياً ، فالوجود غير الماهية ، وإن أخذنا
ذهنين ، فالوجود هو الماهية ، وكذا إن أخذنا خارجيين ، فالوجود هو الماهية .
قوله : من الفعلان . هو بضم الفاء وإسكان العين ، يعني كلمة في وزن
الفعلان ، كالبهتان ، والبطلان ، ونحوهما ، وهذا كما في قول المتنبي في رثاء
أخت سيف الدولة ابن حمدان ، واسمها خولة

كأن فعلة لم تملأ مواككها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب
وذلك أن المتنبي لم يصرح باسمها استعظماً لكونها ملكة ، بل كنى عن
اسمها بفعلة ، فلفظ (فعلة) حكمها حكم موزونها ، تمتنع من الصرف للعلمية
والتأنيث ، فكذا فعلة تمتنع . قال ابن جني : كنى بفعلة عن اسمها ،
واسمها خولة

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وابن الخطيب وحزبه من بعده لم يهتدوا لمواقع الفرقان
بل خبطوا نقلاً وبجثاً أوجبا شكاً لكل ملدد حيران

هل ذات رب العالمين وجوده أم غيره فهما إذا شيئات
فيكون تركيباً محالاً ذاك إن قلنا به فيصير ذا إمكان
وإذا نفينا ذلك صار وجوده كالمطلق الموجود في الأذهان
وحكوا أقاويلاً ثلاثاً ذنك الـ أعلى وبين وجود ذي الإمكان
وسطوا عليها كلها بالنقض والـ إبطال والتشكيك للإنسان

قوله : ابن الخطيب : يعني الفخر الرازي ، وهو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن
ابن علي ، العلامة سلطان المتكلمين ، صاحب التصانيف أبو عبد الله القرشي ،
الباكري ، التميمي ، الطبرستاني الأصل ، ثم الرازي ، ابن خطيبها المفسر ،
امام وقته في العلوم العقلية ، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى : الفخر ابن الخطيب صاحب التصانيف ،
رأس في الذكاء ، والعقليات ، ولكنه عري من الآثار ، وله تشكيكات
على مسائل من أصول الدين تورث حيرة . وقال الحافظ ابن حجر في
« لسان الميزان » مثل ما ذكرنا عن الذهبي في شأنه ، وزاد أنه كان يقول
مع تجرعه في الأصول : من التزم دين العجائز فهو الفائز ، وكان يعاب
أيراد الشبه الشديدة ، ويقصر في حلها ، حتى قال بعض المغاربة : يورد
الشبهة نقداً ، ويحاجها نسيئة ، وقد ذكره ابن دحية ، فمدح وذم ، وذكره
ابو شامة ، فحكى عنه أشياء رديئة ، وذكر النجم الطوفي في « الأكسير
في علم التفسير » ما ملخصه : ما رأيت في التفاسير أجمع لغالب علم التفسير من
القرطبي ، ومن تفسير الامام فخر الدين ، إلا أنه كثير العيوب ، فحدثني
شرف الدين النصيبي عن شيخه سراج الدين السرمساجي المغربي ، أنه صنف
كتاب « المأخذ » في مجلدين ، بين فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج .

وكان ينقم عليه كثيراً . ويقول : يورد شبه المخالفين في المذهب والدين ، على غاية ما يكون من التحقيق ، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الروهن . قال الطوفي : ولعمري إن هذا تأبه في كتبه الكلامية ، حتى اتهمه بعض الناس ، ولكنه خلاف ظاهر حاله ، لأنه لو كان اختار قولاً أو مذهباً ، ما كان عنده من يخاف منه حتى يستتر عنه ، ولعل سببه أنه كان يستفرغ قواه في تقرير دليل الخصم ، فاذا انتهى الى تقرير دليل نفسه ؛ لا يبقى عنده شيء من القوى ، ولا شك أن القوى النفسانية تابعة للقوى البدنية ، وقد صرح في مقدمة « نهاية العقول » أنه يقرر مذهب خصمه تقريراً لو أراد خصمه أن يقرره لم يقدر على الزيادة على ذلك . وذكر ابن خليل السكوني في كتاب « الرد على الكشاف » أن الامام الرازي ابن الخطيب قال في كتبه في الأصول . إن مذهب الجبر هو المذهب الصحيح . وقال في تفسير قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) الأنفال : ٢٤ كلاماً يدل على أن مذهب الجبر هو الحق . حيث قال : وقد دللنا بالبراهين العقلية على صحة أن الأمر كذلك ، أي : العبد مجبور . نعوذ بالله من أمثال ذلك . وقال بصحة بقاء الأعراض ، وبنفي صفات الله الحقيقية ، وزعم أنها مجرد نسب وإضافات ، كقول الفلاسفة ، وسلك طريق أرسطو في دليل التانع ، ونقل عن تلميذه التاج الأرموي أنه نظر في كلامه فمجره الى مصر ، وهو ما به ، فاستتر . ونقل عنه أنه قال : عندي كذا وكذا مائة شبهة على القول بحدوث العالم ، ومنها ما قاله شيخه ابن الخطيب في آخر الأربعين ، والمتكلم يستدل على القدم بوجود تأخر الفعل ، والفيلسوف يدل على قدمه باستحالة تعطل الفاعل عن أفعاله ، ثم أسند عن ابن الطباخ أن الفخر كان شيعياً يقدم حجة أهل البيت كحجة الشيعة ، حتى قال في بعض تصانيفه : وكان علي

شجاعاً ، بخلاف غيره ، وعاب عليه تسميته لتفسيره «مفاتيح الغيب» ، ولخصره
خي المنطقي : «الآيات البينات» ، وتقريره لتلامذته في وصفه بأنه الامام المجتبي
أستاذ الدنيا ، أفضل العالم ، فخر بني آدم ، حجة الله على الخلق ، صدر صدور
العرب والعجم ، هذا آخر كلامه ، وقد مات الفخر سنة ست وستائة بمدينة
(هراة) وأوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده . انتهى عبارة «اللسان» .
وبما قال فيه : إن له كتاب « السر المكتوم في مخاطبة النجوم » سحر صريح
فعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى .

قلت : ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وقيل : سنة ثلاث ،
واشتغل أولاً على والده ضياء الدين عمر ، وهو من تلامذة البغوي ، على الكمال
السمناني ، والمجد الجيلي صاحب محمد بن يحيى ، وأتقن علوماً كثيرة ، وبرز
فيها وساد ، وقصده الطلبة من سائر البلاد ، وصنف في فنون كثيرة ، وكان
له مجلس كبير في الوعظ ، يحضره الخاص والعام ، ويلحق فيه حال ووجد ،
وجرت بينه وبين جماعة من الكرامية مخاصمات وفتن ، وأوذى بسببهم ،
وكان ينال منهم في مجلسه ، وينالون منه . وكان إذا ركب مشى حوله نحو
ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم . وقيل : كان يحفظ « الشامل » لإمام الحرمين
في الكلام ، وندم على دخوله في الكلام . وروي عنه أنه قال : لقد اختبرت
الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فلم أجدها تروي غليلاً ، ولا تشفي
غليلاً ، ورأيت أحص الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في التنزيه (والله الغني وأنتم
الفقراء) محمد : ٣٨ وقوله تعالى : (ليس كمثل شيء) الشورى : ١١
و (قل هو الله أحد) وقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥٠
(يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥٠ (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠
واقرأ في أن الكل من عند الله (قل كل من عند الله) النساء : ٧٨ ثم قال :

وأقول من حميم القلب ، ومن داخل الروح : إنني مقر بأن كل ماهو الأفضل
الأعظم الأجل ، فهو لك ، وكل ماهو عيب أو نقص ، فأنت منزه عنه .
وكانت وفاته بـ (هرة) يوم عيد الفطر ، سنة ست وستائة . قال أبو شامة :
وبلغني أنه خلف من الذهب ثمانين ألف دينار سوى الدواب والعقار وغير ذلك .
ومن تصانيفه التفسير الكبير لم يتمه في اثني عشر مجلداً كباراً ، أسماه « مفاتيح
الغيب » وكتاب « المحصول » و « المنتخب » وكتاب « الأربعين » و « نهاية
العقول » و « التبيين » و « البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان »
« المباحث العمادية في المطالب المعادية » « تأسيس التقديس في تأويل الصفات »
« إرشاد النظار إلى لطائف الاسرار » « المعالم في أصول الدين » « المعالم في
أصول الفقه » « شرح أسماء الله الحسنى » « شرح الاشارات » « الملخص في
الفلسفة » ويقال : إنه شرح نصف « الوجيز » للغزالي ، وشرح « سقط الزند
للمعري . وله طريقة في الخلاف ، وشرح « كليات القانون » وصنف في
« مناقب الشافعي » رضي الله عنه ، إلى غير ذلك ، ورزق السعادة في مصنفاته
حتى انتشرت في الآفاق ، وأقبل الناس على الاستغفال بها .

وذلك أن الفخر الرازي وأتباعه حكوا للناس في وجود الرب تعالى ثلاثة أقوال :
أحدها : أن الوجود مقول بالاشتراك اللفظي فقط . والثاني : أن وجود الواجب زائد
على ماهيته . والثالث : أنه وجود مطلق ليس له حقيقة غير الوجود بشروط .
بسلب كل ماهية ثبوتية .

قال شيخ الاسلام : فيقول لهم : الأقوال الثلاثة باطلة ، والقول الحق
ليس واحداً من الثلاثة ، وإنما أصل الغلط هو توهمهم أننا إذا قلنا : إن الوجود
ينقسم إلى واجب ، وممكن ، لزم أن يكون في الخارج وجود هو نفسه في
الواجب ، وهو نفسه في الممكن ، وهذا غلط ، فليس في الخارج بين الموجودين

شيء هو نفسه فيها ، ولكن لفظ الوجود ومعناه الذي في الذهن ، والخط الذي يدل على اللفظ يتناول الموجودين ، ويعمها ، وهما يشتركان فيه ، فشمول معنى الوجود الذي في الذهن لهما ، كشمول لفظ الوجود . والخط الذي يكتب به هذا اللفظ لهما ، فهما مشتركان في هذا ، فأما نفس ما يوجد في الخارج ، فانما يشتهان فيه من بعض الوجوه ، فاما أن تكون نفس هذا وصفته فيها شيء من ذات هذا وصفته ، فهذا بما يعلم فساده كل من تصوره ، ومن توقف فيه فلعدم تصوره له . وحينئذ فالقول في اسم الوجود كالقول في اسم الذات ، والعين ، والماهية ، والنفس ، والحقيقة ، وكما أن الحقيقة تنقسم الى حقيقة واجبة ، وحقيقة ممكنة ، وكذلك لفظ الماهية ، ولفظ الذات ، ونحو ذلك ، ، فكذلك لفظ الوجود . فاذا قلنا : إن الحقيقة ، أو الماهية ، تنقسم الى واجبة ، وممكنة ، لم يلزم أن تكون ماهية الواجب فيها شيء من ماهية الممكن ، فكذلك اذا قيل : الوجود ينقسم الى واجب ، وممكن ، لم يلزم أن يكون الوجود الواجب فيه شيء من وجود غيره ، بل ليس فيه وجود مطلق ، ولا ماهية مطلقة ، بل ماهيته هي حقيقته وهي وجوده . واذا كان المخلوق المعين وجوده الذي في الخارج هو نفس ذاته وحقيقته ، وماهيته التي في الخارج ليس فيه من الخارج شيئان ، فالخالق تعالى أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لا يشركه فيه أحد ، وهو نفس ماهيته التي هي حقيقته الثابتة في نفس الأمر . ولو قدر أن الوجود المشترك بين الواجب والممكن موجود فيها في الخارج ، وأن البوانية المشتركة هي بعينها في الناطق والأعجم ، كأن يميز أحدهما عن الآخر بوجود خاص ، كما يتميز الانسان بجموانية تخصه ، وكما أن السواد والبياض اذا اشتركا في مسمى اللون تميز أحدهما بلونه الخاص عن الآخر وهؤلاء ،

لضالون يجعلون الواحد اثنين ، والاثنين واحداً ، فيجعلون هذه الصفة هي هذه الصفة ، ويجعلون الصفة هي الموصوف ، فيجعلون الاثنين واحداً ، كما قالوا : إن العلم هو القدرة ، وهو الارادة ، والعلم هو العالم ، ويجعلون الواحد اثنين ، كما يجعلون الشيء المعين الذي هو هذا الانسان هو عدة جواهر : انسان ، وحيوان ، وناطق ، وحساس ، ومتحرك بالارادة ، ويجعلون كلاً من هذه الجواهر غير الآخر . ومعلوم أنه جوهر واحد ، له صفات متعددة ، وكما يفرقون بين المادة ، والصورة ، ويجعلونها جوهرين عقليين قائمين بأنفسهما ، وانما المعقول هو قيام الصفات بالموصوفات ، والأعراض بالجواهر ، كالصورة الصناعية ، مثل صورة الخاتم ، والدرهم ، والسرير ، والثوب ، فانه عرض قائم بجوهر ، هو الفضة ، والخشب ، والغزل . وكذلك الاتصال ، والانفصال ، قائمان بجعل هو الجسم ، وهكذا يجعلون الصورة الذهنية ثابتة في الخارج ، كقولهم في المجردات المفارقات للمادة ، وليس معهم ما يثبت أنه مفارق ، لا النفس الناطقة اذا فارقت البدن بالموت ، والمجردات هي الكليات التي تجردها النفس من الأعيان المشخصة ، فيرجع الأمر الى النفس وما يقوم بها ، ويجعلون الموجود في الخارج هو الموجود في الذهن ، كما يجعلون الوجود الواجب هو الوجود المطلق ، فهذه الأمور من أصول ضلالهم ، حيث جعلوا ما في الخارج في الذهن ، ولزم من ذلك أن يجعلوا الثابت منتقياً ، والمنتقني ثابتاً ، فهذه الأمور من اجناس ضلالهم ، وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضوع . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

حتى أتى من أرض أمداً آخراً ثور كبير بل حقير الشان

قال الصواب الوقف في ذا كله والشك فيه ظاهر التبيان
هذا قصارى بحثه وعلومه إن شك في الله العظيم الشأن

الآمدي : هو أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن سالم الثعلبي ، سيف الدين ولد بآمد سنة ٥٥١ قرأ على مشايخ بلده القراءات ، وحفظ كتاباً على مذهب أحمد بن حنبل ، وبقي على ذلك مدة ، فكان في أول اشتغاله حنبلي المذهب ، انتقل الى مذهب الشافعي ، ثم رحل الى العراق ، وأقام في الطلب مدة ببغداد ، وحصل علم الجدل ، والخلاف ، والمناظرة ، ثم انتقل الى الشام ، واشتغل بفنون المعقول ، وحفظ منه الكثير ، وتمهر فيه ، ولم يكن في زمانه أحفظ منه لهذه العلوم ، وصنف في أصول الدين ، والمنطق ، والحكمة ، والخلاف . وكل تصانيفه مفيدة ، وكان قد أخذ علوم الأوائل من نصارى الكرخ ، ويهودها ، فاتهم لذلك في عقيدته ، ففر الى مصر خوفاً من الفقهاء سنة ٥٩٣ وناظر بها وحاضر ، وأظهر تصانيف في علوم الأوائل ، تعصبوا عليه فخرج من القاهرة مستخفياً ، ثم استوطن حماة أو دمشق ، وتولى بها التدريس ومات فيها سنة ٦٣١ . ومن مصنفاته « الماهر في علوم الأوائل والأواخر » خمس مجلدات ، وكتاب « أبكار الأفكار في أصول الدين » أربع مجلدات ، وكتاب « دقائق الحقائق » في الفلسفة ، وقد دفن في سفح قاسيون ، وكانت ولادته سنة ٥٥١ والآمدي نسبة الى آمد ، وهي مدينة كبيرة في ديار بكر ، مجاورة لبلاد الروم .

قوله : آخر آ . هو بكسر الحاء ، أي : آخر الأمر . أي أن الآمدي قوتف في هذه المسألة ، ولم أطلع أنا على كلامه في هذه المسألة ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في أحكام هذه التراكيب الستة

فالأولان حقيقة التركيب لا تعدوهما في اللفظ والأذهان
وكذلك الاعيان أيضاً إنما التركيب فيها ذانك النوعان
أي : الأولان اللذان هما تركيب الامتزاج والاختلاط ، و تركيب الجواد
أي : التركيب حقيقة في هذين النوعين .

قال الناظم رحمه الله تعالى .

والأوسطان هما اللذان تنازع العقلاء في تركيب ذي الجثمان
ولهم أقاويل ثلاث قد حكيناها وبيننا أتم بيان
ولهم أقاويل ثلاث قد حكيناها وبيننا أتم بيان ؛ أي : التركيب من
الجواهر المفردة ، ومن المادة والصورة

والآخران هما اللذان عليهما دارت رحى الحرب التي تريان
أنتم جعلتم وصفه سبحانه بعلوه من فوق ذي الأكوان
وصفاته العليا التي ثبتت له بالنقل والمعقول ذي البرهان
من جملة التركيب ثم نفيت مضمونها من غير ما برهان

فجعلتم المراقبة للتعطيل هذا الاصطلاح وذا من العدوان
لكن إذا قيل اصطلاح حادث لاجبر في هذا على إنسان
فنقول نفيكم بهذا الاصطلاح صفاته هو أبطل البطلان
وكذلك نفيكم به لعلوه فوق السماء وفوق كل مكان
وكذلك نفيكم به لكلامه بالوحي كالتوراة والقرآن
وكذلك نفيكم لرؤيته له يوم المعاد كما يرى القمران
وكذلك نفيكم لسائر ما أتى في النقل من وصف بغير معان
كالوجه واليد والاصابع والذي أبداً يسوؤكم بلا كتمان
وبودكم لو لم يقله ربنا ورسوله المبعوث بالبرهان
وبودكم والله لما قاله أن ليس يدخل مسمع الانسان
قام الدليل على استناد الكون أجـمعه الى خلقه الرحمن
ما قام قط على انتفاء صفاته وعلوه من فوق ذي الأكوان
هو واحد في وصفه وعلوه مالثوري رب سواه ثاب
فلأبي معنى يجحدون عنلوه وصفاته بالفشر والهذيان
هذا وما المحذور الا إن يقا ل مع الإله لنا إله ثان
أو أن يعطل عن صفات كماله هذان محذوران محظوران
أما إذا ما قيل رب واحد أوصافه أربت على الحسبان

وهو القديم فلم يزل بصفاته متوحداً بل دائم الإحسان

أي : لا محذور في إثبات صفات الكمال لله سبحانه ، وإنه واحد لم يزل بصفاته لهاً واحداً ، وإنما المحذور أن يجعل مع الله إله آخر وتعطل صفات كماله ، فهذان كما قال الناظم : محذوران محظوران .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فبأي برهان نفيتم ذا وقلتم ليس هذا قط في الامكان

فلئن زعمتم أنه نقص فذا بهت فما في ذلك من نقصان

النقص في أمرين سلب كماله أو شركه بالواحد الرحمن

أتكوز أوصاف الكمال نقيصة في أي عقل ذلك أم قرآن ؟!

إن الكمال بكثرة الأوصاف لا في سلبها ذا واضع البرهان

ما للنقص غير السلب حسب وكل نقص أصله سلب ؛ هذا واضح التبيان

فالجهل سلب العلم وهو نقيصة والظلم سلب العدل والاحسان

متنقص الرحمن سالب وصفه حقاً تعالى الله عن نقصان

وكذا الثناء عليه ذكر صفاته والحمد والتمجيد كل أوان

ولذلك أعلم خلقه أدرأهم بصفاته من جاء بالقرآن

وله صفات ليس يحصيها سوا ه من ملائكة ولا انسان

ولذلك يثني في القيامة ساجدا لما يراه المصطفى بعيان

بشأن حمد لم يكن في هذه الدنيا ليحصيه مدى الازمان
وثناؤه بصفاته لا بالسلو ب كما يقول العادم العرفان
حاصل هذه الآيات أنكم أيها المعطلة ، لماذا نفيت الصفات ؟ فان زعمت
أنها نقص ، فهذا كذب وبهت ، وانما النقص في أمرين : إما سلب الكمال ،
أو إثبات شريك لله تعالى ، وأما أوصاف الكمال ، فحاشا أن تكون نقصاً ،
والكمال بكثرة الأوصاف لا في سلبها ، اذ السلب المحض لا كمال فيه ، الا
إذا تضمن تزويهاً عن نقص ، كما في سلب النوم ، والسنة ، واللغوب^(١) والطعم
عنه تعالى وتقدس

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والعقل دل على انتهاء الكون أجمعه الى رب عظيم الشان
وثبوت أوصاف الكمال لذاته لا يقتضي إبطال ذا البرهان
والكون يشهد أن خالقه تعا لى ذو الكمال ودائم السلطان
وكذاك يشهد أنه سبحانه فوق الوجود وفوق كل مكان
وكذاك يشهد أنه سبحانه المعبود لاشيء من الاكوان
وكذاك يشهد أنه سبحانه ذو حكمة في غاية الاتقان
وكذاك يشهد أنه ذو قدرة حي عليم دائم الاحسان
وكذاك يشهد أنه الفعال حقاً كل يوم ربنا في شان
وكذاك يشهد أنه المختار في أفعاله حقاً بلا نكران

(١) اللغوب : التعب والأعياء .

وكذلك يشهد أنه الحي الذي ما للممات عليه من سلطان
وكذلك يشهد أنه القيوم قا م بنفسه ومقيم ذي الاكران
وكذلك يشهد أنه ذو رحمة وإرادة ومحبة وحنان
وكذلك يشهد أنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن
وكذلك يشهد أنه سبحانه الخلاق باعث هذه الأبدان
لا تجعلوه شاهداً بالزور والـتعطيل تلك شهادة البطلان
وإذا تأملت الوجود رأيتـه إن لم تكن من زمرة العميان
بشهادة الاثبات حقاً قائم لله لاشهادة النكران
وكذلك رسل الله شاهدة به أيضاً فسل عنهم عليم زمان
وكذلك كتب الله شاهدة به أيضاً فهذا محكم القرآن
وكذلك الفطر التي ماغيرت عن أصل خلقتها بأمر ثان
وكذا العقول المستنيرات التي فيها مصاييح الهدى الرباني
أترون أناتاركو ذا كله لشهادة الجهمي واليونان
هذي الشهود فان طلبتم شاهداً من غيرها سيقوم بعد زمان
إذ ينجلي هذا الغبار فيظهر الـحق المبين مشاهداً بعيان
هذه الآيات واخحة بحمد الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاذا نفيتم ذا وقلتم إنه ملزوم تركيب فمن يلحاني
إن قلت لاعقل ولاسمع لكم وصرخت فيما بينكم بأذان
هل يجعل الملزوم عين اللازم المنفي هذا بين البطلان
فالشيء ليس لنفسه ينفي لدى عقل سليم ياذوو العرفان
قلتم نفينا وصفه وعلوه من خشية التركيب والامكان
لو كان موصوفاً لكان مركباً فالوصف والتركيب متحدان
أو كان فوق العرش كان مركباً فالفوق والتركيب متفقان
فنفيتم التركيب بالتركيب مع تغيير إحدى اللفظتين بثان
بل صورة البرهان أصبح شكها شكلاً عقيماً ليس ذا برهان
لو كان موصوفاً لكان كذلك موصوفاً وهذا حاصل البرهان
فاذا جعلتم لفظة التركيب بالمعنى الصحيح اشارة البطلان
جئنا الى المعنى فخلصناه منها واطرحناها اطراح مهان
هي لفظة مقبوحة بدعية مذمومة منا بكل لسان
واللفظ بالتوحيد نجعله مكان اللفظ بالتركيب في التبيان
واللفظ بالتوحيد اولى بالصفاء وبالعلو لمن له أذنان

هذا هو التوحيد عند الرسل لا أصحاب جهنم شيعة الكفران

أي . أن الفلاسفة والجهمية يقولون : إن إثبات الصفات يلزم منه التركيب .
قال الناظم : فإذا نقيمت الصفات ، وقلتم إنه ملزوم التركيب ، فكيف
تجعلون الملزوم الذي هو إثبات الصفات عين اللازم الذي هو إثبات الصفات ،
فصار المعنى إثبات الصفات ، يستلزم إثبات الصفات ، فيجب نفسه ، فهم
على هذا نفوا التركيب بالتركيب ، فإذا نفوا التركيب بكونه تركيباً ،
ففيه إبطال الشيء بنفسه ، وهو محال ، فإن الشيء لا ينفيه عنه ،

قال الناظم : بل صورة البرهان أصبح شكلها شكلاً عقيقاً ليس ذا برهان
وحاصل ما أبطلوا به إثبات الصفات ، بأن المعنى لو كان موصوفاً ،
لكان موصوفاً ، فتأمل قوله : فإذا جعلتم لفظة التركيب الخ . أي : إذا
جعلتم لفظة التركيب إماراة البطلان خلصنا المعنى الصحيح منها ، واطرحنا
نلك اللفظة ، وهي لفظة التركيب ، لأنها لفظة مقبوحة بدعية مذمومة ،
وأبدلنا ، وكأنها التوحيد ، لأنه أولى بالصفات وبالعلو ، وهذا هو التوحيد
عند الرسل وأتباعهم ، لأصحاب جهنم شيعة الكفران ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المعطلين

فاسمع إذاً أنواعه هي خمسة قد حصلت أقسامها بيان

توحيد أتباع ابن سينا وهو منسوب لآرسطو من اليونان
ما للاله لديهم ماهية غير الوجود المطلق الواجدان
مسلوب أوصاف الكمال جميعها لكن وجود حسب ليس بفان
ما إن له ذات سوى نفس الوجود المطلق المسلوب كل معان
فلذلك لا سمع ولا بصر ولا علم ولا قول من الرحمن
ولذلك قالوا ليس ثم مشيئة وإرادة لوجود ذي الأكوان
بل تلك لازمة له بالذات لم تنفك عنه قط في الأزمان
ما اختار شيئاً قط يفعله ولا هذا له أبداً بذي إمكان
وبنوا على هذا استحالة خرق ذات الأفلاك يوم قيامة الأبدان
ولذلك قالوا ليس يعلم قط شيئاً ما من الموجود في الأعيان
لا يعلم الأفلاك كم أعدادها وكذا النجوم وذاتك القمران
بل ليس يسمع صوت كل مصوت كلا وليس يراه رأي عيان
بل ليس يعلم حالة الانسان تفصيلاً من الطاعات والعصيان
كلا ولا علم له بتساقط الأوراق أو بنابت الأغصان
علماً على التفصيل هذا عندهم عين المحال ولازم الامكان
بل نفس آدم عندهم عين المحال ولم يكن في سالف الأزمان

ما زال نوع الناس موجوداً ولا يفنى كذاك الدهر والمملوان
هذا هو التوحيد عند فريقهم مثل ابن سينا والنصير الثاني
قالوا وألجأنا الى ذا خشية التركيب والتجسيم ذي البطلان
ولذا قلنا ماله سمع ولا بصر ولا علم فكيف يدان؟
وكذاك قلنا ليس فوق العرش إلا المستحيل وليس ذا إمكان
جسم على جسم كلا الجسمين محدود يكون كلاهما صنوان
فبذاك حقاً صرحوا في كتبهم وهم الفحول أئمة الكفران
ليسوا مخائث الوجود فلا إلى الكفران ينحازوا ولا الايمان
والشرك عندهم ثبوت الذات والـ أوصاف إذ يبقى هناك اثنان
غير الوجود فصار ثم ثلاثة فلذا نفينا اثنين بالبرهان
نفى الوجود فلا يضاف اليه شيء غيره فيصير ذا إمكان
قال الناظم : في « الصواعق »^(١) في بيان توحيد الفلاسفة : هو انكار
ماهية الرب الزائد على وجوده ، وانكار صفات كماله ، وأنه لا سمع له ،
ولا بصر ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا ارادة ، ولا كلام ، ولا وجه ،
ولا يدين ، وليس فيه معنيان يتميز أحدهما عن الآخر البتة ، قالوا : لأنه
لو كان كذلك لكان مركباً ، وكان جسماً مؤلفاً ، ولم يكن واحداً
من كل وجه ، فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذي لا يحس ولا يرى ،

(١) هو « الصواعق المرسله على الجهمية والمعظة »

ولا يتميز منه جانب عن جانب ، بل الجوهر الفرد يمكن وجوده ، وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده ، وقالوا : لو كان له صفة ، أو كلام ، أو مشيئة ، أو علم ، أو حياة ، أو قدرة ، أو سمع ، أو بصر ، لم يكن واحداً ، وكان مركباً مؤلفاً ، فسماوا أعظم التعطيل بأحسن الأسماء ، وهو التوحيد ، وسماوا أصح الأشياء ، وأحقها بالشبوت وهو صفات الرب بأقبح الأسماء ، وهو التركيب والتأليف ، فتولد من بين هذه التسمية الصحيحة للمعنى الباطل جحد حقائق أسماء الرب وصفاته ، بل وجحد ماهيته وذاته ، وتكذيب رسله ، ونشأ من نشأ على اصطلاحهم ، مع إعراضه عن استفادة الهدى والحق من الوحي ، فلم يعرف سوى الباطل الذي اصطالحوا عليه ، فجعلوه أصلاً لدينه ، فلما رأى ما جاءت به الرسل بعارضه ، قال : إذا تعارض العقل والنقل ، قدم العقل . انتهى كلامه

قوله : بل نفس آدم عندهم عين المحال ؛ أي : أن نوع الانسان لم يزل ولا يزال ، فلا بداية له ، ولا نهاية ، فلم يوجد آدم فضلاً عن أن يكون النوع الانساني نسله .

قوله : والشرك عندهم ثبوت الذات والأوصاف الخ ؛ أي : أنهم يقولون : إذا أثبتنا ذاتاً وصفات ، ووجوداً ، لزم التركيب ، فلهذا نفينا اثنين بالبرهان ، فيبقى الوجود فقط ، فوجود الرب عندهم وجود مطلق ، كما تقدم ذلك في كلام الناظم ، والله أعلم .

فصل

في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الالحاد

هذا وثانيها فتوحيد ابن سبــــــــــــعــــــــــــين وشيعته أولي البهتان
كل اتحادي خيـث عنده معبوده موطوءه الحقان
توحيدهم إن الاله هو الوجود المطلق المثبوت في الأعيان
هو عينها لاغيرها ماها هنا رب وعبد كيف يفترقان
لكن وهم العبد ثم خياله في ذي المظاهر دائماً يابجان
فلذاك حكيمها عليه نافذ فابن الطبيعة ظاهر النقصان
فاذا تجرد علمه عن حسه وخياله بل ثم تجريدان
تجريده عن عقله أيضاً فان العقل لايدنيه من ذا الشان
بل يخرق الحجب الكثيفة كلها وهما وحساً ثم عقل وان
فالوهم منه وحسه وخياله والعلم والمعقول في الأذهان
حجب على ذا الشان فاخرقهاو الا كنت محجوباً عن العرفان
هداوا كشفها حجاب الحس والمعقول ذانك صاحب الفرقان
فهنالك صرت موحداً حقاً ترى هذا الوجود حقيقة الديان

والشرك عندهم فتنبوع الوجوه دوقولنا إن الوجود اثنان
واحتج يوماً بالكتاب عليهم شخص فقالوا الشرك في القرآن
لكننا التوحيد عند القائلين بالاتحاد فهم أولو العرفان
رب وعبد كيف ذاك وإنما الوجود فرد ماله من ثان
هذا هو النوع الثاني من انواع التوحيد للملحدين ، وهو توحيد الوجودية
القائلين بوحدة الوجود ، لعنهم الله تعالى ، وقد بينا مذاهبهم عند ذكر ركبهم
في أول هذا النظم ، ونشير الى ذلك هنا بعض الاشارة ، فالتوحيد عندهم كما
قال الناظم : (١) إن الاله هو الوجود المطلق الثبوت في الأعيان ، وإنه عينها
لاغيرها ، وإنه ليس ثم عبد ورب ، بل الرب هو العبد ، والعبد هو الرب ،
كما قال صاحب « الفتوحات المكية » في أولها :

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أوقلت رب أنى يكلف؟
قالوا : ولكن الوهم والخيال يلجان دائماً في المظاهر ، فاذا تجرد الانسان
عن العلم ، والعقل ، والحس ، والوهم ، والخيال ، حصل له هذا العرفان ،
وأكتفها حجاب الحس والمعقول ، فاذا خرق هذه الحجب ، صار موحدأ
حقاً يرى هذا الوجود حقيقة الديان ، تعالى الله عن إفك الزائعين والملحدين
علواً كبيراً ،

قوله : واحتج يوماً بالكتاب عليهم الخ . . الذي قال هذا الكلام ، هو

(١) أي : حاكياً مقالاتهم .

العفيف التلمساني ، لعنه الله تعالى . فقد ذكر شيخ الاسلام ، والذهبي وغيرهما عنه أنه لما قرأ عليه « الفصوص » قيل له : القرآن يخالف فصوصكم . فقال : القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد في كلامنا . فقيل له : فما بال نكاح البنت والأخت والأم حرام ؟ فقال . هو عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا : حرام عليكم ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه . والشرك عند هؤلاء ، هو تنويع الوجود ، وأن يقال : الوجود اثنان .

فصل

في النوع الثالث من أنواع التوحيد لأهل الاحاد

هذا وثالثها هو التوحيد عند الجهم تعطيل بلا إيمان
نفى الصفات مع العلو كذاك نفسي كلامه بالوحي والقرآن
فالعرش ليس عليه شيء بته لكنه خلو من الرحمن
ما فوقه رب يطاع ولا عليه للورى من خالق رحمن
بل حظ عرش الرب عند فريقهم منه كحظ الأسفل التحتاني
فهو المعطل عن نعوت كاله وعن الكلام وعن جميع معان
وانظر الى ما قد حكيينا عنه في مبدا القصيد حكاية التبيان

هذا هو التوحيد عند فريقهم تلو الفحول مقدمي البهتان
والشرك عندهم فاثبات الصفا ت لربنا ونهاية الكفران
إن كان شركاً ذا وكل الرسل قد جاؤوا به يا خيبة الانسان

هذا وثالثها هو التوحيد عند الجهم تعطيل بلا إيمان

وقد تقدم شرح مذهبهم وأتباعه في الصفات والعلو والقرآن بما أغنى عن
إعادته في اول هذا النظم .

فصل

في النوع الرابع من أنواعه

هذا ورابعها فتوحيد لدى جبريهم هو غاية العرفان
العبد ميت ماله فعل ولكن ماترى هر فعل ذي السلطان
والله فاعل فعلنا من طاعة ومن الفسوق وسائر العصيان
هي فعل رب العالمين حقيقة ليست بفعل قط للانسان
فالعبد ميت وهو مجبور على أفعاله كالميت في الأكفان
وهو المعلوم على فعال إلهه فيه وداخل جاحم النيران
يا ويحة المسكين مظلوم يرى في صورة العبد الظلوم الجاني
لكن نقول بأنه هو ظالم في نفسه أدباً مع الرحمن

هذا هو التوحيد عند فريقهم من كل جبري خبيث جنان
والكل عند غلاتهم طاعاتنا ما ثم في التحقيق من عصيان
والشرك عندهم اعتقادك فاعلاً غير الإله المالك الديان
فانظر إلى التوحيد عند القوم ما فيه من الإشراك والكفران
ما عندهم والله شيء غيره هاتيك كتبهم بكل مكان
أترى أبا جهل وشيعته رؤوا من خالق ثان لذي الأكوان
أم كلهم جمعاً أقروا أنه هو وحده الخلاق للإنسان
فاذا ادعيتهم أن هذا غاية التوحيد صار الشرك ذا بطلان
فالناس كلهم أقروا أنه هو وحده الخلاق ليس اثنتان
إلا المجوس فانهم قالوا بأن الشرك خالقه إله ثان

وقد تقدم الكلام في ذلك أول هذا الشرح بما أغنى عن الإعادة

فصل

في توحيد الأنبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين

فاسمع إذاً توحيد رسل الله ثم اجعله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها أولى لدى الميزان بالرجحان

توحيدهم نوعان قولي وفعلي كلا نوعيه ذو برهان
فالأول القولي ذو نوعين أيضاً في كتاب الله موجودان
إحداهما سلب وذا نوعان أيضاً في كتاب الله مذكوران
سلب النقائص والعيوب جميعها عنه هما نوعان معقولان
سلب لمتصل ومنفصل هما نوعان معروفان أما الثاني

شرع الناظم رحمه الله في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين ، وذكر أنه
نوعان ، قولي ، وفعلي . ثم ذكر أن القولي نوعان أيضاً في القرآن أحدهما :
سلب وهو نوعان أيضاً : سلب النقائص والعيوب ، وهو نوعان أيضاً
أحدهما : سلب النقائص والعيوب المتصلة ، والثاني : سلب النقائص والعيوب
المنفصلة . وأشار بقوله : أما الثاني إلى سلب النقائص والعيوب المنفصلة ، فقال .
سلب الشريك مع الظهير مع الشفيع بدون إذن المالك الديان
وهذا كما في قوله تعالى (قل ادعوا الذي زعمتم من دون الله لايملكون
مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير .
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) سبأ : ٢٢ ، ٢٣ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذلك سلب الزوج والولد الذي نسبوا إليه عابدو الصلبان
وكذلك نفى الكف أيضاً والولي لنا سوى الرحمن ذي الغفران

اي : ومن العيوب المنفصلة سلب الزوج عنه تعالى ، والولد . أما نفى
الزوج والولد ، ففي قوله تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة) الأنعام : ١٠٦ ونفى الولد ، كما في قوله تعالى :

(وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) الآية التوبة : ٣٠
وقال تعالى: (ولم يكن له كفواً أحد) الا خلاص : ١ وأما نفي الولي ففي قوله تعالى:
(أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي . . .) الشورى : ٩ .
ثم أشار الناظم الى سلب النقائص والعيوب المتصلة بقوله :

والأول التنزيه للرحمن عن وصف العيوب وكل ذي نقصان
كالموت والإعياء والتعب الذي ينفي اقتدار الخالق المنان
والنوم والسنة التي هي أصله وعزوب شيء عنه في الأكوان
وكذلك العبث الذي تنفيه حكمته وحمد الله ذي الاتقان
وكذلك ترك الخلق إهمالاً أسدى لا يبعثون الى معاد ثان
كلا ولا أمر ولا نهي عليهم من إله قادر ديان
وكذلك ظلم عباده وهو الغني فإله والظلم للإنسان
وكذلك غفلته تعالى وهو علام الغيوب فظاهر البطلان
وكذلك النسيان جل إلهنا لا يعتريه قط من نسيان
وكذلك حاجته الى طعام ورزق وهو رزاق بلا حسابان

وذلك ظاهر في كتاب الله تعالى . أما سلب الموت ففي قوله تعالى :
(وتوكل على الحي الذي لا يموت ...) الفرقان : ٥٨ الآية . وأما الإعياء ،
والتعب ، ففي قوله (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام
وما مسنا من لغوب) فاطر : ٣٥ وهو التعب والإعياء . وأما النوم والسنة
ففي قوله تعالى (لا تأخذة سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ والعبث كما في قوله

تعالى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لاترجعون) المؤمنون : ١١٥
واما ترك الخلق هملا ففي قوله تعالى : (أبحسب الانسان أن يترك سدى)
القيامة : ٣٦ وأما نفي الظلم ففي قوله تعالى : (إن الله لا يظلم الناس شيئاً)
يونس : ١١٥ الآية وفي قوله تعالى : (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) النساء : ٤٠
وأما نفي النسيان والغفلة ففي قوله تعالى (وما كان ربك نسياً) مريم : ٦٤
وأما نفي الطعم ففي قوله تعالى : (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات
والارض وهو يطعم ولا يطعم) الأنعام : ١٤ وفي قوله تعالى (وما خلقت
الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون
إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات : ٥٦ - ٥٨ .

ثم أشار الناظم الى النوع الثاني من نوعي السلب فقال :

هذا وثاني نوعي السلب الذي هو أول الأنواع في الأوزان

أي : في قوله في اول الفصل إحداهما : سلب وذا نوعان . فذكر
الأول ، وهو سلب النقائص والعيوب ، ثم ذكر الثاني بقوله : هذا وثاني نوعي
السلب الخ . . .

تنزيه أوصاف الكمال له عن التشبيه والتشبيه والنكران
لسنا نشبه وصفه بصفاتنا ان المشبه عابد الأوثان
كلا ولا نخليه من أوصافه إن المعطل عابد البهتان
من مثل الله العظيم بخلقه فهو النسب لمشرك نصراني
أو عطل الرحمن من أوصافه فهو الكفور وليس ذا إيمان
هذا هو الثاني من نوعي السلب ، وهو تنزيه صفات الرب تعالى التي

وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله عن التشبيه والتمثيل ، وعن التحريف والتعطيل ، بل ثبتت إثباتاً بلا تشبيه ، وبتزده تنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال نعيم ابن حماد الخزاعي : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ، ولا ما وصفه رسوله به تشبيهاً .

قوله: فهو النسيب الخ . قال في « القاموس » النسب ، والنسبة بالكسر : القرابة ، والمناسبة : المشاكلة . انتهى . والمراد هنا المشاكلة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول ، وهو الثبوت

أي : من نوعي التوحيد القولي الذي ذكره أول الفصل

هذا ومن توحيدهم إثبات أو صاف الكمال لربنا الرحمن
كعلوه سبحانه فوق السموات العلى بل فوق كل مكان
فهو العلي بذاته سبحانه إذ يستحيل خلاف ذا بيان
وهو الذي حقاً على العرش استوى قد قام بالتدبير للأكوان
حي مرید قادر متكلم ذو رحمة وإرادة وحنان
هو أول هو آخر هو ظاهر هو باطن هي أربع بوزان

ماقبله شيء كذا ما بعده شيء تعالى الله ذو السلطان
مافوقه شيء كذا مادونه شيء وذا تفسير ذي البرهان
فانظر إلى تفسيره بتدبر وتبصر وتعقل لمعان
وانظر إلى ما فيه من أنواع معرفة الخالقنا العظيم الشأن
وهو العلي فكل أنواع العلم وله فتأبته له بلا نكران
تقدم الكلام على معاني هذه الآيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو العظيم بكل معنى يوجب التـعظيم لا يحصيه من إنسان
وهو الجليل فكل أوصاف الجلال له محققة بلا بطلان
وهو الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربها أولى وأجدر عند ذي العرفان
فجماله بالذات والأوصاف والأفعال والأسماء بالبرهان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذه الفصول كثيراً من أسماء الرب
سبحانه ، وقد أفرد العلماء للكلام على معانيها مصنفات معروفة ، ككتاب
«الكلام على أسماء الله الحسنى» للناظم و «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»
للشيخ أبي عبد الله القرطبي ، والإمام أبي حامد الغزالي ، و «شرح الأسماء
الحسنى» للحلي ، و «شرح أسماء الله الحسنى» لأبي حكيم ابن بروجان ،
و «شرح أسماء الله الحسنى» للحافظ أبي بكر البيهقي ، وغيرهم .

لا شيء يشبه ذاته وصفاته سبحانه عن إفك ذي البهتان
وهو الحميد صفاته أو صاف تعظيم فشأن الوصف أعظم شأن
وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداني
وهو البصير يرى ديب النملة السوداء تحت الصخر والصوان
ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عروق بياضها بعيان
ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان
وهو العليم أحاط علماً بالذي في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غداً وما قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان كيف يكون ذلك الأمر ذا إمكان

فصل

وهو الحميد فكل حمد واقع أو كان مفروضاً مدي الأزمان
ملاً الوجود جميعه ونظيره من غير ماعدٍ ولا حساب
هو أهله سبحانه وبجمده كل المحامد وصف ذي الاحسان

قال الناظم رحمه الله في « بدائع الفوائد » تنبيهات : الاول : مايجري
صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسام : أحدها : مايرجع الى نفس
الذات ؛ كقولك : ذات ، ووجود ، وشيء . الثاني : مايرجع الى صفات
معنوية ، كالعليم ، والقدير ، والسميع ، والبصير . الثالث : مايرجع الى أفعاله ،
نحو الخالق ، والرازق . الرابع : مايرجع الى التنزيه المحض ، ولا بد من
تضمنه ثبوتاً ، اذ لا كمال في العدم المحض ، كالقدوس ، السلام . الخامس :
مادل على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة ، بل هو دال على معان ،
نحو المجيد ، العظيم ، الصمد ، فان المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات
الكمال ، ولفظه يدل على هذا ، فانه موضوع للسعة ، والكثرة ، والزيادة .
ومنه قولهم : في كل شجرة نار ، واستمجد المرخ ، والعفرار ، وأمجد النساقة
علفاً . ومنه : رب العرش المجيد ، لسعة العرش ، وعظمته . والعظيم : من
اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال ، وكذلك الصمد . السادس : صفة
تحصل من اقتراب أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على
مفرديهما ، نحو الغني ، العفو ، القدير ، الحميد ، المجيد ، ونحو ذلك ،
فان الغني من صفات الكمال ، والحمد كذلك ، واجتماع الغني مع الحمد كمال
آخر ، فله ثناء من غناه ، وثناء من حمده ، وثناء من اجتماعها ، وكذلك
نظائرهما . وأما صفات السلب المحض ، فلا تدخل في أوصافه تعالى ، الا أن
تكون متضمنة لثبوت ، كالأحد المتضمن لسلامته من كل نقص ، وبرأته
من كل ما يصاد كماله ، وكذلك الاخبار عنه بالسلب ، إنما هو لتضمنها ثبوتاً ،
كقوله تعالى : (لاتأخذنه سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ فانه متضمن لكمال
حياته وقيوميته ، وكذلك قوله (وما مسنا من لغوب) فاطر : ٣٥ متضمن
لكمال قدرته ، وكذلك قوله (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في

الأرض ولا في السماء) يونس : ٦١ متضمن لكمال علمه ، ونظائر ذلك .
الثاني : يجب أن يعلم ما يدخل في باب الاخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في
باب أسمائه وصفاته ، كالشيء ، والموجود ، والقائم بنفسه ، فان هذا يجبر
به عنه ، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلى . الثالث : أسماءه الحسنى
أعلام وأوصاف ، فالوصف فيها لا ينافي العلمية ، وهذا بخلاف أوصاف العباد ،
ثم إن الاسم من أسمائه له دلالات : دلالة على الذات ، والصفة بالمطابقة ،
ودلالة على احدهما بالتضمن ، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم ، ولأسمائه
الحسنى اعتباران : أحدهما : من حيث الذات . والثاني : من حيث الصفات ،
فهي بالاعتبار الأول مترادفة ، وبالاعتبار الثاني متباينة . انتهى كلامه . وهو
كلام نفيس جداً ، آثرت نقله لنفاسته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وهو المكلم عبده موسى بتكليم الخطاب وقبلة الأبوآن
كلماته جلّت عن الاحصاء والتعداد بل عن حصر ذي الحسبان
لو أن أشجار البلاد جميعها الـ أقلام تكتبها بكل بنان
والبحر تلقى فيه سبعة أبحر لكتابة الكلمات كل زمان
نفدت ولم تنفذ بها كلماته ليس الكلام من الاله بفان

وهو القدير وليس يعجزه اذا مارام شيئاً قط ذو سلطان
وهو القوي له القوى جمعاً تعـ الى رب ذي الأكوان والأزمان
وهو الغني بذاته فغناه ذا تي له كالجود والاحسان
وهو العزيز فلن يرام جنابه أنتى يرام جناب ذي السلطان؟!
وهو العزيز القاهر الغلاب لم يغلبه شيء هذه صفات
وهو العزيز بقوة هي وصفه فالعز حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه من كل وجه عادم النقصان
قد شرح الناظم رحمه الله جميع هذه الأبيات في نفس النظم بما هو واضح.
قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو الحكيم وذاك من أوصافه نوعان أيضاً ما هما عدمان
حكم وأحكام فكل منهما نوعان أيضاً ثابتا البرهان
والحكم شرعي وكوني ولا يتلازمان وما هما سيان
بل ذلك يوجد دون هذا مفرداً والعكس أيضاً ثم يجتمعان
لن يخلو المربوب من إحداهما أو منهما بل ليس ينتفيان
لكننا الشرعي محبوب له أبداً ولن يخلو من الأكوان
هو أمره الديني جاءت رسله بقيامه في سائر الأزمان
لكننا الكوني فهو قضاؤه في خلقه بالعدل والإحسان

هو كله حق وعدل ذورضى والشأن في المقضي كل الشأن
فلذا ك نرضى بالقضاء ونسخط الممقضي حين يكون بالعصيان
فإنه يرضى بالقضاء ويسخط الممقضي ما الأمران متحدان
فقضاؤه صفة به قامت وما الممقضي الا صنعة الإنسان
والكور محبوب ومبغوض له وكلاهما بمشيئة الرحمن
هذا البيان يزيل لبساً طالما هلكت عليه الناس كل زمان
ويحل ما قد عقدوا بأصولهم وبحوثهم فافهمه فهم بيان
من وافق الكوني وافق سخطه أفلم يوافق طاعة الديان؟!
فلذا ك لا يعدوه ذم أو فوا ت الحمد مع أجر ومع رضوان
وموافق الديني لا يعدوه أجـر بل له عند الصواب اثنان

حاصل ما ذكره الناظم في هذه الأبيات أن الحكيم من أوصافه سبحانه،
وأن ذلك نوعان : أحدهما : حكم . والثاني : أحكام . ثم ذكر أن الحكم
شرعي، وكوني، وأنها لا يتلازمان، وهذا لا يتمشى على أصول من يجعل حجة
الرب ورضاه ومشئته واحدة، فان من قال : كل ما شاء الله تعالى وقضاه
فقد أحبه ورضيه، لا يحسن منه ولا عنده هذا التفصيل، كما لا يخفى .
وأيضاً هذا إنما يصح عند من جعل القضاء غير المقضي، والفعل غير المفعول،
وهو مذهب السلف . وأما من لم يفرق بينها، فكيف يصح هذا عنده؟!
قال الناظم في « شرح منازل السائرين »^(١) : « إنما نشأ الاشكال من جعلهم

(١) وهو المعروف بـ « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » .

المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه بجعلهم الفعل نفس المفعول ، والقضاء عين المقضي ، فنشأ من ذلك إزامهم بكونه تعالى راضياً مجباً لذلك ، والتزم رضاهم به ، والذي يكشف هذه الغمة ، وينجي من هذه الورطة ، التفريق بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة ، فليسوا واحداً ، ولا هما متلازمان ، بل قديشاه ما لا يجبه ، ويجب ما لا يشاء كونه ، فالأول كمشيئته وجود إبليس وجنوده ، ومشيئته العمامة لجميع ما في الكون ، مع بغضه لبعضه . والثاني : كحجة إيمان الكفار ، وطاعات الفجار ، وعدل الظالمين ، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء ذلك لوجد كله ، فانه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

فاذا تقرر هذا الأصل أن الفعل غير المفعول ، والقضاء غير المقضي ، وأن الله جل شأنه لم يأمر عباده بالرضى بكل ما خلقه وشاءه ، وقد زالت الشبهات ، وانحلت الاشكالات . إذا عرف هذا ، فالرضى بالقضاء الديني الشرعي واجب ، وهو أساس الاسلام ، وقاعدة الايمان ، فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ، ولا منازعة ، ولا معارضة ، ولا اعتراض . قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) النساء : ٦٥ فأقسم تعالى أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه ، ويسلموا لحكمه ، وهذا حقيقة الرضى بحكمه ، فالتحكيم في مقام الاسلام ، وانتفاء الحرج في مقام الايمان ، والتسليم في مقام الإحسان . ومتى خالط القلب بشاشة الايمان ، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين ، وحيي بروح الوحي ، وتمهدت طبيعته ، وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة ، وتلقى الاسلام بصدر منشرح ، فقد رضي كل الرضى بهذا القضاء المحبوب لله ورسوله . انتهى

وقد أحببت أن أذكر هنا الآيات التي أظهرها بعض الزنادقة على لسان بعض أهل الذمة ، وبعض جواب شيخ الاسلام عنها ، وقد ذكرها الحافظ محمد ابن عبد الهادي في « مناقب الشيخ » وذكرها ابن السبكي في « طبقاته » قال ابن السبكي في ترجمة الشيخ علاء الدين الباجي : ولما ظهر السؤال الذي أظهره بعض المعتزلة ، وكتم اسمه ، وجعله على لسان بعض أهل الذمة ، وهو :

أيا علماء الدين ذمّي دينكم تحيّر دأوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني وسد الباب عني فهل إلى دخولي سبيل بينوا لي قضيتي؟
قضا بصلالي ثم قال ارض بالقضا فما أنا راض بالذي فيه شقوتي
فإن كنت بالمقضي يا قوم راضياً فربي لا يرضى بشؤم شكيتي
وهل لي رضى ما ليس يرضاه سيدي؟ فقد حرت دلوني على كشف حيرتي
إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة فهل أنا عاص في اتباع المشيئة
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين علي

قال : أجاب الشيخ علاء الدين الباجي الشافعي فقال :

أيا عالماً أبدى دلائل حيرة يروم اهتداء من أهيل فضيلة
لقد سرني أن كنت للحق طالباً عسى نفحة للحق من سحب رحمة
فبالحق نيل الحق فالجأ ببابه كأهل النهى واترك حبائل حيلة
قضى الله قدماً بالضلالة والهدى بقدرة فعال بأحكم حكمة

إذا العقل بل تحسينه بعض خلقه وليس على الخلاق حكم الخليفة
وأفعالنا من خلقه كذواتنا وما فيها خلق لنا بالحقيقة
ولكنه أجرى على الخلق خلقه دليل على تلك الأمور القديمة
عرفنا به أهل السعادة والشقا كما شاء فينا بمحض المشيئة
لباس أثواب جعلن أماراة على حالي حب وسخط لرؤية
تصاريفه فينا تصاريف مالك سما عن سؤال الكيف والسببية
أمات وأحيى ثم صار معافيا وقبح تحسين العقول الضعيفة
فكن راضياً نفس القضاء ولا تكن بقضي كفر راضياً ذا خطيئة
وتكليفنا بالأمر والنهي قاطع بأعذارنا في يوم بعث البرية
فعبر بسد أو بفتح وعد عن ضلالة تشكيك بأوضح حجة
وقد بان وجه الأمر والنهي واضحاً ولا شك فيه بل ولا وهم شبهة
قلت : هذا الجواب مبني على إنكار التحسين والتقييح العقليين ، كما هو
مذهب الأشاعرة ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ؛
وأحمد ، وأهل الحديث ، وغيرهم .

وأجاب شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فقال :

سؤالك يا هذا سؤال معاند تخاصم رب العرش باري البرية
وهذا سؤال خصم الملائع قديماً به إبليس أصل البلية

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة
فان جميع الكون أوجب فعله
وذات إله الخلق واجبة بما
فقولك لم قد شاء مثل سؤال من
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه
وفي الكون تخصيص كثير يدل من
وإصداره عن واحد بعد واحد
ولا ريب في تعليق كل مسبب
بل الشأن في الاسباب أسباب ماترى
وقولك لم شاء الإله هو الذي
فان المجوس القائلين بخالق
سؤالهم عن علة الشر أو وقعت
وإن ملاحيد الفلاسفة الألى
بغوا علة للكون بعد انعدامه
وإن مبادي الشر في كل أمة
بخوضهم في ذا كم صار شركهم
ويكفيك نقضاً أن ما قد سألته

هو الخوض في فعل الإله بعللة
مشيئة رب العرش باري الخليفة
لها من صفات واجبات قديمة
يقول فلم قد كان في الأزلية؟
وتحريمه قد جاء في كل شرعة
له نوع عقل أنه بارادة
أو القول بالتجويز رمية حيرة
بما قبله من علة موجبية
وإصدارها عن حكم محض المشيئة
أزل عقول الخلق في قعر حفرة
لنفع ورب مبدع للمضرة
رؤوسهم^(١) في شبهة المثوية
يقولون بالفعل القديم بعللة
فلم يجدوا ذا كم فضلوا بضلة
ذوي ملة ميمونة نبوية
وجاء دروس البيئات لفترة
من العذر مردود لدى كل فطرة

(١) في الأصل : أوائلهم .

وهيبك كفت اللوم عن كل كافر
فيلزمك الإعراض عن كل ظالم
فلا تغضبن يوماً على سافك دمًا
ولا شاتم عرضاً مصوناً وانعلا
ولا قاطع للناس نهج سبيلهم
ولا شاهد بالزور إفكاً وقرية
ولا مهلك للحرث والنسل عامداً
وكف لسان اللوم عن كل مفسد
وسهل سبيل الكاذبين تعمداً
وهل في عقول الناس أو في طباعهم
كآكل سم أو جب الموت أكله
فكفرك يا هذا كسم أكلته
ألست ترى في هذه الدار من جنى
ولا عذر للجاني بتقدير خالق
فان كنت ترجو أن تجاب بما عسى
فدونك رب العرش فاقصده ضارعا
وذلل قياد النفس للحق واسمعن
وكل غوي خارج عن محبة
من الناس في نفس ومال وحرمة
ولا سارق مالا لصاحب فاقة
ولا ناكح فرجاً على وجه غية
ولا مفسد في الأرض من كل وجهة
ولا قاذف للمحصات بريية
ولا حاكم للعالمين برشوة
ولا تأخذن ذا جرمة بعقوبة
على ربه من كل جاء بقرية
قيول لقول النذل ما وجه حيلتي
وكل بتقدير لرب البرية
وتعذيب نار مثل جرعة غصة
يعاقب إما بالقضا أو بشرعة؟!
كذلك في الأخرى بلامثنوية
ينجيك من نار الاله العظيمة
مريداً لان يهديك نحو الحقيقة
ولا تعرضن عن فكرة مستقيمة

وما بان حق فلا تتركه ولا تعص من يدعو لأقوم ربيعة
وأما رضانا بالقضاء فإتما كسقم وفقر ثم ذل وغربة
أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة وما كان من سوء بدون جريمة
وأما الأفاعيل التي كرهت لنا فلا ترتضى مسخوطة لمشيئة
وقد قال قوم من أولي العلم لا رضى بفعل المعاصي والذنوب الكريمة
وقال فريق يرتضى بقضائه ولا يرتضى المقضي لأقبح خلة
وقال فريق يرتضى بإضافة إليه وما فينا فدلقي بسخطة
فرتضى من الوجه الذي هو خلقه ونسخط من وجهه كتساب بحيلة
وأطال رحمه الله تعالى ، وهو جواب في غاية النفاسة ، والوفاء بالمقصود ،
تركنا نقل جميعه اختصاراً .

قول الناظم : هذا البيان يزِيل لبساً طالما هلكت عليه الناس الخ . أي :
إن هذا الذي ذكره في هذه المسألة يزِيل جميع الأشكالات فيما قوله .
أي : من وافق الحكم القدري الكوني ، وافق سخطة الله ، إذ لم يوافق
الحكم الديني الشرعي ، فلا يعدوه أجر إن خطأ ، أو أجر إن أصاب ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

والحكمة العليا على نوعين أيضاً حصلنا بقواطع البرهان

إحداهما في خلقه سبحانه نوعان أيضاً ليس يفترقان
أحكام هذا الخلق إذ إيجاده في غاية الإحكام والالتقان
وصدوره من أجل غايات له وله عليها حمد كل لسان
والحكمة الأخرى فحكمة شرعه أيضاً وفيها ذلك الوصفان
غاياتها اللاتي حمدن وكونها في غاية الإلتقان والإحسان

قال شيخ الاسلام رحمه الله لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى
وأحكامه قولان ، والأكثر على التعليل والحكمة ، وهل هي منفصلة عن
الرب لا تقوم به ، أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضاً قولان ،
وهل يتسلسل الحكم ، أو لا يتسلسل؟ أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي؟
فيه أقوال . قال : احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك
كتبنا على بني اسرائيل) المائدة - ٣٢ وقوله (كي لا يكون دولة) الحشر: ٦
وقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم) البقرة : ١٤٠ ونظائرهما ،
لأنه تعالى حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة ، لقوله تعالى (وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين) الأنبياء : ١٠٦ والاجماع واقع على اشتغال الأفعال على
الحكم والمصالح ، جوازاً عند أهل السنة ، ووجوباً عند المعتزلة ، فيفعل
ما يريد بحكمته ، والنافون للحكمة والعلة احتجوا أنه يلزم من قدم العلة قدم
المعلول ، وهو محال ، ومن حدوثها افتقارها الى علة أخرى ، وأنه يلزم
التسلسل . وقد أجلب الناظم وأظنب في كتابه « شرح منازل السائرين »^(١)
و « مفتاح السعادة » وغيرهما ، فمما احتج به في « مفتاح دار السعادة » قوله

(١) هو « مدارج السالكين شرح منازل السائرين »

تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فدل على أن هذا الحكم بشيء قبيح ، يتنزه الله عنه ، فأنكره من جهة قبحه في نفسه ، لا من جهة كونه أنه لا يكون . ومن هذا إنكاره سبحانه على من جوز أن يترك عباده سدى ، لا يأمرهم ولا ينههم ، ولا يشيهم ولا يعاقبهم ، وأن هذا الحساب باطل ؛ والله يتعالى عنه لمنافاته لحكمته . فقال تعالى (أحسب الانسان أن يترك سدى) القيامة : ٣٥ فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى ، إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه ، وأنه لا يليق أن ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين . ومثله قوله تعالى (أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم العينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) المؤمنون : ١١٥ فنزه نفسه سبحانه ، وباعدها عن هذا الحسبان ، وأنه متعال عنه ، فلا يليق به لقبه ومنافاته الحكمة ، ثم إنه رحمه الله بسط القول في ذلك بسطاً كثيراً ليجتمه هذا الموضع ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فصل

وهو الحيي فليس يفضح عبده	عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره	فهو الستير وصاحب الغفران
وهو الحلیم فلا يعاجل عبده	بعقوبة ليتوب من عصيان
وهو العفو فعفوه وسع الوری	لولا غار الأرض بالسكان

وهو الصبور على أذى أعدائه شتموه بل نسبوه للبهتان
قالوا له ولد وليس يعيدنا شتماً وتكذباً من الإنسان
هذا وذاك بسمعه وبعامه لو شاء عاجلهم بكل هوان
لكن يعافهم ويرزقهم وهم يؤذونه بالشرك والكفران

فصل

وهو الرقيب على الخواطر واللوا حظ كيف بالافعال بالاركان
وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـل بحفظهم من كل أمر عان
وهو اللطيف بعبده ولعبده والالطف في أوصافه نوعان
إدراك أسرار الأمور بخبرة واللفظ عند مواقع الاحسان
فيريك عزته ويدي لفظه والعبدي الغفلات عن ذا الشان

قوله : وهو اللطيف الخ . فسر الناظم اللطف في اوصافه سبحانه بنوعين
من اللطف : أحدهما : إدراك أسرار الأمور بخبرة . والثاني : اللطف عند
مواقع الاحسان ، وهذا معنى قول من فسر اللطف بأنه هو الذي يوصل
إليك أربك في رفق . وقيل : هو الذي اطف عن أن يدرك بالكيفية .

فصل

وهو الرفيق يجب أهل الرفق بل يعطيهم بالرفق فوق أمان
وهو القريب وقربه المختص بالداعي وعابده على الايمان
وهو المجيب يقول من يدعو أجبه أنا المجيب لكل من ناداني
وهو المجيب لدعوة المضطر اذ يدعوه في سر وفي اعلان
وهو الجواد فجوده عم الوجود جميعه بالفضل والاحسان
وهو الجواد فلا يخيب سائلا ولو انه من أمة الكفران
وهو المغيث لكل مخلوقاته وكذا يجيب اغاثة اللهبان

قوله : وهو القريب وقربه المختص بالداعي وعابده على الايمان
يعني : أن القرب المذكور في قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني
قريب) البقرة : ١٨٦ من هذا القرب مختص بالداعي ، فهو سبحانه قريب
من دعاه كما في « الصحيحين » عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي
ﷺ في سفر ، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير . فقال : « يا أيها الناس
اربعوا على أنفسكم ، فانكم لاتدعون أصم ولا غائبا ، إنما تدعون سميعا
قريبا ، إن الذي تدعونه أقرب الى احدكم من عنق راحلته . » وكذلك قول
صالح عليه السلام : (وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي قريب
مجيب) فقوله قريب مجيب مقرون بالتوبة والاستغفار ، أراد قريب مجيب
لاستغفار المستغفرين التائبين إليه ، كما أنه رحيم ودود . وقد قرن القريب

بالمجيب . ومعلوم أنه لا يقال : إنه يجب لكل موجود ، وإنما الاجابة لمن
سأله ودعاه

فصل

وهو الودود يحبهم ويحبه أحبابه والفضل للمناف
وهو الذي جعل المحبة في قلوبهم وجازاهم بحب ثان
هذا هو الاحسان حقاً لامعاً وضة ولا لتوقع الشكران
لكن يجب شكورهم وشكورهم لا لاحتياج منه للشكران
وهو الشكور فلن يضيع سعيهم لكن يضاعفه بلا حسابان
ما للعباد عليه حق واجب هو أوجب الاجر العظيم الشان
كلاً ولا عمل لديه ضائع إن كان بالاخلاص والاحسان
ان عذبوا فبعده او نعموا ففضله والحمد للمناف

قوله : وهو الودود . قال تعالى (وهو الغفور الودود) والبروج : ١٤ ؛ أي :
بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين ، لا يفضحهم بها ، بالغ المحبة للمطيعين من
أوليائه . قال مجاهد : الوداد لأوليائه ، فهو فعول بمعنى فاعل . وقال ابن زيد :
معنى الودود الرحيم . وقيل : الودود بمعنى المودود ؛ أي : يوده عباده
الصالحون ويحبونه ، كذا قال الأزهري . قال : ويجوز أن يكون فعولاً
بمعنى فاعل ؛ أي : يكون مجاباً لهم . قال : وكلتا الصفتين مدح ، لأنه
جل ذكره إن أحب عباده المطيعين ، فهو فضل منه ، وإن أحب عباده

العارفون ، فلما تقرر عندهم من كريم إحسانه ، قال ابن عباس :
الودود الحبيب .

قوله : يجب شكورهم الخ الأول بفتح الشين اسم فاعل من شكر
يشكر شكراً فهو شكور ، والثاني بضم الشين . مصدر

فصل

وهو الغفور فلو أتى بقراها من غير شرك بل من العصيان
لأتاه بالغفران ملء قراها سبحانه هو واسع الغفران
وكذلك التواب من أوصافه والتوب في أوصافه نوعان
إذن بتوبة عبده وقبولها بعد المتاب بمنة المنان

يشير الى الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه عن أنس قال :
سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنك
مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت
ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو
أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقراها مغفرة »

فصل

وهو الاله السيد الصمد الذي صمدت اليه الخلق بالاذعان

الكامل الاوصاف من كل الوجوه . كماله مافيه من نقصان

قال شيخ الاسلام في مسألة حسن إرادة الله تعالى . روينا من طريق غير واحد ، كعثمان بن سعيد الدرامي ، وأبي جعفر الطبري ، والبيهقي ، وغيرهم في تفسير علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى . (الصمد) قال : السيد الذي كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، وللعالم الذي قد كمل في علمه ، والحليم الذي قد كمل في حلمه . وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله عز وجل هذه صفته ، لا ينبغي إلا له ، ليس له كفاء وليس كمثلته شيء ، سبحان الله الواحد القهار .

وكذلك القهار من أوصافه فالخلق مقهورون بالسلطان
لو لم يكن حياً عزيزاً قادراً ما كان من قهر ولا سلطان
وكذلك الجبار من أوصافه والجبر في أوصافه قسمان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه دان
والثاني جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه من انسان
وله مسمى ثالث وهو العلو فليس يدنو منه من انسان
من قولهم جبارة للنخلة العليا التي فاتت لكل بنان
قوله : والجبر في أوصافه قسمان . ذكر للجبر معنيين في أوصاف
الرب سبحانه : أحدهما : جبر الضعيف ، وكل قلب قد غدا الخ . ومنه

الحديث « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » والثاني جبر القهر بالعزيز الذي لا ينبغي لسواه سبحانه .

قوله : وله مسمى ثالث وهو العلو. والمعنى : أنه لا يدنو منه انسان ومنه قولهم : جبارة ، لئلا تخطأ العلياء المرتفعة ، والله أعلم .

فصل

وهو الحسيب كفاية وحماية والحسيب كافي العبد كل أوان

وهو الرشيد فقوله وفعاله رشد وربك مرشد الحيران

وكلاهما حق فهذا وصفه والفعل للإرشاد ذاك الثاني

والعدل من أوصافه في فعله ومقاله والحكم بالميزان

فعل الصراط المستقيم إلهنا قولاً وفعلاً ذاك في القرآن

تقدم الكلام على قوله تعالى (ان ربي على صراط مستقيم) في

أوائل هذا النظم .

فصل

هذا ومن أوصافه القدوس ذوالاستنزيه بالتعظيم للرحمن

وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن نقصان

والبر في أوصافه سبحانه هو كثرة الخيرات والاحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن ومولى الجميل ودائم الاحسان
وكذلك الوهاب من أسمائه فانظر مواهبه مدى الازمان
اهل السموات العلى والارض عن تلك المواهب ليس ينفكان
وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في اوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بدين كليهما عدلا واحسانا من الرحمن
وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله نوعان ايضا ذان معروفان
رزق القلوب العلم والايان والرزق المعد لهذه الابدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا رزاقه والفضل للمنان
والثاني سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكون من الحرام كلاهما رزقان
والله رازقه بهذا الاعتبار وليس بالاطلاق دون بيان

ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أن الرزق نوعان : رزق
القلوب ، العلم والايان على يد عبده ورسوله محمد ﷺ ، والنوع الثاني :

الرزق المعد للأبدان ، والله تعالى هو رازقه ، لكنه يساق الى الأعضاء ، ويكون من الحلال والحرام ، والله رازقه بهذا الاعتبار ، وهذه المسألة قد اختلف فيها . فقول : إن الحرام رزق ، وكل يستوفي رزقه حلالاً كان أو حراماً ، لحصول التغذية بها جميعاً ، غير أن العبد يستحق الذم والعقاب على أكل الحرام ، خلافاً للمعتزلة ، فانهم قالوا : الحرام ليس برزق ، وفسروه قارة بملوك يأكله المالك ، وقارة بما لا يمنع عن الانتفاع به ، وذلك لا يكون الا حلالاً ، فيلزمهم على التفسير الأول أن ماياً كله الدواب ليس برزق ، مع ظاهر قوله تعالى (وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها) هود: ٦ فيكون مصادماً للقرآن ، لأنه يقتضي أن تكون كل دابة مرزوقة ، ولا ينفعهم زعمهم أن تسمية ماياً كله الدواب رزقاً مبني على تشبيهه بما هو مملوك الانسان فياً كله ، فيكون لفظ الرزق مجازاً عما تأكله الدواب ، فلا يلزم أن تكون كل دابة مرزوقة حقيقة ، لأننا نقول : هذا التأويل مخالف لظاهر القرآن ، وهو خلاف المتعارف في اللغة ؛ فلا يصح ارتكابه من غير ضرورة . ثم إن تفسيرهم الرزق بذلك ليس بمطرد ولا منعكس ، لدخول ملك الله تعالى ، وخروج رزق الدواب والعبيد والإماء يلزمهم أيضاً على الوجهين أن من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلاً ، وهو خلاف الاجماع الحاصل من الأمة قبل ظهور المعتزلة ، أن لا رازق الا الله ، وإن استحق العبد اللوم والذم على اكل الحرام ، والاضافة الى الله تعالى معتبرة في مفهوم الرزق ، وكل أحد مستوف رزق نفسه ، حلالاً كان أو حراماً ، ولا يتصور أن يأكل الانسان رزقه ، أو يأكل غير رزقه ، لأن ما قدر الله تعالى غذاء لشخص يجب أن يأكله ، ويمتنع أن يأكله غيره ، والله أعلم .

فصل

هذا ومن اوصافه القيوم والقيوم في اوصافه أمران
احدهما القيوم قام بنفسه والكون قام به هما الامران
فالاول استغناؤه عن غيره والفقر من كل اليه الثاني
والوصف بالقيوم ذو شان عظيم هكذا موصوفه أيضاً عظيم الشان
والحي يتلوه فأوصاف الكمال هما لأفق سماها قطبان
فالحي والقيوم لن تتخلف الـ اوصاف أصلاً عنهما ببيان
هو قابض هو باسط هو حافظ هو رافع بالعدل والميزان
وهو المعز لأهل طاعته وذا عز حقيقي بلا بطلان
وهو المذل لمن يشاء بذلة الـ دارين ذل شقاً وذل هوان
هو مانع معط فهذا فضله والمنع عين العدل للمنان
يعطي برحمته ويمنع من يشاء بحكمة والله ذو سلطان

قوله : والقيوم في اوصافه أمران الخ ؛ أي : إن القيوم هو الذي
قام بنفسه ، وقام به الكون ، فالأول : هو استغناؤه عن غيره ، والثاني :
افتقار كل شيء اليه . قال المفسرون : (القيوم) القائم على كل نفس
بما كسبت . وقيل : القائم بذاته المقيم لغيره . وقيل : القائم بتدبير خلقه
وحفظه . وقيل : هو الذي لا ينام . وقيل : الذي لا يبدل له . وقرأ جماعة

(التقييم) بالألف . وروي ذلك عن عمر رضي الله عنه و (الحي) يتلوه
(القيوم) فهما كما قال الناظم لأفق سمائها؛ أي : الصفات قطبان ، فالصفات
لا تتخلف عنها كما مثل به من قوله : هو قابض هو باسط هو خافض الخ .

فصل

والنور من أسمائه ايضاً ومن اوصافه سبحانه ذي البرهان
قال ابن مسعود كلاماً قد حكا هالدارمي عنه بلا زكيران
ما عنده ليل يكون ولا نها ر قلت تحت الفلك يوجد دان
نور السموات العلى من نوره والارض كيف النجم والقمران
من نور وجه الرب جل جلاله وكذا حكاه الحافظ الطبراني
فيه استنار العرش والكرسي مع سبع الطباق وسائر الاكوان

قال عبد الله بن مسعود : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور
السموات من نور وجهه .

وكتابه نور كذلك شرعه نور كذا المبعوث بالفرقان
وكذلك الايمان في قلب الفتى نور على نور مع القرآن
وحجابه نور فلو كشف الحجاب لأحرق السبحات للاكوان

تقدم حديث ابي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل النهار قبل الليل ، وعمل الليل قبل النهار ، حجاب النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » رواه مسلم .

وإذا أتى للفصل يشرق نوره في الارض يوم قيامة الابدان

قال تعالى (واشرقت الأرض بنور ربها) الزمر: ٦٩ فاخبر أن الأرض يوم القيامة تشرق بنوره ، وهو نوره الذي نوره ، فانه سبحانه يأتي لفصل القضاء بين عباده ، وينصب كرسيه بالأرض ، فإذا جاء الله تعالى أشرقت الأرض ، وحق لها أن تشرق بنوره ، وعند المعطلة لا يأتي ولا يجيء ، ولا له نور تشرق له الارض . كذا أفاده الناظم في كتاب « الصواعق »

وكذا كدار الرب جنات العلى نور تلاً لاً ليس ذا بطلان

والنور ذو نوعين مخلوق ووصف ماهما والله متحدان

وكذلك المخلوق ذو نوعين محسوس ومعقول هما شيان

احذر تزل فتحت رجلك هوة كم قد هوى فيها على الازمان

من عابد بالجهل زلت رجله فبهي الى قعر الحضيض الداني

لاحت له أنوار آثار العباد ذة ظنها الانوار للرحمن

فأتى بكل مصيبة وبلية ماشئت من شطح ومن هذيان

وكذا الحلولي الذي هو خدنه من هاهنا حقاً هما أخوان

ويقابل الرجلين ذو التعطيل والحجب الكثيفة ماهما سيان

ذافي كثافة طبعه وظلامه وبظلمة التعطيل هذا الثاني
والنور محجوب فلا هذا ولا هذا له من ظلمة يريان

قوله : احذر تزل فتحت رجلك هوة النخ

قال الناظم رحمه الله تعالى : في « شرح منازل السائرين » في شرح الدرجة
الثالثة من منزلة العطش على قول صاحب « المنازل » ولا يعرج دونها على
انتظار بعد كلام سبق : ولا سبيل لأحد قط في الدنيا الى مشاهدة الحق
ولما وصله الى شواهد الحق ، ومن زعم غير هذا فالغلبة الوهم عليه ، وحسن
ظنه بترهات القوم وخيالاتهم . والله در الشبلي حيث سئل عن المشاهدة
فقال : من أين لنا مشاهدة الحق ؟ لنا شاهد الحق هذا ، وهو صاحب
السطحات المعروفة ، وهذا من أحسن كلامه وأبينه . وأراد بشاهد الحق
ما يغلب على القلوب الصادقة العارفة الصافية ، من ذكره ، ومحبته ، واجلاله
وتعظيمه ، ووقاره بحيث يكون ذلك حاضراً فيها ، مشهوداً لها ، غير
غائب عنها . ومن أشار الى غير ذلك فمغرور مخدوع ، وغايته أن يكون
في حقارة صدقه ، وضعف تمييزه وعلمه . ولا ريب أن القلوب تشاهد أنواراً
بحسب استعدادها ، تقوى تارة ، وتضعف أخرى ، ولكن تلك أنوار
الاعمال ، والايان ، ، والمعارف ، وصفاء البواطن والأسرار ، لأنها نور
الذات المقدسة ، فان الجبل لم يثبت للسير من ذلك النور حتى تدكدك ،
وخر الكليم صعباً مع عدم تجليه له ، فما الظن بغيره ؟ ! فإياك ثم إياك .
وترهات القوم ، وخيالاتهم وأوهامهم ، فإنها عند العارفين أعظم من حجاب
النفس وأحكامها ، فان المحجوب بنفسه معترف بأنه في ذلك الحجاب ،
وصاحب هذه الخيالات والأوهام يرى أن الحقيقة قد تجلت له أنوارها ،

ولم يحصل ذلك لموسى بن عمران كليم الرحمن ، فحجاب هؤلاء أغلظ بلا شك من حجاب أولئك ، ولا يقرلنا بهذا إلا عارف قد أشرق في باطنه نور المحمدية ، فرأى ما الناس فيه ، وما أعز ذلك في الدنيا ، وما أغربه بين الخلق ، وبالله المستعان . انتهى كلامه .

وقوله : هوة . قال في « القاموس » الهوة كقوة : ما انهبط من الأرض أو الوهدة الغامضة منها ، كالهوانة ، كرمانة : انتهى :

قوله : والنور ذو نوعين الخ

قال الناظم في « الصواعق المرسلّة » قد ورد النص . بتسمية الرب نوراً وبأن له نوراً مضافاً إليه ، وبأنه نور السموات والأرض ، وبأن حجاب به نور ، فهذه أربعة أنواع .

فالاول : يقال عليه سبحانه بالاطلاق ، فانه النور الهادي .

والثاني : يضاف اليه ، كما يضاف اليه حياته ، وسمعه ، وبصره ، وعزته وقدرته ، وعلمه . وتارة يضاف الى وجهه ، وتارة يضاف الى ذاته ، فالأول كقوله « أعوذ بنور وجهك » وقوله : « نور السموات والأرض من وجهه » والثاني كقوله تعالى : (وأشرقت الأرض بنور ربها .) الزمر : ٦٩ وقول ابن عباس : ذلك نوره الذي اذا تجلى به .

وقوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمر « وإن الله خلق خلقه في ظلمة ؛ ثم ألقى عليهم من نوره ... الحديث . والثالث : وهو إضافة نوره الى السموات والأرض ، كقوله تعالى (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ الرابع : كقوله : حجاب به نور ، فهذا النور المضاف اليه يجيء على أحد الوجوه الاربعة . والنور الذي احتجب به سمي نوراً وناراً ، كما وقع التردد في لفظه في الحديث الصحيح ، حديث أبي موسى الأشعري ، وهو قوله

« حجابة النور والنار ، فان هذه النار هي نور ، وهي التي كلم الله كلمه موسى منها ، وهي نار صافية ، لها إشراق بلا احراق ، فالاقسام ثلاثة : إشراق بلا احراق ، كنور القمر ، وإحراق بلا إشراق ، وهي نار جهنم فانها سوداء محرقة لا تضيء ، وإشراق باحراق وهي هذه النار المضئئة ، وكذلك نور الشمس له الاشراق والاحراق ، فهذا في الأنوار المشهودة المخلوقة ، وحجاب الرب تبارك وتعالى نور ، وهو نار ، وهذه الأنواع كلها حقيقة بحسب مراتبها ، فنور وجهه حقيقة لا يجاز ، واذا كان نور مخلوقاته كالشمس والقمر والنار حقيقة ، فكيف يكون نوره الذي نسبة الأنوار المخلوقة اليه أقل من نسبة سراج ضعيف ألى قرص الشمس ؟ ! فكيف لا يكون هذا النور حقيقة . انتهى كلامه .

فصل

وهو المقدم والمؤخر ذانك الـصـفان للأفعال تابعان وهما صفات الذات أيضاً إذ هما بالذات لا بالغير قائمتان ولذلك قد غلط المقسم حين ظن صفاته نوعين مختلفان إن لم يرد هذا ولكن قد أرا دقياما بالفعل ذي الامكان والفعل والمفعول شيء واحد عند المقسم ماها شيان فلذلك وصف الفعل ليس لديه إلا نسبة عدمية ببيان فجميع اسماء الفعال لديه ليست قط ثابتة ذوات معان موجودة لكن امور كلها نسب ترى عدمية الوجدان

هذا هو التعطيل للأفعال كالتعطيل للأوصاف بالميزات
فالحق أن الوصف ليس بمورد التقسيم هذا مقتضى البرهان
بل مورد التقسيم ما قد قام بالذات التي للواحد الرحمن
ففيها إذاً نوعان أوصاف وأفعال فهذه قسمة التيات
فالوصف بالأفعال يستدعي قيا م الفعل بالموصوف بالبرهان
فالوصف بالمعنى سوى الأفعال ما إن بين ذينك قط من فرقان
ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان
قامت بمن هي وصفه هذا محال غير معقول لذي الأذهان
وأتوا إلى الأوصاف باسم الفعل قالوا لم تقم بالواحد الديان
فانظر إليهم أبطلوا الأصل الذي ردوا به أقوالهم بوزان
إن كان هذا ممكناً فكذلك قول خصومكم أيضاً فذو إمكان
والوصف بالتقديم والتأخير كوني وديني وهما نوعان
وكلاهما أمر حقيقي ونسبي ولا يخفى المثال على أولي الأذهان
والله قدر ذلك أجمعه بأحكام واتقان من الرحمن
قوله ولذلك قد غلط المقسم ؛ أي : إن الجهمية ومن تبعهم من
المعتزلة والاشعرية قالوا : إن الفعل هو المفعول ، والخلق هو الخلق ، وقد
أشرنا إلى ذلك فيما تقدم ، ولنزد ذلك ايضاً فنقول : قال النسفي

رحمه الله في « عقائده المشهورة » والتكوين صفة لله أزلية ، وهو تكوينه للعالم ، وكل جزء من أجزائه ، وهو غير المكون عندنا . قال شارحها المحقق سعد الدين التفتازاني : التكوين : هو معنى المبرعنه بالفعل ، والخلق والتخليق ، والايجاد ، والاحداث ، والاختراع ، ونحو ذلك ، ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود ، صفة لله تعالى ، لإطباق العقل والنقل على أنه خالق للعالم ، مكون له ، وامتناع اطلاق اسم المشتق على الشيء ، من غير أن يكون مأخذ الاستقاق وصفا قائماً به أزلية لوجوه :

الأول : أن يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى .

الثاني : أنه وصف ذاته في كلامه الأزلي بأنه الخالق ، فلو لم يكن

في الأزل خالقا للزم الكذب ، أو العدول الى المجاز ؛ أي : الخالق فيما يستقبل أو القادر على الخلق من غير تعذر الحقيقة ، على أنه لو جاز إطلاق

الخالق عليه بمعنى القادر ، لجاز إطلاق كل ما يقدر عليه من الاعراض

الثالث : أنه لو كان حادثا ، فاما بتكوين آخر ، فيلزم التسلسل وهو

محال ، ويلزم منه استحالة تكون ، مع أنه مشاهد ، وإما بدونه ، فيستغني الحوادث عن المحدث والاحداث ، وفيه تعطيل الصانع .

الرابع : أنه لو حدث ، لحدث إما في ذاته تعالى ، فيصير محلا للحوادث ،

أو في غيره كما ذهب اليه أبو الهذيل من أن تكوين كل جسم قائم به ، فيكون كل جسم خالقا ومكونا لنفسه ، ولاخفاء في استحالته . ومبني هذه الادلة أن التكوين صفة

حقيقة ، كالعلم ، والقدرة . قال : والمحققون من المتكلمين على أنه من الاضافات

والاعتبارات العقلية ، مثل كون الصانع تعالى وتقدس قبل كل شيء ومعه وبعده ، ومدكوراً بالسنتبا ، ومعبوداً لنا ، وميتاً ، ومحياً ، ونحو ذلك

قال : والحاصل في الأزل هو مبدأ التخليق ، والترزيق ، والإماتة والإحياء

وغير ذلك ، ولا دليل على كونه صفة أخرى سوى القدرة ، والارادة وان كانت نسبتها الى وجود المكون وعدمه على السواء ، لكن مع انضمام الارادة بتخصيص أحد الجانبين . قال : ولما استدل القائلون بحدوث التكوين بأنه لا يتصور بدون المكون ، كالضرب بدون المضروب ، فلو كان قديماً لزم قدم المكونات ، وهو محال ، أشار النسفي الى الجواب بقوله : وهو أي التكوين تكوينه للعالم ، ولكل من أجزائه ، لاني الأزل ، بل لوقت وجوده على حسب علمه و ارادته ، فالتكوين باق أزلاً وأبداً ، والمكون حادث بحدوث التعلق ، كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لا يازم من قدمها قدم متعلقاتها ، لكون تعلقاتها حادثة ، وهذا تحقيق مايقال : إن وجود العالم إن لم يتعلق بذات الله تعالى أو صفة من صفاته ، لزم تعطيل الصانع ، واستغناء الحوادث عن الموجد ، وهو محال ، وإن تعلق ، فإما أن يستلزم ذلك قدم مايتعلق وجوده به ، فيلزم قدم العالم ، وهو باطل أولاً ، فليكن التكوين أيضاً قديماً مع حدوث المكون المتعلق به . وما يقال بأن القول بتعلق وجود المكون بالتكوين قول بحدوثه ، إذ القديم ما لا يتعلق وجوده بالغير ، والحوادث ما يتعلق به ، فمنظور فيه ، لأن هذا معنى القديم والحوادث بالذات على مايقول به الفلاسفة . وأما عند المتكلمين ، فالحوادث ما لوجوده بداية ؛ أي يكون مسبوقاً بالعدم ، والقديم بخلافه ، ومجرد تعلق وجوده بالغير لا يستلزم حدوثه بهذا المعنى ، لجواز أن يكون محتاجاً الى الغير صادراً عنه دائماً بدوامه ، كما ذهب اليه الفلاسفة فيما ادعوا قدمه من الممكنات ، كما هيولي مثلاً . نعم إذا أثبتنا صدور العالم عن الصانع بالاختيار دون الايجاب بدليل لا يتوقف على حدوث العالم ، كان القول بتعلق وجوده بتكوين الله تعالى قولاً بحدوثه . ومن هنا يقال : ان التنصيص

على كل جزء من أجزاء العالم إشارة الى الرد على من زعم قدم بعض الأجزاء كاليهولى ، وإلا فهم انما يقولون بقدمها بمعنى عدم المسبوقية بالعدم ، لا بمعنى عدم تكونه بالغير .

والحاصل أنا لانسلم أنه لا يتصور التكوين بدون المكون ، وأن وازنه معه وزان الضرب مع المضروب ، فان الضرب صفة إضافية لا يتصور بدون المضافين . أعني : الضارب والمضروب . وقد بينا أن التكوين صفة حقيقة ، هي مبدأ الاضافة التي هي إخراج المعدوم من العدم الى الوجود ، لا عينها ، حتى لو كانت عينها على ما وقع في عبارة بعض المشايخ لكان القول بتحققها بدون المكون مكابرة وانكاراً للضرورة ، فلا يندفع بما يقال من أن الضرب مستحيل البقاء ، فلا بد لتعلقه بالمفعول ، ووصول الألم اليه من وجود المفعول معه ، إذ لو تأخر لانعدم ، كذا قيل ، وهذا بالنسبة لفعل المخلوق ، وهو بخلاف فعل الباري ، فانه أزي الدوام ، يبقى الى وقت وجود المفعول ، فالتكوين غير المكون عندنا ، لأن الفعل يغير المفعول بالضرورة ، كالضرب مع المضروب ، والأكل مع المأكول ، ولأنه لو كان نفس المكون ، لازم أن يكون المكون مكوناً مخلوقاً بنفسه ، ضرورة أنه مكون بالتكوين الذي هو عينه ، فيكون قديماً مستغنياً عن الصانع ، وهو محال وأن لا يكون للخالق تعلق بالعالم سوى أنه أقدم منه ، وقادر عليه من غير صنع وتأثير فيه ، ضرورة تكونه بنفسه ، وهذا لا يوجب كونه خالقاً للعالم ، والعالم مخلوقاً ، فلا يصح القول بأنه خالق العالم وصانعه ، وهذا خلق ، وأن لا يكون الله مكوناً للأشياء ، ضرورة أنه لا معنى للمكون إلا من قام به التكوين ، والتكوين اذا كان عين المكون ، لا يكون قائماً بذات الله تعالى ، وإن يصح القول بأنه خالق سواد هذا الحجر أسود ، وهذا الحجر خلق السواد ،

إذ لا معنى للخالق والأسود إلا من قام به الخلق والسواد ، وهما واحد ،
فحملهما واحد ، هذا كله تنبيه على كون الحكم بتغاير الفعل والمفعول ضرورياً .
ثم قال السعد التفتازاني : وهذا يعني إبطال القول بأن الفعل هو المفعول ،
لا يتم إلا بإثبات أن تكون الأشياء ، وصدورها عن الباري تعالى يتوقف
على صفة حقيقية قائمة بالذات ، مغايرة للقدرة والارادة . قال : والتحقيق
أن تعلق القدرة على وفق الارادة بوجود المقدور لوقت وجوده ، إذا نسب
للقدرة يسمى إيجابها له ، وإذا نسب الى القادر يسمى الخلق والتكوين ،
ونحو ذلك ، فحقيقة كون الذات بحيث تعلق قدرته بوجود المقدور لوقته ،
ثم يتحقق بحسب خصوصيات المقدورات خصوصيات الأفعال ، كالترزيق ،
والتصوير ، والاحياء ، والإماتة ، وغير ذلك ، الى ما لانهاية له . قال :
وأما كون كل من ذلك صفة حقيقة أزلية ، فمما تفرد به علماء ما وراء
النهر ، وفيه تكثير للقدماء جداً وإن لم تكن متغايرة . قال : والأقرب
مآذبه اليه المحققون منهم ، وهو أن مرجع الكل الى التكوين ، فانه ان
تعلق بالحياة سمي إحياء ، وبالموت سمي إماتة ، وبالصورة تصويراً ، وبالرزق
ترزيقاً ، الى غير ذلك ، فالكل تكوين ، وانما الخُصوص بخصوص
التعلقات . انتهى .

قلت : مراده بقوله : مما تفرد به بعض علماء ما وراء النهر ، علماء الكلام ،
والافه مذهب السلف ، كما تقدمت الاشارة اليه ، وهو الذي دل عليه
الكتاب والسنة ، ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في
« شرح العقائد الاصفهانية » الصواب أن الخلق غير الخلق . قال :
والذين يقولون : الخلق هو الخلق ، قولهم فاسد ، وبين وجه فساد ، وما
ذكر من الآيات القرآنية ، والأخبار النبوية الدالة على هذا الأصل شيئاً

كثيراً ، مثل (كل يوم هو في شأن) الرحمن : ٢٩ (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) محمد : ٢٨ وقوله : (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم) الزمر : ٧ فأخبر أن طاعته سبب لمحبه ورضاه ، ومعصيته سبب لسخطه وغضبه . وقال تعالى (فاذا كروني اذ كركم) البقرة : ١٥٢ وجواب الشرط كالمسبب مع السبب . وفي « الصحيح » عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « من ذكرني في نفسه ذكرتة في نفسي ، ومن ذكرني في ملاء ذكرتة في ملاء خير منهم ، ومن تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعاً ، ومن تقرب الي ذراعاً تقربت اليه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » وفي « الصحيحين » وغيرهما « لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من أضل راحلته بأرض دوية مهلكة ، عليها طعامه وشرابه ، فنام تحت شجرة ينتظر الموت ، فلما استيقظ إذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه ، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا راحلته » وفي « الصحيح » « يضحك الله الي رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة » وفي « الصحاح » و « والسنن » و « المساند » من هذا شيء كثير ، يتعذر أو يتعسر إحصاؤه . وقد ذكر من ذلك شيئاً كثيراً ، ثم قال : وبهذا الاصل العظيم الذي دلت عليه الكتب المنزلة من الله تعالى ، القرآن والتوراة ، والانجيل ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة ، يظهر بطلان مذهب القائلين بالقدماء الخمسة . انتهى .

قول الناظم : فلذلك وصف الفعل ليس الا نسبة عدمية النخ . يعني : ان القائلين بأن الفعل هو المفعول عندهم أن صفة الفعل نسبة ، والنسب ، أمور عدمية ، فجميع أسماء الفعال عندهم نسب ، والنسب أمر عدمي ،

فهذا منهم تعطيل للأفعال ، كما عطوا الصفات .

قوله : والحق أن الوصف ليس بمورد التقسيم ؛ أي : بل مورد التقسيم ما قام بالذات ، وهي أوصاف وأفعال ، فالوصف بالأفعال يستدعي قيام الفعل بالموصوف بالبراهين القاطعة عقلاً ونقلًا .

قوله : ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان . أي : ومن العجائب أن الأشاعرة ردوا على المعتزلة في اثباتهم الاسماء دون معانيها . كقولهم : قدير بلا قدرة ، سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر ، مرید بلا إرادة ، ونحو ذلك . ثم أتوا الى الأوصاف باسم الفعل فقالوا : لم يقيم بالله تعالى ، فأبطلوا الأصل الذي ردوا به على المعتزلة ، والله أعلم .

فصل

هذا ومن أسمائه ما ليس يفرد بل يقال إذا أتى بقران وهي التي تدعى بمزدواجتها أفرادها خطر على الإنسان إذ ذاك وهم نوع نقص جل رب العرش عن عيب وعن نقصان كالمانع المعطي وكالضار الذي هو نافع وكماله الأمان ونظير هذا القابض المقرون باسم الباسط اللفظان مقترنان وكذا المعز مع المذل وخافض مع رافع لفظان مزدوجان وحديث أفراد اسم منتقم فهو قوف كما قد قال ذو العرفان

ما جاء في القرآن غير مقيد بالمجرمين وجابذو نوعان

قال الناظم في « بدائع الفوائد » بعد كلام سبق : السادس : حفة
تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على
مفرديهما ، نحو الغني ، الغفور ، القدير ، الحميد ، المجيد ، وهكذا عامة
الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن ، فان الغناء صفة كمال ، والحمد
كذلك ، واجتماع الغناء مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه ، وثناء من
حمده ، وثناء من اجتماعها ، وكذلك الغفور القدير ، والحميد المجيد ، والعزيز
الحكيم ؛ فتأمله فانه من أشرف المعارف . وقال في موضع آخر : ومنها
ما لا يطلق عليه بمفرده ، بل مقروناً بمقابله ، كالمانع ، والضار ، والمنتقم ،
فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله ، فانه مقرون بالمعطي ، والنافع ، والغفور ،
فهو المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، العفو ، المنتقم ، المعز ، المذل ، لأن
الكمال في اقتران كل اسم من هذه بمقابله ، لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية
وتدبير الخلق ، والتصرف فيهم ، عطاء ، ومنعاً ، ونفعاً ، وضراً ، وعفواً ،
وانتقاماً . وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والاضرار ، فلا يسوغ ،
فهذه الأسماء المزدوجة يجري الاسمان مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل
بعض حروفه عن بعض ، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ،
ولذلك لم تجيء مفردة ، ولم تطلق عليه الا مقترنة ، فاعلمه ، فلو قلت : يامذل
ياضار ، يامانع . أو أخبرت بذلك ، لم تكن مثنياً عليه ، ولا حامداً حتى
تذكر مقابله . وأما الحديث الذي فيه أفراد اسم المنتقم ، فهو موقوف ،
كما قال الناظم ، والله أعلم .

فصل

ودلالة الاسماء أنواع ثلاث كل ما معلومة ببيان
دلت مطابقة كذلك تضمناً وكذا التزاماً واضح البرهان
أما مطابقة الدلالة فهي ان الاسم يفهم منه مفهومان
ذات الإله وذلك الوصف الذي يشتق منه الاسم بالميزان
لكن دلالة على إحدهما بتضمن فافهمه فهم بيان
وكذا دلالة على الصفة التي ما اشتق منها فالتزام ذات
وإذا أردت لذا مثلاً بياناً فمثال ذلك لفظة الرحمن
ذات الإله ورحمة مدلولها فهما لهذا اللفظ مدلولان
إحدهما بعض لذا الموضوع فهمي تضمن ذات واضح التبيان
لكن وصف الحي لازم ذلك المعنى لزوم العلم للرحمن
فلذا دلالة عليه بالتزام بين والحق ذو تبيان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان أنواع الدلالات الثلاثة ، وهي المطابقة ،
والتضمن ، والالتزام ، وذلك مثل ما مثل به الناظم ، وهو لفظة الرحمن ،
فإنها دلت على الصفة المشتق منها ، وعلى ذات الرب سبحانه ، لكن دلالة على
إحدهما بالتضمن . وأما دلالتها على الصفة التي لم يشتق منها اللفظ كالحياة ،
والعلم ، فهي بالالتزام ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « شرح المنازل » الاسم من أسمائه تبارك وتعالى ، كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة ، فانه يدل دلالتان آخرتان بالتضمن والزموم ، فيدل على الصفة بفردتها بالتضمن ، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة ؛ ويدل على الصفة الأخرى بالزموم ، فان اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة ، وعلى الذات وحدها ، والسمع وحده بالتضمن ، ويدل على اسم الحي وصفة الحياة بالالتزام . انتهى .
وهذا واضح في بيان كلام الناظم رحمه الله تعالى .

فصل

في بيان حقيقة الاتحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين

أسماءه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعان
إياك والإلحاد فيها إنه كفر معاذ الله من كفران
وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالاشراك والتعطيل والنكران
فالملحدون اذا ثلاث طوائف فعليهم غضب من الرحمن
المشركون لأنهم سموا بها أوثانهم قالوا إله ثان
هم شبهوا المخلوق بالخالق عكس مشبه الخلاق بالانسان
وكذاك أهل الاتحاد فانهم اخوانهم من أقرب الإخوان

أعطوا الوجود جميعه أسماءه إذ كان عين الله ذي السلطان
والمشركون أقل شركاً منهم هم خصصوا ذا الاسم بالأوثان
ولذلك كانوا أهل شرك عندهم لو عمموا ما كان من كفران

ذكر الناظم رحمه الله في أول الأبيات ، أن أسماءه سبحانه أوصاف مدح ،
فهي أعلام ، وأوصاف ، والوصف فيها لا ينافي العلمية ، بخلاف أوصاف العباد ،
فإنها تنافي علميتهم ، لأن أوصافهم مشتركة ، ففاتها العلمية المختصة ، بخلاف
أوصافه تعالى .

قوله : مشتقة النخ . أي : إذا أطلق الاسم عليه تعالى ، جاز أن
يشق منه المصدر والفعل ، فيخبر عنه فعلاً أو مصدرأ ، نحو السميع ،
البصير ، القدير ، يطاق عليه منه اسم السمع والبصر والقدرة ، ويخبر عنه
بالأفعال من ذلك ، نحو (قد سمع الله) المجادلة : ١ وقد رأى الله (فنعم
القادرون) المرسلات : ٢٣ هذا إذا كان الفعل متعدياً فإن كان لازماً ، لم يخبر عنه
به ، نحو الحي ، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل ، فلا يقال : حي ،
كذا أفاده الناظم في « بدائع الفوائد » وينبغي أن يعلم أن الأسماء الحسنى
لها اعتباران : اعتبار من حيث الأسماء ، واعتبار من حيث الصفات ، فهي
بالاعتبار الأول مترادفة ، وبالاعتبار الثاني متباينة ، والله أعلم .

قوله : إياك والاحاد فيها النخ . اعلم أن الاحاد في أسمائه سبحانه ، هو
العدول بها وبجهاتها ومعانيها عن الحق الثابت لها ، وهو مأخوذ من الميل ،
كما يدل عليه مادة (حد) ومنه اللحد ، وهو الشق في جانب القبر الذي قد
مال عن الوسط ، ومنه الملحد في الدين : المائل عن الحق الى الباطل . قال
ابن السكيت : الملحد : المائل عن الحق : المدخل فيه ما ليس منه ، ومنه
الملتحد ، وهو مفتعل ، ومن ذلك قوله تعالى (ولن تجد من دونه ملتحداً) الجن : ٢٢

أي: من تعدل اليه ، وتهرب اليه ، وتلتجئ إليه ، وتبتهل اليه غيره .
تقول العرب : التحد فلان الى فلان ، اذا عدل اليه .
إذا عرف هذا ، فالإلحاد في أسماءه تعالى أنواع : أحدها : أن تسمى
الأصنام بها ، كتميتهم اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، وتسميتهم
الصنم إلهاً ، وهذا إلحاد حقيقة ، فانهم عدلوا بأسمائه الى أوثانهم وآلهتهم الباطلة .
قوله : و كذلك أهل الاتحاد الخ . أي : أن أهل الاتحاد القائلين بوحدة
الوجود ، أعطوا الوجود أسماءه تعالى ، والمشركون أقل منهم شركاً ، لأن
المشركين خصصوا العبادة بالأوثان ، وهؤلاء عمموا كل شيء بالعبادة ، قالوا :
وإنما كانوا مشركين ، لأنهم خصصوا العبادة ببعض المظاهر ، ولو عمموا كل
شيء لما كانوا مشركين . تعالى الله عن قولهم ، كما قال في « الفصوص » في
قوم نوح عليه السلام : إنهم لو تروا عبادتهم لود ؛ وسواع ، ويعقوب ،
ويعوق ، ونسر ، لجهلوا من الحق بقدر ماتر كوا من هؤلاء ، ثم قال : فإن
للحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من عرفه ، ويجهله من جهله ، فالعالم يعلم
من عبد ، وفي أي صورة ظهر حتى عبد .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والملحد الثاني فذو التعطيل إذ ينفي حقائقها بلا برهان
ما ثم غير الاسم أوله بما ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان
فالقصد دفع النص عن معنى الحقيقة فاجتهد فيه بلفظ بيان
عطل وحرف ثم أول وانفها واقذف بتجسيم وبالكفران
للمبشرين حقائق الاسماء والـأوصاف بالأخبار والقرآن
فاذا هم احتجوا عليك فقل لهم هذا مجاز وهو وضع ثان

فاذا غلبت عن المجاز فقل لهم لا يستفاد حقيقة الايقان
أني وتلك أدلة لفظية عزلت عن الايقان منذ زمان
فاذا تضافرت الأدلة كثرة وغلبت عن تقرير ذا بيان
فعليك حينئذ بقانون وضعناه لدفع أدلة القرآن
ولكل نص ليس يقبل أن يؤول بالمجاز ولا بمعنى ثان
قل عارض المنقول معقول ومال أمران عند العقل يتفقان
ماشم إلا واحد من أربع متقابلات كلها بوزان
اعمال ذين وعكسه أو تلغي المعقول ما هذا بذى إمكان
العقل أصل النقل وهو أبوه ان تبطله يبطل فرعه التحتاني
فتعين الاعمال للمعقول والغاء للمنقول ذي البرهان
إعماله يفضي إلى إلغائه فاهجره هجر الترك والنسيان
والله لم نكذب عليهم اننا وهم لدى الرحمن محتصمان
وهناك يجزى الملحدوز ومن نفى الحداد يجزى ثم بالغفران
فاصبر قليلاً انما هي ساعة يامشبت الأوصاف للرحمن
فلسوف تجني أجر صبرك حين يجني الغير وزر الاثم والعدوان
فالله سائلنا وسائلهم عن اثبات والتعطيل بعد زمان
فأعد حينئذ جواباً كافياً عند السؤال يكون ذا تبيان

فوله ، والملحد الثاني فذو التعطيل النخ . هذا الحاد الطائفة الثانية من الملحدين ، وهو إلحاد أهل التعطيل الذين عطلوا الاسماء الحسنی من معانيها ، وجحدوا حقائقها ، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم : إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ، ولا معان ، فيطلقون عليه اسم السميع ، والبصير ، والحي ، والرحيم ، والمتكلم ، والمرید . ويقولون : لاجتماع له ، ولا سميع ، ولا بصر ، ولا كلام ، ولا إرادة تقوم به ، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً ، وشرعاً ، و لغة ، وفطرة ، وهو مقابل لإلحاد المشركين ، فان أولئك أعطوا أسماء صفاته ، لآهتهم ، وهؤلاء سلبوه صفات كماله ، وجحدوها وعطلوها ، فكلاهما ملحد في أسمائه ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد ، فيهم العالي ، والمتوسط ، والمتلون ، وكل من جحد شيئاً بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله فقد ألد في ذلك ، فليستقل أو ليستكثر . قوله : فالقصد دفع النص عن معنى الحقيقة ، أي : أن هذا القسم من الملحدين قصد دفع النص عن معنى الحقيقة بالتحريف ، والتعطيل ، والنفي ، وقذف المثبتة ، ونبزم بالتجسيم ، ورميهم بالكفر ، ويقولون : إذا احتجت المثبتة عليك بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، فادفعها بضروب من الدفع ، مثل دعوى أنها مجاز ، فاذا غلبت على المجاز ، فقل : هي أدلة لفظية لاتفيد العلم واليقين ، فاذا تكاثرت الأدلة وتضافرت ، فعليك بالقوانين الموضوعة لدفع أدلة القرآن ، ولكل نص لايقبل التأويل ، وقل عارض المنقول معقول . واذا تعارض العقل والنقل ، فما ثم إلا واحد من أربع : إما أن نعملهما ، وإما أن نهملهما ، وإما أن نعمل النقل ونلغي العقل ، وهو غير ممكن ، لأن العقل أصل النقل ، والنقل فرعه ، فان أبطلناه أبطلنا النقل ، وأنا صدقنا النقل به ، فأعماله يفضي إلى الغائه ، فتعين الأعمال للمعقول وإلغاء

المنقول بالقانون ذي البرهان! وقد بسط شيخ الاسلام رحمه الله الكلام على هذا أتم بسط في أول كتاب « درء تعارض العقل والنقل » فارجع إليه إن شئت ، وكذلك العلامة الناظم ، فانه بسط ذلك ، وأظن في كتابه « الصواعق المرسله » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثالثهم فنافيا ونا في ماتدل عليه بالبهتان
ذا جاحد الرحمن رأسا لم يقـر بخالق أبدا ولا رحمن
هذا هو الإلحاد فاحذره لعـل الله أن ينجيك من نيران
وتفوز بالزلفى لديه وجنة المـأوى مع الغفران والرضوان
لاتوحشك غربة بين الورى فالناس كالأموات في الحيان
أوما علمت بأن أهل السنة الـغـرباء حقاً عند كل زمان
قل لي متى سلم الرسول وصحبه والتابعون لهم على الاحسان
من جاهل ومعانده ومنافق ومحارب بالبغي والعدوان
وتظن أنك وارث لهم وما ذقت الأذى في نصرة الرحمن
كلا ولا جاهدت حق جهاده في الله لا بيد ولا بلسان
ممتك والله المحال النفس فاسـتحدث سوى ذا الرأى والحسبان
لو كنت وارثه لأذتك الألى ورثوا عداه بسائر الألوان

ذكر في هذا الفصل إلحاد الطائفة الثالثة من أهل الإلحاد ، وهو إلحاد النفاة

الجاحدين لله ، وكتبه ، ورسله ، وهذا هو الإلحاد حقاً كما قال الناظم .
نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه . شرع الناظم في تعزية أهل السنة ،
وأنهم هم الغرباء في كل زمان . ولقد أحسن القائل :

قد عرف المنكر واستتكر السجّل في رتبة
فقلت للأبرار أهل التقى والدين لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد أتت نوبتكم في زمن الغربة
وللحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب كتاب « كشف الكربة في
وصف حال أهل الغربة » .

فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد
المعطلين والمشركين .

هذا وثاني نوعي التوحيد توحيده العباد منك الرحمن
أن لا تكون لغيره عبداً ولا تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالاسلام والإيمان والإحسان في سر وفي إعلان
والصدق والاخلاص ركننا ذلك التوحيد كالركنين للبيان
وحقيقة الاخلاص توحيد المــــراد فلا يزاحمه مراد ثان
لكن مراد العبد يبقى واحداً ما فيه تفريق لدى الانسان

إن كان ربك واحداً سبحانه
إن كان ربك واحداً أنشاك لم
فكذلك أيضاً وحده فاعبده لا
والصدق توحيد الارادة وهو بذ
والسنة المثلى لسالكها فتو
فلو احد كن واحداً في واحد
هذي ثلاث مسعدات للذي
فاذا هي اجتمعت لنفس حرة
لله قلب شام هاتيك البرو
لولا التعلل بالرجاء تصدعت
وتراه يبسطه الرجاء فيثني
ويعود يقبضه الاياس لكونه
فتراه بين القبض والبسط للذا
وبداله سعد السعد وفصار مسـسـراه عليه لاعلى الدبران
لله ذياك الفريق فانهم
شدت ركائبهم الى معبودهم
شرع الناظم رحمه الله تعالى في النوع الثاني من توحيد الانبياء والمرسلين،
وهو توحيد العبادة . والعبادة في اللغة : الذل . يقال : بعير معبد ، أي .
مذل . وطريق معبد : اذا كان مذلاً قد وطئته الأقدام .

وأما العبادة في اصطلاح العلماء، فقد عرفها طائفة بقولهم : العبادة ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ، ولا اقتضاء عقلي . و عرفها طائفة بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع .

وقال شيخ الاسلام : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وإداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسان إلى الجار ، واليتيم ، والمسكين ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والانابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمة ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، فالدين كله داخل في العبادة . انتهى (١) وكل هذه التعريفات للعبادة معناها واحد .

وإذا عرفت معنى العبادة ، فاعلم أن التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، وهو توحيد الالهية والعبادة .

قال الناظم رحمه الله تعالى : وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل ،

(١) قال ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في أول كتابه « العبودية » وقد قام المكتب بطبعه طباعة متقنة وتخريج بعض أحاديثه ، وقدم له مقدمة مطولة الاستاذ الفاضل عبد الرحمن الباني مفتش التربية الاسلامية في وزارة التربية والتعليم في الشام .

ونزلت به الكتب ، فهو نوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، فالأول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، وتكلمه بكتبه ، وتكليمه من شاء من عباده ، وإثبات عموم قضائه ، وقدره ، وحكمته . وقد أفصح القرآن عن هذا النوع حد الافصاح ، كما في أول (الحديد) وسورة (طه) وآخر (الحشر) وأول (تنزيل السجدة) وسورة (الاخلاص) بكما لها ، وغير ذلك .

النوع الثاني : ما تضمنته سورة (قل يا أيها الكافرون) وقوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ..) آل عمران ٦٤ الآية وأول سورة (تنزيل الكتاب) وآخرها ، وأول سورة (المؤمن) ووسطها وآخرها ، وأول سورة (الأعراف) وآخرها ، وجملة سورة (الأنعام) وغالب سور القرآن ، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد ، شاهدة به ، داعية إليه ، فان القرآن إما خبر عن الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأقواله ، فهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الارادي الطلبي ، وإما أمر ونهي ، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه ، فهو حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء أهل توحيدهم ، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبى من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم . انتهى .

قال شيخ الاسلام : التوحيد الذي جاء به الرسول إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده ، بأن يشهد أن لا إله الا الله ، فلا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل

إلا عليه ، ولا يوالي الاله ، ولا يعادي إلا فيه ، ولا يعمل إلا لأجله ،
 وذلك يتضمن اثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات . قال تعالى (وإلهكم
 إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم) البقرة : ١٦٣ وقال تعالى (وقال الله
 لا تتخذوا إلهين اثنين لما هو إله واحد فيأياي فارهبون) النحل : ٥١ وقال
 تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه إنه
 لا يفلح الكافرون) المؤمنون : ١١٧ وقال تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك
 من رسلنا أ جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) الزخرف : ٤ ، وأخبر
 عن كل نبي من الانبياء أنهم دعوا الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له .
 وقال (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا
 برآء منكم وبما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
 والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) الممتحنة : ٤ وقال عن المشركين :
 (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون . ويقولون أننا لتاركوا
 آلهتنا اشاعر مجنون) الصفات : ٣٥ ، ٣٦ وهذا في القرآن كثير ، وليس
 المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم ،
 كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف . ويظن هؤلاء أنهم إذا
 أثبتوا ذلك بالدليل ، فقد أثبتوا غاياه التوحيد ، وأنهم إذا أشهدوا هذا
 وفنوا فيه ، فقد فنوا في غاية التوحيد ، فان الرجل لو أقر بما يستحق الرب
 تعالى من الصفات ، ونزعه عن كل ما ينزه عنه ؛ وأقر بأنه وحده خالق كل
 شيء ، لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله الا الله وحده ، فيقر بأن الله
 وحده هو الإله المستحق للعبادة ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له .
 والإله : هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة ، وليس هو الإله بمعنى القادر
 على الاختراع ، فاذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع ، واعتقد أن

هذا المعنى هو أخص وصف الإله ، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية ، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وإتباعه ، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، فان مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق شيء ، وكانوا مع هذا مشركين . قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يوسف : ١٠٦ قال طائفة من السلف تسألهم : من خلق السموات والارض ؟ فيقولون : الله ، وهم مع هذا يعبدون غيره . قال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الى قوله (فأنى تسحرون) المؤمنون : ٨٤-٨٩ فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه ، داعياً له دون ما سواه ، راجياً له خائفاً منه دون ما سواه ، يوالي فيه ، ويعادي فيه ، ويطيع وسوله ، ويأمر بما أمر به ، وينهى عما نهى عنه ، وعامة المشركين أقرروا بأن الله خالق كل شيء ، وابتغوا الشفعاء الذين يشركونهم به ، وجعلوا له أنداداً . قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض) الزمر : ٤٣ ، ٤٤ وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الى قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) يونس : ١٨ وقال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما حولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وصل عنكم ما كنتم تزعمون) الأنعام : ٩٤ وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) البقرة : ١٦٥ ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ، ويدعوها ، ويصوم ، وينسك لها ، ويتقرب اليها .

ثم يقول : إن هذا ليس بشرك ، لما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي ، فإذا جعلتها سبباً وواسطة ، لم أكن مشركاً . ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ، أن هذا شرك . انتهى كلامه .

قوله : والصدق والاخلاص ركننا ذلك التوحيد . جعل الاخلاص أحد ركني توحيد العبادة ، والصدق ركنه الآخر ، وفسر الصدق ، بما ذكر . وقال الناظم في بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص والعزم ، فباجتماعهما يصح له مقام الصدق ، فظهر من كلامه أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص .

قوله : فلو احد . يريد به الاخلاص لله الواحد ، وهذا هو توحيد المراد .

قوله : كن واحداً . يريد به الصدق ، وهو توحيد الارادة .

قوله : في واحد . يريد به توحيد الطريق ، وهو اتباع الكتاب والسنة ، وذلك معنى قوله : والسنة المثلئ لسالكها ، فتوحيد الطريق الخ . .

قوله : شام ، عرف فعل ماض . يقال : شام يشيم شيئاً ، إذا نظر من بعد .

فصل

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أياً كان من حجر ومن انسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويجه كحبة الدين

والله ما ساووهمُ بالله في خلق ولا رزق ولا إحسان
فالله عندهم هو الخلاق والرزاق مولى الفضل والإحسان
لكنهم ساووهم بالله في حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما جعلوا المحبة قط للرحمن
لو كان حبهُم لأجل الله ما عادوا أحبته على الإيمان
ولما أحبوا سخطه وتجنبوا محبوبه ومواقع الرضوان
شرط المحبة أن توافق من تحب على محبته بلا عصيان
فاذا ادعيت له المحبة مع خلا فك ما يجب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعي حبا له ماذا في إمكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه إن المحبة يأخا الشيطان
ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يجب وبغض ما لا يرتضى بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه التذوي الإحسان
هذا هو الإحسان شرط في قبول السعي فافهمه من القرآن
والاتباع بدون شرع رسوله عين المحال وأبطل البطلان
فاذا نبذت كتابه ورسوله وتبعت أمر النفس والشيطان
وتخذت أندادا تحبهم كحسب الله كنت بجانب الإيمان

ولقد رأينا من فريق يدعى الإسلام شركاً ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء والوهم وسووهم به في الحب لا السلطان
والله ماساووهم بالله بل زادوهم حباً بلا كتمان
والله ما غضبوا إذا انتهكت محارمهم في السر والإعلان
حتى إذا ما قيل في الوثن الذي يدعونه ما فيه من نقصان
فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب ومن شتم ومن وعدوان
وأجارك الرحمن من ضرب وتعمير ومن سب ومن سجان
والله لو عطلت كل صفاته ما قابلوك ببعض ذا العدوان
والله لو خالفت نص رسوله نصاً صريحاً واضح التبيان
وتبعتم قول شيوخهم أو غيرهم كنت المحقق صاحب العرفان
حتى إذا خالفت آراء الرجا ل ل سنة المبعوث بالقرآن
نادوا عليك ببدعة وضلالة قالوا وفي تكفيره قولان
قالوا تنقصت الكبار وسائر العلماء بل جاهرت بالبهتان
هذا ولم نسلبهم حقاً لهم ليكون ذا كذب وذا عدوان
وإذا سلبت صفاته وعلوه وكلامه جهراً بلا كتاب
لم يغضبوا بل كان ذلك عندهم عين الصواب ومقتضى الإحسان
والأمر والله العظيم يزيد فوق الوصف لا يخفى على العميان

وإذا ذكرت الله توحيداً رأيت وجوههم مكسوفة الألوان
بل ينظرون إليك شزراً مثل ما نظر التيوس إلى عصا الجوبان
وإذا ذكرت بمدحة شركاءهم يستبشرون تباشير الفرحان
والله ماشموا روائح دينه يازكمة أعيت طيب زمان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى هذه في الأبيات الشرك ، وذكر أن الله لا يغفره ، كما قال تعالى (إن الله لا يغفر ان يشرك به) النساء : ٤٨-١١٦
وقوله : وهو اتخاذ الند للرحمن الخ ؛ أي : إن الشرك هو اتخاذ ند من دون الله يدعو كما يدعو الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويحبه كما يحب الله ، ونحو ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي أرسل الله الرسل وأنزل الكتب للنهي عنه ، وتكفير أهله ، واستباحة دماهم وأموالهم .

قوله : والله ماساؤهم بالله في خلق الخ ؛ أي : إن المشركين ما ساؤوا معبودهم بالله في الخلق ، والرزق ، والاحسان ، وإنما ساؤهم بالله في المحبة ، والخوف ، والرجاء ، والدعاء ، ونحو ذلك ، كما قال تعالى عن المشركين : إنهم يقولون لأهنتهم (تالله إن كنا لفي ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨ ومعلوم أنهم ماساؤهم بالله في الخلق والرزق ، وإنما ساؤهم به في المحبة والتعظيم ، وإلا فهم يعتقدون أنهم مخلوقون مربوبون ، كما قال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون) ... الايات المؤمنون : ٨٤ ، ٨٩ وقال تعالى عنهم (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) الزمر : ٣ وكان المشركون يقولون في تليبيهم : ليك لا

شريك لك هو لك تملكه وما ملك . وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم • من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) الاية سبأ : ٢٢

قال الناظم رحمه الله تعالى في « شرح المنازل » في الكلام على هذه الآيات : وقد قطع الله الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه ، أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شافعياً ، فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت . فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) سبأ ٢٢ ، ٢٣ فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع ، والنفع لا يكون الا بمن فيه خصلة من هذه الأربع ، اما مالكاً لما يريد عابده منه ، فان لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فان لم يكن شريكاً له كان معيناً وظهيراً ، فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شافعياً عنده . فنفي سبحانه المراتب الأربع نقياً مرتباً منتقلاً من الأعلى الى الأدنى ، فنفي الملك ، والشركة ، والمظاهرة ، والشفاعة التي يطلبها المشرك ، أثبت شفاعة لانصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة باذنه ، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك ومواد لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنه في نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم ، وتناول القرآن بهم كتناوله لأولئك . ثم قال : ومن أنواعه ؛ أي الشرك ، طلب الحوائج

من الموتى ، والاستغاثة بهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، فضلاً لمن استغاث به وسأله أن يشفع له الى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، كأنه لا يقدر أن يشفع عند الله الا باذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه ، وانما السبب كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ، وتغير دينه ، ومعادات أهل التوحيد ، ونسبة أهله الى التنقيص بالأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بدمهم وعيبيهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشر كوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أمرهم به ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيد الله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب سمعتهم الى الله ، واتخذ الله وحده وليه واله ومعبوده ، فجرد حبه لله ، وخوفه لله ، ورجاءه لله ، وتوكله على الله ، واستغاثته بالله ، والتجاءه الى الله ، واستغاثته بالله ، وقصده الله ، متبعاً لأمره ، متطلباً لمرضاته ، اذا سأل سأل الله ، واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل الله ، فهو لله ، وبالله ، ومع الله . انتهى كلامه ،

قوله : ولقد رأينا من فريق يدعي الاسلام الخ . قد ذكر الناظم في « شرح المنازل » كلاماً كالشرح لكلامه هذا . قال رحمه الله تعالى :
وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فلا أكبر لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قالوا لأهتهم في النار

(تالله ان كنا لفي ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين) الشعراء ٩٧ ، ٩٨
مع اقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربهم ، ومليكه ، وأن آلهتهم
لا تخلق ، ولا ترزق ، ولا تمت ولا تحيي ، وإنما كانت هذه التسوية في
الحبة والتعظيم والعبادة ، كما هو حال مشركي العالم ، بل كلهم يحبون معبودهم
ويعظمونها ، ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون
آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم
إذا ذكر الله وحده ، ويفضون لتنقص معبودهم وآلهتهم من المشايخ
أعظم مما يفضون إذ انتقص أحد رب العالمين ، وإذا انتهكت حرمة من
حرمات آلهتهم ومعبودهم ، غضبوا غضب الليث ، وإذا انتهكت
حرمات الله لم يعضبوا لها ، بل إذا قام المنتهك لها باطعامهم شيئاً عرضوا عنه
ولم تنكر له قلوبهم ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ، وترى
أحدهم قد اتخذ ذكر آله ومعبوده من دون الله على لسانه ، ان قام ،
وان قعد ، وان عثر ، وان استوحى ، فذكر آله ومعبوده من دون الله
هو الغالب على قلبه ولسانه ، وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته
الى الله ، وسفيعة عنده ، ووسيلته اليه ، وهكذا كان عباد الأصنام سواء
وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ،
فأولئك كانت من الحجر ، وغيرهم اتخذها من البشر . قال تعالى حاكياً
عن أسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) الزمر : ٣
ثم شهد عليهم بالكذب والكفر ، وأخبر أنه لا يهديهم ، فقال (ان الله
لا يهدي من هو كاذب كفار) الزمر : ٣ فهذه حال من اتخذ من دون الله
ولياً يزعم أنه يقرب الى الله ، وما أعز من تخلص من هذا ، بل

مأعز من لا يعادي من أنكره ، والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك . وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه ، وأبطله ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد الا لمن أذن الله أن يشفع فيه ، ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فإنه يأذن سبحانه لمن يشاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوا شفعاء من دونه ، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن له صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعاً من دون الله .

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله ، الشفاعة الصادرة عن اذنه لمن وحده ، والشفاعة التي نفاها الله الشفاعة الشركية في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء ، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ، ويفوز بها الموحدون ، فتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله الا الله » كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين ، أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء ، وعبادتهم ، وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع . ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذ ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله ، كما يكون خواص الملوك والولاة ، تنفع من والاهم ، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد في الشفاعة الا بإذنه ، ولا يأذن في الشفاعة الا لمن رضي قوله وعمله ، كما قال تعالى في الفصل الأول : (من الذي يشفع عنده إلا بإذنه) البقرة : ٢٥٥ وفي الفصل الثاني (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) الأنبياء : ٢٨ وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد ، واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولون والآخرون ، كما قال أبو العالية : كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ فهذه

ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعائها وعقلها ، لاشفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول الا توحيدہ واتباع رسوله ، فان الله تعالى لا يغفر شرك العادلين به غيره في العبادة ، والموالاة والمحبة ، كما في الآية الأخرى (تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨ وكما في آية البقرة (يحبونهم كحب الله) البقرة : ١٦٥ وترى المشرك يكذب حاله وعمله قوله ، فانه يقول : لانحبهم كحب الله ، ولا نسويهم بالله ، ثم يغضب لهم ولحرماتهم إذا انتهكت أعظم مما يغضبه الله ، ويستبشر بذكرهم ، سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم ، من إغائاة اللهفات ، وتفريج الكربات ، وقضاء الحاجات ، وأنهم باب بين الله وعباده ، فترى المشرك يفرح ويسر ، ويحن قلبه ، ويهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم ، والموالاة . وإذا ذكرت الله وحده وجردت توحيدہ لحقته وحشة ، وضيق ، وحر ج ، ورماءك بتنقص الآلهة التي له ، وربما عاداك . رأينا هذا والله منهم عياناً ، ورمونا بعداوتهم ، وبغوا لنا الغوائل ، والله مخزيهم في الدنيا والآخرة ، ولم يكن حجبتهم إلا أن قالوا كما قال إخوانهم : عاب آلهتنا ، فقال : هؤلاء تنقصتم مشايخنا ، وأبواب حوائجنا الى الله ؛ وهكذا قال النصارى للنبي ﷺ لما قال لهم : ان المسيح عبد . تنقصت المسيح ، وعبته ، . وهكذا أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثاناً تعبد ، ومساجد ، وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه ورسوله ، قالوا : تنقصت أصحابها ، فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم ، حتى كأنهم قد تواصلوا به ، ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً . انتهى كلامه .

قوله : حرب ، محتمل أنه يكون بسكون الراء ، وهو معروف ، جمعه حروب ،
ويحتمل أنه بفتح الراء مصدر حرب . قال في « القاموس » : حرب كفرح
كلب ، واشتد غضبه فهو حرب .

قوله : مكسوفة الألوان ، هو بالسين المهملة . قال في « القاموس » :
ورجل كاسف البال ، سيء الحال ، وكاسف الوجه : عابسه .

قوله : شزر الخ . قال في « القاموس » : شزره ، واليه يشزره ، نظر
منه في أحد شقيه ، وهو نظر فيه إعراض ، أو نظر الغضبان يؤخر العين ،
أو النظر يميناً وشمالاً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في صف العسكرين وتقابل الصفين واستدارة رضى الحرب العوان
وتصاول الأقران .

العوان : بفتح العين أي : حرب بعد حرب

يامن يشب الحرب جهلاً مالكم بقتال حزب الله قط يدان
أنى يقاوم جندكم لجنودهم وهم الهداة وعسكر القرآن
وجنودكم ما بين كذاب ودجا ل ومحتال وذو بهتان
من كل أرعن يدعي المعقول وهو —و— بجانب للعقل والإيمان

قال في « القاموس » الأرعن : الأهوج في منطقته ، الأحمق المسترخي ،
وقد رعن مثله رعونة ورعناً محرمة ، وما أرعنه انتهى .

أو كل مبتدع وجهمي غدا في قلبه حرج من القرآن
أو كل من قددان دين شيوخ أهـ بل الاعتزال البين البطلان
أو قائل بالاتحاد وأنه عين الاله وما هما شيآن
أو من غدا في دينه متحيراً أتباع كل ملدد خيران
و جنودهم جبريل مع ميكال مع باقي الملائك ناصري القرآن
و جميع رسل الله من نوح إلى خير الوري المبعوث من عدنان
فالقلب خمستهم أولو العزم الألى في سورة الشورى أتوا ببيان
في أول الأحزاب أيضاً ذكرهم هم خير خلق الله من إنسان

قوله : في سورة الشورى الخ . في قوله تعالى (شرع لكم من الدين
مما رضى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى
وعيسى . . .) الآية . وفي الأحزاب : ١٣ (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم . . .) الأحزاب : ٧ الآية .

ولو أوهم بيد الرسول محمد والكل تحت لواء ذي الفرقان
و جميع أصحاب الرسول عصابة الاسلام أهل العلم والإيمان
والتابعون لهم يا احسان على طبقاتهم في سائر الأزمان
أهل الحديث جميعهم وأئمة الـ فتوى وأصل حقائق العرفان

العارفون برهم ونبيهم ومراتب الأعمال في الرجحان
صوفية سنية نبوية ليسوا أولي شطح ولا هذيان
هذا كلامهم لدينا حاضر من غير ما كذب ولا كتمان
فاقبل حوالة من أحال عليهم هم أملياؤهم أولو إمكان

أي : إن كلام المذكورين لدينا حاضر ، وقد أحلناكم عليه ، فاقبل أيها
المحال الحوالة ، كما قال ﷺ « من أحيل على مليء فليتبع »

فاذا بعثنا غارة من أخريا ت العسكر المنصور بالقرآن
طحتكم طحن الرحي للحب حتمسى صرتم كالبعر في القيعان
أنى يقاوم ذا العساكر طمطم أو تنكلوشا أو أخو اليونان

طمطم وتنكلوشا من فلاسفة الهند

أعني أرسطو عابد الأوثان أو ذاك الكفور معلم الألمان

ذاك المعلم أولاً للحرف والثاني لصوت بثست العلمان
هذا أساس الفسق والحرف الذي وضعوا أساس الكفر والهذيان
يعني أن أرسطو هو معلم الحرف ، والمراد به المنطق ، لأنه أول من
وضع التعاليم المنطقية ، والمعلم الثاني هو الفارابي ، وهو محمد بن محمد أبو نصر
الفارابي التركي الفيلسوف ، وكان من أعلم الناس بالموسيقى ، بحيث كان يتوصل
بصناعته الى التأثير في الحاضرين من مستمعيه إن شاء حرك ما يبكي ، أو
ما يضحك ، أو ما ينوم . وكان حاذقاً في الفلسفة ، ومن كتبه تفقه ابن سينا .
وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني ، وتخصيص المعاد للأرواح العاملة

لا الجاهلة . وله مذاهب في ذلك تخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ،
فعليه ان مات على ذلك لعنة رب العالمين . وقد كانت وفاته بدمشق فيما قاله
ابن الأثير في « كامله » في سنة ٣٣٩ .

أو ذلك المخدوع حامل راية الـ لحاد ذاك خليفة الشيطان
أعني ابن سينا ذلك المحلول من أديان أهل الأرض ذا الكفران
وكذا نصير الشرك في أتباعه أعداء رسل الله والإيمان
نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم وغزوا جيوش الدين والقرآن
فجرى على الاسلام أعظم محنة لم تجر قط بسالف الأزمان
أو جمعد أوجههم وأتباع لهم هم أمة التعطيل والبهتان
أو حفص أو بشر أو النظام ذا ك مقدم الفساق والمجان
والجعفران كذاك شيطان ويد عى الطاق لاحت من شيطان
وكذلك الشحام والعلاف والسنجار أهل الجهل بالقرآن
والله ما في القوم شخص رافع بالوحي رأساً بل برأي فلان
وخيار عسكركم فذاك الأشعري القرم ذاك مقدم الفرسان
لكنكم والله ما أنتم على إثباته والحق ذو برهان
هو قال إن الله فوق العرش واسـتولى مقالة كل ذي بهتان
في كتبه طراً وقرر قول ذي الـ إثبات تقريراً عظيم الشأن

لكنكم أكفرتوه وقتلتمم من قال هذا فهو ذو كفران
فخيار عسكركم فأنتم منهم برآء إذ قربوا من الإيمان

تقدمت ترجمة ابن سينا ، والنصير الطوسي ، والجعفران : هما جعفر بن
مبشر ، وجعفر بن حرب ، وحفص : هو حفص الفرد الذي كان يناظر الشافعي ،
وهو من تلاميذ حسين النجار ، وبشر هو ابن غياث المريسي ، والنظام هو
ابراهيم بن سيار النظام ، وشيطان الطاق هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان
الكوفي المعتزلي الشيعي الصيرفي المعروف بشيطان الطاق من أجل أنه كان
صيرفياً بطاق الخامل من بغداد ، فاختلف هو وصيرفي في نقد دوهم فغلبه ،
فقال متبجحاً أنا شيطان الطاق ، فغلب عليه هذا الاسم ، والرافضة تنتحلّه
وتسميه ميمون الطاق ، وله قضية مع أبي حنيفة رحمه الله ، وله شعر جيد .
قال بشار بن برد : شيطان الطاق أشعر مني ، ومذهبه أن الامامة لم تزل الى
موسى بن جعفر الصادق ، فلما مات موسى قطع الامامة ، ووافق هشام
ابن الحكم في قوله : ان الله تعالى يعلم الاشياء بعد وقوعها ، ولا يعلم أنها
ستقع ، وزعم أن الله تعالى على صورة الانسان ، لقوله عليه السلام : «إن
الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن»^(١) ليس بجسم . وله كتب عديدة ، منها

(١) أخرجه هذا اللفظ ابن ابي عاصم في السنه ، والطبراني من حديث ابن عمر ،
وأعله بعضهم . وقال بعضهم : المراد بالصورة الصفة ، والمعنى إن الله خلق آدم على صفته من
العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك

والذي في الصحيحين عن ابي هريرة : « إن الله خلق آدم على صورته » اي على
صورة آدم التي كان عليها من مبدأ فطرته الى موته ، لم تتفاوت قامته ، ولم تتغير هيئته ،
تخلاف بنيه ، فان كلاً منهم يكون نطفة ثم علقة ثم عظاماً . . . الخ
والحديث مخرج مخرج الزجر والتحويل ، لوروده عقب قوله : « لا تقولوا قبح الله وجهك ،
فان الله خلق آدم على صورته » اي على صورة هذا الوجه المقيح .

كتاب « افعل لما فعلت » وكتاب « افعل لاتفعل » وعنده أن كبار الفرق أربعة : القدرية ، والحوارج ، والعامّة ، والشيعّة ، فالناجى في الآخرة من الفرق الشيعيّة . ومن رأيه ورأى هشام الامسك عن الكلام في الله تعالى ، بقوله تعالى . (وأن الى ربك المنتهى) النجم : ٤٢ ، أي اذا بلغ الكلام الى الله تعالى فأمسكوا . قالوا : ولذلك أمسكنا عن القول في الله ، والتفكير فيه . وقيل له : ويحك أما استحييت ؟ أما اتقيت الله تعالى أن تقول في كتاب الامامة : إن الله لم يقل قط في القرآن (ثاني اثنين اذ هما في الغار) التوبة : ٤ ، فضحك طويلاً . وكانت وفاته في حدود الثمانين ومائة . ومن شعره

ولا تكن في حب الأخلاء مفراطاً وإن أنت أبغضت البغيض فأجمل
فإنك لا تدري متى أنت مبغض صديقك أو تعذر عدوك فاعقل
وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف . والنجار هو الحسين بن محمد
النجار .

قوله : القرم : السيد . أصله فحل الابل ، قال الخطابي : معناه المقدم في
المعرفة بالأمر والرأي
وقوله : لكنكم كفرتموه الخ . هذا تكفير بالزوم . أي لأنهم كفروا
من قال بهذا القول .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذي العساكر قد تلاقى جبهة ودنا القتال وصيح بالأقران
صفوا الجيوش وعبثوها وبرزوا للحرب واقربوا من الفرسان

فهم، الى لقيامكم بالشوق كمي يوفوا بنذرهم من القربان
ولهم اليكم شوق ذي قرم فما يشفيه غير موائد اللحمان
قال في « القاموس » : القرمة محرقة شدة شهوة اللحم ، كثر حتى قيل
في الشوق الى الحبيب .

تبا لكم لو تعقلون لكنتم خلف الحدور كأضعف النسوان
من أين أنتم والحديث وأهله والوحي والمعقول بالبرهان
ما عندكم الا الدعاوي والشكاوي أو شهادات على البهتان
هذا الذي والله نلنا منكم في الحرب إذ يتقابل الصفان
والله ما جئتم بقال الله أو قال الرسول ونحن في الميدان
إلا بجمعجة وفرقعة وغمغمة وقععة بكل سنان
ويحق ذلك لكم وأنتم أهله أنتم بجاصلكم أولو عرفان
وبحقكم تحموا مناصبكم وان تحموا ما كلكم بكل سنان
وبحقنا نحمي الهدى ونذب عن سنن الرسول ومقتضى القرآن
قبح الإله مناصباً وما كلاً قامت على العدوان والطغيان
والله لو جئتم بقال الله أو قال الرسول كفعل ذي الإيمان
كنا لكم شاوئش تعظيم وإجلال كشاوئش، لذي سلطان
لكن هجرتم ذا وجئتم بدعة وأردتم التعظيم بالبهتان

فصل

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فلان
كلا ولا جحد الصفات لربنا في قالب التنزيه والسبحان
كلا ولا نفي العلو لفاطر الـأكو ان فوق جميع ذي الأكو ان
كلا ولا غزل النصوص وانها ليست تفيد حقائق الإيمان
إذ لا تفيدكم يقيناً لا ولا علماً فقد عزلت عن الإيقان
والعلم عندهم ينال بغيرها بزبالة الأفكار والأذهان
قال في « القاموس » : الزبل بالكسر ، وكأ مير : السرقين ، والزبلة
بضم الباء : ملقاه وموضعه . وزبل زرعه يزبله : سمده ، و ككتاب :
ما تحمله النخلة

سميموه قواطعاً عقلية وهي الظواهر حاملات معان
أي إنكم سميم ما وضعتوه من العمليات قواطع عقلية بزممكم ، وأما
الكتاب والسنة فهي أدلة لفظية محتملة لمعان ، وهي الاحتمالات التسعة أو
العشرة ، وقد تقدمت ، فلذلك لا تفيد اليقين

كلا ولا إحصاء آراء الرجا ل وضبطها بالحصر والحسبان

كلا ولا التأويل والتبديل والتحريف للوحين بالبهتان
كلا ولا الاشكال والتشكيك والوقف الذي مافيه من عرفان
هذي علومكم التي من أجلها عاديتمونا يا أولي العرفان
هذه الأبيات التي صدر بها الناظم هذا الفصل تشابه ما أنشده الحافظ مؤرخ
الاسلام أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي رحمه الله تعالى .

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي سفيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة بين النصوص وبين رأي فقيه
كلا ولا رد النصوص تعمداً حذراً من التجسيم والتشبية
حاشا النصوص من الذي رهيت به من فرقة التعطيل والتمويه
قال الناظم :

فصل

في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة وأهل الاحاد حزب جنكسخان .
قال في « القاموس » : الهدنة بالضم : المصالحة ، كالمهادنة

ياقوم صالحتم نفات الذات والـ أوصاف صلحاً موجباً لأمان
وأغرتمُ وهنا عليهم غارة قعقعتمُ فيها لهم بشنات
ماكان فيها من قتيل منهم كلا ولا فيها أسيرُ عان
ولطفتمُ في القول أوصانعتمُ وأنيتمُ في بحثكم بدهان
وجلستمُ معهم مجالسكم مع الـ أستاذ بالآداب والميزان

وضرعتهم للقول كل ضراعة حتى أعاروكم سلاح الجاني
فغزوهم بسلاحهم لعساكر إثبات والآثار والقرآن
ولأجل ذا صانعتموهم عند حر بكم لهم باللفظ والإذعان
ولأجل ذا كنتم مخانيناً لهم لم تنفتح منكم لهم عينان
حذراً من استرجاعهم لسلاحهم فترون بعد السلب كالنسوان

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم
لما ابتدعوا دليل الاكوان المعروف ، وقصدوا بذلك الرد على الفلاسفة .
قال شيخ الاسلام ، وقالوا : إن دين الاسلام إنما يقوم على هذا الأصل وانه
لا يعرف أن محمداً رسول الله الا بهذا الأصل ، فان معرفة الرسول متوقفة
على معرفة المرسل ، فلا بد من إثبات العلم بالصانع أولاً ، ومعرفة ما يجوز
عليه وما لا يجوز عليه ، قالوا : وهذا لا يمكن معرفته الا بهذا الطريق .
ويقول كثير منهم : إن هذه طريقة ابراهيم الخليل المذكورة في قوله (لأحب
الآفلين) الأنعام : ٧٦ قالوا : فان ابراهيم استدل بالأفول ، وهو الحركة
والانتقال ، على أن المتحرك لا يكون لهماً . قالوا : ولهذا يجب تأويل ماورد
عن الرسول مخالفاً لذلك عن وصف الرب بالاتيان ، والحيء ، والنزول ،
وغير ذلك ، فان كونه نبياً لم يعرف الا بهذا الدليل العقلي ، فلو قدح في
ذلك ، لزم القدح في دليل نبوته ، فلم يعرف أنه رسول الله ، وهذا ونحوه
هو الدليل العقلي الذي نقول : إنه عارض السمع ، ونقول : اذا تعارض
السمع والعقل امتنع تصديقها وتكذيبها ، وتصديق السمع دون العقل ،
لأن العقل هو أصل السمع ، فلو جرح أصل الشرع كان جرحاً له ، ولأجل

هذا الطريق نفت الجهمية والمعتزلة الصفات والرؤية ، وقالوا : القرآن مخلوق ،
ولأجلها قالت الجهمية بفساد الجنة والنار ، ولأجلها قال العلاف بفساد حركتها ،
والتزم قوم لأجلها أن كل جسم له طعم ولون وريح . فقال لهم الناس :
أما قولكم : إن هذه الطريقة هو الأصل في معرفة الاسلام ، ونبوة الرسل ،
فهذا ما يعلم فسادها بالاضطرار من دين الاسلام ، فإنه من المعلوم لكل من
عرف حال الرسول وأصحابه ، وما جاء به من الإيمان والقرآن أنه لم يدع
الناس بهذه الطريقة أبداً ، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم
باحسان ، فكيف تكون هي أصل الايمان ؟ ! والذي جاء بالإيمان وأفضل
الناس إيماناً لم يتكلموا بها البتة ، ولا سلكها منهم أحد ، والذين علموا أن
هذه طريقة مبتدعة حزبان : حزب ظنوا أنها صحيحة في نفسها لكن أعرض
السلف عنها لطول مقدماتها وعموضها ، وما يخاف على سالكيها من الشك
والتطويل ، وهذا قول جماعة ، كالأشعري في رسالته الى النغر ، والحطايي ،
والخليسي ، والقاضي أبي يعلى ، وابن عقيل ، وأبي بكر البيهقي ، وغير
هؤلاء . والثاني : قول من يقول : بل هذه طريقة باطلة في نفسها . ولهذا
ذمها السلف وعدلوا عنها ، وهذا قول أئمة السلف ، كابن المبارك ،
والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبي يوسف ، ومالك
ابن أنس ، وعبد العزيز بن الماجشون ، وغير هؤلاء من السلف . وحفص
الفرد لما ناظر الشافعي في مسألة القرآن ، وقال : القرآن مخلوق ، وكفره
الشافعي ، كان قد ناظره بهذه الطريقة ، وكذلك أبو عيسى محمد بن عيسى
برغوث كان من المناظرين الامام أحمد في مسألة القرآن بهذه الطريقة ، وقال
لهم الناس : إن هذا الاصل الذي ادعيتم إثبات الصانع به ، وأنه لا يعرف
إثبات خالق للمخلوقات إلا به ، هو بعكس ما قلتم ، بل هذا الأصل يناقض كون
الرب خالقاً للعالم ، ولا يمكن مع القول به القول بحدوث العالم ، ولا الرد على

الفلاسفة ، فالمتكلمون الذين ابتدعوه ، وزعموا أنهم به نصرُوا الإسلام ، وردوا به على أعدائه ، كالفلاسفة ، لا للإسلام نصرُوا ، ولا لعدوه كصروا ، بل كان ما ابتدعوه بما أفسدوا به حقيقة الإسلام على من اتبعهم ، فأفسدوا عقله ودينه ، واعتدوا به على من نازعهم من المسلمين ، وفتحوا لعدو الإسلام باباً الى مقصوده ، فان حقيقة قولهم : ان الرب لم يكن قادراً ، ولا كان الكلام والفعل ، كما له ، ولم يزل كذلك دائماً مدة أو تقدير مدة لانهاية لها ، ثم انه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك ، وجعلوا مفعوله هو فعله ، وجعلوا فعله وارادته بعلة قديمة أزلية ، والمفعول متأخراً ، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح ، وكل هذا خلاف المعقول الصحيح ، وخلاف الكتاب والسنة . وأنكروا صفاته ورؤيته وقالوا : كلامه مخلوق ، وهو خلاف دين الإسلام ، والذين اتبعوهم وأثبتوا الصفات قالوا : يريد جميع المرادات بارادة واحدة ، وكل كلام تكلم به ، أو يتكلم به ، انما هو شيء واحد ، لا يتعدد ولا يتبعض ، واذا رؤي رؤي لاجمالية ولا معاينة وانه لم يسمع ، ولم يرى الأشياء حتى وجدت ، لم يقم به أنه موجود ، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك . . الى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصحيح ، والمنقول الصحيح . ثم لما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء ، وان هذا هو الإسلام الذي عليه هؤلاء ، علموا فساد هذا ، فظهروا قولهم بقديم العالم ، واحتجوا بأن تجدد الفعل بعد أن لم يكن متمتع ، بل لا بد لكل متجدد من سبب حادث ، فيكون الفعل دائماً ، ثم ادعوا دعوى كاذبة لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها ، وهو أنه اذا كان الفعل دائماً لزم قدم الأفلاك والعناصر ، ثم لما أرادوا تقرير النبوة جعلوها أيضاً يقيص على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره من غير أن يكون رب العالمين يعلم

له رسولاً، معيناً ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولا يعلم الجزئيات ، ولا نزل من عنده ملك ، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ، وهو العقل الفعال . وإنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر ، وغير ذلك مما أخبر به الرسول ﷺ ، وزعموا أن ماجاء به الرسول ﷺ إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل اليهم بما ينتفعون اليه من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك ، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق وعلمت الناس ما الأمر عليه . ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي . وحقيقة قولهم : أن الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس ، وهل كانوا جهلاء؟ على قولين لهم . إلى غير ذلك من انواع الاحاد والكفر الصريح ، والكذب على النبي ﷺ ، وعلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى . وقول شيخ الاسلام : إنهم ، يعني المتكلمين : لا للإسلام نصروا ، ولا لعدوه كسروا ، هو معنى قول الناظم : وأغرتم وهناً عليهم غارة الخ .

قوله : ولطفتم في القول أو صانعتم . يعني أنكم لضعف دليلكم صانعتم الفلاسفة وتلطفتم بالرد عليهم ، لأن بعض المتكلمين يصرحون بتكافي الأدلة ، كما قال الامام شيخ الاسلام أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري في كتاب « ذم الكلام » قال : وقد سمعت محمد بن زيد العمري النسابة ، أخبرنا المعافى ، سمعت أبا الفضل الحارثي القاضي بسرخس يقول : سمعت زاهر بن أحمد يقول : أشهد لمات فلان متحيراً لسبب مسألة تكافي الأدلة ، وذكر إماماً من أئمة المتكلمين ، ونقل شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب « العقل والنقل » قال : وقد بلغني باسناد متصل عن بعض رؤوسهم ، وهو عند كثير منهم غاية في هذا الفن أنه قال عند الموت : أموت وما علمت شيئاً ، إلا أن الممكن يقتدر الى الواجب

ثم قال : الافتقار وصف عدي أمور وما علمت شيئاً ، وكذلك الاصبهاني اجتمع بالشيخ ابراهيم الجعبري يوماً فقال له : بت البارحة أفكر إلى الصباح في دليل على التوحيد سالم عن المعارض ، فما وجدته ، وكذلك حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي أنه قال ، أبيت بالليل وأستلقي على ظهري ، وأضع الماحفة على وجهي ، وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء ، وبالعكس ، وأصبح وماترجع عندي شيء ، كأنه يعني أدلة المتكلمين من الفلاسفة . انتهى كلام الشيخ .

قوله : قعقة فيها لهم بشنان ، القعقة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره . الشنان : جمع شن ، وهو القرية البالية ، وهم يجر كونها إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع .
قال النابغة :

كأنك من جبال بني أقيش يقعقع خلف رجله بشن

مثل يضرب لمن لا يتضعع لما ينزل به من حوادث الدهر ، ولا يروعه ما لا حقيقة له .

ومعنى كلام الناظم رحمه في هذا الفصل : إنكم أيها النقااة صانعة الفلاسفة ، وناظرتهم مناظرة ضعيفة ، لم تزدهم الاشراً وإغراء .

قوله : ولأجل ذا صرتم مخانيناً لهم الخ . هذا كما يقال المعتزلة مخانين الفلاسفة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وبحسبكم مع صاحب الاثبات بالكفر والتضليل والعدوان

وقلبتهم ظهر المجن له وأجلبتكم عليه بعسكر الشيطان

والله هذي رتبة لا يخفي مضمونها إلا على الثيران

هذا وبينها أشد تفاوت ففتان في الرحمن مختصان
هذا نفى ذات الاله ووصفه نفياً صريحاً ليس بالكتمان
لكن ذاوصف الاله بكل أو صاف الكمال المطلق الرباني
ونفى النقائص والعيوب كنفية التشبيه للرحمن بالانسان
فلأي شيء كان حربكم له بالجد دون معطل الرحمن
قوله : وبجنتم مع صاحب الاثبات الخ ؛ أي أنكم خرجتم عن الحد
في مجسّم مع صاحب الاثبات ، وكفرتموه وذلتموه واعتديتم عليه .
قوله : وقلبتم ظهر المجن . قال في « القاموس » المجن ، والمجنّة ، بكسرهما
والجنان بالضم : الترس ، وقلب مجنه أسقط الحياء ، وفعل ماشاء ، أو ملكه
أمره ، أو اشتد به .

قوله : هذا نفى ذات الاله ووصفه الخ . أي : إن المعطل نفى ذات
الرب سبحانه وصفاته ، وهذا من الناظم في نفى ذات الرب سبحانه على
سبيل الازام ، والمثبت أثبت صفات الكمال لربه سبحانه ونفى عنه النقائص
والعيوب ، فلاي شيء كان حربكم للمثبت بالحد ؛ أي : (حاربتموهم أشد
الحرب)^(١) وأما المعطلة فصانعتموهم وداهنتموهم في البحث ، وتآديتم معهم
وانما ذلك خوفاً استرجاعهم سلاحهم الذي تسلحتهم على نفى صفات الرب سبحانه
قال الناظم :

قلنا نعم هذا المجسم كافر أفكان ذلك كامل الايمان؟!
لاتنظفي نيران غيظكم على هذا المجسم يا أولي النيران

فالله يوقدها ويصلي حرها يوم الحساب محرف القرآن
ياقومنا لقد ارتكبتم خطة لم يرتكبها قط ذو عرفان
وأعنتم أعداءكم بوفاقكم لهم على شيء من البطلان
أي: لما قلنا للمتكلمين: لأي شيء كان حربكم للمثبتة أشد الحرب ،
دون المعطلة . قالوا لنا في الجواب : إن الميثت كافر . فيقال لهم ، فهل المعطل
كامل الايمان ؟

قوله : وأعنتم أعداءكم بوفاقكم الخ ؛ أي إنكم معاشر المتكلمين
أعنتم أعداءكم المعطلة على شيء من الباطل ، كنفي صفات الرب سبحانه أو
بعضها ، وقولكم بمخلق القرآن ، وإنكار رؤية الله سبحانه في الآخرة ، وغير ذلك

قال الناظم :

أخذوا نواصيكم بها ولحاكم فعدت تجر بذلة وهوان
قلتم بقولهم ورمتم كسرهم أنى وقد غلقوا لكم برهان
وكسرتم الباب الذي من خلفه أعداء رسل الله والايان
فأتى عدو مالكم بقتالهم وبجرهم أبد الزمان يدان

أي : إن المتكلمين لما قالوا ببعض أقوال المعطلة صعب الرد عليهم منهم ،
لأنهم قد غلقوا لهم برهان ، فلهذا عجزوا عن الرد عليهم .

قال الناظم :

فعدوتم أسرى لهم بجبالهم أيديكم شدت الى الأذقان

حملوا عليك كالسباع استقبلت حمراً معقرة ذوي أرسان
صالوا عليكم بالذي صلتم به أنتم علينا صولة الفرسان
لولا تحيزكم إلينا كنتم وسط العرين ممزقي اللحمان
لكن بنا استنصرتم وبقولنا صلتم عليهم صولة الشجعان
وليتم الاثبات اذ صلتم به وعزلتم التعطيل عزل مهان
وأيتيم تغزوننا بسريّة من عسكر التعطيل والكفران
من ذا بحق الله أجهل منكم وأحقنا بالجهل والعدوان
تأثم ما يدري الفتى بمصابه والقلب تحت الحتم والخذلان

قوله: لولا تحيزكم إلينا الخ . يعني إن المتكلمين في بعض الأحوال، يتحيزون إلى المثبتة وأهل الحديث، كما صنف الامام أبو الحسن الأشعري المصنفات الكثيرة بعد رجوعه عن مذاهب المعتزلة في نصرته أهل السنة وأصحاب الحديث. ك«الابانة في أصول الديانة» و«مقالات الاسلاميين» و«رسائل النغر» وغير ذلك، وكما قال الفخر الرازي في آخر مصنفاته، وهو كتاب «أقسام اللذات» لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً؛ ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأني الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (و اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ و اقرأني النفي (ليس كمثله شيء) وهو السميع البصير (الشورى : ١٠) (ولا يحيطون به علماً) طه : ١١٠ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

قال الناظم :

فصل

في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمراء الاثبات الموحدين .

الأسنة : جمع سنان بكسر السين ، وهو : الرمح .

وإذا أردت ترى مصارع من خلا من أمة التعطيل والكفران
وتراهم أسرى حقيراً شأنهم أيديهم غلت الى الأذقان
وتراهم تحت الرماح دريئة ما فيهم من فارس طعان
تقدم معنى الدريئة .

وتراهم تحت السيوف تنوشهم من عن شمائلهم وعن أيان
وتراهم انسلخوا من الوحيين والعقل الصريح ومقتضى القرآن
وتراهم والله ضحكة ساخر ولطالما سخرُوا من الايمان
قد أوحشت منهم ربوع زادها الجبار إيجاشا مدى الأزمان
قال في « القاموس » الربع : الدار بعينها حيث كانت ، جمع رباع ،
وربوع ، وأربع ، وأرباع ، والحلة ، والمنزل ، والنفس ، وجماعة الناس ،
والموضع يرتبعون فيه في الربيع ، كالمربع ، كالمقعد . انتهى .

وخلت ديارهم وشتت شملهم ما فيهم رجالان مجتمعان

قد عطل الرحمن أفئدة لهم من كل معرفة ومن ايمان
إذ عطلوا الرحمن من أوصافه والعرش أخلوه من الرحمن
بل عطلوه عن الكلام وعن صفات كماله بالجهل والبهتان
فاقرأ تصانيف الامام حقيقة شيخ الوجود العالم الرباني
أعني أبا العباس أحمد ذلك البحر المحيط بسائر الخلقان
الخليج من البحر : شرم منه ، وهو أيضاً النهر ، وقيل جانبه : خليجاه
واجمع خلع بضمين . قاله في « مختار الصحاح »

واقراً كتاب العقل والنقل الذي مافي الوجود له نظير ثان
وكذاك منهاج له في رده قول الروافض شيعة الشيطان
وكذاك أهل الاعتزال فانه أرادهم في حفرة الجبان
وكذلك التأسيس أصبح نقضه أعجوبة للعالم الرباني

التأسيس المذكور : هو « تأسيس التقديس » للفخر الرازي في تأويل
الصفات الخيرية ، صنفه للملك العادل ؛ أي : بكر بن أبوب ، وقد نقض شيخ
الاسلام بكتاب « تخليص التلبيس من تأسيس التقديس » ويسمى أيضاً
« بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية » وهو كتاب عظيم نفيس .
قال تلميذه الحافظ محمد بن عبد الهادي في ترجمته المبسوطة : لو سافر رجل
الى الصين في تحصيله لما كان كثيراً ، وهو كما قال :

وكذاك أجوبة له مصرية في ست أسفار كتبت سما

وكذا جواب للنصارى فيه ما يشفي الصدور وأنه سفران وهو المسمى بـ «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» .

وكذلك شرح عقيدة للاصبها في شارح المحصول شرح بيان فيها النبوات التي إثباتها في غاية التقرير والتبيان والله ما لأولي الكلام نظيره أبداً وكتبهم بكل مكان وكذا حدوث العالم العلوي والسفلي فيه في أتم بيان وكذا قواعد الاستقامة أنها سفران فيما بيننا ضخمان وقرأت أكثرها عليه فزادني والله في علم وفي ايمان هذا ولو حدثت نفسي أنه قبلي يموت لكان غير الشان وكذلك توحيد الفلاسفة الألى توحيدهم هو غاية الكفران وسفراطيف فيه نقض أصولهم بحقيقة المعقول والبرهان وكذلك تسعينية فيها له رد على من قال بالانفساني تسعون وجهاً بينت بطلانه أعني كلام النفس ذا الوجدان

أي : إنه رحمه الله صنف الكتاب المسمى بـ «التسعينية» وهو رد على القائلين بالكلام النفسي ، وان كلام الله تعالى معنى واحد قائم بالنفس على ما هو معروف . وقوله : ذا الوجدان بالحاء المهملة ؛ أي : إنه معنى واحد .

وكذا قواعده الكبار وانها أوفى من المائتين في الحسبان
لم يتسع نظمي لها فأسوقها فأشرت بعض إشارة لبيان
وكذا رسائله الى البلدان والـ أطراف والاصحاب والاخوان
هي في الورى مبثوثة معلومة تتباع بالغالي من الأثام
وكذا فتاواه فأخبرني الذي أضحى عليها دائم الطوفان
بلغ الذي ألقاه منها عدة الأيام من شهر بلا نقصان
سفر يقابل كل يوم والذي قد فاتني منها بلا حسان
أي : إن فتاوله بلغت ثلاثين سفرًا

هذا وليس يقصر التفسير عن عشر كبار ليس ذا نقصان
وكذا المقاريد التي في كل دسـ ألة فسفر واضح التبيات
ما بين عشر أو تزيد بضعفها هي كانبجوم لسالك حيران
وله المقامات الشهيرة في الورى قد قامها لله غير جبان
نصر الاله ودينه وكتابه ورسوله بالسيف والبرهان
أبدى فضائهم وبين جهلهم وأرى تناقضهم بكل مكان
وأصارهم والله تحت نعال أهل الحق بعد ملابس التيجان
وأصارهم تحت الحضيض وطالما كانوا هم الاعلام للبلدان
ومن العجائب أنه بسلاحهم أرداهم تحت الحضيض الداني

كانت نواصينا بأيديهم فما منّا لهم إلا أسيرعات
فغدت نواصيم بأيدينا فلا يلقوننا الا بجل أمان
وغدت ملوكهم مماليكاً لأنصار الرسول بمنة الرحمن
وأنت جنودهم التي صالوا بها منقادة لعساكر الايمان
يدرر يهدى من له خبر بما قد قاله في ربه الفئتان
والقدم يوحشنا وليس هناكم فحضوره ومغيبه سيان

حاصل كلامه في هذا الفصل ذكر بعض مؤلفات شيخه شيخ الاسلام
وذكر بعض مناقبه ، وهي بحر لاساحل له . وقد أفردت المصنفات الكثيرة
في مناقبه كـ « العقود الدررية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية » لتلميذه الحافظ
محمد بن عبد الهادي في مجلد ، وعدد أسماء تصانيفه في نحو كراس ، ومناقبه
لتلميذه ، أي حفص البزاز في كراسين ، وترجمته المفردة للحافظ ابي عبد الله
الذهبي ، وهي غير تراجمه التي ذكرها في « توارخه » وقد ذكره الشيخ
أبو حفص عمر بن الوردي في « تاريخه » وأطنب في ترجمته ، وكذا ذكره
الامام أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري في تاريخه « مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار » وأسهب وأطنب ، والحافظ عماد الدين بن كثير في كتاب
« البداية والنهاية » والحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في « طبقات
الحنابلة » والشيخ محمد بن شاكر في « ذيله على تاريخ ابن خلكان » والحافظ
ابن حجر العسقلاني ، والامام ابن العماد في « شذرات الذهب » وغيرهم ، ومن
أراد معرفة تصانيفه وعلومه العظيمة ، فليرجع الى هذه المصنفات ير فيها
ما يبلج صدره ، والله تعالى يغفر له ويرحمه ويجزيه عن الاسلام خيراً .

تبيينه : قد نبغ في آخر القرن الثامن رجل يقال له : علاء الدين محمد بن محمد البخاري ، تكلم في شيخ الاسلام بما هو من كلام الطغام (١) وأشباه الأنعام ، وزعم أن من سماه شيخ الاسلام فهو كافر ، وقد تصدى للرد عليه في هذه الضلالة ، وقبيح هذه المقالة: الشيخ الامام العلامة ، والمحدث الفهامة الحافظ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الشافعي رحمه الله تعالى بكتاب سماه « الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام كافر » وقد أجاد فيه وأفاد ، وبلغ في إفحام الخصم الغاية والمراد ، وهو في مجلد لطيف ، وقد مدح هذا التأليف مشايخ الاسلام ، وقرظوه بما يشفي الأوام ، كشيخ الاسلام أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب « فتح الباري » وقاضي القضاة ، شيخ الاسلام صالح بن عمر البلقيني الشافعي ، والامام قاضي القضاة عبدالرحمن التفهني الحنفي ، والعلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي ، والعلامة الحافظ قاضي القضاة نور الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي ، والامام الهمام العلامة الفهامة أحمد ابن نصر الله البغدادي الحنبلي ، والشيخ الامام العالم الهمام ابراهيم بن محمد الحلبي ، والشيخ الامام العلامة مفيد القاهرة رضوان بن محمد أبو النعيم .

قوله : والفدم . قال في « القاموس » الفدم : العيي عن الكلام في ثقل ورخاوة ، وقلة فهم ، والغليظ الاحمق الجافي ، جمع فدام ، وهي بهاء ، فدم ككرم ، فدامة ، وفدومة . انتهى .

فصل

في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء
التي ما أنزل الله بها من سلطان

ياقوم أصل بلانكم أسماء لم ينزل بها الرحمن من سلطان
هي عكستكم غاية التعكيس واقتلعت دياركم من الاركان
فهدمت تلك القصور وأوحشت منكم ربوع العلم والايمان
والذنب ذنبكم قبلتم لفظها من غير تفصيل ولا فرقان
وهي التي اشتملت على أمرين من حق وأمر واضح البطلان
سميت عرش المهيمين حيزاً والاستواء تحيزاً بمكان
وجعلتم فوق السموات العلى جهة وسقتم نفي ذا بوزان

يعني أن المصيبة والبلاء الذي حل بأهل التعطيل والكفران من جهة
الاسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وذلك أنهم سموا عرش المهيمين
سبحانه ، حيزاً ، وسموا الاستواء تحيزاً وجهة . قال

وجعلتم الاثبات تشبيهاً وتجسيماً وهذا غاية البهتان
وجعلتم الموصوف جسماً قابلاً اعراض والأكوان والألوان

وجعلتم أوصافه عرضاً وهذا كله جسر الى النكران
أي أنكم أيها المعطلة سميتم الاثبات تشبيهاً وتجييساً ، وقلتم : إذا وصفتم
الله بصفاته التي وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ، فقد قلتم بأن الله جسم
قابل للأعراض ، وهي الألوان ونحوها ، والاكون الأربعة ، ، وهي
الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون . تعالى الله عن ذلك .

قال :

وكذلك سميتم حلول حوادث أفعاله تلقيب ذي عدوان
اذ تنفرا الاسماع من ذا اللفظ نفـرتـها من التشبيه والنقصان
فكسوتم أفعاله لفظ الحوا دث ثم قلتم قول ذي بطلان
ليست تقوم به الحوادث والمراد النفي للأفعال للديان
فاذا انتفت أفعاله وصفاته وكلامه وعلو ذي سلطان
فبأي شيء كان رباً عندكم يافرقة التحقيق والعرفان
والقصد نفي فعاله عنه بذات التلقيب فعل الشاعر الفتان
وكذلك حكمة ربنا سميتم عللا وأغراضاً وذان اسمان
لا يشعران بمدحه بل ضدها فيهون حينئذ على الاذهان
نفي الصفات وحكمة الخلاق والـ أفعاله إنكاراً لهذا الشأن
وكذا استواء الرب فوق العرش قلتم إنه التركيب ذو بطلان
وكذلك وجه الرب جل جلاله وكذا لفظ يد ولفظ يدان

سميتمُ ذا كله الاعضاء بل سميتموه جوارح الانسان
وسطوتم بالنفي حينئذ عليه كنفينا للعيب مع نقصان
قلتم نزهه عن الاعراض والاعراض والابعاض والجثمان
وعن الحوادث أن تحل بذاته سبحانه من طارق الحدثان
والقصد نفي صفاته وفعاله والاستواء وحكمة الرحمن

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن المعطلة سموا صفات الرب سبحانه وتعالى
أعراضاً ، وسموا حكمته أغراضاً وعللاً ، وسموا إثبات وجهه ويده أو يديه
سبحانه أبعاضاً ، وقالوا : سبحانه وتعالى منزّه عن الأعراض والأغراض
والابعاض ، وكذا سموا قيام أفعاله به سبحانه حلول الحوادث ، وذلك كله
لأجل التشنيع على من تبع مذهب السلف الذي دل عليه صحيح المنقول
وصريح المعقول . ولهذا قال الناظم ، فاذا انتفت أفعاله وكلامه وصفاته
وعلوه على عرشه ، فبأي شيء كان رباً عندكم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس أذترهم بسجن اللفظ محبوسون خوف معرفة السجان
والكل إلا الفرد يقبل مذهباً في قالب ويرده في ثان
والقصد أن الذات والاصاف والأفعال لا تنفى هذا الهذيان
سموه ماشئتم فليس الشأن في الأسماء بل في مقصد ومعان
كم ذا توسلتم بلفظ الجسم والتجسيم للتعطيل والكفران
وجعلتموه الترس ان قلنا لكم الله فوق العرش والاكوان

قلتم لنا جسم على جسم تعا لى الله عن جسم وعن جثمان
وكذلك ان قلنا القرآن كلامه منه بدا لم يبد من انسان
كلا ولا ملك ولا لوح ولا كن قاله الرحمن قول بيان

تقدم معنى أن الكلام بدا منه تعالى، ومعنى بدايته

قلتم لنا إن الكلام قيامه بالجسم أيضاً وهو ذو حدثان
عرض يقوم بغير جسم لم يكن هذا بمعقول لدى الاذهان

أي : قالت النفاة إذا قلتم : إن كلام الله تعالى بدا منه ، لم يبد من انسان
ولا ملك ، ولا من اللوح المحفوظ. «فتقول النفاة : الكلام عرض ، والعرض
لا يقوم بغير جسم ، فكلامكم أيها المثبتة غير معقول

وكذلك حين تقول ينزل ربنا في ثلث ليل آخر أو ثان
قلتم لنا إن النزول لغير أجسام محال ليس ذا إمكان
وكذلك ان قلنا يرى سبحانه قلتم أجسم كي يرى بعيان
أي إذا قلنا : إنه سبحانه يرى في الآخرة ، قالت المعطلة : يلزم أنه
جسم ، وأن له جهة

أم كان ذا جهة تعالى ربنا عن ذا فليس يراه من انسان
أما اذا قلنا له وجه كما في النص أو قلنا كذلك يدان
وكذلك ان قلنا كما في النص إن القلب بين أصابع الرحمن
وكذلك إن قلنا الاصابع فوقها كل العوالم وهي ذو رجفان

وكذلك ان قلنا يدها لأرضه وسمائه في الحشر قابضتان
وكذلك ان قلنا سيكشفه ماقه فيخر ذاك الجمع للاذقان
وكذلك ان قلنا يجيبىء لفصله بين العباد بعدل ذي سلطان
قامت قيامتكم كذلك قيامة ال آتي بهذا القول في الرحمن

أي : إذا قلنا : إن له تعالى وجهاً كما ورد به النص كما يليق بجلاله ،
أو قلنا : لأن له سبحانه يدين ، أو قلنا كما في النص : « ان القلب بين أصابع
الرحمن » أو أن الاصابع فوقها العوالم ، وأنه يقبض أرضه وسمائه في الحشر ،
وأنه سيكشف عن ساق ، وأنه سبحانه يجيء لفصل القضاء وغير ذلك
كما في كتاب الله ، أو في صحيح السنة ، وحسنها ، من غير تشبيه ، ولا
تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ، قامت قيامتكم ، ورميتونا بكل
حجر ومدر .

ولنبسط الكلام في الوجه واليدين ، فنقول : وجه الرب سبحانه حيث
ورد في الكتاب والسنة ، فليس بمجاز ، بل على حقيقته . واختلف المعطلة
في جهة التجوز في هذا . فقالت طائفة : لفظ الوجه زائد ، والتقدير :
(ويبقى ربك) (إلا ابتغاه ربه الأعلى) ويريدون ربهم . وقالت فرقة : الوجه
بمعنى الذات ، وهذا قول أولئك وان اختلفوا في التعبير عنه . وقالت فرقة :
ثوابه وجزاؤه ، فجعله هؤلاء مخلوقاً منفصلاً ، قالوا : لأن الذي يراد هو الثواب .
قال عثمان بن سعيد الدرامي : وقد حكى قول المريسي انه قال في قول
النبي ﷺ « اذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه » يحتمل أن يقبل الله
عليه بنعمته وإحسانه وأفعاله ، وما أوجب للمصلي من الثواب . فقوله :
(ويبقى وجه ربك) الرحمن : ٢٦ أي : ما توجه به ربك من الأعمال الصالحة .

وقوله: (فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة: ١١٥ أي: قبله الله. قال الدارمي: لما فرغ المرسي من إنكار اليمين ونفيها عن الله، أقبل قبل وجه الله ذي الجلال والإكرام لينفيه عنه، كما نفى عنه اليمين، فلم يدع غاية في إنكار وجه الله ذي الجلال والإكرام والجحود به، حتى ادعى أن وجه الله الذي وصفه بأنه ذو الجلال والإكرام مخلوق، لأنه ادعى أنه أعمال مخلوق، يتوجه بها إليه، وثواب وإنعام مخلوق يشيب به العامل، وزعم أنه قبله الله، وقبله الله لاشك مخلوقة، ثم ساق الكلام في الرد عليه. وذكر الخطابي والبيهقي وغيرهما قالوا: لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه فقال: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمن: ٣٧ دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة، وأن قوله (ذو الجلال والإكرام) صفة للوجه، وأن الوجه صفة للذات.

قال الناظم في «الصواعق»: فتأمل رفع قول (ذو الجلال والإكرام) عند ذكر الوجه، وجره في قول (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) الرحمن: ٨٧ فذو الوجه المضاف بالجلال والإكرام، لما كان القصد الأخبار عنه، وذو الوجه المضاف إليه بالجلال والإكرام في آخر السورة، لما كان المقصود عين المسمى دون الاسم، فتأمل.

ثم استدل رحمه الله تعالى على إبطال هذه التأويلات بأوجه، منها أنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه، وغاية ما شبه به المعطل وجه الرب أن قال: هو كقول القائل وجه الحائط، ووجه الثوب، ووجه النهار، فيقال للمعطل المشبه به: ليس الوجه في ذلك بمعنى الذات، بل هذا مبطل، لقولك: فان وجه الحائط أحد جانيه، فهو مقابل لدبره، ومثل هذا وجه الكعبة ودبرها، فهو وجه حقيقة، ولكنه بحسب المضاف

اليه ، فلما كان المضاف اليه بناء ، كان وجهه من جنسه ، وكذلك وجه الثوب
أحد جانبيه ، وهو من جنسه ، وكذلك وجه النهار أوله ، ولا يقال لجميع
النهار . وقال ابن عباس : وجه النهار أوله ، ومنه قولهم : صدر النهار .
قال ابن الاعرابي : أتيت بوجه نهار ، وصدر نهار ، وأنشد للربيع بن زياد

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

ومنها أن حمله على الثواب المنفصل من أبطل الباطل . فان اللغة لا تحتل
ذلك ، ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهاً للمجاز . وأيضاً فالثواب مخلوق ،
وقد صح عن النبي ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال « أعوذ بوجهك الكريم أن
تضلني ، لا إله الا أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والانس يموتون » رواه
أبو داود وغيره . ومن دعائه يوم الطائف « أعوذ بوجهك الكريم الذي
أشرفت له الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة » ولا يظن برسول الله
ﷺ أن يستعبد بمخلوق .

ومنها أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : « أسألك لذة النظر الى
وجهك ، والشوق الى لقائك » ولم يكن يسأل لذة النظر الى ثواب المخلوق ،
ولا يعرف تسمية ذلك وجهاً لغة ، ولا شرعاً ، ولا عرفاً .

ومنها أن النبي ﷺ قال : « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بوجه
الله فأعطوه » وفي « السنن » من حديث جابر عن النبي ﷺ قال « لا ينبغي
لأحد أن يسأل بوجه الله الا الجنة » فكان طاوس يكره أن يسأل الانسان
بوجه الله .

وروى مسلم في « صحيحه » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله
عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ،

يخفّض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجاب النور ، لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

ومنها قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه . فهل يصح أن يحمل الوجه في هذا على مخلوق ؟ أو يكون صلة لا معنى له ؟ أو يكون بمعنى القبلة والجهة ؟ وهذا مطابق لقوله عليه السلام « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات » فأضاف النور الى الوجه ، والوجه الى الذات ، واستعاذ بنور الوجه الكريم ، فعلم أن نوره صفة له ، كما أن الوجه صفة ذاتية ، وهو الذي قاله ابن مسعود ، وهو تفسير قوله (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ فلا تشتغل بأقوال المتأخرين الذين غشت بصائرهم عن معرفة ذلك ، فخذ العلم عن أهله ، فهذا تفسير الصحابة رضي الله عنهم .

ومنها أن الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين ، وجميع أهل السنة ، والحديث ، والأئمة الأربعة ، وأهل الاستقامة من أتباعهم ، متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة ، وهي الزيادة التي فسر بها النبي ﷺ والصحابة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . يونس : ٢٦

فروى مسلم في « صحيحه » عن النبي ﷺ في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦ قال : النظر الى وجه الله تعالى ، فمن أنكر حقيقة الوجه ، لم يكن للنظر عنده حقيقة ، ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو ، فيعود النظر عنده الى خيال مجرد ، وان أحسن العبارة قال : هو معنى يقوم بالقلب ، نسبتة إليه كنسبة النظر الى العين ، وليس في الحقيقة عنده نظر ، ولا وجه ، ولا لذة تحصل للنائر .

ومنها أن تفسير وجه الله بقبلة الله ، وان قاله بعض السلف ، كمجاهد ،
وتبعه الشافعي ، فانما قالوه في موضع واحد لا غير ، وهو قوله تعالى (والله
المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة : ١١٥ فهب أن هذا
كذلك في هذا الموضع ، فهل يصح أن يقال ذلك في غيره من المواضع التي
ذكر الله تعالى فيها الوجه ؟ فما يفيدكم هذا في قوله (ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والاكرام) الرحمن : ٣٧ وقوله (الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) الليل : ٢١
وقوله (إنما نطمعكم لوجه الله) الدهر : ١٠ على أن الصحيح في قوله (فثم وجه
الله) البقرة : ١١٥ انه كقوله في سائر الآيات التي فيها ذكر الوجه ، فانه قد
اطرد مجيئه في القرآن والسنة مضافاً الى الرب تعالى على طريقة واحدة ، ومعنى
واحد ، فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع ، غير الموضع الذي ذكره
في سورة البقرة ، وهو قوله (فثم وجه الله) وهذا لا يتعين حمله على
القبلة أو الجهة ، ولا يمنع أن يراد به وجه الرب حقيقة ، فحمله على موارد
ونظائره كلها أولى ،

ومنها أنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ، ولا شرعاً ، ولا
عرفاً ، بل القبلة لها اسم يخصها ، والوجه له اسم يخصه ، فلا يدخل أحدهما
على الآخر ، ولا يستعار اسمه له . نعم القبلة تسمى وجهة ، كما قال تعالى
(ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا) البقرة : ١٤٨
وقد تسمى جهة ، وأصلها وجهة ، لكن أعلت بحذف فائها ، كزنة ، وعدة .
وإنما سميت قبلة ، ووجهة ، لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجهه . وأما تسميتها
وجهاً فلا عهد به ، فكيف إذا أضيف الى الله تعالى ؟ مع أنه لا يعرف تسمية
القبلة وجهة الله في شيء من الكلام ، مع أنها تسمى وجهة ، فكيف يطلق
عليها وجه الله ؟ ولا يعرف تسميتها وجهاً . وايضاً فمن المعلوم أن قبلة الله

التي نصبها لعباده هي قبلة واحدة ، وهي القبلة التي أمر الله عباده أن يتوجهوا إليها حيث كانوا لا كل جهة يولي وجهه إليها ، فانه يولي وجهه الى المشرق والمغرب والشمال وما بين ذلك ، وليست تلك الجهات قبلة الله ، فكيف يقال : أي وجهة وجهتموها واستقبلتموها في قبلة الله . فان قيل : هذا عند اشتباه القبلة على المصلي ، وعند صلواته النافلة في السفر . قيل : اللفظ لاشعار له بذلك البتة بل هو عام مطلق في الحضر والسفر ، وحال العلم والاشتباه ، والقدرة والعجز . يوضحه أن إخراج الاستقبال المفروض ، والاستقبال في الحضر وعند العلم ، والقدرة وهو أكثر أحوال المستقبل ، وحمل الآية على استقبال المسافرين في التنقل على الراحة وحال الغيم ونحوه بعيد جداً عن ظاهر الآية وإطلاقها وعمومها ، وما قصد بها ، فان (أين) من أدوات العموم ، وقد أكد عمومها بما أراده لتحقيق العموم ، كقوله (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) البقرة : ١٥٠ والآية صريحة في أنه أينما ولي العبد فتم وجهه الله من حضر ، أو سفر في صلاة وغيرها ، وذلك أن الآية لا تعرض فيها للقبلة ، ولا لحكم الاستقبال ، بل سياقها لمعنى آخر ، وهو بيان عظمة الرب تعالى وسعته ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأعظم منه ، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي ، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله (والله المشرق والمغرب) البقرة ١١٥ منها بذلك على ملكه لما بينها ، ثم ذكر عظمته سبحانه ، وأنه أكبر وأعظم من كل شيء ، فأينما ولي العبد وجهه ، فتم وجهه الله ، ثم ختم باسمين دالين على السعة والاحاطة ، فقال (إن الله واسع عليه) فذكر اسمه الواسع عقيب قول (فأينما تولوا فتم وجهه الله) كالتفسير والبيان والتقرير له ، فتأمله ، فهذا السياق لم يقصد به الاستقبال في الصلاة بخصوصه وإن دخل في عموم الخطاب حضراً وسفراً بالنسبة الى الفرض والنفل ، والقدرة والعجز ،

وعلى هذا فالآية باقية على عمومها ، وأحكامها ليست منسوخة ، ولا مخصوصة ، بل لا يصح دخول النسخ فيها ، لأنها خبر عن ملكه للمشرق والمغرب ، وأنه أينما ولى الرجل وجهه فتم وجهه الله ، وعن سعته وعلمه ، فكيف يمكن دخول النسخ والتخصيص في ذلك؟! وأيضاً هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب والرد على من جعل له عدلاً من خلقه الشركة معه في العبادة ؛ ولهذا ذكرها بعد الرد على من جعل له ولداً فقال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض) الى قوله (كن فيكون) البقرة: ١١٦-١١٧ فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة ، ولا سياق الكلام لأجلها ، وإنما سيق لذكر عظمة الرب وبيان سعة علمه وحلمه ، والواسع من أسمائه ، فكيف تجعلون له شريكاً بسببه وتمنعون بيوته ومساجده أن يذكر فيها اسمه، تسعون في خرابها؟! فهذا للمشركين ، ثم ذكر مانسبه اليه النصارى ، من اتخاذ الولد، ووسط بين كفر هؤلاء وقوله تعالى (والله المشرق والمغرب) البقرة: ١١٥ فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والايان ، والرد على المشركين ، لايان فرع معين جزئي .

ومنها أنه لو أريد بالوجه في الآية الجهة والقبلة ، لكان وجه الكلام ان يقال : فأينما تولوا فهو وجه الله ، لأنه إذا كان المراد بالوجه الجهة ، فهي التي تولي نفسها ، وإنما يقال : ثم كذا اذا كان أمران ، كقوله تعالى (واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً) الدهر: ٢٠ فالنعيم والملك ، ثم لأنه نفس الظرف ، والوجه لو كان المراد به الجهة نفسها ، لم يكن ظرفاً لنفسها ، فان الشيء لا يكون ظرفاً لنفسه ، فتأمله. ألا ترى أنك إذا أشرت الى جهة الشرق والغرب لا يصح أن تقول : ثم جهة الشرق ، ثم جهة الغرب ، بل تقول : هذه جهة الشرق ، وهذه جهة الغرب . ولو قلت :

هناك جهة الشرق والغرب ، لكان ذكر الظرف لغوياً ، وذلك لأن (ثم) إشارة الى المكان البعيد ، فلا يشار بها الى قريب ، والجهة والوجهة بما يحاذيك الى آخرها ، فجهة الشرق ، والغرب ، ووجهة القبلة ، بما يتصل الى حيث ينتهي ، فكيف يقال فيها ثم إشارة الى البعيد ؟ ! بخلاف الإشارة الى وجه الرب تبارك وتعالى ، فإنه يشار الى ذاته ، ولهذا قال غير واحد من السلف : فثم الله تحقيقاً ، لأن المراد وجهه الذي هو من صفات ذاته ، والإشارة اليه بأنه ثم كإشارة اليه بأنه فوق سمواته ، وعلى العرش ، وفوق العالم .

ومنها أن تفسير القرآن بالقرآن هو أولى التفاسير ما وجد إليه السبيل ، ولهذا كان يعتمد الصحابة والتابعون والأئمة بعدهم ، والله تعالى ذكر في القرآن القبلة باسم القبلة والوجوه ، وذكر وجهه الكريم باسم الوجه المضاف اليه ، فتفسيره في هذه الآية بنظائره هو المتعين .

ومنها أنك إذا تأملت الأحاديث الصحيحة ، وجدتها مفسرة الآية ، مشتقة منها ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا قام أحدكم الى الصلاة فانما يستقبل ربه » وقوله : « فان الله يقبل اليه بوجهه عنه » وقوله « اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يبصقن قبل وجهه » وقوله : « فان الله بينه وبين القبلة » وقوله : « ان الله يأمركم بالصلاة ، فاذا صليتم فلا تلتفتوا ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت » رواه ابن حبان في « صحيحه » والترمذي وقال : « ان العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام الى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه ، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف ، أو يحدث حدث سوء » وقال جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه ، فاذا التفت أعرض الله عنه » وقال : « يا ابن آدم أنا خير من تلتفت

اليه ، فاذا أقبل على صلاته أقبل الله عليه ، فاذا التفت أعرض الله عنه » انتهى كلام الناظم باختصار .

قوله : وكذلك لفظ يد ولفظ يدان . قال تعالى (بل يدها مبسوطتان) المائدة : ٦٤ قالت الجهمية ومن تبعهم : هذا مجاز في النعمة أو القدرة ، وهذا في الأصل قول الجهمية ، وتبعهم المعتزلة وبعض المتأخرين ممن ينتسب الى الأشعري ، والأشعري وقدماء أصحابه يردون على هؤلاء ، ويدعونهم ، ويشتون اليد حقيقة . قال عبد العزيز بن يحيى الكنافي المالكي جليس الشافعي والخصيص به وقد مات قبل الامام أحمد . في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة - قال : يقال للجهمي : أتقول : إن لله وجهاً ، وله نفس ، وله يد ، فيقول : نعم ، ولكن معنى وجه الله هو الله ، ومعنى نفسه عينه ، ومعنى يده نعمته . قال : والجواب أن يقال له ، فذكر كلاماً يتعلق بالوجه والنفس ، ثم قال : وأما قوله في اليد : أنها يد النعمة كما تقول العرب : لك عندي يد ، فقد قال الله تعالى (بيدك الخير) آل عمران : ٢٦ وقال : (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) يس : ٨٣ وقال : (تبارك الذي بيده الملك) الملك : ١ وقال : (يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠ وقال : (بل يدها مبسوطتان) المائدة : ٦٤ ، قال : فزعم الجهمي أن يد الله نعمته ، فبدل قولاً غير الذي قيل له ، فأراد الجهمي أن يبدل كلام الله ، إذ أخبر الله أن له يداً بها ملكوت كل شيء ، فبدل مكان اليد نعمة ، وقال : العرب تسمي اليد نعمة . قلنا : له العرب تسمي النعمة يداً ، وتسمي يد الانسان يداً ، فاذا أرادت يد الذات ، جعلت على قولها علماً ودليلاً يعقل به السامع أنها أرادت يد الذات ، وإذا أرادت يد النعمة ،

جعلت على قولها عاماً ودليلاً يعقل السامع كلامها أنها تريد يد النعمة ،
ولا تجعل كلامها مشتبهاً على سامعه ، ومن ذلك قول الشاعر :

ناولت زيداً بيدي عطية يسديها رمي كتاباً مخضب^(١)

فدل بهذا القول على يد الذات بالمناولة . . ، وبالباء حين قال (بيدي)
فجعل الباء استقصاء للعدد حين لم يكن له غير يدين . وقال الآخر حين
أراد يد النعمة :

اشكريدن لنا عليك وانعمنا شكراً يكون مكافياً للمنعم

فدل على يد النعمة بقوله : لنا عليك ، ثم قال : وانعمنا ، ثم قال
يدين ، فجعل النون مكان الباء ، لم يستقص بها العدد ، فهذا قول العرب
ومذهبها في لغاتها ، والله تعالى لم يسم في كتابه يداً بنعمة ، ولم يسم نعمة
يداً ، سمى سبحانه اليد يداً ، والنعمة نعمة في جميع القرآن ، فأما ما ذكره
سبحانه من يدين ويد ، فقد ذكرت ذلك في صدر الكلام . وأما النعمة
التي هي عن اليد ، فمن ذلك قوله : (واذكر وانعمة الله عليكم) آل عمران : ١٠٣
وقوله : (وما بكم من نعمة فمن الله) النحل : ٥٣ وقوله :
(وأتممت عليكم نعمتي) المائدة : ٤ وقوله (واذ تقول للذي أنعم الله عليه
وأنعمت عليه) الأحزاب : ٣٧ فسمى الله النعم باسم النعمة ، ولم يسمها
بغير اسمائها ، ومثل هذا في القرآن كثير ، وذكر الله تعالى أيدي المخلوقين
فسمها بالأيدي ، فقال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) الأعراف : ٢٩
وقال تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) المائدة : ٣٨
وقال : (والملائكة باسطوا أيديهم) الأنعام : ٩٣ فهذه أيد لانعمة ،
وذكر نعمته على يد ، ونعمة النبي ﷺ ، فسمها نعمة ، ولم يسمها يداً ،
ثم أخبر سبحانه عن يديه أنها يدان لاثلاثة ، وجعل الباء استقصاء للعدد
(١) هذا البيت لم يكن ظاهراً في الأصل ، وكذلك وجدناه في «الصواعق المرسله»
للناظم غير منقوط ، ولم يتبين لنا صوابه ، ولعله كما أثبتناه .

حين قال : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فدل على أنها يدي الذات ، لا يتعارف العرب في لغاتها ولا أشعارها الا أن هاتين اليدين ، يدي الذات ، لاستقصاء العدد بالباء ، وأما نعم الله فهي أكثر وأعظم من أن تحصر أو تعد كما قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ابراهيم : ٣٤

قال : واعلم رحمك الله أن قائل هذه المقالة جاهل بلغة القرآن ، وبلغة العرب ومعانيها وكلامها ، وذلك أن الله إذا افتتح الخبر عن نفسه بلفظ الجمع ، ختم الكلام بلفظ الجمع ، وإذا افتتح الكلام بلفظ الواحد ، ختم الكلام بلفظ الواحد ، وانما يعني الخبر عن نفسه ، وان كان اللفظ جمعاً ، فأما ما كان من لفظ الواحد ، فهو قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الأسراء : ٢٣ فافتتح الخبر عن نفسه بلفظ الواحد ، وبثله ختم الكلام فقال : (ألا تعبدوا إلا إياه) الأسراء : ٢٣ وقال (رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) الأسراء : ٢٤ وقال (ربكم أعلم بكم) الأسراء : ٢٥ وأما ما افتتحه بلفظ الجمع ، فهو قوله : (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) الأسراء : ٤ فافتتحه بلفظ الجمع ، ثم ختمه بثمل ما افتتحه به فقال (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا) الأسراء : ٥ وانما عنى بذلك نفسه ، لأنها كلمة ملوكية تقولها العرب ، وروي ان ابن عباس لقي أعرابياً ومعه ناقة ، فقال : لمن هذه ؟ فقال الاعرابي : لنا . فقال له ابن عباس : كم أنتم ؟ فقال : أنا واحد . فقال ابن عباس : هكذا قول الله تعالى (نحن) و (خلقناه) و (قضينا) انما يعني نفسه ، والمبهم يرد الى المحكم ، فكل كلمة في القرآن من لفظ جمع قبلها محكم من التوحيد ترد اليه ، فمن ذلك قوله : (وقضينا إلى بني إسرائيل) الأسراء : ٤ يرد الى قوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الأسراء : ٢٣ وقوله : (وخلقناكم أزواجاً) النبأ : ٨ يرد الى قوله : (انما أمره) يس : ٨٢ وقوله

(لما جاء أمر ربك) هود : ١٠١ وكذلك قوله (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً) يس : ٣١ يرد إلى قوله (لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فلما افتتح الكلام بلفظ الجمع فقال : (أولم يروا أنا خلقنا لهم) يس : ٣١ قال (أيدينا) ولما افتتح بقوله : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ ختم الكلام على ما افتتحه به ، فهذا بيان لقوم يفقهون . وقد كان أكثر قسم النبي ﷺ إذا أقسم أن يقول : « لا والذي نفس محمد بيده » وهذا لا يليق به النعمة ، وهذا قول النبي ﷺ يصدق كتاب الله . انتهى كلامه .

والاشعري في كتبه يصرح باثبات الصفات الحبرية في كتبه كلها ، ومعلوم أن أحداً لا ينكر لفظها ، وإنما أنكروا حقائقها ومعانيها الظاهرة ، وكلام الأشعري موجود في « الابانة » و « الموجز » و « المقالات » وموجود في تصانيف أئمة أصحابه ، وأجلهم على الاطلاق القاضي أبو بكر بن الطيب ، وقد ذكر ذلك في كتاب « الابانة » و « التمهيد » وغيرهما ، وذكره ابن فورك فيما جمعه من كلام ابن كلاب ، وكلام الاشعري ، وذكره البيهقي في « الأسماء والصفات » و « الاعتقاد » وذكره ابو القاسم القشيري في كتاب « الشكاية » له ، وذكره ابن عساكر في كتاب « تبين كذب المفتري » حتى الفخر الرازي والسيف الأمدي حكوا ذلك عن الأشعري ، وأنه أثبت اليمين صفة لله ، ولكن غلطوا حيث ظنوا أن له قولين في ذلك ، وهذه كتبه كلها ليس فيها الا الاثبات ، فهو الذي يحكيه عن أهل السنة ، وينصره ، ويحكي خلافه عن الجهمية والمعتزلة . نعم كان قبل ذلك يقول بقول المعتزلة ، ثم رجع عنه ، وصرح بمخالفتهم ، واستمر على ذلك حتى مات . قال أبو الحسن الأشعري في كتاب « الابانة » الذي ذكر ابن عساكر أنه آخر كتبه ، وعليه اعتمد في ذكر مناقبه واعتقاده . قال : فان سألنا سائل فقال : أتقولون : إن الله يدين؟

قيل : نعم ، نقول ذلك لقول الله تعالى (يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠
ولقوله ﷺ « خلق الله آدم بيده ، وغرس جنة عدن بيده » وقال تعالى
(بل يدها مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وفي الحديث « كلتا يديهما » وليس يجوز
في لسان العرب ، ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل : عملت كذا
وكذا بيدي ، وهو بمعنى النعمة ، اذا كان الله خاطب العرب بلغاتها ، وما
تجده مفهوماً في كلامها ، ومعقولاً في خطابها ، واذا لا يجوز في خطابها أن
يقول القائل : فعلت بيدي ؛ ويعني النعمة ، بطل أن يكون معنى بيدي النعمة ،
وساق الكلام في إنكار هذا التأويل وأطاله جداً ، وقرر أن لفظ اليدين على
حقيقته ، وظاهره ، وبين أن اللغة التي نزل بها القرآن لا تحتمل ما تأولته
الجهمية . وقال لسان أصحابه وأجلهم أبو بكر محمد بن الطيب الباقلافي في
كتاب « التمهيد » وهو أشهر كتبه : فان قال القائل : فما الحجة في أن الله
وجهاً ويدين ؟ قيل : قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)
الرحمن : ٣٧ وقوله (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فأثبت
لنفسه وجهاً ويدين ، فان قالوا : انما أنكرتم أن يكون المعنى : خلقت
بيدي ، أنه خلقه بقدرته ؛ لأن اليدين في اللغة تكون بمعنى النعمة ، وبمعنى
القدرة ، كما يقال : لفلان عندي يد بيضاء ، وهذا الشيء في يد فلان ،
وتحت يده ، ويقال : رجل أيد ، اذا كان قادراً كما قال تعالى (خلقنا لهم
سما عملت أيدينا أنعاماً) يس : ٣١ يريد : عملنا بقدرتنا .

وقال الشاعر :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وكذلك قوله (خلقت بيدي) ص : ٧٥ يعني بقدرته ونعمته . قال : فيقال

له : هذا باطل ، لأن قوله (بيدي) يقتضي إثبات يدين هما حصة له ؛ فلو

كان المراد بها القدرة، لوجب أن يكون له قدرة ، ولا ترعمون أن الله تعالى قدرة واحدة ، فكيف يجوز أن تثبتوا قدرتين؟! وقد أجمع المسلمون المثبتون للصفات والنافون لها على أنه لا يجوز أن يكون الله تعالى قدرتان ، فبطل ما قلتم ، وكذلك لا يجوز أن يكون خلق الله آدم بنعمتين ، لأن نعم الله تعالى على آدم وغيره لالتحصى ، ولأن القائل لا يجوز أن يقول : رفعت الشيء ، أو وضعت يدي ، أو توليته يدي ، وهو يريد نعمته ، وكذلك لا يجوز أن يقال : لي عند فلان يدان ، يعني نعمتين ، وإنما يقال : لي عنده يدان بضاوان ، ولأن : فعلته بيدي ، لا يستعمل الا في اليد التي هي صفة الذات ، ويدل على فساد تأويلهم أيضاً أنه لو كان الأمر على ما قالوه ، لم يغفل عن ذلك إبليس ، وأن يقول : وأي فضل لآدم علي يقتضي أن أسجد له ، وأنا أيضاً بيدك خلقتني؟! وفي العلم أن الله تعالى فضل آدم عليه بخلق يديه ، دليل على فساد ما قالوه . فان قال القائل : فما أنكرتم أن يكون يده ووجهه جارية ، إذ كنتم لاتعقلون يداً ووجهاً هما صفة الجارحة ، قلنا : لا يجب ذلك ، كما لا يجب اذا لم نقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً أن نقضي نحن وأنتم ذلك على الله ، وكما لا يجب اذا كان قائماً بذاته أن يكون جوهرأ ، لأننا وإياكم لم نجد قائماً بنفسه في شاهدنا إلا كذلك ، وكذلك الجواب لهم إن قالوا : فيجب أن يكون علمه ، وكلامه ، وحياته ، وسائر صفاته أعراضاً ، أو أجساماً ، أجناساً ، أو حوادث ، أو اغياراً له تعالى ، ومحتاجة الى قلب . انتهى .

والله لو قلنا الذي قال الصحابة والأولى من بعدهم بلسان

لرجتمونا بالحجارة ان قدرتم بعد رجم الشتم والعدوان

والله قد كفرتم من قال بعض مقالهم يأمة العدوان

وجعلتم الجسم الذي قدرتم بطلانه طاغوت ذي البطلان
ووضعتم للجسم معنى غير معـروف به في وضع كل لسان
وبنيتم نفى الصفات عليه فاجتمعت لكم إذ ذاك محذوران
كذب على لغة الرسول ونفى اثبات العلو لفاطر الاكوان
أي: إنكم أيها المعطلة، وضعتم للجسم معنى غير معناه المعروف في لغة العرب،
وسميتم كل ما هو مركب من المادة والصورة، أو من الجواهر المنفردة،
أو ما يقبل الإشارة الحسية جسماً، وليس هذا معنى الجسم في لغة الصحابة
التي جاء بها القرآن، كما قال الجوهري في «صحاحه المشهورة» قال أبو زيد:
الجسم الجسد؛ وكذلك الجسمان، والجئان. وقال الأصمعي: الجسم
والجسمان: الجسد، والجئان، والشخص. قال: والأجسم: الضخم البدن.
قال شيخ الإسلام في كلامه على حديث النزول: وقد ادعى طوائف
من النفاة أهل الكلام أن الجسم في اللغة هو المؤلف المركب، وأن استعمالهم
لفظ الجسم في كل ما يشار إليه موافق للغة، قالوا: لأن كل ما يشار إليه،
فانه يتميز منه شيء عن شيء، وكل ما كان كذلك، فهو مركب من
الجواهر المنفردة التي كل واحد منها جزء لا يتجزأ، ولا يتميز منه جانب عن
جانب، أو من المادة والصورة اللذين هما جوهران عقليان، كما يقول ذلك بعض
الفلاسفة، قالوا: وإذا كان هذا مركباً مؤلفاً، فالجسم في لغة العرب هو
المؤلف المركب، بدليل أنهم يقولون: رجل جسيم، وزيد أجسم من
عمرو، إذا أكثر ذهابه في الجهات، ليس يقصدون بالمبالغة في قولهم: أجسم
وجسيم إلا لمن كثرت الأجزاء المتضمنة والتأليف، لأنهم لا يقولون: أجسم
فيعن كثرت علومه، وقدره، وسائر تصرفاته، غير الاجتماع، حتى إذا

كثر الاجتماع فيه بترديد أجزائه قيل : أجسم ، ورجل جسيم ، فدل ذلك على أن قولهم : جسم يفيد التأليف ، فهذا أصل قول هؤلاء النفاة ، وهو مبني على أصليين : سمعي لغوي ، ونظري عقلي فطري ، أما السمعي اللغوي ، فقولهم : ان أهل اللغة يطلقون لفظ الجسم على المركب ، وهم استدلوا عليه بقولهم : هو أجسم إذا كان أغلظ وأكثر ذهاباً في الجهات ، وإن هذا يقتضي أنهم اعتبروا كثرة الأجزاء . فيقال : أما المقدمة الأولى ، وهو أن أهل اللغة يسمون كل ما له مقدار بحيث يكون أكبر من غيره أو أصغر جسماً ، فهذا لا يوجد في لغة العرب البتة ، ولا يمكن أحداً أن ينقل عنهم أنهم يسمون الهواء الذي بين السماء والأرض جسماً ؛ ولا يسمون روح الانسان جسماً ، بل من المشهور أنهم يفرقون بين الجسم والروح ، ولهذا قال تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) المنافقون : ٤ يعني أبدانهم دون أرواحهم الباطنة ، وقد ذكرنا في اللغة أن الجسم عندهم هو الجسد ، ومن المعروف في اللغة أن هذا اللفظ يتضمن الغلظ والكثافة ، فلا يسمون به الأشياء القائمة بنفسها إذا كانت لطيفة ، كالهواء ، وروح الانسان ، وان كان لذلك مقدار ، يكون بعضه أكبر من بعض ، لكن لا يسمى في اللغة ذلك جسماً ؛ ولا يقولون في زيادة أحدهما على الآخر : هذا أجسم من هذا ، ولا يقولون : هذا المكان الواسع أجسم من هذا المكان الضيق ، وإن كان أكبر منه ، وإن كانت أجزاؤه زائدة على أجزائه عند من يقول بأنه مركب من الأجزاء ، ليس كل ما هو مركب عندهم من الأجزاء يسمى جسماً ، ولا يوجد في الكلام قبض جسمه ، ولا صعد بجسمه الى السماء ، ولا أن الله يقبض أجسامنا كيف يشاء ، وإنما يسمون ذلك روحاً ، ويفرق بين مسمى الروح ومسمى الجسم ، كما يفرق بين البدن والروح ، وكما يفرقون بين الجسد والروح ، فلا يطلقون لفظ

الجسد على الهواء ، فلفظ الجسم عندهم يشبه لفظ الجسد . قال الجوهري :
الجسد والبدن . تقول : فيه تجسد ، كما تقول : الجسم تجسم ، كما تقدم نقله
عن أئمة اللغة أن الجسم هو الجسد ، فعلم أن هذين اللفظين مترادفان ، أو
قريبان من الترادف ، ولهذا يقولون : لهذا الثوب جسد ، كما يقولون : له
جسم ، إذا كان غليظاً ثخيناً صفيحاً . وتقول العلماء : النجاسة قد تكون
مستخبئة ، كالدم ، والميتة ، وقد لا تكون مستجسة ، كالرطوبة ، ويسمون
الدم جسداً ، كما قال النابغة :

فلا لعمر والذي قد زرتة حججاً وما أريق على الانصاب من جسد

المقدمة الثانية : أنه لو سلم ذلك ، فقولهم : إن هذا يطلقونه عند تزايد
الأجزاء ، هو مبني على أن الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة ، وهذا لو
قدر أنه صحيح ، فأهل اللغة لم يعتبروه ، ولا قال أحد منهم ذلك ، فعلم أنهم
إنما لحظوا غلظه ، وكثافته ، وأما كونهم اعتبروا كثرة الأجزاء أو قلتها ،
فهذا لا يتصوره أكثر عقلاء بني آدم ، فضلاً عن أن ينقل عن أهل اللغة قاطبة
أنهم أرادوا ذلك بقولهم : جسم ، وأجسم ، والمعنى المشهور في اللغة ،
لا يكون مسماه ما لا يفهمه إلا بعض الناس ، وإثبات الجواهر المنفردة أمر
خص به بعض الناس ، فلا يكون مسمى الجسم في اللغة ما لا يعرفه إلا
بعض الناس ، وهو المركب من ذلك . وأما الأصل الثاني العقلي ، فقولهم :
إنما يشار إليه بأنه هنا وهنا ، فانه مركب من الجواهر المنفردة ، أو من المادة
والصورة ، وهذا بحث عقلي ، وأكثر عقلاء بني آدم من أهل الكلام وغير
أهل الكلام ، ينكرون أن يكون ذلك مركباً من الجواهر المنفردة ، أو
من المادة والصورة ، وإنكار ذلك قول ابن كلاب وأتباعه الكلابية ، وهو
قول المشامية ، والنجارية ، والضرارية ، وبعض الكرامية ، وهؤلاء الذين

أثبتوا الجوهر الفرد ، وزعموا أننا لم نعلم لا بالحس ولا بالضرورة أن الله أبدع شيئاً قائماً بنفسه ، وأن جميع ما نشهده مخلوقاً ، من السحاب ، والمطر ، والحيوان ، والنبات ، والمعدن ، بني آدم وغير بني آدم ، فانما فيه أنه أحدث أكواناً في الجواهر المنفردة ، كالجمع ، والتفريق ، والحركة ، والسكون . وأنكر هؤلاء أن يكون الله لما خلقنا أحدث إبداناً قائمة بأنفسها ، أو شجراً ، أو ثمراً ، أو شيئاً قائماً بنفسه ، وإنما أحدث عندهم أعراضاً . وأما الجواهر المنفردة ، فلم تزل موجودة . ثم من يقول : لأنها محدثة ، منهم من يقول : إنها محدثة ، ومنهم من يقول : إنهم علموا حدوثها بأنها لم تخل من الحوادث ، وما لم يخل من الحوادث ، فهو حادث ... الى أن قال : ولهذا صارت النفاة إذا أثبت أحد شيئاً من الصفات ، كان ذلك مستلزماً لأن يكون الموصوف عندهم جسماً ، وعندهم الأجسام متاثلة ، فصاروا يسمونه مشبهاً بهذه المقدمات التي يلزمهم مثل ما ألزموه لغيرهم ، وهي متناقضة ، لا يتصور أن ينتظم منها قول صحيح ، وكلها مقدمات ممنوعة عند جماهير العقلاء ، وفيها من تغيير اللغة والمعقول ما دخل بسببه هذه الأغاليط والشبهات ، حتى يبقى الرجل حائراً لا يهون عليه إبطال عقله ودينه ، والخروج عن الإيمان والقرآن ، فان ذلك كله متطابق على إثبات الصفات ، ولا يهون عليه التزام ما يلزمونه من كون الرب مركباً من الأجزاء أو مماثلاً للمخلوقات ، فانه يعلم أيضاً بطلان هذا ، وأن الرب عز وجل يجب تنزيهه عن هذا ، فانه سبحانه أحد صمد ، والأحد ينفي التمثيل ، والصمد ينفي أن يكون قابلاً للتفريق والتجسيم والبعضية ، سبحانه وتعالى ، فضلاً عن كونه مؤلفاً مركباً ألف من الأجزاء ، فيفهمون من يخاطبونه أن ما وصف به الرب نفسه لا يعقل الا في بدت ، مثل بدن الانسان ، بل وقد يصرحون بذلك ويقولون : الكلام لا يكون

إلا من صورة ، وصورة مركبة ، مثل فم الانسان ونحو ذلك مما يدعونه ،
وإذا قال النفاة لهم : متى قلتم : إنه يرى ؟ لزم أن يكون مركباً مؤلفاً ،
لأن المرئي لا يكون إلا بجهة من الرائي ، وما يكون بجهة من الرائي لا يكون
إلا جسماً ، والجسم مؤلف مركب من الأجزاء ، وقالوا : إذا تكلم بالقرآن
أو غيره من الكلام ، لزم ذلك ، وإذا كان فوق العرش ، لزم ذلك ، صار
المسلم العارف بما قال الرسول ﷺ ، يعلم أنه يرى في الآخرة ، لما تواتر عنده
من الأخبار عن الرسول ﷺ بما يدل على ذلك مع ما يوافق ذلك من القضايا
الفطرية التي خلق الله بها عباده ، وإذا قالوا : هذا يستلزم أن الله مركب من
الأجزاء المنفردة ، والمركب لا بد له من مركب ، فلزم أن يكون الله
محدثاً ، إذ المركب يفترق الى أجزائه ، وأجزاؤه تكون غيره ، وما افتقر
إلى غيره لم يكن غنياً واجب الوجود بنفسه ، خيروه وشككوه إن لم يجعلوه
مكذباً لما جاء به الرسول ﷺ ، مرتدأ عن بعض ما كان عليه من الإيمان ،
مع أن شكه وحيرته قدح في إيمانه ، ودينه ، وعلمه ، وعقله . فيقال : أما
كون الرب سبحانه وتعالى مركباً مركبه غيره ، فهذا من أظهر الأمور
فساداً ، وهذا معلوم فساد بضرورة العقل . ومن قال هذا ، فهو من أ كفر
الناس وأجهلهم ، وأشدهم محاربة لله ، وليس في الطوائف المشهورة من يقول
بهذا ، وكذلك إذا قيل : هو مؤلف أو مركب بمعنى أنه كانت أجزاؤه
مفرقة ، فجمع بينهما كما يجمع بين أجزاء المركبات ، من الأطعمة ، والأدوية
والثياب ، والأبنية ، فهذا التركيب من اعتقده في الله فهو من أ كفر الناس
وأظلمهم ، ولم يعتقده أحد من الطوائف المشهورة في الأمة ، بل أ كثر العقلاء
عندهم أن مخلوقات الرب ليست مركبة هذا التركيب ، وإنما يقول بهذا من
يثبت الجواهر المنفردة ، وكذلك من زعم أن الرب مركب مؤلف ، بمعنى
أنه يقبل التفريق والانقسام والتجزئة ، فهذا من أ كفر الناس وأجهلهم .

وقوله : شر من قول الذين يقولون : إن الله ولدآ ، بمعنى أنه انفصل منه
غضار ولدآ له . وقد بسطنا الكلام على هذا في تفسير (قل هو الله أحد)
وفي غير ذلك . وأطال الكلام رحمه الله ، وهذا الذي سقناه من كلامه
كالشرح لهذه الآيات ، فرحمه الله ، ورضي عنه .

قال الناظم رحمه اتعالى :

وركبتم إذا ذاك تحريفين تحريف الحديث ومحكم القرآن
وكسبتم وزرين ووزر النفي والتحريف فاجتمعت لكم كفلان
وعداكم أجران أجر الصدق والإيمان حتى فاتكم حضان
وكسبتم مقتين مقت الهكم والمؤمنين فنالكم مقتان
ولبستم ثوبين ثوب الجهل والظلم القبيح فبئست الثوبان
وتخذتم طرزين طرز الكبر والستيه العظيم فبئست الطرزان
ومددتم نحو العلى باعين لـكن لم تطل منكم لها الباعان
وأتيموها من سوى أبوابها لكن تسورتم من الحيطان
وغلقتن بابين لو فتحا لكم فزتم بكل بشارة وتهان
باب الحديث وباب هذا الوحي من يفتحهما فليهنه البابان
وفتحتم بابين من يفتحهما تفتح عليه مواهب الشيطان
باب الكلام وقد نهيتن عنه والباب الحريق فنطق اليونان
فدخلتم دارين دار الجهل في الدنيا ودار الخزي في النيران

وطعمتم لونين لوز الشك والتشكيك بعد فبست اللونان
وركبتم أمرين كم قد أهلكا من أمة في سالف الأزمان
تقديم آراء الرجال على الذي قال الرسول ومحكم القرآن
والثاني نسبتهم الى الألفاظ والتليس والتدليس والكتان
ومكرتم مكرين لوتما لكم لتفصمت فينا عرى الإيمان
أطفأتم نور الكتاب وسنة الهدى بذات التحريف والهديان
لكنكم أوقدتم للحرب نارا رأ بين طائفتين مختلفان
والله مظفيها بألسنة الألى قد خصهم بالعلم والإيمان
والله لو غرق الجسم في دم التـجسيم من قدم إلى الأذان
فالنص أعظم عنده وأجل قد رأ أن يعارضه بقول فلان
قوله : طرزين . قال في « القاموس » : الطرز : الهيئة ، والطرارز
بالكسر : علم الثوب ، معرب ، وطرزه تطريزاً : أعلمه ، فطرز . ومراد
الناظم : الهيئة ، أي : اتخذتم هيئتين ، هيئة الكبر ، وهيئة التيه ، والله أعلم

فصل

في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت

أهون هذا الطاغوت لاعز اسمه طاغوت ذي التعطيل والكفران
كم من أسير بل جريح بل قتيــــــــــــل تحت ذا الطاغوت في الأزمان
وترى الجبان يكاد يخلع قلبه من لفظه تباً لكل جبان
وترى المخنث حين يقرع سمعه تبدو عليه شمائل النسوان
ويظل منكوحاً لكل معطل ولكل زنديق أخي كفران
وترى صبي العقل يفزعه اسمه كالغول حين يقال للصبيان
كفران هذا الاسم لاسبجانه أبداً وسبحان العظيم الشأن

قوله : الطاغوت ، هو مشتق من طغا ، وتقديره : طغوت ، ثم قلبت
الواو ألفاً ، قال الواحدي : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من
دون الله ، يكون واحداً وجمعاً ، ويذكر ويؤنث . قال الله تعالى : (يريدون
أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) النساء : ٦٠ فهذا
في الواحد . وقال في الجمع : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
من النور الى الظلمات) البقرة : ٢٥٧ وقال في المؤنث (والذين اجتنبوا
الطاغوت أن يعبدوها) الزمر : ١٧ قال النووي : قال الليث ، وأبو عبيدة ،
والكسائي ، وجماهير أهل اللغة : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله .
وقال الجوهري : الطاغوت : الكاهن ، والشيطان ، وكل رأس في الضلال .

قوله : أهون بذات الطاغوت ، هي صيغة تعجب ، أي : ما أهونه .

قوله : تبا - التب ، والتبيب ، والتباب ، النقص ، والحسار .

قوله : الخنث . هو اسم مفعول من خنث ، فهو مخنث ، وهو بضم الميم وفتح الحاء والنون وتشديدها قال في « القاموس » : الخنث ككتف :

من فيه الخنثات ، أي : تكسر وثن . وقد خنث كفرح ، وخنث ، وخنث .

قوله : شمائل النسوان . الشمل : الطبع ، جمع شمائل ، قاله في « القاموس » .

قوله : كالعول . العول بضم الغين : اسم ، وجمعه أغوال ، وغيلان .

قال أبو السعادات : العول واحد الغيلان ، وهو جنس من الجن ، والشياطين ،

كانت العرب تزعم أن العول في الفلوات تترامى للناس ، تلون تلوناً في صور

شئ ، وتقولهم ، أي : تضلهم عن الطريق ، وتملكهم . فنفاه النبي ﷺ

وأبطله . انتهى .

ومعنى كلام الناظم أن اسم العول إذا ذكر لصبي العقل ، لاصبي السن ،

أفزعته وهاله ، كما يفزع الصبي إذا خوف بالعول .

قوله : كفران ، هذا الاسم هو مصدر كفر يكفر كفراناً .

كم ذا الترس بالمحال أما ترى قد مزقته كثرة السهمان

قال في « القاموس » الترس معروف ، جمع أتراس ، وترسة ، وتراس ،

وتروس ، والتراس صاحبه وصانعه ، والتراسة صنغته ، والتريس والترس :

التستوبه .

جسم وتجسيم وتشبيهه أما تعيين من فشر ومن هذيان

أنتم وضعتم ذلك الطاغوت ثم به نفيتهم موجب القرآن

وجعلتموه شاهداً بل حاكماً هذا على من يأولي العدوان

أعلى كتاب الله ثم رسوله؟ بالله فاستحيوا من الرحمن
ففضاؤه بالجور والعدوان مثل قيامه بالزور والعدوان
وقيامه بالزور مثل قضائه بالجور والعدوان والبهتان
كم ذا الجماعع ليس شيء تحتها إلا الصدى كالبوم في الخربان

قوله : إلا الصدى . قال في « مختار الصحاح » الصدى ذكر البوم ،
والصدي أيضاً الذي يجيبك مثل صوتك في الجبال وغيرها ، وقد أصدى الجبل .
قوله : كالبوم ، قال في « القاموس » البوم والبومة بضمها : طائر ، كلاهما
للذكر والأنثى ، وبومة لقب محمد بن سليمان المحدث .

ونظير هذا قول ملحدكم وقد جحد الصفات لفاطر الاكوان
لو كان موصوفاً لكان مركباً فالوصف والتركيب متحدان
ذا المنجنيق وذلك الطاغوت قد هدمنا دياركم الى الأركان
والله ربي قد أعان بكسر ذا وبقطع ذا سبحانه ذي الإحسان
أي أن الله سبحانه قد أعان بكسر الطاغوت ، وبقطع المنجنيق بالحجج
الساطعة والبراهين القاطعة .

فلئن زعمتم ان هذا لازم لمقالكم حقاً لزوم بيان
فلنا جوابات ثلاث كلها معلومة الايضاح والتبيان
منع الزوم وما بأيديكم سوى دعوى مجردة من البرهان
لا يرتضيها عالم أو عاقل بل تلك حيلة مفلس فتان
فلئن زعمتم أن منع لزومه منكم مكابرة على البطلان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى في هذه الأبيات : إنكم معاشر المعطلة
ألزمتكم المثبتة إذا أثبتوا صفات الباري سبحانه التجسيم والتركيب .
قوله : فلئن زعمتم أن هذا لازم لمقالكم النخ .

قوله : فلنا جوابات ثلاث الى قوله : منع لزوم وما بأيديكم سوي
دعوى مجردة بلا برهان ، أي : أن ذلك لا يلزم المثبتة ، لأن لازم المذهب
ليس بمذهب .

قوله : فلئن زعمتم أن منع لزومه . أي : إذا قلنا باثبات الصفات ،
لم يلزمنا تجسيم ، فان زعمتم أن ذلك مكابرة ، فلنا جواب ثان ؛ وهو قوله :

فجوابنا الثاني امتناع النفي في ماتدعون لزومه ببيان

إن كان ذلك لازماً للنص فالملزوم حق وهو ذو برهان

والحق لازمه فحق مثله أنى يكون الشيء ذا بطلان

ويكون ملزوماً به حقاً فذا عين المحال وليس ذا إمكان

فتعين الإلزام حيثذ على قول الرسول ومحكم القرآن

وجعلتم أنبأه ماتسترا خوفاً من التصريح والكفران

والله ماقلنا سوى ماقاله هذي مقاتلنا بلا كتمان

فجعلتمونا جنة والقصد مفهوم فنحن وقاية القرآن

يقول الناظم : الجواب الثاني للنفاة : إنا لم نقل إلا بما دلت عليه النصوص
القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فان كان لازمها التجسيم كما زعمتم ، فاذا صح
ذلك ، فالملزوم حق ، لأننا لم نتبع إلا ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ،

لأنه من المحال أن يكون الشيء باطلاً في نفسه ، وتكون ملازماته حقاً ، فتعين إلزامكم حينئذ على قول الرسول ومحكم القرآن ، وأنهما لم يدلا إلا على التجسيم والتشبيه ، فرميت أتباع الرسول بالتشبيه ، والتجسيم ، والتركيب ، نسترأ ، وهذا معنى قوله : ماتستروا ، خوفاً من أنكم إذا نسبتم الكتاب والسنة الى التشبيه والتجسيم ، نسبتم الى الكفر والضلال ، والا فالمنتبة لم يقولوا إلا بما قاله الله ورسوله ، لكن جعلتم تشنيعكم على أتباعه جنة ، وقصدكم مفهوم ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثالث مانجيب به هو استفساركم يافرقة العرفان
ماذا الذي تعنون بالجسم الذي ألزمتونا أوضحوا ببيان
تعنون ماهو قائم بالنفس أو عال على العرش العظيم الشان
أوذا الذي قامت به الأوصاف أو صاف الكمال عديمة النقصان
أو ماتركب من جواهر فردة أو صورة حلت هيولى ثان
أو ماهو الجسم الذي في العرف أو في الوضع عند تحاطب بلسان
أو ماهو الجسم الذي في الذهن ذا ك يقال تعليمي ذي الأذهان
ماذا الذي من ذلك يلزم من ثبو ت علوه من فوق كل مكان
فأتوا بتعيين الذي هو لازم فاذا تعين ظاهر التبيان
فأتوا ببرهانين برهان اللزو م ونفي لازمه فذان اثنان
والله لو نشرت لكم أشياحكم عجزوا ولو واطاهم الثقلان

إن كنتم أنتم فحولاً فابرزوا ودعوا الشكاوي حيلة النسوان
وإذا اشتكيتم فاجعلوا الشكوى الى الوحين لا القاضي ولا السلطان
هذا هو الجواب الثالث من أجوبة المثبتة للنفاة ، وهو استفسار المثبتة
للنفاة ، مامرادم بالجسم ؟ هل هو القائم بنفسه ، كالهواء ، وروح الانسان ،
ونحوهما ، أو ماهو عال على العرش ، أو ما قامت به الصفات ، أو هو الجسم
التعليمي ، وهو الكمية السارية في الجسم الطبيعي الممتدة في الجهات الثلاث ،
أعني : الطول والعرض والعمق ، سمي جسماً تعليمياً ، لكونه موضوعاً
للحكمة التعليمية ، أعني : الحكمة الرياضية ، والذي يدل على تغير المعنيين
إنك إذا أخذت شمعة بعينها ، وشكلتها بأشكال مختلفة ، بأن جعلتها تارة كرة ،
وتارة مكعباً ، وتارة أسطوانة مثلاً ، فالجسم الطبيعي باق بعينه ، وقد
تغيرت كميته السارية في جهاته تغيرات شتى .

قوله : أو صورة حلت هيولى ثان ، أي : وهل المراد بالجسم المركب
عند الفلاسفة المشائين من الهيولى والصورة ، أو مرادكم الجسم الذي في العرف ،
أر في الوضع ، فإذا بينتم مرادكم بالجسم ، أجبناكم حينئذ بالجواب المركب ،
وهذا معنى قوله :

فنجيب بالتركيب حينئذ جواً بأ شافياً فيه هدى الخيران
الحق إثبات الصفات ونفيها عين المحال وليس في الإمكان
فالجسم إما لازم لثبوتها فهو الصواب وليس ذا بطلان
أو ليس يلزم من ثبوت صفاته فشناعة الالزام بالبهتان
فالمنع في احدي المقدمتين معلوم البيان إذاً بلا ذكران

المنع إما في الزوم أو انتفا ء اللازم المنسوب للبطلان
هذا هو الطاغوت قد أضحى كما أبصرتموه بمنة الرحمن
شرع الناظم رحمه الله في الجواب القاطع المركب ، وهو أن الحق إثبات
الصفات ، ونفيها عين المحال ، وأبطل الباطل ، وحينئذ فالجسم ، إما لازم
لثبوتها ، فيكون هو الصواب ، وإما أن يكون ليس بلازم ، وإنما الإلزام
به من تشنيع المعطلة .

قوله : فالمنع في إحدى المقدمتين ، وهما القول بالجسم ، أو انتفاء
اللازم ، معلوم بغير إنكار ، ونحن نمنع إحدى المقدمتين ، ونقول : إن
كان الكتاب والسنة قد دلا على التجسيم والعياذ بالله ، فهو حق بهذا الاعتبار ،
ولكن نحن نمنع الزوم ، وهو المقدمة الثانية ، والله أعلم .

فصل

في مبدء العداوة الواقعة بين المثبتين الموحدين وبين النفاة المعطلين

ياقوم تدررون العداوة بيننا من أجل ماذا في قديم زمان؟
إنا تحيزنا إلى القرآن والنقل الصحيح مفسر القرآن
وكذا إلى العقل الصريح وفطرة الرحمن قبل تغير الانسان
هي أربع متلازمات بعضها قد صدقت بعضاً على ميزان
والله ما اجتمعت لديكم هذه أبداً كما أقررتم بلسان

إذ قلت العقل الصحيح يعارض المنقول من أثر ومن قرآن
فندم المعقول ثم نصر الفـ منقول بالتأويل ذي الألوان
فاذا عجزنا عنه ألفناه لم نعبأ به قصداً الى الاحسان
ولكم بذا سلف لهم تابعتم لما دعوا للأخذ بالقرآن
صدوا فلما ان أصيبوا أقسموا لمرادنا توفيق ذي الاحسان
ولقد أصيبوا في قلوبهم وفي تلك العقول بغاية النقصان
فأتوا بأقوال اذا حصلت لها سمعت ضحكة هازل مجان
هذا جزاء المعرضين عن الهدى متعوضين زخارف الهذيان

معنى كلام الناظم في هذه الآيات أنه يقول : تدرون أيها المعطلة ما مبدء
العداوة الواقعة بيننا وبينكم ؟ وما الذي أحدثها ؟ ثم أخذ في بيان ذلك
فقال : إنا تحيزنا الى القرآن ، والنقل الصحيح ، والعقل الصريح ، والقطرة .
وأنتم أخذتم فيما زعمتم بالعقل ، وقلت : إذا تعارض العقل والنقل ، فاما أن
نردهما جميعاً ، وإما أن نقبلها جميعاً ، ولا سبيل الى ذلك ، وإما أن نقبل
النقل ونترك العقل ، وهو محال ، لأن العقل أصل النقل ، فلو صدقنا النقل
وكذبنا العقل ، لأفضى ذلك الى تكذيب النقل ، لأن العقل أصل النقل ،
فلذلك قدمنا العقل ، ثم صرفنا النقل الخائف بزعمهم للعقل ، وذلك إما
بالتأويل إن أمكن ، وإما بالتفويض .

قوله : ولكم بذا سلف الخ . هؤلاء السلف هم المنافقون الذين
ذكرهم الله تعالى بقوله في سورة النساء (واذ قيل لهم تعالوا الى ما أنزل
الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) النساء : ٦١-٦٣ الآيات

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في «العقل والنقل» وفي هذه الآيات أنواع من العبر دالة على ضلال من تحاكم الى غير الكتاب والسنة ، وعلى نفاقه ، وأن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية ، وبين ما يسيه هو عقليات ، من الأمور المأخوذة عن بعض الطوائف من المشركين وأهل الكتاب ، وغير ذلك من انواع الاعتبار ، فمن كان خطؤه لتقريبه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والايان مثلاً ، أو لتعديه حدود الله بسلك السبيل التي نهي عنها ، أو لاتباع هواه بغير هدى من الله ، فهو الظالم لنفسه وهو من أهل الوعيد ، بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطناً وظاهراً ، الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله ، فهذا مغفور له خطؤه ، كما قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) إلى قوله : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦ انتهى كلامه

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واضرب لهم مثلاً بشيخ القوم اذ يأبى السجود بكبر ذي طغيان
ثم ارتضى ان صار قواداً لأر باب الفسوق وكل ذي عصيان

قوله : واضرب لهم مثلاً بشيخ القوم الخ . المراد به إبليس عليه اللعنة ، وذلك أن الله أمره بالسجود لآدم ، فعصى كبراً وطغياناً ، ثم ارتضى بأن صار قواداً لكل فاسق وعاص ، نعوذ بالله ، وهذا مأخوذ من قول أبي نواس .

عجبت من إبليس في كبره وفي الذي أظهر من نخوته
ناه على آدم في سجدة وصار قواداً لذريته

قوله : نخوته ، قال في « القاموس » نخا ينخو ، نخوة : افتخر وتعظم . وكذا قوله : تاه ، أي ، تكبر .

وكذلك أهل الشرك قالوا كيف ذا بشر أتى بالوحي والقرآن
ثم ارتضوا أن يجعلوا معبودهم من هذه الأحجار والأوثان
أي : أن أهل الشرك تكبروا وقالو : الله أكبر وأجل وأعظم من أن
يرسل بشراً ، ثم ارتضوا بأن جعلوا آلهتهم من الأحجار والأوثان والجماد
أخس حالاً من الحيوان

وكذلك عباد الصليب حموا بتاركتهم من النساء والولدان
وأثوا إلى رب السموات العلى جعلوا له ولداً من الذكران

أي : بن عباد الصليب ، وهم النصارى نزهوا بتاركتهم من النساء والولدان ،
ثم جعلوا لله سبحانه ولداً ، تعالى الله عن قولهم : البترك الأكبر هو لوقا الناقل
عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام . وأصل الترتيب
عندهم أن القارىء للإنجيل من أول وهلة ، شماس ، فان تأوله وأتقن حفظه
صار قسيساً ، وبدوم كذلك مادام عنده زوجة ، وإن بلغ في العلم ما بلغ ،
فان ماتت زوجته ، فان تزوج خرج عن مراتب العلم ، ويسمى سالخ
القيسوسية ، فان تنزه عن الزفر وما يخرج من الأرواح ، صار بتركاً في
مذهب الأرمن . وأما الروم واليعاقبة والنسطورية ، فيرون أنه لا يجوز
أن يكون بتركاً إلا من تنزه عن النساء وأكل الأرواح ، وما يخرج منها
من أول عمره ، إلا العسل ، والسمك ، لأنه خليفة المسيح ، وطاعة هؤلاء
فرض على النصارى . وأما الأسقف ، والميرون ، والراهب ، فأسماء للمتعبدين
خاصة ، فالماكت في القلة ميرون ، وكثير السياحة أسقف ، وتارك النساء

فقط راهب . وشرط الروم ملازمته للبس المسوح ، وخدمة الدير ، وأن لا يبصلي خارج الكنيسة .

وكذلك الجهمي نزه ربه عن عرشه من فوق ذي الاكوان
حذراً من الحصر الذي في ظنه أو أن يرى متحيزاً بمكان
فاصأره عدما وليس وجوده متحققاً في خارج الاذهان
لكنما قدماؤهم قالوا بأن الذات قد وجدت بكل مكان
جعلوه في الآبار والأنجاس والخانات والحربات والقيعان

قال في « القاموس » الحان : الحانوت ، أو صاحبه ، وخان التجار معروف
قوله القيعان . قال في « القاموس » القاع : أرض سهلة مطمئنة قد
انفجرت عليها الجبال والآكام ، جمع قيع وقيعة ، وقيعان بكسرهن ، أي :
أن الجهمية زهوا الله عن أن يكون مستويّاً على عرشه ، حذراً من أن
يكون محصوراً أو متحيزاً ، ثم قالوا : إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ،
ولا متصل ولا منفصل ، فأوقعوا عليه صفة المعدوم .

قوله : لكنما قدماؤهم قالوا بأن الذات الخ أي : أن قدماء الجهمية
قالوا بأنه سبحانه موجود بكل مكان ، تعالى الله عن ذلك ، ولكن هذا
ليس قول الجهمية الأولين جميعهم ، فان هذا قول النجارية ، والضرارية ، كما
تقدم ذلك في أوائل هذا الشرح ، ففي كلامه مسأحة .

والقصد أنكم تحيزتم الى الآراء وهي كثيرة الهذيان
فتلونت بكم فجتتم أنتم متلونين عجائب الالوان
وعرضتم قول الرسول على الذي قد قاله الاشياخ عرض وزان

وجعلتم أقوالهم ميزان ما قد قاله والعدل في الميزان
أي : أن هذا ميزان عائل جائر . قال في « القاموس » عال : جار
عن الحق والميزان ، نقص .

ووردتم سفلى المياه ولم نكن نرضى بذلك الورد للظمان
وأخذتم أنتم بنيات الطريق ونحن سرنا في الطريق الاعظم السلطان
بنيات الطريق هي الطرق الصغار تشعب من الطريق الأعظم ثم ترجع اليه
وجعلتم ترس الكلام مجنة تبالذالك الترس عند طعان
ورميتم أهل الحديث بأسمهم عن قوس موتور الفؤاد جبان
فترسوا بالوحي والسنن التي تتلوه نعم الترس للشجعان
تقدم تفسير الترس .

قوله : موتور . هو اسم مفعول ، من وتره يتره . قال في « القاموس »
وتره يتره ، وترأ ، وترة ، والقوم جعل شفعم وترأ ، كأوترهم ،
والرجل أفزعه وأدركه بمكروه ، ووتره ماله : نقصه إياه . انتهى .
قلت : ومنه الحديث « الذي تفوته صلاة العصر كأننا وتر أهله وماله »

هو ترسهم والله من عدوانكم والترس يوم البعث من نيران
أفتاركوه لفشركم ومحالكم لا كان ذاك بمنة الرحمن
ودعوتونا للذي قلمت به قلنا معاذ الله من خذلان
فاشد ذاك الحرب بين فريقنا وفريقكم وتفاقم الأمران
وتأصلت تلك العداوة بيننا من يوم أمر الله للشيطان

بسجوده فعصى وعارض أمره بقياسه وبعقله الخوان
فأتى التلاميذ الوقاح - فعارضوا أخباره بالفشر والهديان
ومعارض للأمر مثل معارض الـ أخبارهم في كفرهم صنواف
من عارض المنصوص بالمعقول قد ما أخبرونا بأولي العرفان
أوما عرفتم أنه القدرى والجبري أيضاً ذاك في القرآن
إذ قال قد أغويتني وفتنتني لأزينن لهم مدى الازمان
فاتحج بالمقدور ثم ابان أن الفعل منه بغية وزيان
فانظر الى ميراثهم ذا الشيخ بالتعصيب والميراث بالسهمان
فسألتكم بالله من وراثه منا ومنكم بعد ذا التبيان

حاصل كلام ناظم في هذه الأبيات ، أن أصل العداوة بيننا وبينكم
بامعشر من عارض أمر الله بقياسه وعقله ، من حين أمر الله إبليس بالسجود
لآدم فعصى وعارض أمر الله بالعقل والقياس ، وذلك فيما حكى الله
عنه ، وهو قوله : (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون)
الحجر : ٣٣ وقوله : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)
الأعراف : ١٢ يعني النار خير وأفضل من الطين ، فأنا خير من آدم ، فهذا
معارضة العين للأمر بالعقل والقياس .

وقوله : وأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا أخباره الخ . أي : ان النفاة
عارضوا الأخبار بالفشر والهديان ، وقالوا : العقل يعارض النقل ، والقواطع
تعارض الظواهر اللفظية ، والأدلة اللفظية لاتفيد اليقين ، ونحو ذلك

من الفشر والمهذيان ، وهذا معنى معارضتهم للخبر ، وهو معنى قول الناظم
ومعارض للأمر مثل معارض الاخبار الخ

قوله : من عارض المنصوص بالمعقول قدماً الخ . أي : أن إبليس حين
احتج بالقدر ، وهو قوله : (فبما أغويتني لأزین لهم في الارض ولأغوينهم
أجمعين) الحجر : ٣٩ فاحتج أولاً بالقدر والجبر ، وهو قوله : (فبما
أغويتني) ثم قال : (لأزین لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) فتبعته
القدرية المجبرة في الاحتجاج بالقدر ، وأنهم مجبورون على أفعالهم ، وتبعته
القدرية النفاة ، وهم الذين زعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة في قوله : (لأزین
لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) فالقدرية المجبرة تبعوه في الجبر ، والقدرية
النفاة تبعوه في نفي خلق أفعال العباد ، فالطائفتان قد عارضتا المنصوص
بالمعقول ، وهذا معنى قول الناظم : فانظر الى ميراثهم ذا الشيخ بالتعصيب
كما هو ظاهر ، والله أعلم . وقد تقدم الكلام في مذهب أهل السنة والجماعة
في « خلق أفعال العباد » وفي رد مذهب الجبرية .

هذا الذي ألقى العداوة بيننا اذذاك واتصلت الى ذا الآن
اء لمتتم اصلاً وأصل خصمكم اصلاً فحين تقابل الأصلان
ظهر التباين فانتشت ما بيننا السحرب العوان وصيح بالاقران
أصلتم رأي الرجال وخرصها من غير برهان ولا سلطان
هذا وكم رأي لهم فبرأي من نزل النصوص فأوضحوا ببيان
كل له رأي ومعقول له يدغو ويمنع أخذ رأي فلان

والخصم اصل محكم القرآن مع قول الرسول وفطرة الرحمن
وبني عليه فاعتلى بنيانه نحو السما أعظم بذا البنيان
وعلى شفا جرف بنيتم أنتم فأنت سيول الوحي والايان
فعلت أساس بنائكم فتهدمت تلك السقوف وخر للاركان
الله أكبر لو رأيتم ذلك السبنيان حين علا كمثل دخان
تسمو اليه نواظر من تحته وهو الوضع ولو يرى بعيان
فاصبر له وهناك ورد الطرف نلقاه قريباً في الحضيض الداني
ثم شرع الناظم رحمه الله في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفر ،
وأن الاثبات أساس العلم والايان . فقال :

فصل

في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران ، والاثبات أساس العلم والايان

من قال إن الله ليس بفاعل فعلاً يقوم به قيام معان
كلا وليس الامر أيضاً قائماً بالرب بل من جملة الاكوان
اي : من قال : إن الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، والامر
هو المأمور ، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك .
قوله : قيام معان ، هو بفتح الميم ، أي : قياماً معنوياً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

كلا وليس الله فوق عباده بل عرشه خلو من الرحمن
فثلاثة والله لا تبقي من الـ ايمان حبة خردل بوزان
وقداستراح معطل هذي الثلاثا ث من الاله وجملة القرآن
ومن الرسول ودينه وشريعته الـ اسلام بل من جملة الاديان
قوله : خلو ، بكسر الحاء ، أي : خال .

قوله : هذي الثلاث ، وهن القول بأن فعله تعالى وأمره لا يقومان به ،
والقول بنفي الفوقية والعلو لا يبقي من الايمان حبة خردل .

وتمام ذاك ججوده لصفاته والذات دون الوصف ذوالبطلان
أي : وتمام ذاك ججود صفات الرب تعالى ، مع أن وجود ذات
بغير صفات باطل .

وتمام ذا الايمان إقرار الفتى بالله فاطر هذي الاكوان
فاذا أقربه وعطل كل مفروض ولم يتوق من عصيان
لم ينقص الايمان حبة خردل أنى وليس بقابل النقصان؟!
هذا هو القول بالايمان ، هو التصديق والمعرفة ، كما هو قول الجهمية
والأشعري في المشهور من قوليهِ ، وأنه لا يزيد ولا ينقص .

وتمام هذا قوله إن النبوة ليس وصفاً قام بالانسان
لكن تعلق ذلك المعنى القديم بواحد من جملة الانسان

هذا وما ذاك التعلق ثابتاً في خارج بل ذاك في الاذمان
فتعلق الاقوال لا يعطي الذي وقفت عليه الكوز في الأعيان
هذا اذا ما حصل المعنى الذي قلتم هو النفسي في البرهان
لكن جمهور الطوائف لم يروا ذا ممكناً بل ذاك ذو بطلان
ماقال هذا غيركم من سائر النظار في الآفاق والازمان
تسعون وجهاً بينت بطلانه لولا القريض لسقتها بوزان
أي : وتام هذا قوله . إن النبوة ليس وصفاً قام بالنبي ، وإن المعنى
القديم وهو المعنى النفسي ، تعلق به ، ومع ذلك ، فالتعلق ليس ثابتاً
في الخارج ، بل هو في الذهن ، وذلك هو المعنى النفسي الذي أثبتته الأشاعرة .
قوله : ماقال هذا غيركم الخ . أي : ماقال هذا القول أحد غيركم
معشر الأشعرية .

قوله : تسعون وجهاً الخ . هذه الأوجه ساقها شيخ الاسلام في رسالته
المعروفة « بالتسعينية »
قوله : لولا القريض . قال في « القاموس » قرضه يقرضه ، قطعه ، وجازاه
كقارضه ، والشعر قاله .

ياقوم أين الرب أين كلامه أين الرسول فأوضحوا ببيان
ما فوق عرش الرب من هو قائل طه ولا حرفاً من القرآن
ولقد شهدتم ان هذا قولكم والله يشهد مع أولي الايمان
وارحمته لكم غبتتم حظكم من كل معرفة ومن ايمان

ونسبتم للكفر أولى منكم بالله والايان والقرآن
هذي بضاعتكم فمن يستامها فقد ارتضى بالجهل والحسران
وتمام هذا قولكم في مبدء ومعادنا أعني المعاد الثاني
هذا على قول مثبتي الجوهر الفرد ، وقد تكلموا في معاد الابدان
على هذا الاصل ، فمنهم من يقول : يفرق الاجزاء ثم يجمعها ، ومنهم من
يقول : يعدمها ثم يعيدها . واختلفوا ههنا فيما إذا أكل حيوان حيواناً ،
فكيف يعاد ؟ وادعى بعضهم أن الله يعدم أجزاء العالم ، ومنهم من يقول :
هذا لا يمكن أن يعلم ثبوته ولا انتفاؤه ، والمعاد عندهم يفتقر الى أن يبتدىء
هذي الجواهر ، والجهنم بن صفوان منهم يقول : يعدمها بعد ذلك ، ويقول :
بفناء الجنة والنار . وأبو الهذيل العلاف يقول : تعدم الحركات .

قال ابن العربي في « عقيدته الوسطى » اختلف أهل السنة في الاعادة
هل بالجمع والتفريق ، أو بعد محض العدم ؟ والحق التوقف ، وهو اختيار
امام الحرمين ، اذ كلاهما جائز عقلا في قدرته تعالى ، ولا قاطع في ذلك ،
فالأحوط التوقف . انتهى

وفي شرح الرسالة ، للشيخ أبي القاسم ابن ناجي . قال بعض الشيوخ : أجمع
أهل الحق على القول برد الجواهر بأعيانها ، وانما اختلفوا : هل عن عدم أو
تفريق ؟ قال أبو المعالي : لا دليل قاطع بأحدهما ، والظواهر تقتضي الاعدام
لا بالتفريق ، وعليه فتروا بأعيانها ، وكون الابتداء والاعادة بالعلم والقدرة
والارادة . وأما إن قلنا بالتفريق لا بالاعدام ، فتجتمع الجواهر ، ثم يخلق
تعالى فيها الصفات بأعيانها كما كانت أول مرة ، وكل ما هو ممكن ، فالقدرة
صالحة لا يقاها انتهى .

وقال شارح « المواقف » وهل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها ، أم
يفرقها ويعيد تأليفها ؟ الحق أنه لم يثبت في ذلك شيء ، فلا نجزم فيه نفيًا
ولا إثباتًا ، لعدم الدليل على شيء من الطرفين ، وليس في قوله تعالى

(كل شيء هالك الا وجهه) القصص : ٨٨ دليل على الاعدام ، لأن التفريق هلاك كالاعدام ، فهلاك كل شيء خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التأليف كذلك ، ومثله يسمى فناء عرفاً ، فلا يتم الاستدلال بقوله تعالى (كل من عليها فان) الرحمن : ٣٧ على الاعدام أيضاً ، والله تعالى أعلم . انتهى كلامه .

فهذا قول النفاة في المعاد ، أما قولهم في المبدأ ، فقد تقدم الكلام عليه ، والله أعلم .

وتمام هذا قولكم بفناء دار الخلد فالداران فانيتان

أي : إن الجهمية قالوا بفناء الجنة والنار

يا قومنا بلغ الوجود بأسره الدنيا مع الاخرى مع الايمان

والخلق والامر المنزل والجزا ء منازل الجنات والنيران

والناس قد ورثوه بعد فمنهم ذوالسهم والسهمين والسهمان

بشس المورث والمورث والترث ث ثلاثة أهل لكل هوان .

يا وارثين نبيهم بشراكم مارا ائكم مع إرثهم سيان

شتان بين الوارثين وبين مو روئيهما وسهام ذي سهان

يا قوم ما صاح الأئمة جدهم بالجهم من أقطارها بأذان

الا لما عرفوه من أقواله وما لها بحقيقة العرفان

قول الرسول وقول جهم عندنا في قلب عبد ليس يجتمعان

نصحوكم والله جهد نصيحة ما فيهم والله من خواف

فخذوا بهديهم فربي ضامن ورسوله أن تفعلوا بجنان

أي : إن قول أهل النفي والتعطيل ، قد بلغت شناعاته الوجود بأسره .

الدنيا والآخرة ؛ والحلق والأمر ، والجزاء ، والجنة ، والنار . وقد توارث
الناس تلك الضلالات والشناعات ، فمنهم من ورث السهم ، ومنهم من ورث
السهمين ، ومنهم من ورث السهمان .

قوله : والله ما صاح الأئمة جهدهم الخ . أي : ما كثر تشنيع الأئمة
الكبار في جميع المدن والأقطار ، وتحذيرهم من جهم وأقواله إلا لما عرفوا
من مآلها المنافي للدين المبين للحق واليقين .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فاذا أبيتتم فالسلام على من اتبع الهدى وانقاد للقرآن
سيروا على نجب العزائم واجعلوا بظهورها المسرى الى الرحمن
سبق المفرد وهو ذا كر ربه في كل حال ليس ذا نسيان
يشير الى ما رواه مسلم في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة ، فمر على جبل يقال له : حمدان
فقال : سيروا ، هذا حمدان ، سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون
يا رسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » روي لفظ
(المفردون) من التفريد ، ومن الافراد ، والمشهور الذي قاله الجمهور هو التشديد

لكن أخا الغفلات منقطع به بين المفاوز تحت ذي الغيلان

صيد السباع وكل وحش كاسر بئس المضيف لأعجز الضيفان

قال في « القاموس » كسر الطائر كسراً وكسوراً : ضم جناحيه ،

يريد الوقوع ، وعقاب كاسر .

وكذلك الشيطان يصطاد الذي لا يذكر الرحمن كل أوان
والذكر أنواع فأعلى نوعه ذكر الصفات لربنا المنان
وثبوتها أصل لهذا الذكر والناس في لها داع الى النسيان
فلذلك كان خليفه الشيطان ذا لامرحباً بخليفة الشيطان
والذاكرون على مراتبهم فأعلام اولو الايمان والعرفان
بصفاته العلياء اذ قاموا بحمد الله في سر وفي إعلان
وأخص أهل الذكر بالرحمن أعلمهم بها هم صفوة الرحمن
وكذلك كان محمد وأبوه إبراهيم والمولود من عمران
وكذلك نوح وابن مريم عندنا هم خير خلق الله من انسان
لمعارف حصلت لهم بصفاته لم يؤتها أحد من الانسان
وهم أولو العزم الذين بسورة الاحزاب والشورى أتوا ببيان
وكذلك القرآن مملوء من الـ أوصاف وهي القصد بالقرآن
ليصير معروفاً لنا بصفاته ويصير مذكوراً لنا بجنان
ولسان ايضاً مع محبتنا له فلاجل ذا الاثبات في الايمان
مثل الأساس من البناء فمن يرم هدم الأساس فكيف بالبيان؟

يعنى الناظم رحمه الله تعالى ، أن الذكر أنواع . فأعلاها ذكر الصفات ،
وثبوت صفاته سبحانه أصل لهذا الذكر ، ونافي الصفات داع الى نسيانها ،
وهو خليفة الشيطان ، والذاكرون على مراتب ، فأعلام اولو الايمان

والعرفان بصفاته سبحانه ، ولذلك قاموا بحمد الله في السر والاعلان ،
وأخص أهل الذكر بالله ، أعلمهم بصفاته ، ولذلك كان أولو العزم من
الرسل ، وهم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة
والسلام ، هم خير خلق الله ، للمعارف التي حصلت لهم بصفاته سبحانه ، بحيث
لم يؤتوا غيرهم ، ولذلك القرآن بلوه بصفاته سبحانه ، وهي القصد بالقرآن ،
ليكون معروفاً لعباده بصفاته ، مذكوراً لهم بقلوبهم ، وهو معنى قوله :
مذكوراً لهم بجنان ، وهو القلب ، ونحو من هذا قول الناظم في المقدمة :
ولست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها ،
ومحبته وذكره ، والابتهاج به ، وطلب الوسيلة إليه ، والزلفى عنده ،
ولا سبيل إلى هذا بمعرفة أوصافه وأسمائه ، فكلمة كان العبد بها أعلم ، كان
بالله أعرف ، وله أطلب ، واليه أقرب ، وكلما كان لها أنكر ، كان بالله أجمل ،
واليه أكره ، ومنه أبعد ... إلى آخر ما ذكره . قال الناظم رحمه الله تعالى
في كتاب « الكلم الطيب » الذكروان . أحدهما : ذكر أسماء الرب وصفاته
والثناء عليه ، وتنزيهه ، وتقديسه عما لا يليق به ، وهذا أيضاً نوعان . أحدهما :
إنشاء الثناء عليه بها من الذاكِر ، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث ،
نحو : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . سبحان الله وبحمده .
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء
قدير . ونحو ذلك ، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء ، وأعمه ، نحو سبحان الله
عدد خلقه . فهذا أفضل من نحو : سبحان الله . وقولك : الحمد لله عدداً ما خلق في
السما ، وعدداً ما خلق في الأرض ؛ وعدداً ما بينها ، وعدداً ما هو خالق .
أفضل من نحو قولك : الحمد لله . ولهذا جاء في حديث جويرية أن النبي ﷺ
قال لها : « لقد قلت بعدك أربع كلمات - ثلاث مرات - ، لو وزنت بما قلت

اليوم لوزنتهن ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضى نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مدات كلماته « رواه مسلم . وفي الترمذي و « سنن أبي داود » عن سعد ابن أبي وقاص رضى الله عنه أنه دخل مع النبي ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أوحى تسبى به ، فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل ؟ سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك »

النوع الثاني : الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : الله عز وجل يسمع أصوات عباده ، ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد لراحته ، ونحو ذلك . وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبما أثنى عليه رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع ، حمد ، وثناء ، ومجد ، فالحمد : الاخبار عنه بصفات كماله ، مع محبته والرضى عنه ، فلا يكون المحب الساكت حامداً ، ولا المثني بلا محبة حامداً ، حتى يجتمع له المحبة والثناء ، فان كرر المحامد شيئاً بعد شيء ، كان ثناء ، وان كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك ، كان مجداً . وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول سورة الفاتحة ، فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال حمدني عبدي وإذا قال : (الرحمن الرحيم) قال : أثنى علي عبدي ، واذا قال : (مالك يوم الدين) قال : مجدني عبدي .

والنوع الثاني من الذكر ، ذكر أمره ونهيه وإحكامه ، وهذا أيضاً
تنوعان : إلى آخر كلامه ، وهو كلام نفيس .

قوله : أولو العزم الذين بسورة (الاحزاب) و (الشورى) قال
تعالى في سورة الاحزاب ٧ : (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)
وفي سورة الشورى : ١٣ (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا
إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه ...) الآية .

قوله : فلأجل ذا الاثبات في الايمان مثل الاساس من البناء ، يعني أن
الاثبات في الايمان مثل الأساس مع البناء ، وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى :
الاثبات أمكن ، نقله عنه الخطابي .

والله ما قام البناء لدين رسول الله بالتعطيل للديان
ما قام الا بالصفات مفصلاً اثباتها تفصيل ذي عرفان
فهي الاساس لديننا ولكل دين قبله من سائر الايات
وكذلك زنادقة العباد أساسها التعطيل يشهد ذا اولو العرفان
والله ما في الأرض زنادقة بدت الامن التعطيل والنكران
والله ما في الأرض زنادقة بدت من جانب الاثبات والقرآن
هذي زنادقة العباد جميعهم ومصنفاتهم بكل مكان
ما فيهم أحد يقول الله فو ق العرش مستول على الاكوان
ويقول ان الله جل جلاله متكلم بالوحي والقرآن

ويقول ان الله كلم عبده موسى فأسمعه بذى الآذانت
ويقول ان النقل غير معارض للعقل بل أمران متفقان
والنقل جاء بما يحار العقل فيه لا المحال الين البطلان
فانظر الى الجهمي كيف أتى الى أس الهدى ومعامل الايمان
بمعاول التعطيل يقطعها فما يبقى على التعطيل من ايمان
يدري بهذا عارف بما أخذ الـ أفوال مضطلع بهذا الشأن
والله لو حدثتم لرأيتم هذا وأعظم منه رأي عيان
لكن على تلك العيون غشاوة ماحيلة الكحال في العميان

أقسم الناظم رحمه الله في البيت الذي أوله : والله ما قام الأساس لدين.
رسل الله الخ . . إن دين الرسل عليهم السلام ما قام بالتعطيل ، وإنه ما قام
إلا بآبائات الصفات مفصلة ، ثم أخبر أن زندقة العباد أساسها التعطيل ، فانظر
زندقة العباد ومصنفاتهم بكل مكان ، فانه ليس فيهم من يثبت علو الله تعالى
على خلقه ، أو يقول : ان الله سبحانه متكلم بالوحي والقرآن ، وإن الله كلم
عبده موسى فأسمعه النداء .

قوله : ويقول : إن النقل غير معارض للعقل الخ . أي : إن المعطلة
تقول : إن العقل يعارض النقل ، وحاشا من ذلك ، لكن النقل جاء بجارات
العقول ، أي : بما تحوير فيه العقول . وأما أن النقل يجيء بالمحال الباطل ، فكلامه
ومعاذ الله .

فصل

في بَهِتِ أَهْلِ الشَّرْكِ وَالتَّعْطِيلِ فِي رَمِيهِمْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالإِبَاتِ بِتَنْقِيصِ
الرَّسُولِ ﷺ

قالوا تنقصتم رسول الله وا عجباً لهذا البغي والبهتان
عزلوه ان يحتج قط بقوله في العلم بالله العظيم الشأن
عزلوا كلام الله ثم رسوله عن ذلك عزلاً ليس ذا كتمان
جعلوا حقيقته وظاهره هو الكفر الصريح بين البطلان
قالوا وظاهره هو التشبيه والتجسيم والتمثيل حاشا ظاهر القرآن
من قال في الرحمن ما دلت عليه حقيقة الاخبار والفرقان
فهو المشبه والممثل والمجسم عابد الأوثان لا الرحمن
تالله قدمسخت عقولكم فليس وراء هذا قط من نقصان
ورميت حزب الرسول وجنده بمصابكم يافرقة البهتان
وجعلتم التنيص عين وفاقه اذ لم يوافق ذلك رأي فلان
أنتم تنقصتم إله العرش والقرآن والمبعوث بالقرآن
نزهتموه عن صفات كماله وعن الكلام وفوق كل مكان
وجعلتم ذاك كله التشبيه والتمثيل والتجسيم ذا البطلان

وكلامكم فيه الشفاء وغاية التحقيق يا عجباً لذا الخذلان
جعلوا عقولهم أحق بأخذ ما فيها من الأخبار والقرآن
وكلامه لا يستفاد به اليقين لأجل ذا لا يقبل الخصمان
تحكيمه عند اختلافهما بل المعقول ثم المنطق اليونان
أي التنقص بعد ذال لولا الوقاحة والجرأة يأولي العدوان

معنى كلامه في هذه الأبيات أن أهل التعطيل رموا أهل التوحيد لما
جردوا التوحيد ، والمتابعة ، وأفردوا الله تعالى بجميع أنواع العبادة خوفاً ،
ورجاء ، وتوكلاً ، وخشية ، وقالوا : لا يجوز صرف العبادة ولا شيء منها
لملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وقد مواء أقوال الرسول على غيره ، فلأجل ذلك رموهم
بتنقص الرسول ، والمعطلة مع ذلك قد تنقصوا الله تعالى ورسوله وكتابه ، أما تنقصهم
الله تعالى ، فإنهم سلبوه صفات كماله ، ونزهوه عن الكلام والفوقية ، وجعلوا ذلك تشبيهاً
وتجسيماً ، وأما تنقصهم الرسول ، فإنهم عزلوه أن يحتج بقوله في العلم بالله ، وأما تنقصهم
القرآن ، فإنه عندهم لا يفيد اليقين ، إذ هو أدلة لفظية عارضتها القواطع العقلية
بزعمهم ، وأن القرآن لا يحكم عند الاختلاف ، وإنما يرجع إلى العقول والمنطق ،
وأما أهل الإثبات ، فإنهم حكموا الرسول ﷺ وما جاء به في الدق والجل ،
وهذا قال : أي التنقص بعد ذال لولا الوقاحة والجرأة الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

يامن له عقل ونور قد غدا يمشي به في الناس كل زمان
لكننا قلنا مقالة صارخ في كل وقت بينكم بأذان

الرب رب والرسول فعبده حقاً وليس لنا إله ثان
فلذا لم نعبد مثل عبادة الرحمن فعل المشرك النصراني
كلا ولم نغلو الغلو كما نهى عنه الرسول محافة الكفران
الله حق لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسوله وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
وكذا السجود ونذرنا ويمينا وكذا مثاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والاناقة والتقى وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به اياك نعبد ذاك توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذلك التسيح والتكبير والتهليل حق إلهنا الديان
لكننا التعزير والتوقير حق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تجلوها بأولي العدوان
حق الإله عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئاً هما سببا النجاة فحبذا السبيان
ورسوله فهو المطاع وقوله المستمقبول إذ هو صاحب البرهان

والأمر منه الحتم لا تخيير فـفيه عند ذي عقل وذو إيمان
من قال قولاً غيره قمنا على أقواله بالسير والميزان
إن وافقت قول الرسول وحكمه فعلى الرؤوس تشال كالتيجان
أو خالفت هذا رددناها على من قالها من كان من انسان
أو أشكلت عنا توقفنا ولم نجزم بلا علم ولا برهان
هذا الذي أدى إليه علمنا وبه ندين الله كل أوان
فهو المطاع وأمره العالي على أمر الورى وأمر ذي السلطان
وهم المقدم في محبتنا على أهلين والأزواج والولدان
وعلى العباد جميعهم حتى على النفس التي قد ضمها الجناب

شرع الناظم رحمه الله في بيان الحقوق التي لله ورسوله ، فذكر أن حق الله
سبحانه ، هو عبادته بأمره ، لا بهوى النفس ، وذلك ، كالحج والصلاة ،
والذبح ، والسجود ، والنذر ، واليمين ، والتوبة ، والتوكل ، والابانة ،
والتقى ، والرجاء ، والحشية ، والاستعانة ، والتكبير ، والتهليل ، ونحوها ،
فكل هذا حق لله ، لا يشركه فيه غيره ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل .
وأما المختص بالرسول ﷺ ، فهو التعزير ، والتوقير ، كما في قوله تعالى
(لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) الفتح : ٩ . وأما الحب والإيمان
والتصديق ، فهي مشتركة بين الله ورسوله ، فقد وضحت الحقوق الثلاثة ،
وهذا معنى قوله : هذي تفاصيل الحقوق الثلاثة الخ .

قوله : ورسوله فهو المطاع وقوله الخ . يدل على هذا قوله تعالى (فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...) النساء : ٦٥ الآية

قوله : فهو المقدم في محبتنا الخ . يشير الى قوله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » . وقول عمر رضي الله عنه : يا رسول الله لأنت أحب الي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال : « لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك » فقال عمر : إنك الآن أحب الي من نفسي . فقال « الآن يا عمر » رواه البخاري .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ونظير هذا قول أعداء المسيح من النصارى عابدي الصليبان
انا تنقصنا المسيح بقولنا عبد وذلك غاية النقصان
لو قتمتم ولد إله خالق وفيتموه حقه بوزان
وكذاك أشباه النصارى مذغلوا في دينهم بالجهل والطغيان
صاروا معادين الرسول ودينه في صورة الأحاب والاخوان

أي : ونظير غلوهم في الرسول ﷺ غلو عباد الصليب من النصارى في المسيح ، لما قال لهم النبي ﷺ : « ان المسيح عبد » فقالوا له : تنقصت المسيح وعبته ، وقد تقدم من كلام الناظم في « شرح منازل السائرين » ما يتضح به في معنى هذه الأبيات في الفصل الذي أوله : والشرك فاحذره فشرك ظاهر الخ .

فانظر الى تبديليهم توحيدهم بالشرك والإيمان بالكفران
وانظر الى تجريده التوحيد من أسباب كل الشرك بالرحمن
واجمع مقالاتهم وما قد قاله واستدع بالنقاد والوزان
عقل وفطرتك السليمة ثم زن هذا وذا لاتطغ في الميزان

فهناك تعلم أي حزيننا هو الـمتنقص المنقوص ذو العدون
رامي البريء بدائه ومصابه فعل المباغت أوقح الحيوان
كعير للناس بالزغل الذي هو ضربه فاعجب لذا البهتان
الزغل بفتح الزاي

يافرقة التنقيص بل يأمة الـدعوى بلا علم ولا عرفان
والله ما قدمتم يوماً مقاماً لله على التقليد للانسان
والله ما قال الشيوخ وقال إلا ككنتم معهم بلا كتمان
والله أغلاط الشيوخ لديكم عين الصواب ومقتضى البرهان
ولذا قضيتم بالذي حكمت به جهلاً على الاخبار والقرآن
والله انهم لديكم مثل معصوم وهذا غاية الطغيان
تباً لكم ماذا النقص بعد ذا لو تعرفون العدل من نقصان
والله ما يرضيه جعلكم اه ترساً لشرككم وللعدوان
وكذلك جعلكم المشايخ جنة لخلافه والقصد ذو تبيان
والله يشهد ذا بجزر قلوبكم وكذلك يشهده أولو الإيمان

قوله: بجزر قلوبكم الخ . الجذر بالذال المعجمة . قال في « مختار الصحيح »
جذر كل شيء أصله، بفتح الجيم عن الاصمعي، وبكسرهما عن أبي عمرو . وفي
الحديث : « إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال » .

والله ما عظمتوه طاعة ومحبة يا فرقة العصيان
أنى وجهلكم به وبدينه وخلافكم للوحي معلومان؟
أوصاكم أشياخكم بخلافهم لوفاقه في سالف الأزمان
خالقتم قول الشيوخ وقوله فعدا لكم خلفان متفقان

أي : إنكم معاصر النفاة خالفتم قول الرسول ﷺ ، وخالفتم أقوال
الأئمة المجتهدين رحمهم الله تعالى ، فانهم أوصوكم ، بخلاف أقوالهم اذا خالفت قول
الرسول ﷺ كما قد تقدم بعض أقوالهم ، فخالفتم الرسول ﷺ ، وخالفتم الأئمة في ترك
أقوالهم اذا خالفت أقواله ، وهذا معنى قول الناظم : فعدا لكم خلفان متفقان ،
وهما خلاف قول الرسول ﷺ ، وخلاف قول الأئمة رضي الله عنهم .

والله أمركم عجب معجب ضدان فيكم ليس يتفقان
تقديم آراء الرجال عليه مع هذا الغلو فكيف يجتعان؟!
كفرتم من جرد التوحيد جملا منكم بحقائق الإيمان
لكن تجردتم لنصر الشرك والبعدع المضلة في رضى الشيطان
والله لم نقصد سوى التجريد للتوحيد ذلك وصية الرحمن
ورضى رسول الله منا لا غلوا لشرك أصل عبادة الأوثان
والله لو يرضى الرسول دعاءنا إياه بادرنا الى الازدعان
والله لو يرضى الرسول سجودنا كنا نخر له على الأذقان
والله ما يرضيه منا غير اخلاص وتحكيم لذا القرآن

ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه فعل النصارى عابدي الصليان
ولقد نهانا أن نصير قبره عيداً حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثناً من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

قوله : ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه الخ . يشير الى قوله ﷺ « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » متفق عليه (١) .

قوله : ولقد نهانا أن نصير قبره عيداً الخ . يشير الى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه أبو داود باسناد حسن ، ورواه تقات . وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يجيء الى الفرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، فان تسليمكم يبلغني أين كنتم » رواه في « المختارة » ورواه أبو يعلى ، والقاضي اسماعيل . وقال سعيد ابن منصور في « سننه » : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، أخبرني سهيل ابن أبي صالح ، قال : رأني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عند القبر ، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال : هلم الى العشاء فقلت : لأأريده . فقال : مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي ﷺ ، فقال : اذا دخلت المسجد ، فسلم ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ

(١) كذا في الأصل : متفق عليه ، ولم يروه مسلم ، فهو من رواية البخاري وحده ورواه الترمذي ، والدارمي ، والطالسي ، وأحمد .

قال : « لاتتخذوا قبوري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ، لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ما انتم ومن بالأندلس الا سواء . وقال سعيد أيضاً : حدثنا حبان بن علي ، ثنا محمد بن عجلان ، عن أبي سعيد مولى المهري قال : قال رسول الله ﷺ « لاتتخذوا قبوري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني » قال شيخ الاسلام : فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين ، يدلان على ثبوت الحديث ، لاسيما وقد احتج به من أرسله ، وذلك يقتضي ثبوته عنده ، هذا لو لم يرو من وجوه مسندة غير هذين ، فكيف وقد تقدم مسنداً .

وقال أيضاً : فانظر الى هذه السنة ، كيف مخرجها من أهل المدينة ، وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب ، وقرب الدار ، لأنهم الى ذلك أحوج من غيرهم ، فكأنوا له أضبط . انتهى .

قواه : ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه الخ . قال القرطبي : ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ ، فأعلوا حيطان تربته ، وسدوا المداخل اليها ، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة ، إذ كان مستقبل المصلين ، فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال ، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره . انتهى . وهذا معنى قول الناظم : حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واقعد غدا عند الوفاة مصرحاً باللعن يصرخ فيهم بأذان

وعنى الألى جعلوا القبور مساجداً وهم اليهود وعابدو الصلبان
والله لولا ذاك أبرز قبره لكنهم حجبه بالحيطان
قصدوا الى تسنيم حجرته ليمتنع السجود له على الأذقان
قصدوا موافقة الرسول وقصده التجريد للتوحيد للرحمن

قوله : ولقد غدا عند الوفاة النخ . يشير الى حديث عائشة رضي الله عنها
قالت : لما نزل برسول الله ﷺ ، طفق طفق خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها
كشفها ، فقال وهو كذلك « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد » يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ
مسجداً . أخرجاه .

قولها : غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . روي بفتح الحاء ، وضما ، فعلى
الفتح هو الذي خشي ذلك ﷺ ، وأمرهم أن يدفنه في المكان الذي قبض
فيه ، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع
ذلك من بعض الأمة ، فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة
غلواً وتعظيماً بما أبدى وأعاد من النهي عنه ، والتحذير منه ، ولعن فاعله .

قوله : قصدوا الى تسنيم حجرته النخ . تقدم كلام القرطبي رحمه الله
تعالى في ذلك . ولعل الناظم أخذ هذا المعنى من كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

يافرقة جهلت نصوص نبينهم وقصوده وحقيقة الإيمان
فسطوا على أتباعه وجنوده بالبغي والعدوان والبهتان
لا تعجلوا وتبينوا وتشتوا فصابكم ما فيه من جبران

قلنا الذي قال الأئمة قبلنا وبه النصوص أتت على التبيان
القصد حج البيت وهو فريضة الرحمن واجبة على الأعيان
ورحالتنا شدت إليه من بقا ع الأرض قاصيها كذلك الداني
من لم يزر بيت الإله فماله من حجه سهم ولا سهمان
وكذا نشد رحالتنا للمسجد النبوي خير مساجد البلدان
من بعد مكة أو على الإطلاق فيـه الخلف عند الناس منذ زمان
ونراه عند النذر فرضاً لكن النعمان يأبى ذا وللنعمان
أصل هو النافي الوجوب فانه ماجسه فرض على الانسان
وانا براهين تدل بأنه بالنذر مفترض على الانسان
أمر الرسول لكل نادر طاعة بوفائه بالنذر بالاحسان
وصلاتنا فيه بألف في سوا ه ما خلا ذا الحجر والأركان
وكذا صلاة في قبا فكعمرة في أجرها والفضل للنعمان
فاذا أتينا المسجد النبوي صلينا التحية أولاً ثنتان
بتام اركان لها وخشوعها وحضور قلب فعل ذي الاحسان
ثم اثنتينا للزيارة نقصد القبر الشريف ولو على الأجناف
فنقوم دون القبر وقفة خاضع متذل في السر والاعلان
فكأنه في القبر حي ناطق فالواقفون نواكس الاذقان

ملكتمهم تلك المهابة فاعتزت تلك القوائم كثرة الرجفان
وتفجرت تلك العيون بمائها ولطالما غاضت على الأزمان
وأتى المسلم بالسلام بهيبة ووقار ذي علم وذي إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه كلا ولم يسجد على الأذقان
كلا ولم ير طائفاً بالقبر أسبوعاً كأن القبر بيت ثان
ثم انتنى بدعائه متوجهاً لله نحو البيت ذي الأركان
هذي زيارة من غدا متمسكاً بشريعة الاسلام والإيمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزياره وهي يوم الحشر في الميزان
لا تلبسوا الحق الذي جاءت به سنن الرسول بأعظم البطلان
هذي زيارتنا ولم ننكر سوى السبدع المضلة يا أولي العدوان
وحدث شد الرحل نص ثابت يجب المصير اليه بالبرهان

مراد الناظم رحمه الله انا قلنا بما قالت به الأئمة قبانا ، ودلت عليه النصوص ،
فذكر أن حج البيت فريضة ، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام .
قوله : ورحالنا شدت اليه الخ . يشير الى الحديث المتفق عليه من حديث
أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ... » الحديث
وكذا نشد رحالنا للمسجد النبوي الخ . أقول :

قوله هذه مسألة الزيارة ، وهي التي أفتى فيها شيخ الاسلام ، وحبس
بسببها حتى مات في الحبس ، ولندكر جوابه في المسألة ، وذلك أنه سئل عن
رجل نوى زيارة قبر نبي من الأنبياء عليهم السلام ، مثل نبينا ﷺ وغيره ،

فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هي زيارة شرعية ، أم لا ؟
وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال « من حج فلم يزرني فقد جفاني » وروى من
زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » وقد روي عنه أنه قال : « لا تشد
الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ،
ومسجدي هذا » .

أجاب الشيخ رضي الله عنه : الحمد لله رب العالمين ، أما من سافر لمجرد
زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، فهل يجوز له القصر ؟ على قولين ، أحدهما
وهو قول متقدمي العلماء الذين لا يجوزون القصر في سفر المعصية ، كأبي
عبد الله ابن بطة ، وأبي الوفاء ابن عقيل ، وطوائف كثيرة من العلماء
المتقدمين أنه لا يجوز القصر في هذا السفر ، لأنه سفر منهي عنه . ومذهب
مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله أن السفر المنهي عنه في الشريعة لا يقصر
فيه ، والقول الثاني أنه يقصر ؛ وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم ،
كأبي حنيفة ، ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ، بمن
يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، كأبي حامد الغزالي ، وأبي
الحسن ابن عبدوس الحراني ، وأبي محمد ابن قدامة المقدسي ، وهؤلاء يقولون :
إن هذا السفر ليس بمحرم ، لعموم قوله ﷺ « زوروا القبور » وقد يحتاج
بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ،
كقوله « من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » رواه الدارقطني ،
وابن ماجه . وأما ما يذكره بعض الناس من قوله « من حج فلم يزرني فقد
جفاني » فهذا لم يروه أحد من العلماء ، وهو مثل قوله « من زارني وزار
أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة » فإن هذا أيضاً باطل باتفاق
العلماء ، لم يروه أحد ، ولم يحتاج به أحد ، وإنما يحتاج بعضهم بحديث الدارقطني

ونحوه ، وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور ، بأن النبي ﷺ كان يزور مسجد قباء ، وأجاب عن حديث « لاتشد الرحال .. » بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب . وأما الأولون ، فانهم يحتجون بما في « الصحيحين » عن النبي ﷺ قال : « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » وهذا الحديث اتفق العلماء على صحته ، والعمل به ، فلو نذر الرجل أن يصلي في مسجد أو مشهد ، أو يعتكف فيه ، أو يسافر اليه ، غير هذه الثلاثة ، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة ، ولو نذر أن يأتي المسجد الحرام لحج أو عمرة ، وجب عليه ذلك باتفاق العلماء ، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي ﷺ ، أو المسجد الأقصى ، لصلاة أو اعتكاف ، وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في أحد قوليهم ، وأحمد ، ولم يجب عليه عند أبي حنيفة ، لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان جنسه واجباً بالشرع . أما الجمهور ، فانهم يوجبون الوفاء بكل طاعة ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه .. » الحديث . رواه البخاري .

وأما السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة ، فلم يوجب أحد من العلماء السفر اليها إذا نذره ، حتى نص بعض العلماء على أنه لا يسافر الى مسجد قباء ، لأنه ليس من الثلاثة ، مع أن مسجد قباء تستحب زيارته لمن كان بالمدينة ، لأن ذلك ليس بشد رحل ، كما في « الصحيح » من « تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه ، كان كعمرة » قالوا : ولأن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة ، لم يفعلها أحد الصحابة والتابعين ، ولا أمر بها رسول الله ﷺ ، ولا استحبابها أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها ، فهذا مخالف للسنة واجماع الأمة ، وهذا مما ذكره أبو عبد الله ابن بطنة في « الابانة الصغرى ،

من البدع المخالفة للسنة ، والاجماع ، وبهذا يظهر ضعف حجة أبي محمد المقدسي ، فان زيارة النبي ﷺ لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، وهو يسلم لهم أن السفر اليه لا يجب بالندر .

وقوله : ان قوله : « لاتشد الرحال » محمول على نفي الاستحباب .

يجاب عنه من وجهين : أحدهما : أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ، ولا قرينة وطاعة ، ومن انتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وأنه قرينة وطاعة ، فقد خالف الاجماع ، واذا سافر لاعتقاد أنها طاعة ، فذلك محرم باجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة اتخاذ قرينة ومعلوم أن أحداً لا يسافر اليها الا لذلك . وأما اذا قدر أن شد الرحل اليها لغرض مباح ، فهذا جائز ، وليس من هذا الباب .

الوجه الثاني : أن الحديث يقتضي النبي ، والنهي يقتضي التحريم ، وما ذكره من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ ، فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة منها بشيء ، بل مالك وإمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة، كره أن يقول الرجل : زرت قبر النبي ﷺ ، ولو كان هذا اللفظ معروفاً عندهم ، مشروعاً ، أو مأثوراً عن النبي ﷺ ، لم يكرهه عالم المدينة . والإمام أحمد رضي الله عنه أعلم الناس في زمانه بالسنة ، لما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك ، إلا حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روي حتى أرد عليه السلام » وعلى هذا اعتمد أبو داود في « سننه » وكذلك مالك في « الموطأ » روى عن عبد الله بن عمر أنه كان اذا دخل المسجد قال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك

يأبت ، ثم ينصرف . وفي « سنن أبي داود » عن النبي ﷺ أنه قال :
« لاتتخذوا قبوري عيداً ، وصلوا علي أينما كنتم ، فان صلاتكم تبلغني » وفي
« سنن سعيد بن منصور » عن حسن بن حسن بن علي ابن أبي طالب أنه رأى
رجلاً يختلف الى قبر النبي ﷺ ، ويدعو عنده . فقال : يا هذا ، إن رسول
الله ﷺ قال : « لاتتخذوا قبوري عيداً ، وصلوا علي أينما كنتم ؛ فان
صلاتكم تبلغني » فما أنت ورجل بالأندلس منه الاسواء ، وكان الصحابة
والتابعون ، لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمن الوليد
ابن عبد الملك لا يدخل عنده أحد ، لالصلاة هناك ، ولا مسح قبر ، ولا لدعاء ،
بل هذا انما كانوا يفعلونه في المسجد . وكان السلف من الصحابة والتابعين
إذا سلموا عليه ، وإرادوا الدعاء ، دعوا مستقبلي القبلة ، ولم يستقبلوا القبر .
وأما الوقوف للسلام عليه صلوات الله وسلامه عليه . فقال أبو حنيفة : يستقبل
القبلة أيضاً ولا يستقبل القبر . وقال أكثر الأئمة : يستقبل القبر عند السلام
خاصة ، ولا يستقبل القبر عند الدعاء ، وليس في ذلك الاحكاية مكذوبة .
تروى عن مالك ، ومذهبه بخلافها ، ولم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر
عند الدعاء . واتفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي ﷺ ، ولا يقبله ،
وهذا كله محافظة على التوحيد ، فان من أصول الشرك بالله سبحانه ، اتخاذ
القبور مساجد ، كما قالت طائفة من السلف في قوله تعالى : (وقالوا لاندزن
آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يعوث وبعوق ونسراً) نوح : ٢٣
وقالوا : هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا ، عكفوا على
قبورهم ، ثم صوروا على صورهم تماثيل ، ثم طال عليهم الأمد فعبدها .
وقد ذكر هذا المعنى البخاري في « صحيحه » عن ابن عباس ، وذكره محمد
ابن جرير الطبري وغيره في التفسير ، عن غير واحد من السلف ، وذكره .

وثيقة وغيره في قصص الأنبياء من عدة طرق . وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع . وأول من وضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد أهل البدع الرافضة ، ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد ، يدعون بيوت الله التي أمر الله أن يذكر فيها اسمه ، ويعبد فيها وحده لا شريك له ، ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً ، فإن الكتاب والسنة إنما فيها ذكر المساجد لا المشاهد . كما قال الله تعالى : (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) الأعراف : ٢٩ وغير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم . انتهى .

واعلم أن من أدلة المجوزين لشدة الرحل الى ما ذكره التقي السبكي في كتابه « شفاء السقام » من الأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ، كقوله عليه السلام « من زار قبري وجبت له شفاعتي » رواه الدارقطني . وفي رواية « حلت له شفاعتي » وقوله عليه الصلاة والسلام « من جاءني زائراً لا يعمله حاجة الا زيارتي ، كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » رواه الطبراني . وقوله ﷺ « من حج الى مكة ثم قصدني في مسجدي ، كتب له حجتان مبرورتان » رواه ابن عباس . وقوله ﷺ « من حج فزار قبري بعد وفاتي ، فكأنما زارني في حياتي » رواه الدارقطني ، والحديث الذي روي « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني » رواه ابن عمر ، وأطنب السبكي في الأدلة . وقد أجاب المانعون عن جميع ذلك ، كما قال الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه الذي سماه « الصارم المنكي في الرد على السبكي » مانصه : أما بعد ، فاني وقفت على الكتاب الذي ألفه بعض قضاة الشافعية في الرد على شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في مسألة شد الرحال ، واعمال المطي الى القبور ، وذكر

أنه سماه « شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة » ثم زعم أنه اختار أن
يسميه « شفاء السقام في زياره خير الأنام » فوجدته كتاباً مشتتاً على
تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ونقوية الآثار الواهية والمكذوبة ،
وعلى تضييف الأحاديث الصحيحة الثابتة ، والآثار القوية المقبولة ، أو تحريفها
عن مواضعها ، وصرافها بالتأويلات المستنكرة المردودة ،
ورأيت مؤلف هذا الكتاب رجلاً ممارياً ، معجباً برأيه ، متبعاً لهواه ،
ذاهباً في كثير مما يعتقده الى الأقوال الشاذة ، والآراء الساقطة ، صائراً في
أشياء مما يعتد به ، الى شبه الخيلة ، والحجج الداخضة ، وربما خرق الاجماع
في مواضع لم يسبق اليها ، ولم يوافقه أحد من الأئمة عليها ، وهو في الجملة لون عجيب ،
ونبأ غريب ، تارة يسلك فيما ينصره ويقويه مسلك المجتهدين ، فيكون
مخطئاً في ذلك الاجتهاد ، ومرة يزعم فيما يقوله ويدعيه أنه من جملة المقلدين
فيكون من قلده مخطئاً في ذلك الاعتقاد ، ونسأل الله سبحانه أن يلهنا
رشدنا ، ويرزقنا الهداية والسداد ، هذا مع أنه إن ذكر حديثاً مرفوعاً
أو أثراً موقوفاً وهو غير ثابت ، قبله اذا كان موافقاً لهواه ، وان كان
ثابتاً رده ، اما بتأويل أو غيره اذا كان مخالفاً لهواه . وان نقل عن بعض
الأئمة الأعلام كمالك أو غيره ما يوافق رأيه ، قبله ، وان كان مطعوناً فيه غير
صحيح عنه . وان كان مما يخالف رأيه ، رده ولم يقبله وان كان صحيحاً
ثابتاً عنه ، وان حكى شيئاً مما يتعلق بالكلام على الحديث وأحوال الرواة
عن أحد من أئمة الجرح والتعديل ، كالامام أحمد بن حنبل ، وأبي حاتم
الرازي ، وأبي حاتم ابن حبان البستي ، وأبي جعفر العقيلي ، وأبي أحمد ابن
عدي ، وأبي عبد الله الحاكم صاحب « المستدرک » وأبي بكر البيهقي وغيرهم من

لحفاظ وكان مخالفاً لما ذهب اليه ، لم يقبل قوله ، وردده عليه ، وناقشه فيه وان كان ذلك الامام قد أصاب في ذلك القول ، ووافقه غيره من الأئمة عليه ، وإن كان موافقاً لما صار اليه ، تلقاه بالقبول ، واحتج به ، واعتمد عليه ، وإن كان ذلك الامام قد خولف في ذلك القول ولم يتابعه غيره من الأئمة عليه ، وهذا هو عين الجور والظلم ، وعدم القيام بالقسط . نسأل الله تعالى التوفيق ، ونعوذ به من الخذلان ، واتباع الهوى . هذا مع أنه حملة إعجاب به برأيه ، وغلبة اتباع هواه ، على أن نسب سوء الفهم والغلط في النقل الى جماعة من العلماء الأعلام المعتمد عليهم في حكاية مذاهب الفقهاء واختلافهم وتحقيق معرفة الأحكام ، حتى زعم أن ما نقله الشيخ أبو زكريا النووي في « شرح مسلم » عن الشيخ أبي محمد الجويني ، من النهي عن شد الرحال وإعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة ، كالذهاب الى قبور الأنبياء والصالحين ، والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك ، هو بما غلط فيه الشيخ أبي محمد ، أو أن ذلك بما وقع منه على سبيل السهو والغفلة . قال : ولو قاله هو ، يعني الشيخ أبا محمد ، أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط ، لحكمنا بغلطه ، وأنه لم يفهم مقصود الحديث ، فانظر الى كلام هذا المعارض المتضمن لرد النقل الصحيح بالرأي الفاسد ، واجمع بينه وبين ما حكاه عن شيخ الاسلام من الافتراء العظيم ، والافك المبين ، والكذب الصراح ، وهو ما نقله عنه من أنه جعل زيارة قبر النبي ﷺ ، وقبور سائر الانبياء عليهم السلام ، معصية بالاجماع ، مقطوعاً بها ، هكذا ذكر هذا المعارض عن بعض قضاة الشافعية عن الشيخ أنه قال هذا القول الذي لا يشك عاقل من أصحابه وغير أصحابه أنه كذب مفترى ، لم يقله قط ، ولا يوجد في شيء من كتبه ، ولأول كلامه عليه ، بل كتبه كلها ، ومناسكه ، وفتاويه ، وأقواله ، وأفعاله

تشهد ببطلان هذا الثقل عنه، ومن له أدنى علم وبصيرة، يقطع بأن هذا مفعل مختلق على الشيخ، وأنه لم يقله قط. وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات : ٦ وهذا المعترض يعلم أن ما نقله عن القاضي المشهور بما لأحب حكايته عنه في هذا المقام عن شيخ الاسلام من هذا الكلام، كذب، مفترى، لا يرتاب في ذلك، ولكن يطفف ويداهن، ويقول بلسانه ما ليس في قلبه. ولقد أخبرني الثقة أنه ألف هذا الكتاب لما كان بمصر قبل أن يلي القضاء بالشام بمدة كثيرة، ليتقرب به الى القاضي الذي حكى عنه هذا الكذب، ويحظى لديه، فخاب أمه، ولم يتفق عنده، وقد كان هذا القاضي الذي جمع المعترض كتابه لأجله من أعداء الشيخ المشهورين. وقد زعم هذا المعترض أيضاً مع هذا الأمر الفظيع الذي ارتكبه من التكذيب بالصدق، والتصديق بالكذب، أن الفتاوي المشهورة التي أجاب بها علماء اهل بغداد، موافقة للشيخ، مختلقة موضوعة، وضعها بعض الشياطين، هكذا زعم، مع علم العام والخاص بأن هذه الفتاوي مما شاع خبرها وذاع، واشتهر امرها وانتشر، وهي صحيحة ثابتة متواترة عن أفتى بها من العلماء، وقد رأيت أنا وغيري خطوطهم بها... الى ان قال : وليعلم قبل الشروع في الكلام مع هذا المعترض، أن شيخ الاسلام رحمه الله تعالى، لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه، ولم ينه عنها، ولم يكرهها، بل استحباها، وحض عليها، ومصنفاته ومناسكه طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي ﷺ، وسائر القبور.

قال رحمه الله تعالى في بعض مناسكه : باب زيارة قبر النبي ﷺ
إذا أشرف على مدينة النبي ﷺ قبل الحج أو بعده، فليقل ماتقدم، فإذا

دخل استحب له أن يغتسل ، نص عليه الامام أحمد ، فاذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى ، وقال : بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك . ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء ، ثم يأتي قبر النبي ﷺ ، فيستقبل جدار القبر ، ولا يمسه ، ولا يقبله ، ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ، ليكون قائماً وجاه النبي ﷺ ، ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون ، منكسر الرأس ، غاض الطرف ، مستحضراً بقلبه جلالة موقفه ، ثم يقول : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه ، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين ، أشهد أن لا إله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك ، ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته ، اللهم آتة الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، يغبطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، اللهم احشرنا في زمرة ، وتوفنا على سنته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه مشرباً رويلاً لانظماً بعده أبداً . ثم يأتي ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فيقول : السلام عليك يا ابا بكر الصديق ، السلام عليك يا عمر الفاروق ، السلام عليكما يا صاحبي رسول الله ﷺ وضيعيه ورحمة الله وبركاته ، جزاكما الله تعالى عن صحبة نبيكما وعن الاسلام خيراً ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

قال : ويزور قبور أهل البقيع ، وقبور الشهداء إن أمكن . هذا كلام الشيخ مجروفة ، وكذلك سائر كتبه ذكر فيها استحباب زيارة قبر النبي ﷺ ، وسائر القبور ، ولم ينكر زيارتها في موضع من المواضع ، ولا ذكر في ذلك خلافاً ، الا نقلاً غريباً ذكره في بعض كتبه عن بعض التابعين . وانما تكلم في مسألة شد الرحال واعمال المطي الى مجرد زيارة القبور ، وذكر في ذلك قولين للعلماء المتقدمين والمتأخرين : أحدهما : القول بإباحة ذلك ، كما يقوله بعض أصحاب الشافعي ، وأحمد . والثاني : أنه منهي عنه ، كما نص عليه إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، ولم ينقل عن الأئمة الثلاثة خلفه ، وإليه ذهب جماعة من أصحاب الشافعي وأحمد . هكذا ذكر الشيخ الخلاف في شد الرحال واعمال المطي الى القبور ، ولم يذكره في الزيارة الخالية عن شد رحل ، واعمال مطي ، والسفر الى زيارة القبور مسألة ، وزيارتها من غير سفر مسألة أخرى ، ومن خلط هذه المسألة بهذه المسألة وجعلها مسألة واحدة ، وحكم عليها بحكم واحد ، وأخذ في التشنيع على من فرق بينهما ، وبالغ في التنفير عنه ، فقد حرم التوفيق ، وحاد عن سواء الطريق . واحتج الشيخ لمن قال بمنع شد الرحل بالحديث المشهور المتفق على صحته ، من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، بحديث « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » هذا هو الذي نقله الشيخ رحمه الله تعالى ، حكى الخلاف في مسألة بين العلماء ، واحتج لأحد القولين بحديث متفق على صحته ، فأبي عتب عليه في ذلك ؟ ! ولكن نعوذ بالله تعالى من الحسد ، والبغي ، واتباع الهوى ، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا واخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من العمل الصالح ، والقول الجميل ، فانه يقول الحق ويهدي السبيل . انتهى .

وهذا الذي ذكرناه شرح لما تضمنته هذه الآيات التي تقدمت والله أعلم .
قوله : من بعد مكة أو على الاطلاق الخ . هذه المسألة فيها خلاف مشهور بين العلماء فذهب أبو حنيفة ، والشافعي ، وأحمد في إحدى الروايتين ، إلى أن مكة أفضل ؛ وذهب مالك إلى أن المدينة أفضل ، وهو الرواية الثانية عن أحمد ، واحتج من فضل مكة بما رواه عبد الله بن عدي بن الحمراء أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة « والله انك خير ارض الله وأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت » رواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي وقال : حسن صحيح . واحتجوا أيضاً بأن مضاعفة الصلاة فيها أكثر . وأما الحديث المروي « اللهم لانهم أخرجوني من أحب البقاع الي ؛ فأسكني أحب البقاع اليك » فهو حديث لا يعرف .

قال شيخ الاسلام : هو حديث موضوع كذب ، لم يروه أحد من أهل العلم .

واحتج من فضل المدينة بأخبار صحيحة تدل على فضلها ، لا على فضلها على مكة ، والله أعلم .

وقول الناظم رحمه الله : ونراه عند النذر فرضاً الخ . . اعلم أن العلماء اختلفوا فيمن نذر طاعة بشرط يرجوه ؛ كأن شفى الله مريضه فعلي أن أتصدق بكذا ، ونحو ذلك ، فذهب جمهور العلماء إلى أنه يجب الوفاء بكل طاعة . وحكي عن أبي حنيفة أنه لا يجب الوفاء الا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم . أما ما ليس كذلك ، كالاعتكاف ، فلا يوجب الوفاء به . وحبّة الجمهور قوله ﷺ « من نذر أن يطيع الله فليطعه » رواه البخاري . والله أعلم .

فصل

في تعيين ان اتباع السنة والقرآن طريق للنجاة من النيران

بامن يريد نجاته يوم الحسا ب من الجحيم وموقد النيران
اتبع رسول الله في الأقوال والأعمال لا يخرج عن القرآن
وخذا الصحيحين اللذين هما عقود الدين والإيمان واسطتان
واقراهما بعد التجرد من هوى وتعصب وحمية الشيطان
واجعلهما حكماً ولا تحكم على ما فيها أصلاً بقول فلان
واجعل مقالته كبعض مقالة الأشياخ تنصرها بكل أوان
وانصر مقالته كنصرك للذي قلده من غير ما برهان
قدر رسول الله عندك وحده والقول منه اليك ذوات بيان
ماذا ترى فرضاً عليك معيناً ان كنت ذا عقل وذا إيمان
عرض الذي قالوا على أقواله أو عكس ذلك فذلك الامران
هي مفرق الطرقات بين طريقنا وطريق أهل الزيغ والعدوان
قدر مقالات العباد جميعهم عدماً وراجع مطلع الإيمان
واجعل جلوسك بين صحب محمد وتلق معهم غنة بالإحسان

وتلق عنهم ماتلقوه همُ عنه من الإيمان والعرفان
أفليس في هذا بلاغ مسافر يبغي الإله وجنة الحيوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الوصية بما ينجي يوم الحساب من العذاب
والنار ، وبين أن ذلك يكون باتباع رسول الله ﷺ في الأقوال والأعمال ،
كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) آل عمران : ٣١
ثم حث على لزوم « الصحيحين » أي : « صحيح البخاري » و « مسلم »
واتخاذهما حكماً ، فيحكم بهما ، ولا يحكم عليهما ، وذلك بعد أن تتجرد من
الهوى والتعصب والحمية . قال : واجعل مقاله كبعض مقالات الأشياخ ،
أي : اجعل مقاله ﷺ كبعض مقالات الأشياخ التي ينصرها المقلدون بكل
أوان ، وكنصرك للذي قلده من غير برهان ، الذي غاية أقواله أن تكون
سائعه الاتباع . وأما أقوال الرسول ﷺ ، فهي واجبة الاتباع ، كما قال تعالى
(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . . .) الآية النساء : ٦٥
ثم قال : قدر رسول الله عندك وأنت تسمع كلامه منه بلا واسطة ، فهل
ترى فرضاً عليك عرض أقواله على أقوال من قلده ، أو عكس ذلك ؟ أي :
عرض أقوالهم على أقواله ، وهذان الأمران هما مفرق الطرق بين طريقنا
وطريق أهل الزيغ والعدوان .

قوله : قدر مقالات العباد جميعهم عدماً الخ . أي : قدر عدم مقالات
العباد ، ثم راجع مطلع الايمان ، أي : الكتاب والسنة ، وقدر نفسك جالساً
بين صحب محمد ﷺ وأنت تسمع منه ، فاذا كان فرض عليك اتباع ما جاء
به ﷺ ، وعرض كلام الناس على كلامه لو كنت حاضراً بين يديه ، فما الذي
أسقط هذا الفرض عنك وأنت تسمع كتابه الذي جاء به ، وسنته الصحيحة
الصريحة غضة طرية :

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لولا التنافس بين هذا الخلق ما كان التفرق قط في الحسبان
فالرب رب واحد وكتابه حق وفهم الحق منه داف
ورسوله قد أوضح الحق المبين بغاية الإيضاح والتبيان
ماثم أوضح من عبارته فلا يحتاج سامعها الى تبيان
والنصح منه فوق كل نصيحة والعلم مأخوذ عن الرحمن
فلأشيء يعدل الباغي الهدى عن قوله لولا عمى الخذلان؟!
فالنقل عنه مصدق والقول من ذي عصمة ما عندنا قولان
والعكس عند سواه في الأمرين يا من يهتدي هل يستوي النقلان؟!
تالله قد لاح الصباح لمن له عينان نحو الفجر ناظرتان
وأخو العماية في عمائته يقو ل الليل بعد أيستوي الرجلان؟
تالله قدرفعت لك الأعلام ان كنت المشمر نلت دار أمان
وإذا جنيت وكنت كسلاناً فما حرم الوصول اليه غير جبان
فاقدم وعد بالوصل نفسك واهجر المقطوع منه قاطع الانسان
عن نيل مقصده فذاك عدوه ولو انه منه القريب الداني

ذكر الناظم في هذه الأبيات ، أنه لولا التنافس بين هذا الخلق ، لم يوجد التفرق ، وذلك أن الرب سبحانه واحد ، وكتابه واحد ، وفهمه يسير ، والرسول ﷺ قد أوضح الحق بغاية الايضاح ، فلا عبارة أوضح من عبارته ،

ولا نصح فوق نصحه ، وعلمه مأخوذ عن الله تعالى ، فعدول الباغى عن ذلك هو عين الخذلان ، ثم ذكر أن عكس الأمرين عند غيره ، وقد لاح الصباح لذي عينين ، وأخو العماية في عمية جهله ، نعوذ بالله من العمى .

فصل

في تيسير السير الى الله على المثبتين الموحدين وامتناعه على المعطلين والمشركين.

ياقاعداً سارت به أنفاسه سير البريد وليس بالذملان
قال في « القاموس » : الذميل كأمير : السير اللين ما كان ، أو فوق
الغنى ، ذمل يذمل ويذمل ذملاً وذمولاً ، وذميلاً ، وذملاناً . وناقة
ذمول ، من ذمل .

حتى متى هذا الرقاد وقد سرى وفد المحبة مع أولي الاحسان
وحدث بهم عزماهم نحو العلى لاحادي الركبان والاطعان
قوله : وحدث بهم عزماهم نحو العلى . قال في « القاموس » : حدا الإبل
حدواً ، وحداء : زجرها وساقها . انتهى .

ركبوا العزائم واعتلوا بظهورها وسروا فما حنوا الى نعمان
ساروا رويداً ثم جاؤوا أولاً سير الدليل يؤم بالركبان
ساروا باثبات الصفات اليه لا الاستعطيل والتحريرف والنكران

عرفوه بالأوصاف فامتلاّت قلوبهم له بالحب والإيمان
فتطيرت تلك القلوب اليه بالأشواق إذ ملئت من العرفان
وأشدهم حباً له أدراهم بصفاته وحقائق القرآن
فالحب يتبع للشعور بحسبه يقوى ويضعف ذاك ذوتبيان
ولذلك كان العارفون صفاته أحبابه هم أهل هذا الشأن
ولذلك كان العالمون بربهم أحبابه وبشرعة الإيمان
ولذلك كان المنكرون لها هم الأعداء حقاً هم أولو الشنآن
ولذلك كان الجاهلون بذنا وذا بغضائه حقاً ذوي شنآن
وحياة قلب العبد في شيئين من يرزقها يحيى مدى الأزمان
في هذه الدنيا وفي الأخرى يكونون المحي ذا الرضوان والإحسان
ذكر الإله وحبه من غير اشراك به وهما فممتنعان
من صاحب التعطيل حقاً كما متناع الطائر المقصوص من طيران
أحبه من كان ينكر وصفه وعلوه وكلامه بقران
لا والذي حقاً على العرش استوى متكماً بالوحي والفرقان
الله أكبر ذاك فضل الله يؤتبه لمن يرضى بلا حساب
وترى المخلف في الديار تقول ذا إحدى الأثافي خص بالحرمان
الله أكبر ذاك عدل الله يقضيه على من شاء من إنسان

وله على هذا وهذا الحمد في الأولى وفي الأخرى هما حمدان
حمد لذات الرب جل جلاله وكذاك حمد العدل والإحسان
يامن تعز عليهم أرواحهم ويرون غبنا بيعها بهوان
ويرون خسراناً مييناً بيعها في إثر كل قبيحة ومهان
ويرون ميدان التسابق بارزاً فيتاركون تقحم الميدان
ويرون أنفاس العباد عليهم قد أحصيت بالعد والحسبان
ويرون أن أمامهم يوم اللقا لله مسئلتان شاملتان
ماذا عبدتم ثم ماذا قد أجبتم من أتى بالحق والبرهان
هاتوا جواباً للسؤال وهيئوا أيضاً صواباً للجواب يداني
وتيقنوا ان ليس ينجيكم سوى تجريدكم لحقائق الإيمان
يشير إلى الحديث، وهو قوله ﷺ «كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون،
ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟»

تجريدكم توحيديه سبحانه عن شركة الشيطان والأوثان
وكذاك تجريد اتباع رسوله عن هذه الآراء والهذيان
والله ما ينجي الفتى من ربه شيء سوى هذا بلا روغان
يارب جرد عبدك المسكين را جي الفضل منك أضعف العبدان
لم تنسه وذكرته فاجعله لا ينسأك أنت بدأت بالإحسان

وبه ختمت فكنت أولى بالجميل وبالثناء من الجهول الجاني

فالعبد ليس يضيع بين فواتح وخواتم من فضل ذي الغفران

أنت العليم به وقد أنشأته من تربة هي أضعف الأركان

كل عليها قد علا وهوت الى تحت الجميع بذلة وهوان

وعلت عليها النار حتى ظن أن يعلو عليها الخلق من نيران

وأتى إلى الابوين ظناً أنه سيصيّر الأبوين تحت دخان

فسعت الى الأبوين رحمتك التي وسعتها فعلاً بك الأبوان

هذا ونحن بنوهما وحلومنا في جنب حلمها لدى الميزان

جزء يسير والعدو فواحد لهما وأعدانا بلا حساب

والضعف مستول علينا من جميع جهاتنا سيماً من الإيمان

قوله : من تربة هي أضعف الأركان ، أي : إن الانسان مخلوق

من تراب .

قوله : أضعف الأركان ، أي : الأركان الأربعة ، وهي الماء ، والهواء ،

والنار ، والتراب .

قوله : وعلت عليها النار الخ . يعني قوله تعالى عن ابليس اللعين (أنا

خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف : ١٢

قوله : هذا ونحن بنوهما الخ . يعني أن عقولنا في جنب عقلها جزء يسير ،

وعدوهما واحد ، وأعداؤنا بلا حساب .

يارب معذرة اليك فلم يكن قصد العباد ركوب ذا العصيان

لكن نفوس سوّلته و غيرها هذا العدو لها غرور أمان
فتيقنت يارب أنك واسع الغفران ذو فضل وذو إحسان
ومقالنا ماقاله الأوبان قبل مقالة العبد الظلوم الجاني
نحن الألى ظلموا وإن لم تغفر الذنب العظيم فنحن ذو خسران
يارب فانصرنا على الشيطان ليس لنا به لولا حماك يدان

فصل

في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه الا على من ليس بذى عينين

والفرق بينكم، وبين خصومكم من كل وجه ثابت ببيان
ما أنتم منهم ولا هم منكم شتان بين السعد والدبران
فاذا دعونا للقران دعوتهم للرأي أين الرأي من قرآن
وإذا دعونا للحديث دعوتهم أنتم الى تقليد قول فلان
وكذا تلقينا نصوص نبينا بقبولها بالحق والاذعان
من غير تحريف ولا جحد ولا تفويض ذى جهل بلا عرفان
لكن باعراض وتجهيل وتأويل تلقيتم مع النكران
أنكرتموها جهدكم فاذا أتى ما لاسبيل له الى نكران

أعرضتم عنه ولم تستنبطوا منه هدى لحقائق الإيمان
فاذا ابتليتم مكرهين بسمعها فوضتموها لاعلى العرفان
لكن بجهل للذي سيقته له تفويض اعراض وجهل معان
فاذا ابتليتم باحتجاج خصومكم أوليتموها دفع ذي صولان
فالجدوا الاعراض والتأويل والتجهيل حظ النص عند الجاني
لكن لدينا حظه التسليم مع حسن القبول وفهم ذي الإحسان

فصل

في التفاوت بين حظ المثبتين والمعطيين من وحي رب العالمين

ولنا الحقيقة من كلام إلهنا ونصيبكم منه المجاز الثاني
وقواطع الوحين شاهدة لنا وعليكم هل يستوي الأمران
وأدلة المعقول شاهدة لنا أيضاً فقاضونا الى البرهان
وكذلك فطرة ربنا الرحمن شا هدة لنا أيضاً شهود بيان
وكذلك إجماع الصحابة والأولى تبعوهم بالعلم والاحسان
وكذلك إجماع الأئمة بعدهم هذا كلامهم بكل مكان
هذي الشهود فهل لديكم أنتم من شاهد بالنفي والنكران

وجنودنا من قد تقدم ذكرهم وجنودكم فعساكر الشيطان
وهي قواطع الوحيين ، وأدله المعقول والفترة ، واجماع الصحابة
والتابعين والأئمة .

وخيامنا هضروبة بمشاعر الـ -وحيين من خبر ومن قرآن
وخياهكم هضروبة بالتيه فالسكان كل ملدد حيران
هذي شهادتهم على محصولهم عند المات وقولهم بلسان
يعني الناظم رحمه الله ماتقدم عن بعض المتكلمين أنه قال عند موته :
لقد خضت البحر الحضم ، وتركت أهل الاسلام وعلومهم ، وخضت في الذي
نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته ، وإلا فالويل لفلان ، وها أنا
ذا أموت على عقيدة أمي . وقال آخر : اكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب
الكلام . وقال آخر عند موته : أموت وما علمت شيئاً ، إلا أن الممكن
يفتقر الى واجب ، ثم قال : الاقتدار وصف عدمي ، أموت وما علمت شيئاً ،

والله يشهد أنهم أيضاً كذا تكفي شهادة ربنا الرحمن
ولنا المساند والصحاح وهذه السنن التي نابت عن القرآن
ولكم تصانيف الكلام وهذه الآراء وهي كثيرة الهديان
شبه يكسر بعضها بعضاً كبيت من زجاج خر للأركان
هو مأخوذ من قول القائل :

شبه تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هل ثم شيء غير رأي أو كلا م باطل أو منطلق اليونان
ونقول قال الله قال رسوله في كل تصنيف وكل مكان
لكن تقولوا^(١) قال أرسطو وقال ابن الخطيب وقال ذو العرفان
ابن الخطيب ، هو الفخر الرازي .

شيخ لكم يدعى ابن سينالم يكن متقيداً بالدين والإيمان
وخيار ما تأتون قال الأشعري وتشهدون عليه بالبهتان
أي : خيار ما تقولون قال الأشعري : وقد خالفتموه عين المخالفة ،
فانه يقول باثبات العلو والاستواء ، ويقول باثبات الصفات الحبرية ، وليس
له في ذلك قولان ، ومع ذلك خالفتموه في نفي العلو والصفات ، تعالى الله
عما يقول المعطلة علواً كبيراً .

فالأشعري مقرر لعلو رب العرش فوق جميع ذي الأكوان
في غاية التقرير بالمعقول والمنقول ثم بفطرة الرحمن
هذا ونحن فتاركوا الآراء للنقل الصحيح ومحكم الفرقان
لكنكم بالعكس قد صرحتم ووضعتم القانون ذا البهتان
أي : نحن نترك الآراء للنقل الصحيح ، وأنتم صرحتم بالعكس ، وأعدتم
لدفع النصوص ضرباً من العدد ، وأنواعاً من القوانين .

والنفي عنكم على التفصيل والاثبات إجمالاً بلا نكران

(١) كذا الأصل بحذف النون من (تقولوا) والاصل أن يقول (تقولون)
ولكن حذف النون لضرورة الشعر .

والمثبتون طريقهم نفي على الـ إجمال والتفصيل بالتيان
فتدبروا القرآن مع من منكما وشهادة المبعوث بالفرقان
وعرضتم قول الرسول على الذي قال الشيوخ ومحكم القرآن
فالمحكم النصّ الموافق قولهم لا يقبل التأويل في الأذهان
لكننا النص المخالف قولهم متشابه متأول بمعان
أي : إن أهل التأويل عرضوا كتاب الله وسنة رسوله على ما قاله شيوخهم ،
وجعلوا النص الموافق لقولهم محكماً لا يقبل التأويل ، أما النص المخالف لقولهم ،
فهو عندهم متشابه محتمل لعدة معان .

وإذ تأدبتم تقولوا^(١) مشكل أفواضح يا قوم رأي فلان ؟
والله لو كان الموافق لم يكن متشابهاً متأولاً بلسان
لكن عرضنا نحن أقوال الشيوخ على الذي جاءت به الوحيان
ما خالف النصين لم نعبأ به شيئاً وقلنا حسبنا النصان
قوله : والله لو كان النص موافقاً لقولكم لم يكن متشابهاً عندكم متأولاً
بعده من التأويلات .

قوله : لكن عرضنا نحن أقوال الشيوخ الخ . أي : إن قولنا
عكس قولكم ، وذلك أنا عرضنا أقوال الشيوخ على الكتاب والسنة ، فما
وافقها قبلنا ، وما خالفها لم نعبأ به شيئاً ، وقلنا حسبنا كتاب الله وسنة
رسوله .

والمشكل القول المخالف عندنا في غاية الاشكال لا التبيان

(١) وكذلك حذف النون لضرورة الشعر .

والعزل والابقاء مرجعه الى الـ آراء عندكم بلا كتمان
لكن لدينا ذاك مرجعه الى قول الرسول ومحكم القرآن
والكفر والاسلام عين خلافه ووفاقه لاغير بالبرهان
والكفر عندكم، خلاف شيوخكم ووفاقهم فحقيقة الايمان
هذي سبيلكم وتلك سبيلنا والموعد الرحمن بعد زمان
وهناك يعلم أى حزيننا على الحق الصريح وفطرة الديان
فاصبر قليلاً انما هي ساعة فاذا أصبت ففي رضى الرحمن
فالقوم مثلك يألمون ويصبرون وصبرهم في طاعة الشيطان

فصل

في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء

ياطالب الحق المبين ومؤثراً علم اليقين وصحة الايمان
اسمع مقالة ناصح خبر الذي عند الورى مذشب حتى الآن
مازال مذ عقدت يده ازاره قد شد مئزرة الى الرحمن
وتخلل الفترات للعزمات امـ لازم لطبيعة الانسان
وتولد النقصان من فتراته أوليس ساترنا بني النقصان!؟

طاف المذاهب يبتغي نوراً ليهديه وينجيه من النيران
وكأنه قد طاف يبغي ظلمة الليل البهيم ومذهب الحيران
والليل لا يزداد إلا قوة والصبح مقهور بذا السلطان
حتى بدت في سيره نار على طود المدينة مطلع الايمان
فأتى ليقبسها فلم يمكنه مع تلك القيود منالها بأمان
لولا تداركه الاله بلطفه وتلى على العقبين ذا نكصان
لكن توقف خاضعاً متذلاً مستشعر الافلاس من أثمان
فأتاه جند حل عند قيوده فامتد حينئذ له الباعان
والله لولا ان تحل قيوده وتزول عنه ربة الشيطان
كان الرقي الى الثريا مصعدا من دور تلك النار في الامكان
فرأى بتلك النار آطام المدينة كالخيام تشوفها العينان
ورأى على طرقاتها الأعلام قد نصبت لاجل السالك الحيران
ورأى هنالك كل هاد مهتد يدعو الى الإيـمان والإيقان
فهنالك هنأ نفسه متذكراً ما قاله المشتاق منذ زمان
والمستهام على المحبة لم يزل حاشا لذكراكم من النسيان
لوقيل ما تهوى لقال مبادراً أهوى زيارتكم على الأجفان

تالله ان سمح الزمان بقربكم وحللت منكم بالمحل الداني
لأعفرن الخد شكراً في الثرى ولأكحلن بتربكم أجفاني
يخبر الناظم عما حصل له في سيره الى الله جلا وعلا ؛ وأنه طاف المذاهب
يبتغي نوراً ليهتدي به ، وينجوبه من الزيران ، وأنه لم يحصل له في طوافه ذلك الا
الظلمة والحيرة ، ومع امعانه في ذلك والظلمة تزيد والحيرة تقوى ، حتى بدت
له أنوار الهدى من الكتاب والسنة ، وكنى عن ذلك بقوله : حتى بدت له
في سيره فارعلى طود المدينة ، فأتى ليقبها فلم يمكنه ذلك مع تلك القيود التي
توهن الانقياد ، فلولا أن الله سبحانه تداركه بلطفه ، لرجع ونكص على
عقبه ، فلما جاءه ذلك اللطف الالهي ، انحلت قيوده ، وسار الى الله مقتدياً
بأنوار الكتاب والسنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ازرمت تبصر ما ذكرت فغض طر فأ عن سوى الآثار والقرآن
واترك رسوم الخلق لاتعبأبها في السعد ما يغنيك عن دبران
حدق بقلبك في النصوص كمثل ما قد حدقوا في الرأي طول زمان
واكحل جفون القلب بالوحيين واحذر كحلهم يا كثرة العميان
فالله بين فيها طرق الهدى لعباده في أحسن التبيان
لم يحوج الله الخلائق معها لخيال فلتان ورأي فلان
فالوحي كاف للذي يعنى به شاف لداء جهالة الانسان
وتفاوت العلماء في أفهامهم للوحي فوق تفاوت الأبدان

والجبل داء قاتل وشفاءه أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سنة وطيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث مالها من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرؤ متحذلق بسواهما الا من الهذيان

قال في « القاموس » حذلق : أظهر الحذق ، أو ادعى أكثر مما عنده ،
كتحذلق . انتهى .

يعني أن العلم ثلاثة أقسام : أولها : العلم بصفات الرب ، وأفعاله ، وأسمائه .
والثاني : علم الأمر والنهي . والثالث : علم المعاد ، والكل في القرآن والسنة .
قوله : بسواهما . يعني الكتاب والسنة .

ان قلتم تقريره فمقرر بآتم تقرير من الرحمن
أو قلتم إيضاحه فمبين بآتم ايضاح وخير بيان
أو قلتم إيجازه فهو الذي في غاية الإيجاز والتبيان
أو قلتم معناه هذا فاقصدوا معنى الخطاب بعينه وعيان
أو قلتم نحن التراجم فاقصدوا معنى بلا شطط ولانقصان
أو قلتم بخلافه فكلامكم في غاية الإنكار والبطلان

أو قلم قسنا عليه نظيره فقياسكم نوعان مختلفان
نوع يخالف نصه فهو المحال وذلك عند الله ذو بطلان
وكلامنا فيه وليس كلامنا في غيره أعني القياس الثاني
ما لا يخالف نصه فالناس قد عملوا به في سائر الأحيان
لكنه عند الضرورة لا يصار إليه إلا بعد ذا فقدان
هذا جواب الشافعي لأحمد لله درك من امام زمان
والله ما اضطر العباد إليه في—ما بينهم من حادث بزمان

قال الناظم رحمه الله تعالى في « أعلام الموقعين » بعد أن ذكر أن فتوى
الامام أحمد رحمه الله تعالى تدور على خمسة أصول : الأصل الرابع من أصول
الامام أحمد : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء
يدفعه ، وهو الذي رجحه على القياس ، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ،
ولا المنكر ، ولا ما في رواه متهم بحيث لا يسوغ الذهاب اليه والعمل به ،
بل الحديث الضعيف عنده قسم الصحيح ، وقسم من أقسام الحسن ،
ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف ، بل إلى صحيح
وضعيف . والضعيف عنده مراتب ، فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ، ولا
قول صاحب ، ولا إجماعاً على خلافه ، كان العمل به عنده أولى من القياس ،
وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافق على هذا الأصل من حيث الجملة ، فانه
مامتهم أحد الا وقد قدم الحديث الضعيف على القياس ، فقدم أبو حنيفة
حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس ، وأجمع أهل الحديث على ضعفه ،
وقدم حديث الرضوء بنييد التمر على القياس ، وأكثر أهل الحديث يضعفه ،
وقدم حديث أكثر الحيز عشرة أيام ، وهو ضعيف باتفاقهم ، على محض

القياس ، فالذي تراه في الثالث عشر مساو في الحد وفي الحقيقة والصفة لدم اليوم العاشر ، وقدم حديث « لا مهر أقل من عشرة دراهم » وأجمعوا على ضعفه ، بل بطلانه ، على محض القياس ، فان بذل الصداق معاوضة في مقابلة بذل البضع ، فما تراضيا عليه ، جاز قليلاً أو كثيراً . وقدم الشافعي تحريم صيد وج ، مع ضعفه ، على القياس ، وقدم خبر جواز الصلاة بمكة على ضعفه ومخالفته لقياس غيرها من البلدان ، وقدم في أحد قوله حديث « من قاء أو رعف فليتوضأ وليبن على صلاته » على القياس مع ضعف الخبر وارساله . وأما مالك فانه يقدم الحديث المرسل ، والمنقطع والبلاغات ، وقول الصحابي على القياس ، فاذا لم يكن عند الامام أحمد في المسألة نص ، ولا قول الصحابة أو واحد منهم ، ولا أثر مرسل أو ضعيف ، عدل الى الأصل الخامس ، وهو القياس فاستعمله للضرورة . وقد قال في كتاب « الحلال » سألت الشافعي عن القياس فقال : انما يصار اليه عند الضرورة . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاذا رأيت النص عنه ساكتا فسكوته عفو من الرحمن
وهو المباح اباحة العفو الذي مافيه من حرج ولانكران
فأضف إلى هذا عموم اللفظ والمعنى وحسن الفهم في القرآن
فهنالك تصبح في غنى وكفاية عن كل ذي رأي وذي حساب
قال الحافظ ابن رجب في « شرح الأربعين » على قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها .. » الحديث . قال :
وأما المسكوت عنه فهو ما لم يذكر جملة بتحليل ولا تحريم ، فيمحق معفواً

عنه ، لاجرح على فاعله ، وعلى هذا دلت هذه الأحاديث المذكورة هاهنا ، كحديث أبي ثعلبة الحشني وغيره ... الى أن قال : ولكن بما ينبغي أن يعلم أن ذكر الشيء بالتحريم والتحليل بما قد يخفى فهمه من نصوص الكتاب والسنة ، فان دلالة هذه النصوص قد تكون بطريق النص والتصريح ، وقد تكون بطريق العموم والشمول ، وقد تكون دلالاته بطريق الفحوى والتنبية ، كما في قوله تعالى (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) الاسراء : ٢٣ فان دخول ماهو أعظم من التأنيف من أنواع الأذى يكون بطريق الأولى ، ويسمى ذلك معبوم الموافقة ، وقد تكون دلالاته بطريق مفهوم المخالفة ، كما في قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** « في الغنم السائمة الزكاة » فانه يدل بمفهومه على أنه لازكاة في غير السائمة . وقد أخذ الأكترون بذلك ، واعتبروا مفهوم المخالفة ، وجعلوه حجة . وقد تكون دلالاته من المعنى موجوداً في غيره ، فانه يتعدى الحكم الى كل ماوجد في ذلك المعنى عند جمهور العلماء ، وهو من باب العدل والميزان الذي أنزله الله ، وأمر بالاعتبار به ، فهذا كله مما تعرف به دلالة النصوص على التحليل والتحريم ، فأما ما انتفى فيه ذلك كله ، فهنا يستدل بعده ذكره بإيجاب أو تحريم ، على أنه معفو عنه . انتى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومقدرات الذهن لم يضمن لنا تبيانها بالنص والقرآن
وهي التي فيها اعتراض الرأي من تحت العجاج وجولة الأذمان
لكن هنا أمران لو تما لما احتجنا إليه فحبذا الأمران
جمع النصوص وفهم معناها المراد بلفظها والفهم مرتبتان

احداهما مدلول ذلك اللفظ وضمماً أو لزوماً ثم هذا الثاني
فيه تفاوتت الفهوم تفاوتاً لم ينضبط أبدأه طرفان
فالشيء يلزمه لوازم جملة عند الخبر به وذو العرفان
فبقدر ذلك الخبر يحصى من لوازمه وهذا واضح التبيان

قوله : ومقدرات الذهن الخ . أي : إن الأمور التي تقدرها الأذهان
كثيرة ، ولكن لم يضمن لنا تبيانها بالكتاب والسنة .

قوله : لكن هنا أمران الخ . أي : إن هذين الأمرين ، وهما جمع
النصوص ، وفهم معناها ، لو قلنا لم نحتاج الى الرأي .

قوله : والفهم مرتبتان إحداها مدلول ذلك اللفظ الخ . أي : فهم مدلول
اللفظ مطابقة أو لزوماً .

قوله : ثم هذا الثاني ، وهو اللزوم ، فيه تفاوتت الفهوم تفاوتاً لا ينضبط
ولذلك من عرف الكتاب حقيقة عرف الوجود جميعه ببيان
وكذلك يعرف جملة الشرع الذي يحتاجه الانسان كل زمان
علماً بتفصيل وعلماً مجملاً تفصيله أيضاً بوحى ثان
وكلاهما وحيان قد ضمنا لنا أعلى العلوم بغاية التبيان
ولذلك يعرف من صفات الله والأفعال والأسماء ذي الإحسان
ما ليس يعرف من كتاب غيره أبداً ولا ما قالت الثقلاء
وكذلك يعرف من صفات البعث بالتفصيل والاجمال في القرآن

ما يجعل اليوم العظيم مشاهداً بالقلب كالمشهود رأي عيان
وكذلك يعرف من حقيقة نفسه وصفاتها بحقيقة العرفان
يعرف لوازمها ويعرف كونها مخلوقة مربوبة ببيان
وكذلك يعرف ما الذي في سامن الحاجات والاعدام والنقصان
وكذلك يعرف ربه وسماته أيضاً بلا مثل ولا نقصان
وهنا ثلاثة أوجه فافطن لها إن كنت ذا علم وذا عرفان
بالضد والأولى كذا بالامتناع لعلمنا بالنفس والرحمن
فالضد معرفة الإله بضم ما في النفس من عيب ومن نقصان
وحقيقة الأولى ثبوت كماله إذ كان معطيه على الإحسان

قوله : بالضد . أي : إنه سبحانه ينزه عن العيب والنقصان ، إذ خدما
السلامة من العيوب والنقائص ، تعالى الله وتقدس .

قوله : والأولى الخ . بفتح الهمزة أي : إنما يستعمل في حق الرب تعالى
قياس الأولى ، وهو أن يقال : كل كمال ثبت للمخلوق ، فالرب سبحانه أولى
به ، لأنه معطيه وواهبه ، وواهب الكمال أولى بالكمال ، وكل نقص تنزه
عنه المخلوق ، فالخالق أولى بالتنزه عنه .

قوله : بالامتناع الخ . أي بأن يقال : هذه صفة نقص ، فمتنع على
الله سبحانه .

فصل

في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين

وكفاية النصين مشروط بتجريد التلقي عنهما لمعان
وكذلك مشروط بخلع قيودهم فقيودهم غلّ الى الأذقان
وكذلك مشروط بهدم قواعد ما أنزلت بيانها الوحيان
وكذلك مشروط باقداًم على الآراء إن عريت عن البرهان
بالرد والإبطال لاتعباً بها شيئاً إذا ما فاتها النصفان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى شروط كفاية النصين ، وهي ثلاثة : أحدها :
تجريد التلقي عن الكتاب والسنة ، وعدم الالتفات الى غيرها ، واتباعها
وترك ما سواهما . الثاني : خلع القيود التي توهن الانقياد كما قال شيخ الاسلام
في تعظيم الأمر والنهي : هو أن لا يعارضوا بترخص جاف ، ولا يعارضوا
بتشديد غال ، ولا يجملوا على علة توهن الانقياد ، وذلك بأن يسلم لأمر الله
وحكمته بمثلاً ما أمر به ، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر ، فان ظهرت
له حكمة الشرع في أمره ونهيه ، حملة ذلك على مزيد الانقياد ، والبذل
والتسليم ، ولا يجمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه ، كما حمل ذلك كثيراً
من زنادقة الفقراء والمنتسبين الى التصوف . الثالث : هدم القواعد المؤسسة
على الفساد ، والبطلان ، والأموال التي ما أنزل الله بها من سلطان ، العاربه عن
الدليل والبرهان .

لولا القواعد والقيود وهذه الـ آراء لاتسعت عرى الايمان
لكنها والله ضيقت العرى فاحتاجت الايدي لذلك توان
وتعطلت من أجلها والله أعـداد من النصين ذات بيان
وتضمنت تقييد مطلقها واطلاق المقيد وهو ذو ميزان
وتضمنت تخصيص ما عمته والتعميم للمخصوص بالاعيان
وتضمنت تفريق ما جمعت وجمعاً للذي وسمته بالفرقان
وتضمنت تضيق ما قد وسعته وعكسه فلتتنظر الأمران
وتضمنت تحليل ما قد حرّمته وعكسه فلتتنظر النوعان
سكتت وكان سكوها عفو أفلم تعف القواعد باتساع بطان
وتضمنت إهدار ما اعتبرت كذا بالعكس والامران محذوران
وتضمنت ايضاً شروطاً لم تكن مشروطة شرعاً بلا برهان
وتضمنت ايضاً موانع لم تكن ممنوعة شرعاً بلا تبيان
إلا بأقيسة وآراء وتقليد بلا علم ولا استحسان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان المفاسد التي حصلت من القواعد التي
وضعوها ، والقيود التي قيدوا بها الكتاب والسنة ، والآراء التي خالفوا
بها الكتاب والسنة ، فذكر أنه تعطلت من أجلها أعداد من النصين ،
وتضمنت تقييد المطلق ، واطلاق المقيد ، وتخصيص العموم ، وتعميم المخصوص
وتفريق ما جمعت النصوص بينه ، وجمع ما فرقت بينه ، وتضييق ما وسعته

وعكسه ، وتحليل ما حرّمته ، وتحريم ما حلّته ، وغير ذلك بما ذكره الناظم .

عمن أتت هذي القوا عد من جميع الصحب والاتباع بالاحسان
ما أسسوا إلا اتباع نبيهم لا عقل فلتان ورأي فلان
قال في « القاموس » وفتلات المحسن ، هفواته وزلاته .

بل أنكروا الآراء نصحاء منهم لله والداعي وللقرآن
أوليس في خلفها وتناقض ما دل ذاب وذا عرفان؟!
والله لو كانت من الرحمن ما اختلفت ولا انتقضت مدى الازمان
شبه تهافت كالزجاج تخالها حقاً وقد سقطت على صفوان
والله لا يرضى بها ذو همة علياء طالبة لهذا الشأن

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان أن هذه القواعد لم تأت عن أحد
من الصحابة وتابعيهم باحسان ، وأن القوم ما أسسوا الا اتباع نبيهم ﷺ ، ولم
يؤسسوا اتباع عقل فلان ، ورأي فلتان .

قوله : والله لو كانت من الرحمن الخ . هذا مأخوذ من قوله تعالى (ولو
كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء : ٨٢ فالدليل
على أن هذه الآراء والقواعد من عند غير الله ، كثرة اختلافها ، وتناقضها ،
فلو كانت من عند الله لم تختلف ، ولم تنتقض الى آخر الدهر ، ولكنها
كما قال القائل :

شبه تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور
قال الناظم :

فثالها والله في قلب الفتى وثباتها في منبت الايمان

كالزراع يثبت حوله دغل فيمنعه النما فتراه ذا نقصان
وكذلك الايماني قلب الفتى غرس من الرحمن في الانسان
والنفس تثبت حوله الشهوات والشبهات وهي كثيرة الأفنان
فيعود ذاك الغرس يبساذاوياً أو ناقص الثمرات كل أو ان
فتراه يحرث دائماً ومغله نزر وذا من أعظم الخسران
والله لو نكش النبات وكان ذا بصر لذاك الشوك والسعدان
لأتى كأمثال الجبال مغله ولكن أضعافاً بلا حسابان
قوله : نزر . أي : قليل . قال في « القاموس » النزر القليل ،
كالنزر ، والمنزور .

قونه : نكش . قال في « القاموس » نكش الركية ، ينكشها ، وينكشها :
أخرج ما فيها من الحمأة والطين ، كانتكشها ، والشيء أفناه ، ومنه فرغ .

فصل

هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها كلها فعل الجهور الجاني
بل في التي قد خالفت قول الرسول ل ومحكم الايمان والفرقان
أو في التي ما أنزل الرحمن في تقريرها ياقوم من سلطان
فهي التي كم عطلت من سئنة بل عطلت من محكم القرآن

هذا ونرجو أن واضعها فلا يعدوه أجرأو له أجران
اذقال مبلغ عامه من غير اي—جواب القبول له على انسان
بل قد نهانا عن قبول كلامه نصاً بتقليد بلا برهان
وكذاك أوصانا بتقديم النصوص عليه من خبر ومن قرآن
نصح العبادبذا وخلص نفسه عند السؤال لها من الديان
والخوف كل الخوف فهو على الذي ترك النصوص لأجل قول فلان
وإذا بغى الاحسان أو لها بما لو قاله خصم له ذو شان
لرماه بالداء العضال منادياً بفساد ماقد قاله بأذان

ولما خشي الناظم رحمه الله تعالى من بعض الجهال أن يتوهم ذم الرأي
مطلقاً ، دفع ذلك بقوله : هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها الخ . أشار الى
أن الرأي نوعان : مذموم ، ومحمود ، فالمذموم : ماخالف الكتاب والسنة ،
والمحمود : ماوافق الكتاب والسنة ، وقد بسط الكلام في ذلك بسطاً
مستوفى في أول كتاب « اعلام الموقعين » وهذا معنى قوله : هذا وليس
الطعن بالاطلاق فيها كلها ؛ أي : لايطعن فيها كلها وإنما يطعن فيما خالف
الكتاب والسنة فقط .

قوله : هذا ونرجو أن واضعها الخ ؛ أي : نرجو أن المجتهد إذا اجتهد
فأخطأ فله أجر ، وإذا اجتهد فأصاب فله أجران ، كما صح في « صحيح
البخاري » عن النبي ﷺ قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ،
وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

قوله : إذ قال مبلغ علمه الخ ؛ أي : إن الأئمة رحمهم الله تعالى قالوا بمبلغ علمهم ، ونهوا الناس عن قبول كلامهم إذا خالف النصوص ، وأوصوا بتقديم النصوص عليه ، كالإمام أحمد ، والشافعي ، ومالك ، وأبي حنيفة ، وغيرهم ، فرحمة الله عليهم ، فلقد نصحوا العباد ، وخلصوا أنفسهم عند سؤال الرب تعالى لهم يوم القيامة .

قوله : والخوف كل الخوف الخ ؛ أي : إن الخوف العظيم ، والخطر الشديد على الذين تركوا النصوص لأجل قول فلان وفلان ، وإذا أرادوا الإحسان أولوها بالتأويلات الباطلة ، وحملوها على الاحتمالات البعيدة ، ومع ذلك لو قال ذلك خصم لهم في تأويل كلام مشايخهم ، ومن يرضونه ، رموه بالداء العضال ، وقادوا على فساد مقاله .

فصل

في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا ؟

ولو ازم المعنى تراد بذكره من عارف بلزومها الحقان
وسواه ليس بلازم في حقه قصد اللوازم وهي ذات بيان
اذ قد يكون لزومها المجهول أو قد كان يعلمه بلا نكران
لكن عرته غفلة بلزومها اذ كان ذا سهو وذا نسيان
وانذاك لم يك لازماً لمذاهب العلماء مذهبهم بلا برهان

ذكر الناظم في هذا الفصل أن لازم المذهب ليس بمذهب .
قوله : ولوازم المعنى الخ ؛ أي : إن لوازم المعنى تراد من عارف
بلزومها ، وأما سواه ، فليس ذلك بلازم في حقه ، اذ قد يكون جاهلاً
لزومها ، أو يكون عالمًا به ، ولكن عرته ؛ أي : حصل له سهو ونسيان
فلذاك : لازم المذهب ليس بمذهب .

قال شيخ الاسلام في جواب له : وأما قول السائل : هل لازم
المذهب مذهباً ، أم ليس بمذهب ؟ فالصواب : أن لازم مذهب الانسان
ليس بمذهب له ، اذا لم يلتزمه ، فانه اذا كان قد أنكره ونفاه ، كانت
إضافته اليه كذباً عليه ، بل ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه في المقال ،
غير التزامه اللوازم التي يظهر أنها من قبيل الكفر والمحال ، فالذين قالوا
بأقوال يلزمها أقوال ، يعلم أنه لا يلتزمها ، لكن لم يعلم أنها تلزمه ، ولو
كان لازم المذهب مذهباً ، للزم تكفير كل من قال عن الاستواء وغيره من
الصفات أنه مجاز ليس بحقيقة ، فان لازم هذا القول يقتضي أن لا يكون
شيء من أسمائه أو صفاته حقيقة . انتهى .

فالمقدمون على حكاية ذلك مذ
هيبهم أولو جهل مع العدوان
لا فرق بين ظهوره وخفائه
قد يذهلون عن اللزوم الداني
سيا إذا ما كان ليس بلازم
لا تشهدوا بالزور ويحكم على
لاكن يظن لزومه بجنان
ماتلزمون شهادة البطلان
بخلاف لازم مايقول آلهنا
ونينا المعصوم بالبرهان
فلذا دلالات النصوص جلية
وخفية تخفى على الأذهان

والله يرزق من يشاء الفهم في آياته رزقاً بلا حساب
ولما ذكر الناظم رحمه الله أن المذهب ليس بمذهب ، شرع في ذكر
ما ألزمه أهل التعطيل أهل الاثبات ، فقال :

واحذر حكايات لأرباب الكلا م عن الخصوم كثيرة الهديان
فحكوا بما ظنوه يلزمهم فقا لو اذاك مذهبهم بلا برهان
كذبوا عليهم باهتين لهم بما ظنوه يلزمهم من البهتان
فحكى المعطل عن أولي الاثبات قو لهم بأن الله ذو جئات
وحكى المعطل أنهم قالوا بأن الله ليس يرى لنا بعيان
وحكى المعطل أنهم قالوا يجوز زكلامه من غير قصد معان
وحكى المعطل أنهم قالوا بتحييز الاله وحصره بمكان
وحكى المعطل أنهم قالوا الـ أعضاء جل الله عن بهتان
وحكى المعطل أن مذهبهم هو الـ تشبيهه للخلاق بالانسان
وحكى المعطل عنهم ما لم يقو لوه ولا أشياخهم بلسان
ظن المعطل أن هذا لازم فلذا أتى بالزور والعدوان
فعليه في هذا محاذير ثلا ث كلها متحقق البطلان
ظن اللزوم وقذفهم بلزومه وتما ذاك شهادة الكفران
حاصل هذه الأبيات أن الناظم رحمه الله يحكي أشياء مما ألزم بها أهل
التعطيل أهل الاثبات ، فحكى المعطلة عن المثبتة أنهم يقولون : إن الله

تعالى وتقدس جسم ، وحكوا عنهم أن مذهبهم أن الله لا يرى في الآخرة ، كما قال الفخر الرازي في « المعالم » أطبق أهل السنة على أن الله تعالى يصح أن يرى . وأنكرت الفلاسفة والمعتزلة والكرامية والمجسمة ذلك ، ثم قال : أما إنكار الفلاسفة والمعتزلة ، فظاهر ، وأما إنكار الكرامية والحنابلة ، فلأنهم أطبقوا على أن الله تعالى لو لم يكن جسماً في مكان ، امتنعت رؤيته . انتهى .

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري في كتابه « غاية السؤل في علم الأصول » بعد أن حكى كلام الرازي هذا ، وما أدري أي الأمرين أسرع الى فضيحته ، نقله أو تقريره ؟ أما نقله ، فلأن الحنابلة لا يختلف أولهم وآخرهم في أن المنكر لرؤية الله تعالى ، جاحد لكتابه ، وسنة رسوله ، واجماع اهل النقل ، وأما تقريره ، فلأن قوله : أطبقوا على أنه لو لم يكن جسماً في مكان ، لامتنعت رؤيته ، إنما هو استدلال يقتضي اثبات الجسم ، بدليل صحة الرؤية ، لأن التقدير يكون : لو لم يكن جسماً ، لامتنعت رؤيته ، فيكون جسماً ، فمثل هذا لا يخفى على الفخر الرازي ، وإنما هو الهوى إذا غلب أعمى وأصم ، فان كل لبيب يعلم من كلام هذا الرجل ، أن في قلبه من الحنابلة داء لادواء له ، فانه أولاً أخرجهم عن أهل السنة ، فتراه يرى السنة ما ابتدعه في دين الاسلام والسرعة المحمدية ، من المباحث الكلامية ، والشبه العقلية ، والآراء الفيلسوفية ، فحكم على من لا يقوم مقامهم بأنهم ليسوا من أهل السنة . وثانياً أطلق عليهم اسم التجسيم ، والتجسيم لا يعتقدده مسلم ، وأطال الفزاري الكلام . قوله : وحكى المعطلة عنهم أنهم قالوا : يجوز كلامه من غير قصد معان . أقول : قال ابن السبكي في « جمع الجوامع » ولا يجوز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة ، خلافاً للحشوية . قال

المحلي في شرحه : أي في تجويزهم ورود ذلك في الكتاب والسنة ، قالوا : لوجوده فيه ، كالخروف المقطعة في أوائل السور . انتهى . قال بعض محشييه : وقد اضطرب القائلون بهذا في معنى هذا . فقال الزركشي ، والكوراني : إن أحد ألم يقل : إن في القرآن ما لا معنى له . وقال الآمدي : لا يتصور اشتغال القرآن الكريم على ما لا معنى له أصلاً ، وقد استدلت الحشوية أيضاً بآية (وما يعلم تأويله الا الله) آل عمران : ٧ بالوقف ، فقالوا : الكون المتشابه غير معلوم لنا ، فقد خاطبنا الله بما لانفهمه ، وهو المهمل ، نقله الجفندي . ومعلوم أن فواتح السور والآيات المتشابهات ، وإن فهم لها معنى صحيح ، إلا أنه غير مقطوع بأنه مراد قائله تعالى ، ولذلك سلك كثير من المفسرين هذا ، حيث قالوا في الفواتح : والله أعلم بمراده . ولما رأى الحشوية أن مثل هذا غير مفهوم منه مراد قائله ، نفوا المعنى عنه أصلاً ، وقالوا : إنه لا معنى له ، لا بمعنى أنه غير موضوع ، بل بمعنى ما ذكرنا ، هذا ما في وسعي من توجيه هذا الكلام الذي اضطربت فيه الأفهام ، ولم أر لأحد من كتب هنا كلاماً شافياً . انتهى كلامه .

وحكت المعطلة عنهم أنهم قالوا بجواز ورود ما لا معنى له في القرآن وأنهم يقولون بتحيز الله وحصره . وحكى المعطلة أنهم قالوا : له أعضاء ، وأنهم شبهوا الله تعالى بخلقه . وحكت المعطلة عنهم غير هذا ، بما لم يقولوه ، ولم نقله أشياخهم ، والأمر كما قال الناظم : إن المعطلة ظنوا أن هذا لازماً لقولهم ، فحكوه عنهم ، وكذبوا عليهم ، واعتدوا ، لأن لازم المذهب ليس بمذهب ، ولهذا قال الناظم : فعليه ؛ أي : على المعطل في نسبة ذلك إلى أهل الاثبات ، معاذير ثلاث ، وكلها باطلة : الأول : ظن اللزوم ، والثاني قذفهم بلزومه . والثالث : شهادته عليهم بالكفر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياشاهداً بالزور ويحك لم تخف يوم الشهادة سطوة الديان
ياقائل البهتان غط لوازما قد قلت ملزوماتها بلسان
والله لازمها انتفاء الذات والـ أوصاف والأفعال للرحمن
والله لازمها انتفاء الدين والـ قرآن والاسلام والايمن
ولزوم ذلك بيّن جداً لمن كانت له أذنان واعيتان
والله لولا ضيق هذا النظم بيّنت اللزوم بأوضح التبيان
ولقد تقدم منه ما يكفي لمن كانت له عينان ناظرتان
إن الذكي ببعض ذلك يكتفي وأخو البلادة ساكن الجبان
شرح الناظم في بيان اللوازم التي تلزم المعطلة ، ويلزم منها انتفاء ذاته
تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، بل يلزم منها انتفاء الدين ، والاسلام ، والقرآن
وقد تقدم ما يعرف من ذلك في غضون هذا النظم .

قوله : ساكن الجبان . الجبان ، والجبانة : مشددتين : المقبرة ،
والصحراء ، قاله في « القاموس » :

قال الناظم :

يا قومنا اعتبروا بجهل شيوخكم بحقائق الايمان والقرآن
أو ماسمعتهم قول أفضل وقته فيكم مقالة جاهل فتان
إن السموات العلى والأرض قـبل العرش بالاجماع مخلوقان؟!
والله ما هذي مقالة عالم فضلاً عن الاجماع كل زمان

من قال ذا قد خالف الاجماع والـخبر الصحيح وظاهر القرآن
فانظر الى ماجرّه تأويل لفظ الإستواء بظاهر البطلان
زعم المعطل أن تأويل استوى بالخلق والاقبال وضع لسان
كذب المعطل ليس ذا لغة الألى قد خوطبوا بالوحي والقرآن
فأصاره هذا إلى أن قال خلق العرش بعد جميع ذي الاكوان
يهينه تكذيب الرسول له وإجماع الهداة ومحكم الفرقان
لم أقف على تعيين قائل هذا القول ، ومعنى ذلك أن هذا القائل الجاهل
زعم أن السموات والأرض مخلوقان قبل العرش بالاجماع ، واعجب لهذا
الجهل العظيم ، ومخالفة الاجماع ، والخبر الصحيح ، وظاهر القرآن . وذلك
أن للسلف قولين في أول المخلوقات ، ما هو؟ أحدهما : أن العرش أول المخلوقات
والثاني : أن القلم هو أول المخلوقات ، فكان في هذا إجماع السلف ، على أن
المخلوقات العرش أو القلم ، وهذا الجاهل زعم أن السموات والأرض مخلوقان
قبل العرش ، فخرق الاجماع . والخبر الصحيح الذي أشار اليه هو ما رواه
مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً قال : « كتب
الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ،
وكان عرشه على الماء »

وقول الناظم : زعم المعطل أن تأويل استوى بالخلق والاقبال ؛ أي :
لأن المعطل زعم أن تفسير الاستواء بالاقبال يتضمن . أن الأرض والسموات
مخلوقان قبل العرش ، وهذا غاية الجهل

قوله : قول المعطل : إن تأويل استوى بالخلق والاقبال وضع لسان ، أي :

زعم أن تأويل الاستواء بقولهم : أقبل على خلق السماء ، هو المعروف في لغة العرب ، وليس كذلك ، وإذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض ، فكيف يكون استواؤه عمده إلى خلقه له ؟ ! لو كان هذا يعرف في اللغة أن الاستواء على كذا ، بمعنى أنه عمد إلى فعله ، وهذا لا يعرف قط في اللغة للاحقية ولا مجازاً لافي نظم ولا نثر ، ومن قال : استوى بمعنى عمد ، ذكره في قوله (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) فصلت : ١١ لأنه عدى بحرف الغاية كما يقال : عمدت إلى كذا ، ولا قصدت عليه ، مع أن ما ذكر في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضاً ، ولا هو قول أحد من مفسري السلف ، بل المفسرون من السلف قولهم بخلاف ذلك ، وإنما هذا القول وأمثاله ابتدع في الإسلام لما ظهر إنكار أفعال الرب التي تقوم به ويفعلها بمشيئته وقدرته واختياره ، فحينئذ صار يفسر القرآن من يفسره بما ينافي ذلك ، كما يفسر سائر أهل البدع القرآن على ما يوافق أقاويلهم ، وأما أن ينقل هذا التفسير عن أحد من السلف ، فلا ، بل أقوال السلف الثانية عنهم متفقة في هذا الباب ، لا يعرف لهم فيه قولان ، كما قد يختلفون أحياناً في بعض الآيات ، وإن اختلفت عباراتهم ، فمقصودهم واحد ، وهو اثبات علو الله على العرش . ثم قال الناظم على سبيل التهكم : يهينه تكذيب الرسول له واجماع الهداة ومحكم الفرقان .

فصل

في الرد عليهم تكفيرهم أهل العلم والايان وذكرا انقسامهم الى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران

ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن
إذ خالفوا رأياً له رأي يناقضه لأجل النص والبرهان
وجعلتم التكفير عين خلافكم ووافقكم فحقيقة الايمان
فوافقكم ميزان دين الله لا من جاء بالبرهان والفرقان
ميزانكم ميزان باغ جاهل والعول كل العول في الميزان
أهون به ميزان جور عائل بيد المظف وبل ذا الوزان
لو كان ثم حيا وأدنى مسكة من دين أو علم ومن ايمان
لم تجعلوا آراءكم ميزان كفر الناس بالبهتان والعدوان
هيبكم تأولتم وساغ لكم أيكم فر من يخالفكم بلا برهان
هذي الوقاحة والجراءة والجهالة ويحكم يافرة الطغيان
الله أكبر ذا عقوبة تارك الوحيين والآراء والهديان

أي : ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث، إذ خالفوا آراء الرجال
للتفريط ، فجعلتم الكفر والايان لأجل خلافكم ووافقكم ، فعلى هذا

فالميزان وفاقكم ، فمن وافقكم شهدتم له بالايان ، ومن خالفكم شهدتم عليه
بالكفران، ووافقكم فحقيقة الايمان، مبتدأ وخبر وفاقكم مبتدأ، وحقيقته خبره.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكننا نأتي بحكم عادل فيكم لأجل مخافة الرحمن
فاسمع إذا يامنصفاً حكيماً وانظر إذا هل يستوي الحكمان
هم عندنا قسان أهل جهالة وذوو العناء وذانك القسان
جمع وفرق بين نوعين هما في بدعة لاشك يجتمعان
وذوو العناد فأهل كفر ظاهر والجاهلون فانهم نوعان
متمكنون من الهدى والعلم بالأسباب ذات اليسر والامكان
لكن إلى أرض الجهالة أخلدوا واستسهلوا التقليد كالعميان
لم يبذلوا المقدور في إدراكهم للحق تهويناً بهذا الشأن
فهم الألى لاشك في تفسيقهم والكفر فيه عندنا قولان
والوقف عندي فيهم لست الذي بالكفر أنعتهم ولا الايمان
والله أعلم بالبطانة منهم ولنا ظهارة حلة الاعلان
لكنهم مستوجبون عقابه قطعاً لأجل البغي والعدوان
هبكم عذرتهم بالجهالة إنكم لن تعذروا بالظلم والطغيان
والطعن في قول الرسول ودينه وشهادة بالزور والبهتان

وكذلك استحلل قتل مخالفكم قتل ذي الاشرار والكفران
ان الخوارج ما أحلوا قتلهم الا لما ارتكبوا من العصيان
وسمعتهم قول الرسول وحكمه فيهم وذلك واضح التبيان
لكنكم أنتم أجمتم قتلهم بوافق سنته مع القرآن
والله ما زادوا النكير عليها لكن بتقرير مع الإيمان
فبحق من قد خصكم بالعلم والتحقيق والانصاف والعرفان
أنتم أحق أم الخوارج بالذي قال الرسول فأوضحوا بيان
هم يقتلون لعابد الرحمن بل يدعون أهل عبادة الأوثان
هذا وليسوا أهل تعطيل ولا عزل النصوص الحق بالبرهان

حاصل كلام الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل والذي بعده ، تقسيم
أهل الجهل والتعطيل الى قسمين : أهل عناد ، وجهال ، ثم قسم الجهال الى
قسمين : القسم الأول : متمكنون من الهدى والعلم بالاسباب المتيسرة ،
ولكن أخذوا الى الجهالة ، واستسهلوا التقليد . والقسم الثاني : من الجهال
أهل عجز عن بلوغ الحق ، مع حسن قصد وإيمان بالله ورسوله ، ولقائه .
ثم قال : وهم اذا ميزتهم حزبان : الأول : قوم أحسنوا الظن بما قالته
الاشياخ وأهل الديانة عندهم ، ولم يجدوا سوى أقوالهم ، فرضوا بها .
والضرب الثاني من هؤلاء : فطالبوا الحق ، لكن صدمهم عن علمه أنهم طلبوا
الحقائق من سوى أبوابها ، وسلكوا طرقاً غير موصلة الى اليقين ، فتشابهت
الطرق عليهم ، وصاروا حيارى . فاما القسم الأول وهم أهل العناد والعباد
بالله ، فحكم بكفرهم ، وقد أشار الى ذلك بقوله في هذا النظم :

فالكفر ليس سوى العناد وردما قال الرسول لأجل قول فلان

وأما القسم الأول من الجاهل . وهم المتمكنون من الهدى والعلم ،
ولكنهم أخذوا الى التقليد ، ولم يبذلوا وسعهم في طلب الحق ، فهؤلاء
حكم الناظم بفسقهم . وأما الكفر فقيه قولان ، واختار الوقف ، وأما
القسم الثاني : وهم أهل العجز عن بلوغ الحق مع إيمانهم بالله ورسوله ، ولكنهم
قلدوا المشايخ وأهل الديانة ، وقال فيهم الناظم :

فأولاء معذورون إن لم يظالموا ويكفروا بالجهل والعدوان

أي : إنهم وإن عذروا بالجهالة ، فهم غير معذورين بالظلم والطغيان
والظعن في قول الرسول ودينه ، والشهادة بالزور والبهتان ، واستحلال
قتل مخالفين من المثبتة الذين أثبتوا ما أثبتته الله ورسوله من الصفات ، من
غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ودعوى أنهم أهل
شرك وكفر ، فإن الخوارج لم يحل قتلهم الا لما ارتكبوه من العصيان ،
واستحلال قتال أصحاب رسول الله ﷺ ، والظعن عليهم ، مع عبادتهم
العظيمة ، كما قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم « يحقر أحدكم صلاته مع
صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يرقون من الاسلام
كما يرق السهم من الرمية ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً عند
الله لمن قتلهم » وقد صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه ، كما قاله
الأمام أحمد وغيره . فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حرم بقتل الخوارج
مع عبادتهم العظيمة ، فأنتم أيها الجاهل المقلدة إذا استحلتم دماء المثبتة أحق من
الخوارج بالقتل . والقسم الثاني من هذا القسم ، فهم الذين طلبوا الحق ، لكن
من غير طرقه ، وغلب عليهم الشك والحيرة والوقف ، من غير شك في الله
أو دينه ، أو كتابه ، وإقائه . فقال :

فأولاء بين الذنب والأجرين أو احداهما أو واسع الغفران

هذا حاصل ما ذكره في هذا الفصل ، قسمهم الى أربعة أقسام ، وقد

ذكر الناظم في « شرح منازل السائرين » في ذكر أجناس مايتساب منه ، وهي اثنا عشر جنساً : أربعة مذكورة في كتاب الله عز وجل . الأول : الكفر . والثاني : الشرك . فأنواع الكفر خمسة : كفر تكذيب ، وكفر استكبار وإباء مع التصديق ، وكفر اعراض ، وكفر شك ، وكفر نفاق . وبين هذه الأنواع ، ثم قال : وأما الشرك الأكبر فهو نوعان ، ثم بين ذلك بأحسن بيان .

وقال شيخ الاسلام في رده على ابن البكري : فلماذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حكم شرعي ، فليس للانسان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليك ، وزنى بأهلك ، ليس لك أن تكذب عليه وترتي بأهله ، لأن الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق لله تعالى ، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله . وأيضاً فان تكفير الشخص المعين ، وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحججة النبوية التي يكفر من خالفها ، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر ... الى أن قال : ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين ينفون أن يكون الله تعالى فوق العرش : أنا لو وافقتكم كنت كافراً ، لأني أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال .

وقال شيخ الاسلام أيضاً في كلام له بعد كلام سبق : وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه ، ويقال : من قال كذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحججة التي يكفر تاركها ، وهذا كما هو في نصوص الوعيد ، فان الله يقول : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً) النساء : ١٠ فهذا أو نحوه من نصوص الوعيد حق ، لكن

الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد ، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار ، لجواز أن لا يلحقه الوعيد ، لفوات شرط ، أو ثبوت مانع ، فقد لا يكون التحريم بلغه ، وقد يتوب من فعل المحرم ، ونحو ذلك ، وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها ، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق ، أو لم تثبت عنده ، أو لم يتمكن من فهمها ، أو لم يفهمها لشبهة عرضت له يعذره الله بها ، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ ، فان الله يغفر له خطاه كأنها ما كان ، سواء في المسائل النظرية أو العملية . هذا الذي عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، وجماهير أئمة الاسلام .

وقال رحمه الله تعالى في بعض أجوبته : فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً ؛ ومن مباح أهل العلم بخطؤون ولا يكفرون ، وسبب ذلك أن أحدهم يظن ما ليس بكفر كفراً ، وقد يكون كفراً ، لأنه تبين له أنه تكذيب للرسول ، وسب للخالق ، والآخر لم يتبين له ذلك ، فلا يلزم إذا كان هذا العالم بحاله يكفر إذا قاله ، أن يكفر من لم يعلم بحاله . قال : وإذا كان - يعني الامام أحمد - رحمه الله يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله تعالى وصفاته ، لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ﷺ ظاهرة بينة ، ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق ، وكان رضي الله عنه قد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة قولهم وأمرهم ، وأنه يدور على التعطيل ، وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة ، لكن ما كان يكفر أعيانهم ، فان الذي يدعو الى القول أعظم من الذي يقوله ، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط ، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه ، ومع هذا فالذين كلوا من ولادة الأمور يقولون بقول الجهمية : إن القرآن مخلوق ، وان الله لا يرى في الآخرة ، وغير ذلك من تعطيل أسمائه وصفاته ، ويدعون الناس الى ذلك ، ويمتحنونهم

ويعاقبونهم اذا لم يجيبوا ، ويكفرون من لم يجيبهم ، حتى إنهم كانوا اذا قيدوا
الأسير لا يطلقونه حتى يقر بقول الجهمية : إن القرآن مخلوق ، ولا يولون
مستول ، ولا يرزقون من بيت المال الا من يقول ذلك ، ومع هذا فالامام
أحمد ترحم عليهم ، واستغفر لهم ، لعلمه أنهم لم يتبين لهم أنهم يكذبون الرسول
ﷺ ، ولا جاحدون لما جاء به ، ولكن تأولوا فأخطؤوا ، وقلدوا من قال
ذلك ، وكذلك الامام الشافعي رضي الله عنه لما قال لحفص الفرد حين قال :
القرآن مخلوق ، كفرت بالله العظيم ، فبين بذلك أن هذا القول كفر ، لم يحكم
بردة حفص بمجرد ذلك ، لأنه لم تتبين له الحججة التي يكفر بها ، ولو اعتقد
أنه مرتد لسعى في قتله . وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الاهواء ،
والصلاة خلفهم ، وكذلك قال الامام مالك ، والشافعي ، وأحمد في القدري :
إن جحد علم الله كفر . ولفظ بعضهم : ناظروا القدرية بالعلم ، فان أقروا
به خصموا ، وان جحدوه كفروا . وسئل الامام أحمد عن القدري : هل
يكفر ؟ فقال : إن جحد العلم كفر ، حينئذ فجاحده من جنس الجهمية ،
وأما قتل الداعية للبدع ، فقد يقتل لكف ضرره على الناس ، كما يقتل المحارب
ولم لم يكن في نفس الأمر كافراً ، فليس كل من أمر الشرع بقتله يكون
قتله لردته ، وعلى هذا يكون قتل غيلان القدري وغيره من أهل البدع قد
يكون على هذا الوجه . انتهى كلامه .

وقال رحمه الله تعالى بعد كلام سبق في ذكر ما عليه كثير من الناس
من الكفر والخروج عن الاسلام ، قال : وهذا كثير غالب ، لاسيما في
الأعصار والامصار التي تغلب فيها الجاهلية والكفر والنفاق ، فلهؤلاء من
عجائب الجهل ، والظلم ، والكذب ، والكفر ، والنفاق ، والضلال ،
ما لا يتسع لذكره المقال . واذا كان في المقالات الحفية ، فقد يقال : إنه

فيها مخطيء . ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ، لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أنها من دين الاسلام ، بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً ﷺ بعث بها ، وكفر من خالفها ، مثل أمره بعبادة الله وحده لاشريك له ، ونهيه عن عبادة أحد سوى الله من الملائكة والنبين أو غيرهم ، فان هذا أظهر شعائر الاسلام ، ومثل معادات اليهود والنصارى والمشركين ، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك . ثم تجد كثيراً من رؤوسهم ، وقعوا في هذه الأنواع ، فكانوا مرتدين وإن كانوا قد يتوبون من ذلك أو يعودون . . . الى أن قال : وأبلغ من ذلك أن منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الاسلام ، كما صنف الرازي كتابه في « عبادة الكواكب » وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته ، ورغب فيه ، وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين ، وإن كان قد يكون عاد الى الاسلام . انتهى (١) .

فانظر الى تفرقه بين المقالات الخفية ، والأمور الظاهرة . فقال في المقالات الخفية التي هي كفر : قد يقال : إنه فيها مخطيء . ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ، ولم يقل ذلك في الأمور الظاهرة حكمها مطلقاً ، وبما يصدر منها من مسلم جهلاً ، كاستحلال محرم ، أو فعل أو قول شركي بعد التعريف ، ولا يكفر بالأمور الخفية جهلاً ، كالجمل ببعض الصفات ، فلا يكفر للجاهل بها مطلقاً ، وان كان داعية ، كقوله للجهمية : أنتم عندي لا تكفرون ، لأنكم جهال .

وقوله : عندي . يبين أن عدم تكفيرهم ليس أمراً مجمعاً عليه ، لكنه اختياري ، وقوله في هذه المسألة خلاف المشهور في المذهب ، فان الصحيح من

(١) لم يخرج من الاسلام حتى يكون قد عاد اليه ، وإن كان له أخطاء .

المذهب تكفير المجتهد الداعي الى القول بخلق القرآن ، أو نفي الرؤية ، أو
الرفض ، ونحو ذلك ، وتفسيق المقلد .

قال الشيخ مجد الدين ابن تيمية رحمه الله : الصحيح أن كل بدعة
كفرتا فيها الداعية ، فانا نسق المقلديها ، كمن يقول في خلق القرآن ، أو ان علم
الله مخلوق أو أن أسماءه مخلوقة ، أو أنه لا يرى في الآخرة ، أو يسب الصحابة تديناً ، أو
يقول : إن الإيمان مجرد الاعتقاد ، وما أشبه ذلك ، فمن كان في شيء من
هذه البدع يدعو اليه ، وينظر عليه ، فهو محكوم بكفره . نص أحمد على
ذلك في مواضع . انتهى .

فانظر كيف حكموا بكفرهم مع جهلهم ، والشيخ رحمه الله يختار عدم
كفرهم ، ويفسقون عنده ، ونحوه قول الناظم : فانه قال : فسق الاعتقاد
كفسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويحرمون ما حرم
الله ، ويوجبون ما أوجب الله ، ولكن ينفون كثيراً مما أثبت الله ورسوله
جهلاً وتقليداً للشيوخ ، ويثبتون ما لم يثبت الله ورسوله كذلك ، وهؤلاء
كالخوارج المارقة ، وكثير من الروافض ، والقدرية ، والمعتزلة ، وكثير
من الجهمية الذين ليسوا غلاة التجهم . وأما غلاة الجهمية ، فكغلاة الرافضة ،
ليس للطائفتين في الاسلام نصيب ، ولذلك أخرجهم جماعة من السلف من
الثنتين وسبعين فرقة ، وقالوا : هم مباينون للملة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

والآخرون فأهل عجز عن بلو غ الحق مع قصد ومع ايمان
بالله ثم رسوله ولقائه وهم اذا ميزتهم ضربات
قوم دهاهم حسن ظنهم بما قالته أشياخ ذوو أسنان
وديانة في الناس لم يجدوا سوى أقوالهم فرضوا بها بأمان
لو يقدرون على الهدى لم يرتضوا بدلاً به من قائل البهتان
فأولاء معذورون ان لم يظلموا ويكفروا بالجهل والعدوان
والآخرون فطالبون الحق لكن صدم عن علمه شيثان
مع بحثهم ومصنفات قصدهم منها وصولهم الى العرفان
احداهما طلب الحقائق من سوى أبوابها متسوري الجدران
وسلوك طرق غير موصلة الى درك اليقين ومطلع الإيمان
فتشابهت تلك الأمور عليهم مثل اشتباه الطرق بالحيران
فترى أفاضلهم حيارى كلها في التيه يقرع ناجذ الندمان
ويقول قد كثرت علي الطرق لا أدري الطريق الأعظم السلطاني

بل كلها طرق مخوفات بها الـ آفات حاصلة بلا حساب
فالوقف غايته وآخر أمره من غير شك منه في الرحمن
أو دينه وكتابه ورسوله ولقائه وقيامه الأبدان
فأولاء بين الذنب والأجرين أو إحداهما أو واسع الغفران
فانظر إلى أحكامنا فيهم وقد جحدوا النصوص ومقتضى القرآن
وانظر إلى أحكامهم فينا لأجل خلافهم اذ قاده الوحيان
هل يستوي الحكمان عند الله أو عند الرسول وعند ذي الإيمان
الكفر حق الله ثم رسوله بالشرع يثبت لا بقول فلان
من كان رب العالمين وعبدته قد كفرناه فذاك ذو الكفران
فهل ويحكم نحاكمكم إلى النصين من وحي ومن قرآن
وهناك يعلم أي حزيننا على الكفران حقاً أو على الإيمان
فليهنكم تكفير من حكمت باسلام وإيمان له النصف
لكن غايته كفاية من سوى المعصوم غاية نوع ذا الإحسان
فيصير الأجرين أجراً واحداً إن فاته من أجله الكفلات
ان كان ذلك مكفر يأمة المعدوان من هذا على الإيمان
قد دار بين الأجر والأجرين والتكفير بالدعوى بلا برهان
كفرتم والله من شهد الرسول بأنه حقاً على الإيمان

ثنتان من قبل الرسول وخصلة من عندكم أفأنتما عدلان؟!

فصل

في تلاعب المكفرين لأهل السنة والإيمان بالدين كتلاعب الصيانيان

كم ذا التلاعب منكم بالدين والـإيمان مثل تلاعب الصيانيان
خسفت قلوبكم كما كسفت عـقولكم فلا تزكوا على القرآن
كم ذا تقولوا مجمل ومفصل وظواهر عزلت عن الإيقان
حتى اذا رأي الرجال أتاكم فاسمع لما يوحى بلا برهان
يقول الناظم رحمه الله : إنكم معاشر المخالفين للكتاب والنسة ، تلاعبتم
بالدين ، كتلاعب الصيانيان ، فاذا احتج أهل الاثبات بنصوص الوحيين تحيلتم
في ردها بأنواع الحيل ، فتارة بدعوة الاجمال ، وتارة بالتأويل ، وتارة
بقولكم : ظواهر لفظية لاتفيد اليقين ، ونحو ذلك ، فاذا جاءت آراء الرجال
نزلوها منزلة النصوص ، ثم ضرب لهم مثلاً بقوله :

مثل الخفافيش التي ان جاءها ضوء النهار ففي كوى الحيطان
عميت عن الشمس المنيرة لاتطيق هدايةً فيها الى الطيران
حتى إذا ما الليل جاء ظلامه جالت بظلمته بكل مكان
فترى الموحد حين يسمع قولهم ويراهم في محنة وهوان

وارحمته لعينه ولاذنه يامحنة العينين والأذنان

قوله : مثل الخفافيش الخ . قال في « القاموس » : خفاش كرمان :
الوطواط ، سمي لصغر عينيه ؛ وضعف بصره . وأما الكوى فقال في
« القاموس » : الكوة بفتح الكاف ويضم والكو : الخرق في العائط جمع كوى ،
وكواء ، وتكوى دخل مكاناً ضيقاً ، أي : إن هؤلاء المعطلة ، لضعف
بصائرهم ، مثل الخفافيش ، متى سمعوا نصوص الوحيين ، ورأوا نور الكتاب
والسنة ؛ لم تحملها بصائرهم لضعفها ، فإذا جاءت ظلمة آراء الرجال ، جالوا
بها واصلوا ، ولهذا قال الناظم : وارحمته لعينه ولاذنه ، أي : بما يرى ويسمع
من كثرة الآراء والهديان والشبه التي ما أنزل الله بها من سلطان . ولهذا
قال الناظم :

إن قال حقاً كفروه وإذ يقولوا باطلاً نسبه للآيمان
حتى إذا مرده عادوه مثل عداوة الشيطان للإنسان
قالوا له خالفت أقوال الشيوخ ولم يباليوا الخلف للفرقان
خالفت أقوال الشيوخ فأنتم خالفتم من جاء بالقرآن
خالفتم قول الرسول وإنما خالفت من جرّاه قول فلان

أي : إن قال المثبت بما دلت عليه نصوص الوحيين كفروه ، وإن قالوا
هم باطلاً نسبه للآيمان ، فإن رده المثبت عادوه مثل عداوة الشيطان للإنسان ،
يحتمل أن مراده بالشيطان والإنسان آدم وإبليس ، ويحتمل أن مراده
الجنس ، أي : عادوه مثل عداوة الشيطان لجنس بني آدم .

قوله : قالوا : خالفت أقوال الشيوخ ، أى : قالوا له : خالفت أقوال الشيوخ ، وهم قد خالفوا القرآن من غير مبالاة ، فيقول لهم المثبت : إن كنت خالفت أقوال الشيوخ ، فلم أخالفها الا لأجل من جاء بالقرآن .
قوله : من جراه بضم الجيم والمد . أى : من أجل الرسول ﷺ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياحبذا ذلك الخلاف فانه عين الوفاق لطاعة الرحمن
أوما علمت بأن أعداء الرسول ل عليه عابوا الخلف بالبهتان
لشيوخهم ولما عليه قد مضى أسلافهم في سالف الأزمان
مالعيب الا في خلاف النص لا رأي الرجال وفكرة الاذهان
أنتم تعيينون بهذا وهو من توفيقنا والفضل للنعنان
فليهنكم خلف النصوص ويهننا خلف الشيوخ أيستوي الخلفان
والله ماتسوى عقول جميع أهـل الأرض نصأصح ذاتيان
حتى نقدمها عليه معرضين مؤولين محرفي القرآن
والله ان النص فيما بيننا لأجل من آراء كل فلان
والله لم ينقم علينا منكم أبداً خلاف النص من انسان

أى : ينبغي لك أيها الناظر في هذا النظم أن تعلم أن أعداء الرسول عابوا عليه ، خلاف آباءهم وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . ومن معائبهم للرسول ﷺ أنهم يقولون له : ضلت آباءنا ، فيقول الناظم : مالعيب الا في خلاف النص ، وأما خلاف آراء الرجال المخالفة للنصوص ، فهو

عين الوفاء لطاعة الرحمن ، ولهذا قال متهمكم بهم : فليهنكم خلف النصوص
ويهننا الخ . ثم قال : والله لم ينقم علينا منكم أبداً خلاف النص من إنسان ،
أي : والله ما نقمتم علينا مرة واحدة خلاف النص ، وإنما خلاف الأشعري ،
وأشار الى ذلك بقوله :

الإخلاف الأشعري بزعمكم وكذبتهم أنتم على الإنسان
كفرتم من قال من قد قاله في كتبه حقاً بلا كتمان
هذا وخالفناه في القرآن مثلاً خلافكم في الفوق للرحمن
فالأشعري مصر بالاستواء وبالعلو بغاية التبيان
ومصرح أيضاً باثبات اليديين ووجه رب العرش ذي السلطان
ومصرح أيضاً بأن لربنا سبحانه عينان ناظرتان
ومصرح أيضاً باثبات النزول لربنا نحو الرفيع الداني
ومصرح أيضاً باثبات الأسماء بع مثل ما قد قال ذو البرهان
ومصرح أيضاً بأن الله يورم الحشر يبصره أولو الايمان
جهرأ يرون الله فوق سمائه رؤيا العيان كما يرى القمران
ومصرح أيضاً باثبات المجيء وأنه يأتي بلا نكران
ومصرح بفساد قول مؤول للاستواء بقهر ذي السلطان
ومصرح أن الألى قالوا بهذا التأويل أهل ضلالة ببيان
ومصرح أن الذي قد قاله أهل الحديث وعسكر القرآن

هو قوله يلقي عليه ربه وبه يدين الله كل أوان

قال أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف
المصلين ومقالات الاسلاميين وذكر فيه فرق الروافض والخوارج والمرجئة
والمعتزلة وغيرهم ، ثم قال مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث : جملة قول
أصحاب الحديث ، وأهل السنة ، الاقرار بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ،
وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا يردون شيئاً من
ذلك ، وأن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا
ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن
الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله على عرشه ،
كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وأن له يدين ، بلا كيف ،
كما قال (خلقت بيدي) ص : ٧٥ وكما قال : (بل يدها مبسوطتان) المائدة :
٦٤ وأن له عينين بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا) القمر : ١٤ وأن له
وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧
وأن اسماء الله لا يقال : إنها غير الله ، كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا
أن الله علماً كما قال (أنزله بعلمه) وكما قال (وما تحمل من أنثى ولا تضع
الا بعلمه) فاطر : ١١ وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما
نفته المعتزلة ، وأثبتوا الله القوة ، كما قال (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو
أشد منهم قوة) فصلت : ١٥ وذكر مذهبهم في القدر . . . الى أن قال :
ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في اللفظ والوقف ، من
قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال : اللفظ بالقرآن مخلوق ،
ولا يقال : غير مخلوق ، ويقولون أن الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى

القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ، ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون ،
وذكر قولهم في الاسلام ، والإيمان ، والحوض ، والشفاعة ، وأشياء
إلى أن قال : ويقرون بأن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ولا يقولون :
مخلوق ، ولا غير مخلوق ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبراء بالنار . .
إلى أن قال : وينكرون الجدل والمرء في الدين ، والحصومة ، والمنظرة
فيما يتناظر فيه أهل الجدل ، ويتنازعون فيه من دينهم ، ويسلمون الروايات
الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي جاء بها الثقات ، عدلاً عن عدل ، حتى
ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ ، لا يقولون (كيف) ولا (لم) لأن ذلك
بدعة . . . إلى أن قال : ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء
ربك والملك صفاً صفاً) وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال :
(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) . . . إلى أن قال : ويرون مجانبة كل
داع إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه ،
مع الاستكانة ، والتواضع ، وحسن الخلق ، مع بذل المعروف ، وكف
الأذى . وترك الغيبة ، والنسيمة ، والسعاية ، وتفقد المال كل والمشارب .
قال : فهذه جملة ما يؤمرون به ، ويستسلمون إليه ، ويرونه ، وبكل ما ذكرنا
من قولهم نقول ، وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله ، وهو المستعان .
وقال الأشعري أيضاً في اختلاف أهل القبلة في العرش : قال أهل السنة
وأصحاب الحديث : ليس بجسم ، ولا يشبه الأشياء ، وأنه استوى على العرش ،
كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : هـ ولا يتقدم بين يدي الله في
القول ، بل نقول : استوى بلا كيف . وأنه له وجهاً ، كما قال (ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمن : ٢٧ وأن له يدين ، كما قال
(خلقت يدي) ص : ٧٥ وأن له عينين ، كما قال (تجري بأعيننا) البقرة : ١٤

وأنه يجيء يوم القيامة وملائكته ، كما قال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)
الفجر : ٢٢ وأنه ينزل الى سماء الدنيا ، كما جاء في الحديث ، ولم يقولوا
شيئاً الا ما وجدوه في الكتاب ، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ .
وقالت المعتزلة : إن الله استوى على العرش ، بمعنى استولى ، وذكر مقالات
أخرى . وقال أيضاً أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه « الإبانة في
أصول الديانة » : وقد ذكر أصحابه آخر كتاب صنفه ، وعليه يعتمدون
في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال : فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة .
فإن قال قائل : قد أنكروا قول المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والحرورية
والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها
تدينون ؟ قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك
بكتاب ربنا ، وسنة نبينا ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث
ونحن بذلك معتمدون ، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله
وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون ، ولما خالف قوله مجانبون ،
لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ، ودفع به
الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيع الزائغين ،
وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ،
وكبير مفهم .

وجملة قولنا أنا نقر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاؤوا به من
عند الله ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا نرد من

ذلك شيئاً ، ون الله واحد ، لاله إلا هو ، فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا
ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، وأن الجنة
حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من
في القبور ، وأن الله مستو على عرشه ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى)
طه : ٥ وأن له وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)
الرحمن : ٢٧ وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : (خلقت يدي) ص : ٧٥
وكما قال : (بل يدها مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وأن له عينين بلا كيف ،
كما قال : (تجري بأعيننا) القمر : ١٤ ومن زعم أن أسماء الله غيره ، كان
ضالاً ، وذكر نحواً مما ذكر في الفرق . . . إلى أن قال : ونقول : إن
الاسلام أوسع من الايمان ، وليس كل اسلام إيماناً ، وندين بأن الله يقرب
القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، يضع السموات على أصبع ،
والأرضين على أصبع ، كما جاءت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم . . . إلى
أن قال : وأن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ونسلم للروايات الصحيحة
عن النبي صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات ، عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي
إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . . . إلى أن قال : ونصدق بجميع الروايات التي
يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول :
هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ وسائر ما نقلوه وأثبتوه ، خلافاً لما قال
أهل الزيغ والتضليل . ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا ، وسنة نبينا ،
واجماع المسلمين ، وما كان في معناه ، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا
به ، ولا نقول على الله ما لا نعلم ، ونقول : إن الله يجيء يوم القيامة ، كما
قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وأن الله يقرب من

عباده كيف شاء ، كما قال : (ونحن أقرب اليه من جبل الوريد) ق : ١٦ :
وكما قال : (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) النجم : ٨ ، ٩ ،
إلى أن قال : وسنحتج لما ذكرناه من قولنا ، وما بقي مما لم نذكره باباً باباً ،
ثم نتكلم على أن الله يرى ، واستدل على ذلك ، ثم تكلم على أن القرآن
غير مخلوق ، واستدل على ذلك ، ثم تكلم على من وقف في القرآن ،
وقال : لا أقول : إنه مخلوق ، ولا غير مخلوق ، ورد عليه ، ثم قال : باب
ذكر الاستواء على العرش ، فقال : إن قال قائل : ماتقولون في الاستواء؟
قلنا له : نقول : إن الله مستو على عرشه . كما قال : (الرحمن على العرش
استوى) طه : ٥ وقد قال الله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه) فاطر : ١٠ وقال : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ وقال : (يدبر
الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه) السجدة : ٥ وقال حكاية عن
فرعون (ياها مان ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع
الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ كذب موسى في
قوله : إن الله فوق السموات ، وقال : (أأمنتم من في السماء أن يخسف
بكم الأرض) الملك : ١٦ فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق
السموات قال : (أأمنتم من في السماء) لأنه مستو على عرشه الذي هو
فوق السموات ، وكل ما علا فهو سماء ، فالعرش أعلى السموات ، وليس
إذا قال : (أأمنتم من في السماء) يعني جميع السماء ، وإنما أراد العرش الذي
هو أعلى السموات . ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال : (وجعل
القمر فيهن نوراً) نوح : ١٦ فلم يرد أن القمر يلاهن ، وأنه فيهن جميعاً ،
ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله على العرش

الذي فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش ، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحيطونها إذا دعوا إلى الأرض ، ثم ذكر رحمه الله فضلاً رد ، فيه على من تأول الاستواء بالاستيلاء من الجهمية ، والمعتزلة أبلغ رد ، واستدل على ذلك بأدلة من الكتاب ، والسنة ، والاجماع والعقل . وقد تقدم ذلك ، وهذا الذي ذكرناه من كلام أبي الحسن الأشعري ، هو مضمون ما ذكره الناظم عنه .

قلت : ومن العجب أن المنتمين إلى الامام أبي الحسن الأشعري ، مع شدة تعظيمهم له ، قد خالفوه في أكثر مذاهب إليه وخالف فيه المعتزلة ، فانه في بدايته وأول أمره كان معتزلياً ، ودرس الكلام على أبي علي الجبائي أربعين سنة ، ثم لما بين الله له الحق رجع عن الاعتزال ، وناشد المعتزلة ، ورد عليهم أبلغ الرد ، وصار متكلماً للسنة ، بل هو كما قيل فيه : إنه حجز المعتزلة في قمع السمسة ، ثم قد خالفوه في أكثر ما رجع عنه ، ورجعوا إلى مذهب المعتزلة ، فتأولوا الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالنعمة أو القدرة ، والنزول بنزول الأمر والملائكة ، والمجيء بجيء الأمر والملائكة ، والرضى بالاثابة ، والغضب بالانتقام ، والرحمة بالانعام ، أو ارادة الانعام ، بل لعلمهم زادوا على المعتزلة في التأويلات الباطلة ، والتمجلات العاطلة ، فنعوذ بالله من موجبات غضبه .

وقول الناظم : هذا وخالفناه في القرآن النخ . أي : خالفناه في قوله : إن كلام الله تعالى هو المعنى النفسي ، وإن القرآن عبارة عن ذلك المعنى ، كما خالفتموه في الاستواء ، والعلو ، واثبات الصفات الخبرية ، فلم كان خلافنا له كفراً ، وخلافكم له إيماناً ؟ ! وخالفتم النصوص أيضاً ، ونحن خالفنا آراء جهنم ذي البهتان .

ثم أقسم الناظم : والله ما لكم جواب غير تكفير الخ أي : ليس لكم جواب غير تكفيرنا بلا علم . ثم قال منتهكما : أستغفر الله العظيم الخ . أي : لكم جواب آخر وهو الشكوى إلى السلطان بغير علم ولا برهان . قوله ، والله لا للأشعري تبعتم الخ . أي : إنهم لم يتبعوا الأشعري ، ولا النصوص ، ولكنهم وافقوا المعتزلة في أكثر ما ذهبوا إليه . كما تقدم ذلك ، والله تعالى أعلم .

قال الناظم :

لكنه قد قال إن كلامه معنى يقوم بربنا الرحمن
في القول خالفناه نحن وأنتم في الفوق والأوصاف للديان
لو كان نفس خلافنا كفرأ وكا زخلافكم هو مقتضى الايمان
هذا وخالفتم لنص حين خا لفنا لرأي الجهم ذي البهتان
والله ما لكم جواب غير تكفير بلا علم ولا ايقان
أستغفر الله العظيم لكم جواب غير ذي الشكوى إلى السلطان
فهو الجواب لديكم ونحن من تظرون منكم يا أولي البرهان
والله لا للأشعري تبعتم كلا ولا للنص بالاحسان
يا قوم فانتبهوا لأنفسكم وخيلوا الجهل والدعوى بلا برهان
ما في الرياسة بالجهم الة غير ضحكة عاقل منكم مدى الأزمان
لا ترتضوا برياسة البقر التي رؤسأؤها من جملة الثيران
لما ذكر الناظم رحمه الله أن النفذة لم يتقموا علينا والله الحمد أنا خالفنا

النصوص ، وانما تقدموا علينا مخالفة الأشعري ، أخذ يبين كذب هذه الدعوى ، ويوضح أنهم خالفوه أعظم المخالفة ، فانه رحمه الله قد صرح باثبات الاستواء والعلو ، واثبات اليدين ، والوجه ، والعينين ، والنزول الى سماء الدنيا ، والأصابع ، وصرح باثبات رؤية الله تعالى بالابصار يوم القيامة ، وصرح باثبات المجيء ، وصرح بفساد قول أهل التأويل للاستواء بالقهر ، وصرح باثبات الصفات الجبرية ، وصرح بأنه يقول بجميع ما قاله أهل الحديث ، كما تقدم نقل ذلك عنه ، ولكن نحن قد خالفناه في قوله بالكلام النفسي وأنتم معاشر النفاة خالفتموه في الفوق ، واثبات الصفات ، فلاي شيء كان خلافنا له كقرآ ، وخلافكم له إيماناً؟! ومع خلافكم له ، فقد خالفتم النصوص القطعية ، ونحن خالفناه في ذلك لأنه خلاف المنقول الصحيح ، والمعقول الصريح . ثم أقسم الناظم : أنه لاجواب لهم إلا التكفير بغير علم ولا حجة ، ثم استثنى أن لهم جواباً آخر ، وهو شكاية مخالفيهم الى السلطان اذا غلبهم بالحجة والبرهان ، ومع هذا قد خالفوا النصوص وخالفوا الأشعري ، فحاصل كلامهم كثرة الدعاوى بلا برهان ، وتكفير أهل العلم والايان ، نعوذ بالله من الخذلان .

فصل

في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ وخاصته ولا يبغيض الانصار
رجل يؤمن بالله واليوم الآخر

يا مبعضاً أهل الحديث وشاتماً أبشر بعقد ولاية الشيطان
أو ما علمت بأنهم أنصار دين الله والايان والقرآن؟!
أو ما علمت بأن أنصار الرسول لهم بلاشك ولا نكران؟!
هل يبغيض الأنصار عبد مؤمن أو مدرك لروائح الايمان؟!
شهد الرسول بذلك وهي شهادة من أصدق الثقلين بالبرهان
أو ما علمت بأن خزرج دينه والأوس هم أبدأ بكل زمان؟!
ما ذنبهم إذ خالفوك لقوله ما خالفوه لأجل قول فلان
لو وافقوك وخالفوه كنت تشهد أنهم حقاً أولو الايمان
لما تحيزتم الى الأشياخ وانحازوا الى المبعوث بالقرآن
نسبوا اليه دون كل مقالة أو حالة أو قائل ومكان
هذا انتساب أولي التفرق نسبة من أربع معلومة التبيان

قوله نسبة من أربع الخ. وهي النسب المعروفة وهي المائلة والموافقة

فلذا غضبتم حينئذ انتسبوا إلى غير الرسول بنسبة الاحسان
فوضعتم لهم من الألقاب ما تستقبحون وذا من العدوان
تقدمت الألقاب التي وضعوها لأهل الحديث ومعانيها .

هم يشهدونكم على بطلانها أفتشهدونهم على البطالات؟!
ما ضرهم والله بغضكم لهم إذ وافقوا حقاً رضى الرحمن
يا من يعاديهم لأجل ما كل ومناصب ورياسة الاخوان
تهنيك هاتيك العداوة كم بها من حسرة ومذلة وهوان
ولسوف تجني غيها والله عن قرب وتذكر صدق ذي الايمان
فاذا تقطعت الوسائل وانتهت تلك المآكل في سريع زمان
فهنالك تفرع سن ندمان على التفريط وقت السير والامكان
وهناك تعلم ما بضاعتك التي حصلتها في سالف الأزمان
إلا الوبال عليك والحسرات والـ خسران عند الوضع في الميزان
قيل وقال ماله من حاصل الا العناء وكل ذي الأذمان

(١) وعلى هامش الأصل : الظاهر ان النسب الاربع هي ما أشار اليه الناظم بقوله:

نسبو اليه ، يعني إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون الانتساب الى مذهب أو غيره من
الأربع المذكورات في البيت والله أعلم . قال ذلك شيخنا عبد الله بن عبد العزيز العنقري
عفا الله عنه .

والله ما يجدي عليك هناك إلاّ ذا الذي جاءت به الوحيان
والله ما ينجيك من سجن الجحيم سوى الحديث ومحكم القرآن
والله ليس الناس إلاّ أهله وسواهم من جملة الحيوان
ولسوف تذكر برذي الإيمان عن قرب وتقرع ناجذ الندمان
رفعوا به رأساً ولم يرفع به أهل الكلام ومنطق اليونان
فهم كما قال الرسول ممثلاً بالماء مهبطه على القيعان
لا الماء يمسكه ولا كلابها يرعاه ذوكب من الحيوان

يشير الى الحديث الذي في الصحيح من حديث أبي موسى عن النبي
ﷺ أنه قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب
أرضاً ، فكان منها طائفة قبلت الماء ، فأنبتت الكأ والعشب الكثير ،
وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء ، فسقى الناس وزرعوا ، وأصاب
منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً ، فذلك مثل
من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم
يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

هذا إذا لم تحرق الزرع الذي بجوارها بالنار أو بدخان
والجاهلون بذوا وهذا هم زوان الزرع أي والله شرزواني
وهم لدا غرس الاله كمثل غرس الدلب بين مغارس الرمان

قوله : زوان . قال في « القاموس » الزوان : الذي يخالط البر .

قوله : الدلب . قال في « القاموس » : الدلب بالضم : الصغار

واحدته بهاء ، وأرض مدلبة : كثيرة . وفي « مختار الصحاح » : الدلب :
شجر ، الواحدة دلبة .

يمتص ماء الزرع مع تضييقه أبدأ عليه وليس ذا قنوان
ذا حالهم مع حال أهل العلم أنصار الرسول فوارس الايمان
فعليه من قبل الاله تحية والله يبقيه مدى الأزمان
لولاه ماسقي الغراس فوق ذا لك الماء للارباب العظيم الشأن
فالغرس دلب كاه وهو الذي يسقى ويحفظ عند أهل زمان
فالغرس في تلك الحضارة شارب فضل المياه مصاوة البستان
لكنما البلوى من الخطاب قبطاع الغراس وعافر الحيطان
بالفوس يضرب في أصول الغرس كي يجتثها ويظن ذا إحسان
ويظل يحلف كاذباً لم اعتمد في ذا سوى التثيت للعيدان
ياخيبة البستان من حطابه ما بعد ذا الخطاب من بستان
في قلبه غل على البستان فهـ و موكل بالقطع كل أوان
فالجاهلون شرار أهل الحق والـ علماء سادتهم أولو الاحسان
والجاهلون خيار أحزاب الضلال وشيعة الكفران والشيطان
وشرارهم علماءؤهم هم شر خلق الله آفة هذه الأكوان
يشير الى الحديث الذي ورد « علماءؤهم شر من تحت أديم السماء ، منهم
خرجت الفتنة ، وفيهم تعود »

فصل

في تعيين الهجرة من الآراء والبدع الى سنته كما كانت فرضاً من الامصار الى بلده عليه السلام

ياقوم فرض الهجرتين بحاله والله لم ينسخ الى ذا الآن والهجرة الاولى الى الرحمن بالاخلاص في سر وفي إعلان حتى يكون القصد وجه الله بالاقوال والأعمال والإيمان ويكون كل الدين للرحمن ما لسواه شيء فيه من انسان والحب والبغض اللذان هما لكل ولاية وعداوة أصلان لله أيضاً هكذا الاعطاء والمنع اللذان عليهما يقفان والله هذا شطر دين الله والتحكيم للمختار شطر ثان وكلاهما الإحسان لن يتقبل الرحمن من سعي بلا إحسان والهجرة الأخرى الى المبعوث بالاسلام والايمان والاحسان ذكر الناظم رحمه الله في هذه الآيات أن فرض الهجرتين باق لم ينسخ، فالهجرة الاولى الى الله تعالى، وذلك بالاخلاص له في السر والعلن، وأن يكون القصد وجه الله بالاقوال والأعمال والايمان، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون الحب والبغض لله تعالى، وكذلك الإعطاء والمنع، وهذا شطر الدين، وشطره الثاني تحكيم المختار صلى الله عليه وسلم، كما قال الناظم: والهجرة

الثانية هي الهجرة الى الرسول ﷺ ، باتباعه في الدق والجل ، ورد ما تنازع الناس فيه إلى سنته ، ورد كل قول لقوله .

أترون هذي هجرة الابدان لا والله بل هي هجرة الايمان
قطع المسافة بالقلوب اليه في درك الأصول مع الفروع فذان
ابداً إليه حكمها لا غيره فالحكم ما حكمت به النضان
يا هجرة طالت مسافتها على من خص بالحرمان والحذلان
يا هجرة طالت مسافتها على كسلان منخوب الفؤاد جهان
قال في « القاموس » : رجل نخب ، ونخب ، ونخبة ، ونخب ، كهجف ،
ومنتخب ، ومنخوب ، ونخب ، ونخب : جبان ، جمع نخب . انتهى .

يا هجرة والعبد فوق فراشه سبق السعادة لمنزل الرضوان
ساروا أحث السير وهو فسيه سير الدلال وليس بالذملان
قوله : الدلال . قال في « القاموس » : أدل عليه : انبسط ، كتدل .
قوله : الذملان محرقة : هو السير اللين .

قال في « القاموس » العلم محرقة : الجبل الطويل ، أو عام ، جمع
أعلام ، وعلام . انتهى . وقاع ، وأرض وقية ، لا تكاد تنشف الماء ، قاله
في « القاموس » .

رفعت له أعلام هاتيك النصو صر رؤوسها شابت من النيران
نار هي النور المبين ولم يكن ليراه إلا من له عينان

مكحولتان بمروءة الوحيين لا بمراود الآراء والهديان
فلذاك شمر نحوها لم يلتفت لا عن شمائله ولا أيمان
ياقوم لو هاجرتم لرأيتم أعلام طيبة رؤية بعيان
ورأيتم ذاك اللواء وتحتة الـرسـل الكرام وعسكر القرآن
أصحاب بدر والألى قد بايعوا أزكى البرية ببيعة الرضوان
وكذا المهاجرة الألى سبقوا كذا الأنصار أهل الدار والايان
والتابعون لهم باحسان وسا لك هديهم أبداً بكل زمان
لكن رضيتم بالاماني وابتليتـم بالحظوظ ونصرة الاخوان
بل غركم ذاك الغرور وسولت لكم النفوس وساوس الشيطان
ونبذتم غسل النصوص وراءكم وقنعتم بقطارة الأذهان
قال في « القاموس » القطارة بالضم: ما قطر من الشيء ، والقليل من الماء

وتركتهم الوحيين زهداً فيهما ورغبتهم في رأي كل فلان
وعزلتـم النصين عما وليا للحكم فيه عزل ذي عدوان
وزعمتم ان ليس يحكم بيننا الا العقول ومنطق اليونان
فهما بحكم الحق أولى منهما سبحانك اللهم ذا السبحان
حتى اذا انكشف الغطاء وحصلت أعمال هذا الخلق في الميزان
واذا انجلي هذا الغبار وصار ميدان السباق تناله العينان

وبدت على تلك الوجوه سماتها وسم المليك القادر الديان
مبيضة مثل الرياض بجنة والسود مثل الفحم للنيران

معنى هذه الأبيات أنكم معاشر النفاة لما تركتم الوحيين ، وهما الكتاب
والسنة ، وعزلتم النصين ، وزعمتم أن ليس يحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه
إلا العقول والمنطق ، فإذا انكشف الغطاء ، وذلك يوم القيامة ، وحصلت
أعمال الناس ، وانجلي الغبار ، وصار ميدان السباق ، وبدت على الوجوه
سماتها ، أي علاماتها ، وصارت وجوه مبيضة في الجنة ، ووجوه مسودة في
النار ؛ عرفتم حاصلكم ومحصولكم ، ورأيتم ما أوجبه لكم أصولكم .

فهنالك يعلم راكب ما تحته وهناك يقرع ناجذ الندمان

وهناك تعلم كل نفس ما الذي معها من الأرباح والخسائر

وهناك يعلم مؤثر الآراء والشطحات والهديان والبطلان

أي البضائع قد أضعاع وما الذي منها تعوض في الزمان الفاني

قوله : فهنالك يعلم راكب النخ أي : إذا انجلي الغبار ، عرف راكب
ما تحته ، أفرس أم حمار ؟ وهناك يقرع الندمان ناجذ الندم وهناك تعلم نفس
ما الذي معها من الربح والخسائر ، وهناك يعلم مؤثر شطحات الصوفية
وآراء المتكلمين وهذيانهم وأباطيلهم على الكتاب والسنة أنه فاته أعظم بضاعة ،
وأنه تعوض أخسر بضاعة ، وأخس نصيب ، وأنه فاته أعظم الربح ، نعوذ
بالله من موجبات غضبه .

سبحان رب الخلق قاسم فضله والعدل بين الناس في الميزان

لو شاء كان الناس شيئاً واحداً ما فيهم من تائه حيران

لكنه سبحانه يختص بالـ فضل العظيم خلاصة الانسان
وسواهم لا يصلحون لصالح كالشوك فهو عمارة النيران
وعمارة الجنات هم أهل الهدى الله أكبر ليس يستويان
فصل الهداية من أزمة أمرنا بيديه مسألة الدليل العاني
قوله : لو شاء كان الناس شيئاً واحداً الخ . هذا كما قال تعالى : (ولو
شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ...) هود : ١١٨
الآية ، ولكنه سبحانه يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله ، كما
قال تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)
يونس : ٢٥ فعم بالدعوة ، وخص بالهداية

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعد له أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع
قال الناظم :

وسل العياذ من اثنتين هما اللتا ن بهلك هذا الخلق كافتان
شرالنفوس وسيء الأعمال ما والله أعظم منهما شران
ولقد أتى هذا التعوذ منهما في خطبة المبعوث بالقرآن
يشير إلى خطبة الحاجة : وهي ما روى ابن مسعود قال : علمنا رسول
الله ﷺ خطبة الحاجة « الحمد لله نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا
هادي له ، وأشهد ان لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ... »

الحديث رواه أهل السنن الأربعة . وقال الترمذي ، حديث حسن .

لو كان يدري العبد أن مصابه في هذه الدنيا هو الشرائع
جعل التعمود منهم ديدانه حتى نراه داخل الأكفان
وسل العياذ من التكبر والهوى فهما لكل الشر جامعات
وهما يصدان الفتى عن كل طر ق الخير إذ في قلبه يلجان
فتراه يمنع هواه تارة والكبر أخرى ثم يشتركان
والله ما في النار إلا تابع هذين فاسأل ساكني النيران
والله لو جردت نفسك منها لأنت اليك وفود كل تهان

فصل

في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين .

والفرق بين الدعوتين فظاهر جداً لمن كانت له أذنان
فرق مبين ظاهر لا يختفي ايضاحه إلا على العميان
فالرسل جاؤونا باثبات العدا— ولربنا من فوق كل مكان
وكذا أتونا بالصفات لربنا الرحمن تفصيلاً بكل بيان
وكذلك قالوا إنه متكلم ولامه المسموع بالأذان

وكذلك قالوا انه سبحانه المرئي يوم لقائه بعيان
وكذلك قالوا إنه الفعال حقا كل يوم ربنا في شان
وأيتيمونا أنتم بالنفي والتعيطل بل بشهادة الكفران
للمشبتين صفاته وعلوه ونداءه في عرف كل لسان
شهدوا بايمان المقر بأنه فوق السماء مابين الأكوان
وشهدتم أنتم بتكفير الذي قد قال ذلك يا أولي العدوان
وأتى بأين الله إقراراً ونطقاً قلمت هذا من البهتان
فسؤالنا بالالين مثل سؤالنا ما الكون عندكم هما شيئان؟
وكذا أتونا بالبيان فقلتم باللغز أين اللغز من تبيان
إذ كان مدلول الكلام ووضعها لم يقصدوه بنطقهم بلسان
والقصد منهم غير مفهوم به ما اللغز عند الناس الا اذان
ياقوم رسل الله أعرف منكم وأتم نصحاً في كمال بيان
أترونهم قد ألغزوا التوحيد إذ يينتموه يا أولي العرفان؟
أترونهم قد أظروا التشبيه وهو—ولديكم كعبادة الأوثان
مضمون ما ذكره الناظم في هذه الأبيات ، هو اثبات الفرق بين دعوة
المرسلين ، ودعوة المعطلين ، وذلك أن الرسل جاؤوا باثبات العلو والفوقية

وابتات الصفات تفصيلاً ، وأنه سبحانه متكلم بكلام مسموع ، وأنه سبحانه يرى يوم القيامة رؤية العيان ، وأنه الفعّال سبحانه ، وأنه كل يوم في شأن . وأما المعطلون فأتوا بالنفي والتعطيل ، بل شهدوا بالكفر لمثبي علوه سبحانه فوق عباده بائناً عن المخلوقات ، أتروهم أيها المعطلة قد ألغزوا التوحيد وبينتموه أنتم ؟ أو أنهم أظهروا التشبيه بزعمكم والعياذ بالله

ولأي شيء لم يقولوا مثل ما قد قلمتموا في ربنا الرحمن؟

ولأي شيء صرحوا بخلافه تصريح تفصيل بلاكتان؟

ولأي شيء بالغوا بالوصف بالاثبات دون النفي كل زمان

ولأي شيء أنتم بالغتم في النفي والتعطيل بالقفزان

فجعلتم نفي الصفات مفصلاً تفصيل نفي العيب والنقصان

وجعلتم الاثبات أمراً مجملاً عكس الذي قالوه بالبرهان

أي ما بال الرسل أيها المعطلة لم يقولوا مثل ما قلمتم في الله تعالى ؟ بل صرحوا دائماً بخلافه تصريحاً على التفصيل بغير كتان ، وأما أنتم فبالغتم في النفي والتعطيل بالقفزان . القفيز : مكيال ثمانية مكايك ، ومن الأرض قدر مائة وأربعة وأربعين ذراعاً ، جمع أقفزة ، وقفزان ، قاله في « القاموس » فجمتم بنفي مفصل ، واثبات مجمل . وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فجاءوا باثبات مفصل ، ونفي مجمل ، ولهذا قال :

أتراهم عجزوا عن التبيان واستوليتم أنتم على التبيان؟

أترون أفراخ اليهود وأمة التعطيل والعباد للنيران

ووقاح أرباب الكلام الباطل المذموم عند أئمة الايمان
من كل جهمي ومعتزل ومن والاهما من حزب جنكسخان
بالله أعلم من جميع الرسل والتوراة والانجيل والقرآن
أي أترى الرسل عليهم الصلاة والسلام عجزوا عن التبيان ، واستوليت
أيها المعطلة عليه ؟ أم هل ترون أفراخ اليهود ، والمعطلة ، وأبناء الجوس
عباد النيران ، وأوقاح أهل الكلام وغيرهم من الجهمية والمعتزلة ومن والاهم
من حزب جنكسخان أعلم بالله من جميع الرسل والتوراة والانجيل والقرآن؟!
ثم قال رحمه الله تعالى :

فسلوهم بسؤال كتبهم التي جاؤوا بها عن علم هذا الشأن
وسلوهم هل ربكم في أرضه أو في السماء وفوق كل مكان؟
أم ليس من ذا كله شيء فلا هو داخل أو خارج الاكوان
فالعلم والتبيان والنصح الذي فيهم يبين الحق كل بيان
لكنما الألغاز والتليس والكتمان فعل معلم الشيطان

فصل

في شكوك أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفة لهما الى الرحمن

لما كان أهل التعطيل يشكون أهل الحديث والسنة الى السلاطين ،

ویرمونهم بالعظام والبهت ، قابلهم أهل السنة بالشكایة الى الرحمن سبحانه .
یارب هم يشكوننا أبدأ ببغـيهم وظلمهم إلى السلطان
ويلبسون عليه حتى أنه ليظنهم هم ناصروا الايمان
فيرونه البدع المضلة في قوا لب سنة نبوية وقران
ويرونه الاثبات للأوصاف في أمر شنيع ظاهر النكران
فيلبسون عليه تليسين لو كشفنا له باداهم بطعان
يافرقة التليس لا حيثهم أبدأ وحيثهم بكل هوان
لكننا نشكوهم وصنيعهم ابدأ اليك فأنت ذو السلطان
فاسمع شكائتنا وأشك محقنا والمبطل اردده عن البطلان
أشك بقطع الهمة .

راجع به سبل الهدى والطف به حتى تریه الحق ذا تديان
وارحمه وارحم سعيه المسكين قد ضل الطريق وتاه في القيعان
يارب قد عم المصاب بهذه الـ آراء والشحطات والبهتان
هجروا لها الوحين والفطرات والـ آثار لم يعبوا بذا الهجران
قالوا وتلك ظواهر لفضية لم تغن شيئاً طالب البرهان
فالعقل أولى أن يصار اليه من هذي الظواهر عند ذي العرفان
ثم ادعى كل بأن العقل ما قد قلته دون الفريق الثاني

يارب قد حار العباد بعقل من يزنون وحيك فأت بالميزان
وبعقل من يقضي عليك فكلمهم قد جاء بالمعقول والبرهان
يارب أرشدنا إلى معقول من يقع التحاكم أننا خصمان

هذا كما قال شيخ الاسلام في « الحموية » : ثم المخالفون للكتاب والسنة
في أمر مريب ، فان من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها ، وأنه مضطر
فيها إلى التأويل ، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة ، وأن يكون كلامه غير
مخلوق ، ونحو ذلك ، يقول : إن العقل أحال ذلك ، فاضطر إلى التأويل ،
بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة ،
يزعم أن العقل أحال ذلك ، وأنه مضطر إلى التأويل ، ومن زعم أن الله
ليس فوق العرش ، يزعم أن العقل أحال ذلك ، وأنه مضطر إلى التأويل ،
ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة
فيما يحيله العقل ، بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب ما يدعي الآخر
أن العقل أحاله ، فيأيت شعري ، بأي عقل يوزن الكتاب والسنة ؟ فرضي
الله عن مالك بن أنس الامام حيث قال : أو كلما جاءنا رجل أجدل من
رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء ؟! انتهى قوله .

جاؤوا بشبهات وقالوا إنها معقولة بداية الأذهان
كل يناقض بعضه بعضاً وما في الحق معقولان مختلفان
وقضوا بها كذباً عليك وجرأة منهم وما التفقوا إلى القرآن
يارب قد أوهى النفاة حبائل القرآن والآثار والايمان
يارب قد قلب النفاة الدين والايمان ظهرا منه فوق بطان

يارب قد بغت النفاة وأجابوا بالخيل والرجل الحقير الشان
نصبوا الحبائل والغوائل للألى أخذوا بوحيك دون قول فلان
ودعوا عبادك أزيطيعوهم فمن يعصيهم ساهوه شر هوان
وقضوا على من لم يقل بضلاهم باللعن والتضليل والكفران
وقضوا على أتباع وحيك بالذي هم أمه له لاعسكر الفرقان
وقضوا بعزلهم وقتلهم وحبسهم ونفيهم عن الأوطان
وتلاعبوا بالدين مثل تلاعب السحمر التي نفرت بلا ارسان
حتى كأنهم تواصلوا بينهم يوصي بذلك أول للثاني
هجروا كلامك هجره مبتدع لمن قد دان بالآثار والقرآن
فكأنه فيما لديهم مصحف في بيت زنديق أخي كفران
أو مسجد بجوار قوم همهم في الفسق لا في طاعة الرحمن
وخواصهم لم يقرؤوه تدبرا بل للتبرك لالفهم معان
وعوامهم في السبع أو في ختمه أو تربة عوضاً لذي الاثمان
هذا وهم حرفية التجويد أو صوتية الأنغام والالخان
يارب قد قالوا بأن مصاحف الاسلام ما فيها من القرآن
إلا المداد وهذه الأوراق والجلد الذي قد سل من حيوان

هذا كما حكى الحافظ أبو محمد بن حزم في كتاب « الملل والنحل » قال:
ولقد أخبرني علي بن حمزة المرادي الصقلي الصوفي أنه رأى بعض الأشعرية

ينطح المصحف برجله . قال : فأكبرت ذلك وقلت له : ويحك تفعل هذا الفعل بالمصحف وفيه كلام الله عز وجل؟! فقال لي : ويحك والله ما فيه الا السخام والسواد . وأما كلام الله تعالى فلا ، أو كلاماً هذا معناه . قال أبو محمد : وكتب إلي بو المرجى علي بن زوار المصري رحمه الله تعالى أن بعض ثقات إخوانه من طلاب السنن أخبره أن رجلاً من الأشعرية قال له مشافهة على من يقول : ان الله تعالى قال : (قل هو الله احد . الله الصمد) ألف لعنة . قال أبو محمد : بل على من ينكر أن الله تعالى قالها ألف لعنة وعلى من ينكر أنه يسمع كلام الله عز وجل ويقرأ كلام الله عز وجل ألف لعنة تتروى عليه من عند الله عز وجل ، ثم من ملأ كتبه ، وأنبأته ، وجميع الصالحين من الانس والجن ، فان قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل ، ومخالفة القرآن ، وتكذيب رسول الله ﷺ ، ومضادة جميع أهل الاسلام قبل حدوث هذه الطائفة . انتهى كلامه .

قوله : وعوامهم في السبع . قال في « القاموس » السبع بالضم وكأمير : جزء من سبعة .

قوله : أو في ختمة . ختم الشيء ختماً : بلغ آخره .

والكل مخلوق ولست بقائل

إن ذاك الا قول مخلوق وهل هو جبرئيل أو الرسول فذان

قولان مشهوران قد قالتهما

أشياخهم يا محنة القرآن

يشير إلى قول الأشاعرة : إن كلام الله عز وجل هو المعنى النفسي ، وإن الفاظ القرآن مخلوقة ، ولكن هل الذي أنشأها جبرئيل ، أو محمد ﷺ ؟ على قولين لهم مشهورين .

لو داسه رجل لقالوا لم يطأ

إلا المداد وكاغد الانسان

يارب زالت حرمة القرآن من تلك القلوب وحرمة الايمان
وجرى على الافواه منهم قولهم ما بيننا لله من قرآن
ما بيننا إلا الحكاية عنه والتعبير ذاك عبارة بلسان
هذا وما التالون عمالاً به إذ هم قد استغنوا بقول فلان
إن كان قد جاز الحناجر منهم فبقدر ما عقلوا من القرآن
والباحثون فقد هموا رأي الرجا ل عليه تصریحاً بلا كتمان
عزلوه إذ لو ا سواه وكان ذا ك العزل قائدهم إلى الخذلان
قالوا ولم يحصل لنا منه يقين فهو معزول عن الايقان
إن اليقين قواطع عقلية ميزانها هو منطق اليونان
هذا دليل الرفع منه وهذه أعلامه في آخر الأزمان
يارب من أهلوه حقاكي يرى أقدامهم منا على الأذقان
أهلوه من لا يرتضي منه بديلاً فهو كافيهم بلا نقصان
وهو الدليل لهم وهاديهم إلى الـ ايمان والايقان والعرفان
هو موصل لهم إلى درك اليقين حقيقة وقواطع البرهان
يارب نحن العاجزون بحبهم يا قلة الأنصار والأعوان

فصل

في أذان أهل السنة الاعلام بصريحها جهراً على رؤوس منابر الاسلام
ياقوم قدحانت صلاة الفجر فاستبهبوا فاني معلن بأذان
لا بالملحن والمبدل ذاك بل تأذين حق واضح التبيان
وهو الذي حقاً أجابته على كل امرىء فرض على الأعيان
هذا تأذين لغوي ، لأن الأذان في اللغة : الاعلام . قال الله تعالى
(وأذان من الله ورسوله ...) التوبة : ٣ الآية .

الله أكبر أن يكون كلامه العربي مخلوقاً من الأكوان
والله أكبر أن يكون رسوله المملكي أنشأه عن الرحمن
والله أكبر أن يكون رسوله البشري أنشأه لنا بلسان
خلافاً للجهمية والمعتزلة ، والله أكبر أن يكون رسوله المملكي أنشأه
عن الرحمن ؛ أي : جبريل عليه السلام كما يقوله القائلون بالكلام النفسي ،
والله أكبر أن يكون رسوله البشري أنشأه لنا بلسان . أي : محمد ﷺ ،
كما هو أحد القولين للقائلين بالكلام النفسي .

هذي مقالات لكم ياأمة التـشـيـيـه ماأنتم على ايمان
أي : إنهم شبهوا الرحمن تعالى بالأصنام التي لاتتكلم ، ثم بين وجه التشبيه

يقوله :

شبهتم الرحمن بالأوثان في عدم الكلام وذاك للأوثان
مما يدل بأنها ليست بألهة وذا البرهان في القرآن
في سورة الأعراف مع طه وثا لثها فلا تعدل عن القرآن

يعني قوله تعالى في سورة الاعراف : ١٤٨ (واتخذ قوم موسى من
بعده من حلبيهم عجلًا جسداً له خوار ألم يرو أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً)
الآية وفي سورة طه : ٨٨ (فأخرج لهم عجلًا جسداً له خوار فقلوا هذا الهكم
واله موسى فنتسي أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولاً) الآية .

أصبح كون الجاحدين لكونه متكلماً بحقيقة وبيان
هم أهل تعطيل وتشبيه معاً بالجامدات عظيمة النقصان
لاتقذفوا بالداء منكم شيعة الرحمن أهل العلم والعرفان
أي : لاتسموا أهل الحديث والسنة مشبهة ، فانكم أهل التشبيه ،
لأنكم شبهتم الرحمن بالجامدات في عدم الكلام .

ان الذي نزل الأمين به على قلب الرسول الواضح البرهان
هو قول ربي اللفظ والمعنى جميعاً اذ هما أخوان مصطحبان
لاتقطعوا رحماً تولى وصلها الرحمن تنسلخوا من الايمان
ولقد شفانا قول شاعرنا الذي قال الصواب وجاء بالاحسان
إن الذي هو في المصاحف مثبت بأنامل الاشياخ والشبان

هو قول ربي آيه وحروفه ومدادنا والرق مخلوقات
الرق بفتح الراء الورك .

والله أكبر من على العرش استوى لكنه استولى على الأكوان

والله أكبر ذو المعارج من السبب تعرج الاملاك كل أوان

والله أكبر من يخاف جلاله أملاكه من فوقهم ببيان

والله أكبر من غدا لسريه أط به^(١) كالرحل للركبان

والله أكبر من أتانا قوله من عنده من فوق ست ثمان

نزل الأمين به بأمر الله من رب على العرش استوى رحمان

والله أكبر قاهر فوق العبا دفلا تضع فوقية الرحمن

من كل وجه تلك ثابتة له لاتهضموها يا أولي العدوان

قهر أو قدر أو استواء الذات فوق العرش بالبرهان والقرآن

أي : إن أنواع العلو ثابتة لله سبحانه ، وهي علو القهر ، وعلو القدر ،
وعلو الذات .

فبذاته خلق السموات العلى ثم استوى بالذات فافهم ذان

فضمير فعل الاستواء يعود للذات التي ذكرت بلا فرقان

أي : إن الضمير في قوله تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات
والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ يعود على الله
أي : استوى هو .

(١) لا يصح في أطيح العرش حديث .

هو ربنا هو خالق هو مستو بالذات هذي كلها بوزان
والله أكبر ذو العلو المطلق المعلوم بالفطرات للانسان
فعلوه من كل وجه ثابت فالله أكبر جل ذو السلطان
والله أكبر من رقى فوق الطبا ق رسوله فدنا من الديان
واليه قد عرج الرسول حقيقة لاتنكروا المعراج بالبهتان
ودنا من الجبار جل جلاله ودنا اليه الرب ذو الاحسان^(١)
والله قد أحصى الذي قد قلتم في ذلك المعراج بالميزان
قلتم خيالاً أو أكاذيباً أو الممعراج لم يحصل إلى الرحمن
إذ كان ما فوق السموات العلى رب اليه منتهى الانسان
والله أكبر من أشار رسوله حقاً اليه بأصبع وبنان
في مجمع الحج العظيم بموقف دون المعرف موقف الغفران
قد تقدم الحديث في ذلك .

من قال منكم من أشار بأصبع قطعت فعند الله يجتمعان
هذا اشارة الى قول من قال من المعظة : إن من اشار بأصبعه الى
السما ، وإن الله تعالى فوق خلقه ، لقطع أصبعه .

والله أكبر ظاهر ما فوقه شيء وشأن الله أعظم شان
والله أكبر عرشه وسع السما والارض والكرسي ذا الاركان
وكذلك الكرسي قد وسع الطبا ق السبع والأرضين بالبرهان

(١) هذا على من قال بأن الرب عز وجل هو الذي دنا فتدل ، وهو غير صحيح
وهو أيضاً خلاف ما اختاره المصنف في بعض كتبه ، كمدارج السالكين وغيره .
والصحيح أن جبريل عليه السلام هو الذي دنا فتدل . انظر الجزء الأول صفحة (١٠٩) و(١٠٠) .

والله فوق العرش والكرسي لا يخفى عليه خواطر الانسان
لا تحصره في مكان إذ تقو لوا ربنا حقاً بكل مكان
نزهدتموه بجهلكم عن عرشه وحصرتموه في مكان ثان
اشارة الى قول النجارية ، والضرارية : إنه تعالى في كل مكان .

لا تعدمونه بقولكم لاداخل فينا ولا هو خارج الأكوان
اشارة الى قول الجهمية وأتباعهم : إنه تعالى لا داخل العالم ، ولا
خارجة ، فان ذلك صفة المعدوم .

الله أكبر هتكت أستاركم وبدت لمن كانت له عينان
والله أكبر جل عن شبه وعن مثل وعن تعطيل ذي كفران
والله أكبر من له الأسماء والـ أوصاف كاملة بلا نقصان
والله أكبر جل عن ولد وصا حبة وعن كفاء وعن أخذان
والله أكبر جل عن شبه الجما دكقول ذي التعطيل والكفران
هم شبهوه بالجما وليتهم قد شبهوه بكامل ذي شان
الله أكبر جل عن شبه العبا دفذان تشبيهان ممتنعان
الله أكبر واحد صمد وكـ كل الشأن في صمدية الرحمن
نفث الولادة والأبوة عنه والـ كفاء الذي هو لازم الانسان
وكذاك أثبتت الصفات جميعها لله سالمة من النقصان

واليه يصمد كل مخلوق فلا صمد سواه عز ذو السلطان
تقدم الكلام في تفسير الصمد بما يعني عن الاعادة .

لا شيء يشبهه تعالى كيف يشبهه خلقه ما ذاك في الامكان
لكن ثبوت صفاته و كلامه وعلوه حقاً بلا زكوان
لا تجعلوا الاثبات تشبيهاً له يافرة التليس والطغيان
كم ترتقون بسلم التنزيه للتعطيل ترويحاً على العميان
أي انكم تسمون التعطيل تنزيهاً للترويح على العميان والجهال ،
فاستعار لفظة السلم لهذا المعنى .

فالله أكبر أن تكون صفاته كصفاتنا جل العظيم الشان
هذا هو التشبيه لا إثبات أو صاف الكمال فما هما سيان

فصل

في تلازم التعطيل والشرك

واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ كانا هما لاشك مصطحبان
أبدأ فكل معطل هو مشرك حتماً وهذا واضح التبيان
فالعبد مضطر إلى من يكشف السبوى ويعني فاقة الانسان

واليه يصمد في الحوائج كلها واليه يفزع طالب لأمان
فاذا انتفت أوصافه وفعاله وعلوه من فوق كل مكان
فزع العباد إلى سواه وكان ذا من جانب التعطيل والنكران
فمعطل الأوصاف ذلك معطل التوحيد حقاً ذان تعطيلان.
قد عطلا بلسان كل الرسل من نوح إلى المبعوث بالقرآن
والناس في هذا ثلاث طوائف ما رابع أبداً بذى امكان
إحدى الطوائف مشرك بالله فإذا دعاه دعاه الهاً ثاني
هذا وثاني هذه الأقسام ذا لك جاحد يدعو سوى الرحمن
هو جاحد للرب يدعو غيره شر كآ وتعطيلاً له قدمان
هذا وثالث هذه الأقسام خير الخلق ذاك خلاصة الانسان
يدعو الاله الحق لا يدعو سوا ه قط في الاكوان والأزمان
يدعوه في الرغبات والرهبات والحالات من سر ومن اعلان
لما ذكر في هذا الفصل أن الشرك والتعطيل متلازمان ، ذكر أن الناس
ثلاث طوائف أحدها : المشركون وهم الذين جعلوا مع الله إلهاً آخر . والثانية :
الجاحدون الذين يدعون غير الله ويمجدونه ، وهؤلاء قد جمعوا الشرك والتعطيل .
والثالثة : الموحدون خلاصة الانسان الذين يدعون الله سبحانه في الرغبات
والرهبات وجميع الحالات ، ثم قال :

توحيدُه نوعان علمي وقصدي كما قد جرد النوعان

في سورة الاخلاص مع تال لنصر الله قل يا أيها بديان
ولذلك قد شرعاً بسنة فبجرنا وكذلك سنة مغرب طرفان
فيكون مفتح النهار وختمه تجريدك التوحيد للديان
وكذلك قد شرعاً بخاتم وترنا ختما لسعي الليل بالآذان
وكذلك قد شرعاً بركعتي الطوا فوذلك تحقيق لهذا الشأن
فهما إذا أخوان مصطحبان لا يتفارقان وليس ينفصلان
فمعطل الأوصاف ذو شرك كذا ذو الشرك فهو معطل الرحمن
أو بعضى أوصاف الكمال له فحقق ذا ولا تسرع إلى النكران

قوله : توحيدة قصدي الخ . شرح هذه الآيات ما ذكره الناظم رحمه
تعالى في «بدائع الفوائد» في الكلام على سورة (قل يا أيها الكافرون) قال :
ولهذا كان النبي ﷺ يقرأها وب (قل هو الله أحد) في سنة الفجر ، وسنة
المغرب ، فان هاتين السورتين سورتا الاخلاص ، وقد اشتملا على نوعي التوحيد
الذي لا فلاح للعبد ولا نجاة الا بهما ، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن
تنزية الله عما لا يليق به من الشرك ، والولد ، والوالد ، وأنه إله أحد صمد ،
لم يلد . فيكون له فرع ، ولم يولد فيكون له أصل ، ولم يكن له كفواً
أحد فيكون له نظير ، ومع هذا الذي قد اجتمعت له صفات الكمال كلها ،
فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله ، من صفات الكمال ، ونفي ما لا
يليق به من الشريك أصلاً وفرعاً ونظيراً ، فهذا توحيد العلم والاعتقاد ،
والثاني توحيد القصد والارادة ، وهو أن لا يعبد الا الله ، فلا يشرك به في
عبادته سواه ، بل يكون وحده هو المعبود . وسورة (قل يا أيها الكافرون)

مشملة على هذا التوحيد، فانتظمت السورتان نوعي التوحيد، وأخلصت له، فكان النبي ﷺ يفتح بها النهار في سنة الفجر، ويختم بها في سنة المغرب. وفي « السنن » أنه كان يوتر بها فيكونا خاتمة عمل الليل، كما كانا خاتمة عمل النهار. انتهى.

فصل

في بيان أن المعطل شر من المشرك

لكن أخو التعطيل شر من أخي الإشراك بالمعقول والبرهان
إن المعطل جاحد للذات أو لكألها هذان تعطيلان
متضمناً للقدح في نفس الالوهة كم بذاك القدح من نقصان
والشرك فهو توسل مقصوده الزلقى من الرب العظيم الشأن
بعبادة المخلوق من حجر ومن بشر ومن قبر ومن أوثان
فالشرك تعظيم بجهل من قيا س الرب بالأمرء والسلطان
ظنوا بأن الباب لا يغشى بدو ن توسط الشفعاء والاعوان
ودهاهم ذلك القياس المستبين فساده ببيدیه الانسان
الفرق بين الله والسلطان من كل الوجوه لمن له أذنان

إن الملوك لعاجزون وما لهم علم بأحوال الدعا بأذان
كلا ولا هم قادرون على الذي يحتاجه الانسان كل زمان
كلا وما تلك الارادة، فيهم تقضي حوائج كلما انسان
كلا ولا وسعوا الخليفة رحمة من كل وجه هم أولو النقصان
فلذلك احتاجوا إلى تلك الوسائط حاجة منهم مدى الأزمان

ذكر رحمه الله في هذه الأبيات أن المعطل شر من المشرك ، ثم بين ذلك بقوله : إن المعطل جاحد للذات أو لكمالها الخ . وذلك يتضمن القدح في الألوهية ، وأما الشرك فهو توسل ، أي تقرب مقصوده الزلفى ، أي : تقريباً من الرب سبحانه ، وذلك بعبادة الخواصات ، سواء كانت حجراً ، أو قبراً ، أو بشراً ، أو وثناً . وأصل الشرك تعظيم الله سبحانه ، لكن يجهل ، وذلك أن المشركين قاسوا الرب سبحانه بالملوك ، قالوا : إن الملك لا يحصل القرب منه إلا بتوسط الشفعاء ، وهذا القياس من أبطل الباطل ، وفساده ظاهر ببديهية العقل ، وذلك أن الملوك عاجزون لا علم لهم بأحوال الرعايا ، ولا قدرة لهم على حوائج الخلق ، ولا وسعوا الخلائق رحمة ، بل هم عاجزون ، ناقصون ، فقراء إلى الله سبحانه فقراً ذاتياً ، والفرق بين الله تعالى وبين الملوك ظاهر من جميع الوجوه . ثم بين غناء الرب سبحانه وكمال علمه وقدرته ، وأن الخلق جميعهم في قبضته ، وهم فقراء إليه ، وهو الغني عنهم غناء ذاتياً ، وهم في غاية الحاجة إليه ، فقال :

أما الذي هو عالم للغيب مقـتدر على ما شاء ذو إحسان

وتخافه الشفعاء ليس يريد منهم حاجة جل العظيم الشأن

بل كل حاجات لهم فإليه لا لسواه من ملك ولا انسان
وله الشفاعة كلها وهو الذي في ذاك يأذن للشفيع الداني
لمن ارتضى ممن يوحدده ولم يشرك به شيئاً كما قد جاء في القرآن
سبقت شفاعته اليه فهو مشفوع اليه وشفاع ذر شات
فلذا أقام الشافعين كرامة لهم ورحمة صاحب العصيان
فالكل منه بدا ومرجعه اليه وحده ما من اله ثان
غلط الألى جعلوا الشفاعة من سوا ه اليه دون الإذن من رحمن
هذي شفاعة كل ذي شرك فلا تعقد عليها يا أبا الايمان
والله في القرآن أبطلها فلا تعدل عن الآثار والقرآن
وكذا الولاية كلها لله لا لسواه من ملك ولا انسان
تقدم بسط الكلام في معاني هذه الابيات بما أغنى عن الاعداد .

والله لم يفهم أولو الاشرار اذا ورآه تنقيصاً اولو النقصان
إذ قد تضمن عزل من يدعى سوى الرحمن بل أحدية الرحمن
بل كل مدعو سواه من لدن عرش الاله إلى الحضيض الداني
هو باطل في نفسه ودعاء عما بده له من أبطل البطلان
فله الولاية والولاية مالنا من دونه وال من الأكوان

فإذا تولاه امرؤ دون الورى طراً تولاه عظيم الشان
الولاية الأولى بفتح الواو لاغير ؛ أي المحبة والنصر . والثانية بكسر
الواو : الامارة . قوله طراً ؛ أي : جميعاً .

وإذا تولى غيره من دونه ولاء ما يرضى به لهوان
في هذه الدنيا وبعد مماته وكذلك عند قيامة الأبدان
حقاً يناديهم ندأً سبحانه يوم المعاد فيسمع الثقلان
يا من يريد ولاية الرحمن دو ن ولاية الشيطان والأوثان
فارق جميع الناس في إشراكهم حتى تنال ولاية الرحمن
يكفيك من وسع الخلائق رحمة وكفاية ذو الفضل والاحسان
يكفيك من لم تخل من احسانه في طرفه تتقلب الأجفان
يكفيك رب لم تزل أطفاه تأتي اليك برحمة وحنان
يكفيك رب لم تزل في ستره ويراك حين تجيء بالعصيان
يكفيك رب لم تزل في حفظه ووقاية منه مدى الأزمان
يكفيك رب لم تزل في فضله متقلباً في السر والاعلان
يدعوه أهل الأرض مع أهل السما ء فكل يوم ربنا في شان
وهو الكفيل بكل ما يدعونه لا يعتري جدواه من نقصان
فتوسط الشفعاء والشركاء والظهوراء أمر بين البطلان

مافيه إلا محض تشبيه لهم بالله وهو فأقبح البهتان
مع قصدهم تعظيمه سبحانه ماعطلوا الأوصاف للرحمن
لكن أخو التعطيل ليس لديه إلا النفي أين النفي من ايمان
والقلب ليس يقر إلا بالتعبس فهو يدعو الى الأكوان
فترى المعطل دائماً في حيرة متنقلاً في هذه الأعيان
يدعو إلهاً ثم يدعو غيره ذا شأنه أبداً مدى الأزمان
وترى الموحد دائماً متنقلاً بمنازل الطاعات والاحسان
مازال ينزل في الوفاء منازلها وهي الطريق له إلى الرحمن
لكنها معبوده هو واحد ماعنده ربان معبودان

قوله : لا يعترني جدواه من نقصان .

قوله : جدواه الخ . الجدا بكسر الجيم والجدى بالقصر والجدوى
العطية ، وجداه واجتداه واستجداه ؛ أي : طلب جدواه ، وأجداه : أعطاه
الجدوى ، قاله في « مختار الصحاح » وهذا كما في الحديث القدسي حديث
أبي ذر الذي رواه مسلم : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم
اجتمعوا في صعيد واحد ، ثم سألوني فأعطيت كل انسان مسألته ماتقص ذلك
بما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر »

وقوله **وَاللَّهِ** « بين الله . لأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار
أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغيض ما في يمينه ،
وبيده الأخرى القسط ، يخفض ويرفع الى يوم القيامة » ثم ضرب الناظم

مثلاً للمشرك والمعطل فقال :

فصل

في مثل المشرك والمعطل

أين الذي قد قال في ملك عظيم لست فينا قط ذا سلطان
ما في صفاتك من صفات الملك شيء كلها مسلوقة الوجدان
فهل استويت على سرير الملك أو دبرت أمر الملك والسلطان
أو قلت مرسوماً تنفذه الرعا يا أو نطقت بلفظة ببيان
أو كنت ذا أمر وذاهي وتكليم لمن وافى من البلدان
أو كنت ذا سمع وذا بصر وذا علم وذا سخط وذا رضوان
أو كنت قط مكلاماً متكلاماً متصرفاً بالفعل كل زمان
أو كنت تفعل ما تشاء حقيقة الـ فعل الذي قد قام بالأزمان
أو كنت حياً فاعلاً بمشيئة وبقدرة أفعال ذي السلطان
فعل يقوم بغير فاعله محال غير معقول لذى الانسان
بل حالة الفعال قبل ومع وبعده هي التي كانت بلا فرقان
والله لست بفاعل شيئاً إذا ما كان شأنك منك هذا الشأن

لا داخلا فينا ولست بخارج عنا خيالاً درت في الأذهان
فبأي شيء كنت فينا مالكاً ملكاً عظيماً قاهر السلطان
إسماً ورسماً لاحقيقة تحته شار الملوك أجل من ذا الشأن
هذا وثان قال أنت مليكنا وسواك لانرضاه من سلطان
إذ حزت أو صاف الكمال جميعها ولأجل ذا دانت لك الثقلان
وقد استويت على سرير الملك واسـتـوليت مع هذا على البلدان
لكن بابك ليس يغشاه امرؤ إن لم يجيء بالشافع المعوان
ويذل للبواب والحجاب والشـفـعاء أهل القرب والاحسان
أفيستوي هذا وهذا عندكم والله ما استويا لدى نسان
والمشركون أخف في كفرانهم وكلاهما من شيعة الشيطان
ان المعطل بالعداوة قائم في قالب التنزيه للرحمن
حاصل كلام الناظم في هذا الفصل أنه ضرب مثلاً للمشرك والمعطل ،
فلسان حال المعطل يقول في إلهه سبحانه : إنك لست فينا ذا سلطان ، لأنك
لم تستو على سرير الملك ، ولم تدبر أمر الملك والسلطان ، ولم تكلم ولا تتكلم
ولست بفاعل فعلاً حقيقة ، بل فعلك هو المنعول ، بل حالك قبل الفعل
ومعه وبعده سواء ، ولست داخلاً في العالم ولا خارجاً منه ، بل أنت خيال
في الأذهان ، فبأي شيء كنت فينا مالكاً ؟! تعالى الله عما تقول المعطلة
علواً كبيراً .

قوله : هذا واثان الخ . هذا هو المشرك ؛ أي : إن المشرك قال :
يا رب أنت مملكتنا وخالقنا ، والمتصرف فينا ، وقد حزت أوصاف الكمال
جميعها ، وقد استويت على سرير الملك ، واستوليت على المخلوقات والا كوان ،
ولكن بابك لا يغشى إلا بالشفعاء ، ولا بد مع ذلك من الذل للبواب
والحجاب والشفعاء المقربين ، أفستوي هذان عندكم؟! حاشا وكلا ، بل
المشركون أخف في كفرانهم ، والكل من شيعة الشيطان ، ولكن المعطل
يزيد على المشرك بأنه قائم بالعداوة في قالب التنزيه .

فصل

فيا أعد الله تعالى من الاحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم عند فساد الزمان .

هذا وللمتمسكين بسنة المختار عند فساد ذي الازمان
أجر عظيم ليس يقدر قدره إلا الذي أعطاه للأنسا
فروى أبو داود في سنن له ورواه أيضاً أحمد الشيباني
أثراً تضمن أجر خمسين امرئ من صحب أحمد خيرة الرحمن
إسناده حسن ومصداق له في مسلم فافهمه فهم بيان
ان العبادة وقت هرج هجرة حقاً إليّ وذاك ذو برهان
هذا فكم من هجرة لك أيها السنني بالتحقيق لا بأمان

هذا وكُم من هجرة لهمُ بما قال الرسول وجاء في القرآن
ولقد أتى مصداقه في الترمذي لمن له أذنان واعيتان
في أجر محيي سنة ماتت فداك مع الرسول رفيقه بجان
هذا ومصداق له ايضاً أتى في الترمذي لمن له عينان
تشبيهُه أُمته بغيث أول منه وآخره فمشتبهان

قال شيخ الاسلام في بعض أجوبته . والحديث الذي يروى « مثل أمتي
كمثل الغيث لا يدري أوله خير أو آخره » قد تكلم في اسناده ، وبتقدير
صحته إنما معناه أنه يكون في آخر الأمة من يقارب أولها حتى يشبهه على
بعض الناس أيها خير ، كما يشبهه على بعض الناس طرفا الثوب ، مع القطع
بأن الأول خير من الآخر ، فانه قال : لا يدري ، ومعلوم أن هذا السلب
ليس عاماً ، فانه لا بد أن يكون معلوماً أيها أفضل .

فلذاك لا يدري الذي هو منها قد خص بالتفصيل والرجحان
ولقد أتى أثر بأن الفضل في الطرفين أعني أولاً والثاني
والوسط ذو ثبج فأعوج هكذا جاء الحديث وليس ذانكران
ولقد أتى في الوحي مصداق له في الثلثين وذاك في القرآن
أهل اليمين فثلة مع مثلها والسابقون أقل في الحسابان

قال في « القاموس » : الشجج محرّكة : وسط الشيء ، ومعظمه . قال
الله تعالى : (إنا أنشأناهم إنشاء . فجعلناهم أبقاراً . عرباً أتراباً . لأصحاب

اليمين . ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين) الواقعة : ٣٥ - ٤٠ : الثلة : الجماعة التي لا يحصيها عدد . قال الزجاج : معنى ثلة : فرقة ، من ثلث الشيء ، إذا قطعته ، والمعنى أنهم جماعة ، أو أمة ، أو فرقة ، أو قطعة من الأولين ، وهم من لدن أم إلى نبينا ﷺ . وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، والضحاك : ثلة من الأولين بمعنى من سابقي هذه الأمة ، وثلة من الآخرين من هذه الأمة .

أخرج مسدد ، وابن المنذر بسند حسن ، عن أبي بكرة عن النبي ﷺ في الآية قال : « جميعها من هذه الأمة » وعنه قال : « هما جميعاً من هذه الأمة » . وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « هما جميعاً من أمتي » . أخرجه عبد بن حميد ، وابن عدي ، والفرياني ، وغيرهم . قال السيوطي : بسند ضعيف ، وعنه قال : « الثلثان جميعاً من هذه الأمة » وبه قال أبو العالية ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، والضحاك ، وهو اختيار الزجاج فان قيل : كيف قال قبل هذا (وقليل من الآخرين) ثم قال هنا (وثلة من الآخرين) الواقعة : . قيل ذلك في السابقين الأولين ، وقليل من يلحق بهم من الآخرين ، وهذا في أصحاب اليمين ، وأنهم يتسكثرون من الأولين والآخرين جميعاً .

ما ذاك الا ان تابعهم هم الغرباء ليست غربة الاوطان
لكنها والله غربة قائم بالدين بين عساكر الشيطان
فلذاك شبههم به متبوعهم في الغربتين وذاك ذو تبيان
لم يشبهوهم في جميع امورهم من كل وجه ليس يستويان
فانظر الى تفسيره الغرباء بالـ محيين سنته بكل زمان

طوبى لهم والشوق يحدوهم الى أخذ الحديث ومحكم القرآن
طوبى لهم لم يعبؤوا بنجاته الـ أفكار او بزبالة الاذعان
طوبى لهم ركبوا على متن العزا ثم قاصدين لمطلع الايام
طوبى لهم لم يعبؤوا شيئاً بندي الـ آراء اذ أغناهم الوحيان
طوبى لهم وامامهم دون الـ وري من جاء بالايمان والفرقان
والله ما اتمموا بشخص دونه الا اذا ما دلهم ببيان
في الباب آثار عظيم شأنها أعيت على العلماء في الأزمان
اذا اجمع العلماء ان صحابة الـ المختار خير طوائف الانسان
ذا بالضرورة ليس فيه الخلف بين اثنين ما حكيت به قولان
فلذا كذي الآثار اعضل امرها وبغوا لها التفسير بالاحسان
فاسمع اذا تأويلها وافهمه لا تعجل برد منك أو نكران
ار البدار برد شيء لم تحط علماً به سبب الى الحرمان
الفضل منه مطلق ومقيد وهما لأهل الفضل مرتبتان
قوله : والفضل منه مطلق ومقيد ، معنى ذلك أن الفضل منه مطلق
ومقيد ، فالفضل المطلق كفضل رسول الله ﷺ ، وفضل أصحابه على من
بعدهم ، والفضل المقيد ، مثل خلق الله سبحانه آدم بيده ، فهذا الفضل المقيد
لا يوجب تفضيله على سيدنا محمد ﷺ ، وكذا خصائص من أتى من بعد آدم

من الرسل لا يوجب تفضيلهم عليه ﷺ ، وكذا الأثر الذي فيه أن المتمسك
بدينه في آخر الزمان له أجر خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ ، لا يوجب
ذلك أفضلية على رسول الله ﷺ ، لأنه في آخر الزمان ، وغربة الدين ،
قد عدم المعين ، وصعب عليه القيام في وجوه أعداء الدين . وأما الصحابة
رضي الله عنهم ، فهم ذوو أعوان وأنصار

والفضل ذو التقييد ليس بموجب فضلا على الاطلاق من انسان
لا يوجب التقييد أن يقضى له بالاستواء فكيف بالرجحان؟!
إذ كان ذو الاطلاق حاز من الفضل نل فوق ذي التقييد بالاحسان
فاذا فرضنا واحداً قد حاز نو عالم يحزه فاضل الانسان
لم يوجب التخصيص من فضل عليه ولا مساواة ولا نقصان
ما خلق آدم باليدين بموجب فضلا على المبعوث بالقرآن
ولذا خصائص من أتى من بعده من كل رسل الله بالبرهان
فمحمد أعلاهم فوقاً وما حكمت لهم بمزية الرجحان
فالحائز الخمسين أجر لم يحزها في جميع شرائع الايمان
هل حازها في بدر أو أحداً والفتح المبين وبيعة الرضوان
بل حازها إذ كان قد عدم السمعين وهم فقد كانوا أولي أعوان
والرب ليس يضيع ما يتحمل المتحملون لأجله من شان
فتحمل العبد الضعيف رضاه مع فيض العدو وقلة الأعوان

بما يدل على يقين صادق ومحبة وحقيقة العرفان
أي : تحمل العبد مع ضعفه للمشاق لأجل رضى ربه ، يدل على صدق
يقينه ، وشدة محبته له ، ومعرفة به .

يكفيه ذلاً واغتراباً قلة الأنصار بين عساكر الشيطان
في كل يوم فرقة تغزوه ان ترجع يوافيه الفريق الثاني
فصل الغريب المستضام عن الذي يلقاه بين عدى بلا حساب
هذا وقد بعد المدى وتناول العهد الذي هو موجب الاحسان
ولذا كان كقابض جمرأ فسل أحشاه عن حر ذي النيران
يشير الى الحديث « القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر » (١)

والله أعلم بالذي في قلبه يكفيه علم الواحد المنان
في القلب أمر ليس يقدر قدره إلا الذي آتاه للانسان
بر وتوحيد وصبر مع رضى والشكر والتحكيم للقرآن
سبحان قاسم فضله بين العباد فذلك مولي الفضل والاحسان
فالفضل عند الله ليس بصورة الأعمال بل بحقائق الايمان
وتفاضل الأعمال يتبع مايقوم م بقلب صاحبها من البرهان
حتى يكون العاملان كلاهما في رتبة تبدو لنا بعيان

(١) رواه الترمذي ، وأبو داود ، وهو حديث حسن .

هذا وبينهما كما بين السما والأرض في فضل وفي رجحان
ويكون بين ثواب ذاو ثواب ذا رتب مضاعفة بلا حسابان
هذا عطاء الرب جل جلاله وبذلك تعرف حكمة الديان
أي : إن الفضل عند الله بحسب ما في القلوب من الايمان واليقين ،
لا بحسب صور الأعمال وكثرتها ، كما قال بكر بن عبد الله المزني : ما سبقهم
أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن بشيء وقر في قلبه .

فصل

فيا أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة
يا خاطب الحور الحسان وطالبا لوصالهن بجنة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت بذلت ما تحوي من الأثمان
أو كنت تدري أين مسكنها جمعلت السعي منك لها على الاجفان
ولقد وصفت طريق مسكنها فان رمت الوصال فلا تكن بالواني
أسرع وحث السير جهدك انما مسراك هذا ساعة لزمان
فاعشق وحدث بالوصال النفس وابذل مهرها مادمت ذا امكان
واجعل صيامك قبل لقيها ويو م الوصل يوم الفطر من رمضان
واجعل نعوت جمالها الحادي وسر تلقى المخاوف وهي ذات أمان

لما حث الناظم رحمه الله تعالى على طلب الوصال للحوار العبير كما قال بعضهم : وصم عن لذات الدنيا ، واجعل فطرك الموت ، شرع في ذم الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة فقال :

لايلبينك منزل لعبت به أيدي البلى منذسالف الأزمان
البلى : بكسر الباء .

فلقد ترحل عنه كل مسرة وتبدلت بالهم والأحزان
سجن يضيق بصاحب الأمان لـ كن جنة المأوى لذى الكفران
سكانها أهل الجهالة والبله والسفاهة أنجس السكان
وألذهم عيشاً فأجهلهم بحـق الله ثم حقائق القرآن
عمرت بهم هذي الديار وأقفرت منهم ربوع العلم والإيمان
قد آثروا الدنيا ولذة عيشها الـ فإني على الجنات والرضوان
صحبوا الأمانى وابتلوا بمحظوظهم ورضوا بكل مذهلة وهوان
كدحاً وكدأ لايفتر عنهم مافيه من غم ومن أحزان
والله لو شأمت هاتيك الصدور رأيتها كمرجل النيران
المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر .

ووقودها الشهوات والحسرات والـ الآم لا تخبو مدى الأزمان
أبدانهم أحداث هاتيك النفوس الـ اللاء قد قبرت مع الأبدان

أرواحهم في وحشة وجسومهم في كدحها لا في رضى الرحمن
هربوا من الرق الذي خلقوا له فبلوا برق النفس والشيطان
أي : إنهم والعياذ بالله هربوا من الرق الذي خلقوا له ، وهو عبادة الله
وحده ، كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) الذاريات :
٥٦ فبلوا برق النفس والشيطان ؛ أي : فاستخدمتهم الشياطين ، واسترققتهم
في تحصيل الشهوات الفانية ، وجمع عرض الدنيا الحسيس ، وحطامها الفاني ،
فأعقبهم ذلك الحسرة والندامة ، وصار عاقبة ذلك العذاب الأليم ، نعوذ بالله
من موجبات سخطه .

لا ترض ما اختاروه هم لنفوسهم فقد ارتضوا بالذل والحرمان
لو ساوت الدنيا جناح بعوضة لم يسق منها الرب ذا الكفران
لكنها والله أحقر عنده من ذا الجناح القاصر الطيران
هذا معنى الحديث « لو ساوت الدنيا عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً
منها شربة ماء » (١)

ولقد تولت بعد عن أصحابها فالسعد منها حل في الدبران
لا يرتجي منها الوفاء لصبها أين الوفا من غادر خوان
طبعت على كدر فكيف تنالها صفواً أهذا قط في الامكان؟
يا عاشق الدنيا تأهب للذي قد ناله العشاق كل زمان
أو ما سمعت بل رأيت مصارع العشاق من شيب ومن شبان

(١) رواه الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وقال: حديث حسن صحيح

فصل

في صفة الجنة التي أعدها الله ذوالفضل والمنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

فاسمع إذاً أوصافها وصفاتها تيك المنازل ربه الاحسان
هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى ومنزل عسكر الايمان والقرآن
فالدار دار سلامة وخطابهم فيها سلام واسم ذي الغفران

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

درجاتها مائة وما بين اثنتين فذاك في التحقيق للحسبان
مثل الذي بين السماء وبينها ذي الأرض قول الصادق البرهان
لكنّ عاليها هو الفردوس مسـتوف بعرش الخالق الرحمن
وسط الجناز وعلوها فلذلك كانت قبة من أحسن البنيان
منها تفجر سائر الأنهار فالمنبوع منه نازل بجنان

« في مسند الامام أحمد » ، من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي ، فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله عز وجل » وفيه أيضاً من حديثه ﷺ « إن في الجنة مائة درجة ، ولو ان العالمين اجتمعوا في احداهن وسعتهم » وفيه عنه أيضاً صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة ، حتى يقرأ آخر شيء معه » قال الناظم رحمه الله في « حادي الأرواح » وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة . وأما حديث أبي هريرة عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة مائة درجة » فاما ان هذه المائة من جملة الدرج ، وإما أن يكون نهايتها هذه المائة ، وفي ضمن كل درجة درج دونها ، ويدل على المعنى الأول حديث معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى الصلوات الخمس ، وصام شهر رمضان ، كان حقاً على الله أن يغفر له هاجراً ، وقعد حيث ولدته أمه » قلت : يا رسول الله ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال : « لا ، دع الناس يعملون ، فإن في الجنة مائة درجة ، بين كل درجتين مثل ما بين السماء والارض ، وأعلاها درجة منها الفردوس ، وعليها يكون العرش ، وهي أوسط شيء في الجنة ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » رواه الترمذي . وروي أيضاً عن عبادة بن الصامت نحوه . وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد يرفعه « ان في الجنة مائة درجة » ورواه أحمد بدون لفظه « في » فان كان المحفوظ ثبوتها ، فهي من جملة درجاتها ، وان كان المحفوظ سقوطها ، فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار ، ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة ، وتقديرها بالخمس ، لاختلاف السير في

السرعة والبطء ، والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريباً للأفهام ، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « في الجنة مائة درجة ، ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض ، وأبعد ما بين السماء والأرض » قلت : يا رسول الله لمن ؟ قال : « للمجاهدين في سبيل الله عز وجل » انتهى كلامه .

فصل

في أبواب الجنة

أبوابها حقاً ثمانية أتت في النص وهي لصاحب الاحسان باب الجهاد وذاك أعلاها وباب الصوم يدعى الباب بالريان ولكل سعي صالح باب ورب السعي منه داخل بأمان ولسوف يدعى المرء من ابوابها جمعاً اذا وفى حلى الايمان منهم ابو بكر هو الصديق ذا ك خليفة المبعوث بالقرآن

في « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان ، لا يدخله إلا الصائمون » وفيها من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله ، دعي من أبواب الجنة : يا عبد الله ، هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ،

ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان . فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الابواب كلها ؟ فقال : « نعم وأزجو أن تكون منهم » .

وفي « صحيح مسلم » عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ، أو فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » زاد الترمذي بعد التشهد « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » زاد أبو داود والامام أحمد « ثم يرفع نظره إلى السماء » وعند أحمد عن أنس يرفعه « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله الخ . وعن عتبة بن عبد الله السلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » رواه ابن ماجه ، وعبد الله بن أحمد .

فصل

في مقدار ما بين الباب والباب منها

سبعون عاماً بين كل اثنين منها قدرت بالعد والحسبان .
هذا حديث لقيط المعروف بالخبير الطويل وذا عظيم الشأن
وعليه كل جلالة ومهابة ولكم حواه بعد من عرفان
فال الناظم في « حادي الأرواح » روينا في « معجم الطبراني » عن عاصم
ابن لقيط بن عامر ، خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قال : قلت : يا رسول
الله ، فما الجنة والنار ؟ قال : لعمر والهك ، ان للنار سبعة أبواب ، ما منها
بابان الايسر الراكب بينها سبعين عاماً ، وان للجنة ثمانية أبواب ، ما منها
بابان الايسر الراكب بينها سبعين عاماً . . « الحديث بطوله ، وهذا الظاهر ؛
منه أن هذه المسافة بين هذا الباب والباب ، لان بين مكة وبصرى ، لا يحتمل
التقدير بسبعين عاماً ، ولا يمكن حمله على باب معين ، بقوله « ما منها بابان »
انتهى كلامه .

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها

لكنَّ بينها مسيرة أربعين رواه حبر الأمة الشيباني في مسند بالرفع وهو لمسلم وقف كمر فروع بوجه ثان ولقد روى تقديره بثلاثة الأيام لكن عند ذي العرفان أعني البخاري الرضى هو منكر وحديث راويه فذونكران

عن ابي هريرة في حديث الشفاعة بطوله قال صلى الله عليه وسلم « فأنا نطق فأتي العرش ، فأقع ساجداً لربي ، فيقيمني رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلي ، ولا يقمه أحداً بعدي ، فأقول : يا رب أمي أمي ، فيقول : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن » وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » والذي نفس محمد بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة » وفي لفظ « لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » متفق على صحته ، وفي لفظ خارج الصحيح باسناده « ان ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر » وفي خطبة عتبة بن غزوان : لقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينها مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » فهذا موقوف ، والذي قبله مرفوع . فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذاكر لهم

ذلك ، كان هذا سعة ما بين باب من أبوابها ، ولعله الباب الأعظم ، وان كان
الذاكر غير رسول الله ﷺ ، لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم ،
ولكن قد روى أحمد عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ
قال : « أنتم موفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله ، وما بين
مصرعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وله
كظيظ » وقدرناه ابن أبي داود عنه يرفعه « ما بين كل مصرعين من مصاريع
الجنة مسيرة سبع سنين » وفي « مسند عبد بن حميد » ثنا الحسن بن موسى ،
ثنا ابن لهيعة ، ثنا دراج أبو السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ،
عن رسول الله ﷺ قال « إن ما بين مصرعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة »
وحديث أبي هريرة أصح ، وهذه النسخة ضعيفة ، والله أعلم .

وروى أبو الشيخ عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه أن النبي ﷺ قال :
« الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب الجمد » ثلاثاً « ثم انهم
ليضغطون عليه ، حتى تكاد مناكهم تزول » رواه أبو نعيم عنه . وهذا
مطابق للحديث المتفق عليه « ان ما بين المصرعين كما بين مكة وبصرى »
فان الراكب الجود غاية الاجادة على اسرع هجين لا يقر ليلاً ولا نهاراً ،
يقطع هذه المسافة في هذا القدر ، أو قريب منه . وأما حديث حكيم بن معاوية
فقد اضطرب رواته ، فجماد بن سلامة ذكر عن الجريري « أربعين عاماً »
وخالد ذكر عنه « سبع سنين » . وفي حديث أبي سعيد المرفوع « أربعون
عاماً » وفي طريقه دراج . قال أحمد : أحاديثه مناكير . وقال أبو حاتم الرازي :
ضعيف . وقال النسائي : ليس بالقوي ، فالصحيح المرفوع السالم عن
الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته ، على أن
حديث حكيم ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ، ويحتمل أنه مدرج في الحديث
موقوف ؛ فيكون كحديث عتبة بن غزوان ، والله أعلم . انتهى كلام
الناظم في « حادي الارواح ، ملخصاً فهذا كلامه في « حادي الأرواح »

وظاهره ترجيح رواية التقدير بثلاثة أيام ، ولهذا جمع بينه وبين حديث ابي هريرة المتفق عليه الذي فيه « ان ما بين المصرعين لكما بين مكة وبصرى » وفي هذا النظم ذكر عن البخاري أنه منكر ، والله اعلم .

فصل

في مفتاح باب الجنة

هذا وفتح الباب ليس بممكن الا بمفتاح على أسنان
مفتاحه بشهادة الاخلاص والتوحيد تلك شهادة الايمان
أسنانه الاعمال وهي شرائع الاسلام والمفتاح بالاسنان
لاتلغين هذا المثال فكم به من حل إشكال لذي العرفان

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مفتاح الجنة شهادة ان لا اله الا الله » رواه احمد . وذكر البخاري في « صحيحه » عن وهب بن منبه أنه قيل له : أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح ، والا لم يفتح . وعن أنس قال : قال أعرابي : يا رسول الله ، ما مفتاح الجنة ؟ قال : « لا اله الا الله » رواه ابو نعيم . وذكر ابو الشيخ عن يزيد بن سخبرة أن السيوف مفاتيح الجنة . وفي « المسند » من حديث معاذ بن جبل

قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أدلكم على باب من ابواب الخير ؟ قلت : بلى .
قال : « لاحول ولا قوة الا بالله » .

قال الناظم في « حادي الارواح » : وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب
مفتاحاً يفتح به ، فجعل مفتاح الصلاة الطهور ، ومفتاح الحج الاحرام ،
ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال ،
وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر
ومفتاح الولاية المحبة ، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ، ومفتاح
الايان التفكير فيما دعا الله عباده الى التفكير فيه ، ومفتاح الدخول على الله ،
إسلام القلب ، وسلامته له ، والاخلاص له في الحب والبغض له ، والفعل والتترك
ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن ، والتضرع بالاسحار ، وترك الذنوب ،
ومفتاح حصول الرحمة ؛ الاحسان في عبادة الخالق ، والسعي في نفع عبيده ،
ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح الغزاة الله
ورسوله ، ومفتاح الاستعداد الآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة
في الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل . وهذا
باب عظيم من أنفع ابواب العلم ، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر ، ولا
يوفق لمعرفة ومراعاته الا من عظم حظه وتوفيقه ، فان الله سبحانه جعل
لكل خير وشر ومفتاحاً وباباً يدخل منه اليه ، كما جعل الشرك والكبر
والاعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره ، والقيام بحقه مفتاحاً
لنار ، كما جعل الحمر مفتاح كل إثم ، وجعل الغناء مفتاح الزنا ، وجعل اطلاق
النظر في الصور مفتاح العشق والطلب ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الحية
والحرمان ، وجعل المعاصي مفتاح الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ،
وجعل الشح والحرص مفتاح البخل ، وقطيعة الرحم ، وأخذ المال من غير

حله ، وجعل الاعراض عما جاء به الرسول ﷺ مفتاح كل بدعة وضلال ،
وهذه امور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة ، وعقل يعرف به
ما في نفسه ، وما في الوجود من الخير والشر ، فينبغي للعبد أن يعتني كل
الاعتناء بمعرفة المفاتيح ، وما جعلت مفاتيح له ، والله من وراء توفيقه
وعدله ، له الملك ، وله الحمد ، وله النعمة والفضل ، ولا يسأل عما يفعل
وهم يسألون .

فصل

في منشور الجنة الذي يوقع به اصحابها .

المنشور : ما كان غير محتوم من كتب السلطان .

هذا ومن يدخل فليس بداخل الا بتوقيع من الرحمن
وكذا يكتب للفتى لدخوله من قبل توقيعان مشهوران
إحداهما بعد المات وعرض أر واح العباد به على الديان
فيقول رب العرش جل جلاله للكاتبين وهم أولو الديوان
ذا الاسم في الديوان يكتب ذلك ديوان الجنان مجاور المنان
ديوان عليين أصحاب القرا ن وسنة المبعوث بالقرآن
فاذا انتهى للجسر يوم الحشر يعطى للدخول اذا كتاباً ثاني
عنوانه هذا كتاب من عزيز بز راحم لفلان ابن فلان

فدعوه يدخل جنة المأوى التي ار تفعت ولكن القطوف ودواني
هذا وقد كتب اسمه مذكار في الارحام قبل ولادة الانسان
بل قبل ذلك وهو وقت القبضتين كلاهما للعدل والاحسان
سبحان ذي الجبروت والملكوت والاجلال والاكرام والسبحان
والله أكبر عالم الاسرار والاعلان واللحظات بالأجفان
والحمد لله السميع لسائر الأصوات من سر ومن اعلان
وهو الموحد والمسيح والمجدد والحميد ومنزل القرآن
والأمر من قبل ومن بعده سبحانك اللهم ذا السلطان

قال الله تعالى (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين . وما أدراك ما عليون .
كتاب مرفوم . يشهده المقربون) المطففين : ١٨-٢١ فأخبر تعالى أن كتابهم
كتاب مرفوم ، تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقة ، وخص كتاب
الابرار بأنه يكتب ويوقع لهم به ، بمشهد المقربين من الملائكة والنبين ، ولم
يذكر شهادة هؤلاء كتاب الفجار تنويها بكتاب الابرار ، وما وقع به لهم
واشهارآله ، واظهاراً بين خواص خلقه ، كما تكتب الملوك تواقع من
تعظمه من بين الامراء وخواص أهل المملكة ، تنويهاً باسم المكتوب ،
واشارة بذكره ، وهذا نوع من صلوات الله سبحانه وملائكته على عبده .

وروى أحمد ، وابن حبان ، وابو عوانة في « صحيحها » من حديث
البراء بن عازب الطويل في شأن القبر مرفوعاً « فيقول الله عز وجل : اكتبوا
كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه الى الارض » وقال : « فيقول الله عز وجل

اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى ، وتطرح روحه طرْحاً . ورواه ابو داود بطوله ، فهذا التوقيع والمنشور الأول ، وأما المنشور الثاني وهو التوقيع الثاني الذي ذكره الناظم ، فعن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة أحد الا يجواز بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » رواه الطبراني في « معجمه » وعنه أن النبي ﷺ قال « يعطى المؤمن جوازاً على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » أخرجها الطبراني في « معجمه » .

قوله : هذا وقد كتب اسمه الخ . أي : إن المؤمن وقع في قبضة اصحاب اليمين يوم القبضتين ، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته ، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة ، والله المستعان . فهذا ما اشتمل عليه هذا الفصل .

فصل

في صفوف أهل الجنة

هذا وان صفوفهم عشرون مع مئة وهذي الامة الثلثان .
يرويه عنه بريدة اسناده شرط الصحيح بمسند الشيباني
وله شواهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود وجبر زمان
أعني ابن عباس وفي اسناده رجل ضعيف غير ذي إتقان

ولقد أتانا في الصحيح بأنهم شطر وما للفظان مختلفان
اذقال أرجوا أن تكونوا شطرهم هذا الرجاء منه للرحمن
أعطاه رب العرش ما يرجو وزا د من العطاء فعال ذي الاحسان

في « الصحيحين » عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :
أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال : أما ترضون
أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : اني لأرجو أن
تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون في الكفار الا
كشعرة بيضاء في ثور أسود ، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض » هذا لفظ
مسلم . وعن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ « أهل الجنة
عشرون ومائة صف ، هذه الأمة منها ثمانون صفاً » رواه أحمد والترمذي ،
واسناده على شرط الصحيح . ورواه الطبراني في « معجمه » من حديث ابن
عباس ، وفي سنده خالد بن يزيد البجلي ، وقد تكلم فيه . ورواه أيضاً من
حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم وربع الجنة لكم ،
ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : كيف أنتم وثلثها ؟
قالوا : ذاك أكثر . قال : كيف أنتم والشطر لكم ؟ قالوا : ذاك أكثر .
قال : أهل الجنة عشرون ومائة صف ، لكم منها ثمانون صفاً » . قال الطبراني :
تفرد به خالد بن زياد . وروى عبد الله بن أحمد عن أبي هريرة قال : لما
نزلت (ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين) الواقعة : ١٣ ، ١٤ قال رسول الله ﷺ :
« أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة ، أنتم ثلثا
أهل الجنة » قال الطبراني : تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري . وروى
خيشة بن سليمان ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال :

« أهل الجنة عشرون ومائة صف ، أنتم ثمانون صفاً » .

قال الناظم : وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها ، واختلفت مخارجها ، وصح سند بعضها ، ولاتنافي بينها وبين حديث الشطر ، لأنه صلى الله عليه وسلم رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة ، فأعطاه الله ، وزاد عليه سدساً آخر . وروى أحمد عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة ، فكبرنا ، فقال : أرجو أن يكونوا الشطر » واسناده على شرط مسلم .

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

هذا وأول زمرة فوجوهم كالبدر ليل الست بعد ثمان
السابقون هم وقد كانوا هنا أيضاً أولي سبق إلى الاحسان

فصل

في صفة الزمرة الثانية

والزمرة الاخرى كأضوء كوكب في الافق تنظره به العينان
أمشاطهم ذهب ورشحهم فسك خالص ياذلة الحرمات

في « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون ، ولا يتمخطون ، فيها ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى منح سوقها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » وفيها أيضاً عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، وأخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء » .

فصل

في تفاضل اهل الجنة في الدرجات العلى

ويرى الذين بذيلها من فوقهم مثل الكواكب رؤية بعيان

ماذا لك مختصاً برسول الله بل لهم وللصديق ذي الايمان

في « الصحيحين » عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « إن

أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكواكب الدري

العابر من الافق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسول

الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» ولفظ البخاري «في الاقن» وهو أبين. الغابر: هو الذهاب الماضي الذي قد تدلى للغروب. وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس قائدتان، إحداهما بعده عن العيون، والثانية أن الجنة درجات، بعضها أعلى من بعض، وإن لم تسامت العليا السفلى، كالبساطين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله، والله تعالى أعلم.

قال الناظم: في «حادي الأرواح»

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

هذا وأعلامه فناظر ربه في كل يوم وقته الطرفان
لكن أدناهم وما فيهم دني إذ ليس في الجنات من نقصان
فهو الذي تلقى مسافة ملكه بسنيننا ألفان كاملتان
فيرى بها أقصاه حقاً مثل رؤيته لأدناه القريب الداني
أو ما سمعت بأن آخر أهلها يعطيه رب العرش ذوالعفران
أضعاف دنيانا جميعاً عشر أمثالها سبحان ذي الاحسان

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه، وأزواجه، ونعيمه، وخدمته، وسرره، مسيرة

ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة) القيامة : ٢٢، ٢٣ رواه الترمذي وقال : روي هذا الحديث من غير وجه عن ابن عمر غير مرفوع . ورواه ابن الجبر موقوفاً .

قلت : ورواه الطبراني في « معجمه » مرفوعاً « إن أدنى أهل الجنة منزلة الرجل في ملكه ألفي سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وسرره ، وخدمه ... الحديث » ورواه أبو نعيم أيضاً عنه مرفوعاً .

قوله : أو ما سمعت بأن آخر أهلها الخ . روى مسلم من حديث المغيرة ابن شعبة ، عن النبي ﷺ « ان موسى سأل ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له ! أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب فيقول : لك ذلك ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله . فقال في الخامسة : رضيت رب . قال : رب فأعلام منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر »

وفي « الصحيحين » عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة ، رجل يخرج من النار حبواً ، فيقول الله تعالى له : اذهب فادخل الجنة ، قال : فيأْتيا فيخيل اليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة

قال: فيأتيها فيخيل اليه أنها ملامى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملامى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فان لك مثل الدنيا ، وعشرة أمثالها ، أو أن لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بي ، أو تضحك بي وأنت الملك؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . قال : فكان يقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة .

فصل

في ذكر سن أهل الجنة

هذا وسنهم ثلاث مع ثلاثا ثين التي هي قوة الشباب
وصغيرهم وكبيرهم في ذا على حد سواء ماسوى الولدان
ولقد روى الخدري أيضاً أنهم أبناء عشر بعدها عشرا
وكلاهما في الترمذي وليس ذا بتناقض بل هاهنا أمران
حذف الثلاث ونيف بعد العقود وذكر ذلك عندهم سيان
عند اتساع في الكلام فعندما يأتوا بتحرير فبالميزان

قال الناظم : روى أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جماداً مكلحين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً ، في عرض سبعة أذرع » قيل : تفرد به حماد عن علي بن زيد . وروى الترمذي واستغربه عن معاذ بن جبل ، أن النبي ﷺ قال « يدخل

أهل الجنة الجنة جرداً مردأً مكحلين ، بني ثلاث وثلاثين . وروى أبو بكر ابن أبي داود ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أهل الجنة على صورة آدم ، في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة ، جرداً مردأً مكحلين ، ثم يذهب بهم الى شجرة في الجنة ، فيكسون منها ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم »

قوله : ولقد روى الحدري الخ . قال الناظم في « حادي الأرواح » عن أبي سعيد الحدري قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يردون بني ثلاثين سنة في الجنة ، لا يزيدون عليها أبداً ، وكذلك أهل النار » رواه الترمذي . قال الناظم : فان كان محفوظاً لم يناقض ما قبله ، فان العرب اذا قدرت بعدد له نيف ، فان لهم طريقين ، تارة يذكرون النيف للتحرز ، وتارة يحذفونه ، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم . وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك ، على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ، ثلاثاً وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، جرداً مردأً مكحلين » وروى ابن وهب عن أبي هريرة أنه قال ﷺ : « إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعاً وعلى ذلك قطعت سرهم » وفي « الصحيحين » « أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء » والرواية « على خلق » بفتح الخاء وسكون اللام ، والاختلاف كما تكون جمعاً للخلق بالضم ، فهي جمع للخلق بالفتح ، والمراد تساويهم في الطول والعرض والسن ، وإن تفاوتوا في الحسن والجمال ، ولهذا فسره بقوله : « على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » وأما أخلاقهم وقلوبهم ، ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة « إن أول زمرة

تتلج الجنة... الحديث ، وفيه « لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيّاً » .

فصل

في طول قامات أهل الجنة وعرضهم

والطول طول أبيهم ستون إكناً عرضهم سبع بلا نقصان
الطول صح بغير شك في الصحيحين اللذين هما لنا شمسان
والعرض لم نعرفه في أحدهما لكن رواه أحمد الشيباني
هذا ولا يخفى التناسب بين هذا العرض والطول البديع الشأن
كل على مقدار صاحبه وذا تقدير متقن صنعة الانسان
قد تقدمت الأحاديث في طول أهل الجنة في « الصحيحين » وغيرهما .
وأما العرض فهو كما قال الناظم : ليس في « الصحيحين » لكن قد رواه
أحمد . قال الناظم : وفي هذا الطول والعرض والسنن من الحكمة ما لا يخفى ،
فانه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة ، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات
اللذة ، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها ، بحيث يصل في اليوم
الواحد إلى مائة عذراء ، ولا يخفى التناسب بين هذا الطول والعرض ، وأنه
لوزاد أحدهما على الآخر ، فات الاعتدال وتناسب الحلقة ، ويصير طولاً
مع دقة ، أو غلظاً مع قصر ، وكلاهما غير مناسب ، والله أعلم . انتهى .

فصل

في حلاهم وألوانهم

ألوانهم بيض وليس لهم لحى جعد الشعور مكحلو الأجنان
هذا كمال الحسن في أبقارهم وشعورهم وكذلك العينان
اللحى بضم اللام جمع لحية بكسرهما ، وقد تقدمت الأحاديث بذلك ،
كالحديث الذي رواه الترمذي عن معاذ بن جبل ، أن النبي ﷺ قال :
« يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً مكحلين ، بني ثلاث وثلاثين » وروي
عن أبي هريرة مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً بيضاً جعاداً
مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض
سبعة أذرع » .

فصل

في لسان أهل الجنة

ولقد أتى أثر بأن لسانهم بالمنطق العربي خير لسان
لكن في أسناده نظر ففیه راویان وماهما ثبتان

أعني العلاء هو ابن عمرو ثم يحيى الأشعري وذان مغموزان

تقدم حديث أنس بن مالك عند ابن أبي الدنيا ، وفيه « يدخل أهل الجنة الجنة على لسان محمد ﷺ » وروي عن ابن عباس قال : لسان أهل الجنة عربي . وكذا قال الزهري .

فصل

في ريح الجنة في مسيرة كم يوجد

والريح يوجد من مسيرة أربعين وان تشأ مائة فرويان
وكذا روي سبعين أيضاً صح ه ذا كله وأتى به أثنان
ما في رحالهما لنا من مطعن والجمع بين الكل ذو إمكان
ولقد أتى تقديره مائة بخمسة عشر منها من غير ما نقصان
إن صح هذا فهو أيضاً والذي من قبله في غاية الامكان
أما بحسب المدركين لريحها قرباً وبعداً ما هما سيان
أو باختلاف قرارها وعلوها أيضاً وذلك واضح التبيان
أو باختلاف السير أيضاً فهو أنواع بقدر إطاقه الانسان
ما بين ألفاظ الرسول تناقض بل ذلك في الافهام والاذهان

روى الطبراني عن ابن عمرو عن النبي ﷺ قال « من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » ورواه البخاري وقال : « ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » وعند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه « وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » و صححه . قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : واسناده عندي على شرط الصحيح ، وعند الطبراني مرفوعاً « وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة عام » وعن أبي بكره عنده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ريح الجنة يوجد من مسيرة عام » .

قال الناظم : وهذه الألفاظ لاتعارض فيها . وفي « الصحيحين » من حديث انس في قصة عمه قال : فشهد مع رسول الله ﷺ أحد ، فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له : الجنة ورب الكعبة إني لأجد ريحها من دون أحد . فقال : فقاتلهم حتى قتل .

قال الناظم : وريح الجنة نوعان ، ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لاتدركه العبارة ، وريح تدرك بجاسة الشم للأبدان ، كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد ، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذي وجدته أنس بن النضر ، يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول . وروى أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام » وروى الطبراني عن جنبر قال : قال رسول الله ﷺ « ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف ، ولا يجدها عاق ولا قاطع رحم » وروى أبو داود الطيالسي في « مسنده » عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها

ليوجد من مسيرة خمسين عاماً « وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار من آثار الجنة وأتمودجاً منها ، من الرائحة الطيبة ، واللذات المشتهاة ، والمناظر البهية الحسنة ، والنعم والسرور وقررة العين . وقد روى أبو نعيم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل للجنة طيبي لأهلك » . فتزداد طيباً ، فذلك البرد الذي يجده الناس في السحر . والله أعلم

فصل

في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة

ونظير هذا سبق أهل الفقر للـجـنات في تقديره أثران
مائة بخمس ضربها او أربعين كلاهما في ذلك محفوظان
فأبو هريرة قد روى اولاهما وروى لنا الثاني صحابيان
هذا بحسب تفاوت الفقراء في استحقاق سبقهم الى الاحسان
أوذا بحسب تفاوت في الاغنيا ، كلاهما لا شك موجودان

روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يدخل فقراء المسلمين إلى الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم » وهو خمسمائة ، وصححه الترمذي ، ورجال اسناده احتج بهم مسلم في « صحيحه » وروى الترمذي عن جابر أنه قال : « يدخل فقراء امتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً » . وفي « صحيح مسلم » عن ابن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً » وروى الطبراني عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام . » الحديث بطوله ، والذي في الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً ، فاما أن يكون هو المحفوظ ، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً ، ويختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء ، فمنهم من يسبق بخمسمائة ، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جزائهم

قال الناظم رحمه الله :

هذا وأولهم دخولاً خير خلق الله من قد خص بالقرآن
والأنبياء على مراتبهم من التفضيل تلك مواهب المنان

روى مسلم في « صحيحه » من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وقائدهم إذا وفدوا ، وشافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا يسوا ، لواء الحمد بيدي ، ومفتاح الجنة بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي . ولا فخر ، يطوف علي ألف خادم ، وكانهم اللؤلؤ المكنون » رواه الترمذي ، والبيهقي واللفظ له . وفي « صحيح مسلم » من حديث المختار بن لفلق عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » .

وروى الطبراني عن أنس مرفوعاً « فيقوم الحازن ، فيقول : لا أفتح لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بعدك » وروى الدارقطني عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحُرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي » قال الدارقطني : غريب

هذا وأمة أحمد سبَّاق باقي الخلق عند دخولهم لجنات وأحقهم بالسبق أسبقهم إلى الإسلام والتصديق بالقرآن وكذا أبو بكر هو الصديق أسبقهم دخولاً قول ذي البرهان

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناهم بعدهم ، فاختلفوا ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » وفي « الصحيحين » عنه عن النبي ﷺ قال : نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولاً الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناهم بعدهم »

قوله : وكذا أبو بكر الصديق الخ . روى أبو داود في « سننه » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل فأخذ بيدي ، فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي ، فقال أبو بكر : يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه . فقال : « أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي »

وروى ابن ماجه أن أولهم يصاب فحاله العرش ذو الاحسان ويكون أولهم دخولاً الجنة الفردوس ذلك قاع الكفران

فاروق دين الله ناصر قوله ورسوله وشرائع الايمان
لكنه أثر ضعيف فيه مجروح يسمى خالداً ببيان
لوصح كاره عمومه المخصوص بالصديق قطعاً غير ذي نكران
روى ابن ماجه في « سننه » عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله
ﷺ « أول من يصفحه الحق عمر ، وأول من يسلم عليه ، وأول من يأخذ
بيده ، فيدخله الجنة »

قال الناظم في « حادي الأرواح » : هو حديث منكر جداً ، قال أحمد :
دارد بن عطاء ليس بشيء . وقال البخاري : منكر الحديث ، ثم لوصح
لكان مخصوصاً بالحديث الذي تقدم ، وفيه قوله ﷺ « أما إنك يا أبا بكر
أول من يدخل الجنة من أمتي »

هذا وأولهم دخولاً فهو حماد على الحالات للرحمن
ان كان في السراء أصبح حامداً او كان في الضرا فحمد ثاني
هذا الذي هو عارف بالله وصفاته وكاله الرباني
وكذا الشهيد فسبقه متيقن وهو الجدير بذلك الاحسان
وكذلك المملوك حين يقوم بالحقين سباق بغير توان
وكذا فقير ذو عيال ليس بالملحاح بل ذو عفة وصيان
وفي « صحيح مسلم » من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله
عنه مرفوعاً قال : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ،
ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال »

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ، النبي في الجنة ، والصديق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره الا لله في الجنة » أخرج النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة ، وباقي الحديث على شرطه .

فصل

في عدد الجنات وأجناسها

والجنة اسم الجنس وهي كثيرة جداً ولكن أصلها نوعان
ذهبتان بكل ما حوتاه من حلي وآنية ومن بنيان
وكذلك ايضاً فضة ثنتان من حلي وبنيان وكل أوان
لكن دار الخلد والمأوى وعد ن والسلام اضافة لمعان
أوصافها استدعت اضافة اليها مدحة مع غاية التبيان
لكنها الفردوس اعلاها وأو سطها مساكن صفوة الرحمن
أعلاه منزلة لأعلى الخلق منزلة هو المبعوث بالقرآن
وهي الوسيلة وهي اعلى رتبة خلصت له فضلاً من الرحمن

قوله : والجنة اسم الجنس الخ . أي : إنها اجناس كثيرة ، ولهذا
قال : اسم جنس ، لأن الجنس يصدق على بعض أفرادها ، فالجنة اسم شامل

بجميع ما حوته من البساتين ، والمسكن ، والقصور ، وهي جنات كثيرة جداً ، ولكن أصلها نوعان . وفي حديث أنس يرفعه : « لَهَا جَنَانٌ ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفَرْدُوسَ الْأَعْلَى » أخرجه البخاري . وفي « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آئِنْتُهُمَا وَحَلِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آئِنْتُهُمَا وَحَلِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِءَاءَ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ » .

قال الناظم : وقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) الرحمن : ٤٥ فذكرهما ، ثم قال : (ومن دونهما جنتان) الرحمن : ٦١ فهذه أربع . قالت طائفة : من دونها أي : أقرب منها إلى العرش ، فيكـونان فوقها . وقالت طائفة : تحتها ، وهذا في لغة العرب . وفي الصحاح دون نقيض فوق . ويقال : دون هذا ، أي أقرب منه ، والسباق يدل على تفضيل الجنتين الأولين بوجوه ، أحدها قوله : (ذواتا أفنان) الرحمن : ٤٧ جمع فنن ، وهو الغصن أو جمع فن ، وهو الصنف ، أي : أصناف شتى من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما . الثاني (فيها عينان تجريان) الرحمن : ٤٩ وفي الآخرين (فيها عينان نضاختان) الرحمن : ٦٥ وهي الفوارة . والجارية السارحة وهي أحسن من الفوارة ، لأنها تتضمن الفوارة والجريان . الثالث : (فيها من كل فاكهة زوجان) الرحمن : ٥١ وفي الآخرين (فيها فاكهة ونخل ورمان) الرحمن : ٦٧ ولأريب أن الأول أكمل . قالت طائفة . الزوجان . الرطب واليابس ، وفيه نظر . وقالت طائفة : صنف معروف ، وصنف من شكل غريب . وقال آخرون : نوعان ، ولم يزيدوا ، والظاهر أنه الحلو والحامض ، والأبيض والأحمر ، لأن اختلاف أصناف الفواكه أعجب وألذ

للعين والشم ، والله أعلم . الرابع : (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق)
الرحمن : ٥٣ وهذا تشبيه على فضل الظهائر وخطرها وفي الآخرين (متكئين
على رفرف خضر وعبقري حسان) الرحمن : ٧٦ وفسر الرفرف بالمجالس ،
والبسط ، والفرش ، وعلى كل فلم يصفه بما وصف به فرش الأولين . الخامس
(وجنى الجنة دان) الرحمن : ٥٤ أي قريب سهل ، يتناولونه كيف شاؤوا ،
ولم يذكر ذلك في الآخرين . السادس : (فيهن قاصرات الطرف) الرحمن
٥٦ أي على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم . وقال في الآخرين (حور مقصورات
في الحيام) الرحمن : ٧٢ ومن قصرت طرفها على زوجها أكمل ممن قصرت
بغيرها . السابع أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون واشراقه
وحسنه ، ولم يذكر ذلك في التي بعدها . الثامن (هل جزاء الاحسان إلا
الاحسان) الرحمن : ٦٠ وهذا يقتضي أن أصحابها من أهل الاحسان المطلق
الكامل ، فكان جزاؤهم باحسان كامل . التاسع : أنه جعلها جزاء لمن خاف
مقامه . والخائفون نوعان ، مقربون ، وأصحاب يمين ، فذكر جنتي المقربين ،
ثم جنتي أصحاب اليمين . العاشر : أنه قال : (ومن دونها جنتان) الرحمن :
٦٢ السياق يدل على أنه نقيض فوق ، فكان للمقربين منهم الجنة العاليتان ،
ولأصحاب اليمين اللتان دونها ، والراجح أن لكل واحد جنتان . وقيل :
لمجموع الخائفين ، يشتركون فيها ، ويرجع الأول قوله ﷺ « هما شأنان في
رياض الجنة ، إحداها جزاء أداء الأوامر ، والثانية جزاء اجتناب المحارم »
انتهى كلامه .

قوله : لإضافة لمعان . أي : لأنها سميت دار الخلد ، وجنة المأوى ،
وجنات عدن ، ودار السلام ، ونحو ذلك ، للمعاني التي تدل عليها هذه

الأسماء ، فسميت دار الخلد لأن أهلها لا يظعنون عنها ، كما قال تعالى (عطاء غير مجذود) هود : ١٠٨ وقال تعالى (إن هذا لرزقنا ماله من نفاذ) ص : ٥٤ وقال (أكلها دائم وظلها) الرعد : ٣٥ وقال : (وما هم منها بمخرجين) الحجر ٤٨ ، وأما اسمها دارا لمقامة ، فقد قال تعالى حكاية عن أهلها : (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله) فاطر : ٣٤ ، ٣٥ قال مقاتل : أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها ، أبدأ لا يموتون ، ولا يتحولون منها أبداً . وقال الفراء والزجاج : المقامة مثل الاقامة . يقال : أتمت بالمكان إقامة ، ومقامة ، ومقاماً . وأما جنة المأوى فقد قال تعالى (عندها جنة المأوى) النجم : ١٥ والمأوى مفعول من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به . قال عطاء عن ابن عباس : هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة . وقال مقاتل والكلبي : هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء . وقال كعب : جنة المأوى جنة فيها طير خضر يرتقي فيها أرواح الشهداء . وقال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) النازعات : ٤٠ . وأما جنة عدن . فقيل : اسم لجنة من الجنان . قال الناظم : والصحيح أنه اسم بجملة الجنات ، فكلها جنات عدن . قال تعالى : (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) مريم : ٦١ وقال تعالى : (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) فاطر : ٣٣ وقال تعالى : (ومساكن طيبة في جنات عدن) الصف : ١٢ والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن ، فانه من الاقامة والدوام . يقال : عدن بالمكان إذ أقام به ، وعدنت البلد ، وتوطنته ، وعدنت الابل بالمكان كذا : لزمته فلم تبرح منه . قال الجوهري : ومنه جنات عدن ، أي جنات الاقامة ، ومنه سمي

المعدن بكسر الدال، لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ، ومركز كل شيء معدنه ، والعادن ، الناقة المقيمة في المرعى ، وأما اسمها دارالسلام فقد سماها الله تعالى بهذا الاسم في قوله : (لهم دار السلام عند ربهم) الانعام ١٢٧ وقوله : (والله يدعو إلى دار السلام) وهي أحق بهذا الاسم ، فانها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه ، وهي دار الله ، واسمه سبحانه (السلام) الذي سلمها وسلم أهلها ، ونحيتهم فيها سلام ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم ، والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولاً من رب رحيم) وكلامهم كله فيها سلام ، أي لا لغو فيها ، ولا فحش ، ولا باطل ، كما قال تعالى (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً) مريم : ٦٢ وقد ذكر الناظم رحمه الله تعالى للجنة اثني عشر اسماً في كتابه «حادي الأرواح» وتكلم عن معانيها وبسط الكلام في ذلك ، والله أعلم .

قوله : لكننا الفردوس أعلاها الخ . عن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرآ ، ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » أخرجه مسلم . وروى أحمد عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال : « إذا صليت علي فاسألوا الله لي الوسيلة » قيل : وما الوسيلة قال « أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو » هكذا الرواية « أن أكون أنا هو » ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها ، ولا يكون (أنا) فصلاً ولا توكيداً ، بل مبتدأ . وفي « الصحيحين » من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حين

يسمع النداء « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، الاحلت له الشفاعة يوم القيامة » قال الناظم : هذا لفظ الحديث مقاما بالتنكير ليوافق لفظ الآية ، ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخصه ، جرى مجرى المعرفة ، فوصف بما توصف به المعارف ، وهذا لفظ من جعل (الذي وعدته) بدلا ، فتأمله ، وفي « المسند » عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة ، فاسألوا الله لي الوسيلة » ورواه ابن أبي الدنيا وقال : « فيه درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلى منها ، فسألوا الله أن يؤتيتها على رؤوس الخلائق » وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة ، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى ، وهي أقرب الدرجات إلى الله ، ومعنى الوسيلة والوصلة والقربة والزلفى واحد ، ولهذا كانت أفضل الجنة ، وأشرفها وأعظمها نوراً . قال فضيل بن عياض : تدرون لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفا . وقال ابن عباس : نور سقف مساكنكم نور عرشه . وقال الحسن : إنما سميت عدن ، لأن فوقها العرش ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وللهجور المدينة الفضل على سائر الجور . وفي الوسيلة معنى القرب اليه بأنواع الوسائل . قال الكلبي : اطلبوا اليه القربة بالأعمال الصالحة ، وقد كشف الله سبحانه هذا المعنى بقوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الاسراء : ٥٧ فقوله (أيهم أقرب) هو تفسير الوسيلة . ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه ، وأعلمهم وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له محبة ، كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله ، وهي أعلى درجة في الجنة . وقوله « حلت عليه » يروى عليه وله ، فمن رواه باللام

فمعناه حصلت له، ومن رواه (على) فمعناه وقعت عليه شفاعتي. انتهى كلام الناظم
رحمه الله تعالى .

ولقد أتى في سورة الرحمن تفضيل الجنان مفصلاً ببيان
هي أربع ثنتان فاضلتان و يليهما ثنتان مفضولان
فالأوليان الفضليان لأوجه عشر ويعسر نظمها بوزان
وإذا تأملت السياق وجدتها فيه تلوح لمن له عينان
تقدم الكلام على مضمون هذه الايات ، وذكرنا الأوجه العشرة في
تفضيل الجنتين الأولين من كلام الناظم .

سبحان من غرست يده جنة الفردوس عند تكامل البنيان
ويده أيضاً أتقنت لبنائها فتبارك الرحمن أعظم بان
هي في الجنان كآدم وكلاهما تفضيله من أجل هذا الشأن

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله بنى الفردوس
بيده ، وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر » رواه الحسن بن سفيان
وعن عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله ﷺ « خلق الله تبارك
وتعالى ثلاثة أشياء بيده ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وعرس
الفردوس بيده ، ثم قال : وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ، ولا الديوث »
رواه الدارمي ، والنجاد ، وغيرهما .

قال الناظم : المحفوظ أنه موقوف ، وفيه أبو معشر متكلم فيه . وقال
ابن عمر : خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش ، والقلم ، وعدن ، وآدم ،

ثم قال لسائر الخلق (كن) فكان ، رواه الدارمي . وعن مسرة : إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده . ونحوه عن كعب ، زاد ثم قال لها : تكلمي فقالت : (قد أفلح المؤمنون) المؤمنون : رواهما الدارمي ، وذكر البيهقي عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله أحاط حائطها لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وغرس غرسها بيده ، وقال لها تكلمي ، فقالت : (قد أفلح المؤمنون) فقال طوبى لك منزل الملوك » . وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جنة عدن بيده ، لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، ملاطها المسك ، وحصاؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، ثم قال لها : انطقي . قالت : (قد أفلح المؤمنون) فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك نجيل ، ثم تلا رسول الله ﷺ (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر : ٩ والتغابن : ١٩ . فتأمل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها بيده ، لمن خلقه بيده ، ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وظهاراً لأفضل ما خلقه بيده ، وشرفه بذلك عن غيره ، فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع الحيوان .

لكنما الجهمي ليس لديه من ذا الفضل شيء فهو ذونكران
ولد عقوق عق والده ولم يثبت بذافضلا على الشيطان
فكلاهما تأثير قدرته وتأ ثير المشيئة ليس ثم يدان
إلاهما أو نعمته وخلقته كل بنعمة ربه المنان

أي أن الجهمية لما أنكروا يده سبحانه ، وقالوا : هي يد القدرة ، أو يد

النعمة ، فلم يثبتوا فضيلة لأبيهم آدم عليه السلام ، لأن اليد إذا كان معناها القدرة ، استوى آدم وإبليس ، فإن كلاهما مخلوق بقدره الله تعالى ، وقد عقوا أباهم آدم عليه السلام بذلك ، أي فآدم والشيطان كلاهما تأثير قدرته ومشيتته ، أو نعمته ، فان الكل مخلوق بنعمة ربه . والله أعلم .

لما قضى رب العباد العرش قا ل تكلمي فتكلمت ببيان

قد أفلح العبد الذي هو مؤمن ماذا ادخرت له من الاحسان

يشير إلى حديث أنس الذي رواه ابن أبي الدنيا قال : قال رسول الله ﷺ :

« خلق الله جنة عدن بيده ، لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، ملاطها المسك ، وحصاؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، قال لها : انظري قالت (قد أفلح المؤمنون) فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك نجيل ، ثم تلا رسول الله ﷺ : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر : ٩ والتغابن : ١٦ .

ولقد روى حقاً أبو الدرداء إذا ك عويمر أثراً عظيم الشأن

يهتز قلب العبد عند سماعه طرباً بقدر حلاوة الايمان

مامثله أبداً يقال برأيه أو كان يأهلاً بذا العرفان

فيه النزول ثلاث ساعات فاحسدها من ينظر في الكتاب الثاني

يمحو ويثبت ما يشاء بحكمة وبعزة وبرحمة وحنان

فترى الفتى يمسي على حال ويصبح في سواها ما هما مثلان

هو نائم وأموره قد دبّرت ليلا ولا يدري بذاك الشان
والساعة الأخرى إلى عدز مسا كن أهله هم صفوة الرحمن
الرسل ثم الأنبياء ومعهم الصديق حسب فلا تكن ببيان
فيها الذي والله لا عين رأت كلا ولا سمعت به الأذنان
كلا ولا قلب به خطر المشا ل له تعالى الله ذو السلطان
والساعة الأخرى إلى هذي السما ويقول هل من تائب ندمان
أوداع او مستغفر أو سائل أعطيه إني واسع الاحسان
حتى تصلى الفجر يشهدا مع الـ أملاك تلك شهادة القرآن
هذا الحديث بطوله وسياقه وتامه في سنة الطبراني

قوله : ولقد روى حقاً أبو الدرداء الخ ، أي أن أبا الدرداء روى
هذا الأثر موقوفاً عليه . ومثله لا يقال بالرأي . قوله : أو كان ؛ أي : أو كان قاله
برأيه ، فيا أهلاً بذلك ، ولفظه « ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات
يبقين من الليل ، فينظر الله تعالى في الساعة الأولى في الكتاب الذي لا ينظر
فيه غيره ، فيمحو ما يشاء ، ويثبت ، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن
وهي مسكنه الذي يسكن فيه لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء
والصديقون ، وفيها ما لم يره أحد ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم يهبط آخر
ساعة من الليل ، فيقول : ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له ، ألا سائل يسألني
فأعطيه ، ألا داع يدعوني فأستجيب له ، حتى يطلع الفجر » رواه الطبراني
في « معجمه » .

فصل

في بناء الجنة

وبناؤها اللبنة من ذهب وأخرى فضة نوعان مختلفان
وقصورها من لؤلؤ وزبرجد أو فضة أو خالص العقيان
وكذلك من در وياقوت به نظم البناء بغاية الاتقان
والطين مسك خالص أو زعفران جا بذا أثران مقبولان
ليسا بمختلفين لانتكركهما فهما الملاط لذلك البنيان

قال الناظم في « حادي الأرواح » : روى أبو بكر بن مردويه ، عن
ابن عمر قال : سئل رسول الله ﷺ عن الجنة ، فقال : « من يدخل الجنة
يحيى لآيموت ، وينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه » قيل : يا رسول
الله ، كيف بناؤها ؟ قال : لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها مسك
أذفر ، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران « هكذا جاء في هذه
الأحاديث أن ترابها الزعفران ، وكذلك روى يزيد بن زريع ، عن أبي
هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من
فضة ، ترابها الزعفران ، وطينها المسك » وفي « الصحيحين » عن أبي ذر أن
رسول الله ﷺ قال : « أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها
المسك » وهو قطعة من حديث المعراج . وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري
أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة ، فقال : درمكة بيضاء ،

مسك خالص. فقال : صدق . وروى سفيان بن عيينة عن جابر بن عبد الله في قصة اليهود : فلما أن جاؤوه ، قالوا : يا أبا القاسم كم عدد خزنة أهل النار؟ فقال رسول الله ﷺ بيديه كتبتها « هكذا ، وهكذا » وقبض واحدة ، أي تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله ﷺ « مآربة الجنة ؟ » فنظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : خبزة ، فقال : « الخبزة من الدرمة » فهذه ثلاث صفات في تربتها ، لاتعارض بينها ، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران . قال معيث بن سمي : الجنة ترابها المسك والزعفران ، ويحتل معنيين آخرين ، أحدهما أن يكون التراب من زعفران ، فإذا عجن بالماء صار مسكاً ، والطين يسمى تراباً . ويدل على هذا قوله : « ملاطها المسك » والملاط الطين ، ويدل عليه أن في حديث العلاء بن زياد « ترابها الزعفران ، وطينها المسك » فلما كانت تربتها طيبة ، وماؤها طيباً فأنظم أحدهما إلى الآخر حدث لها طيب آخر فصار مسكاً . الثاني : أن يكون زعفراناً باعتبار اللون ، مسكاً باعتبار الرائحة ، وهذا من احسن شيء يكون في البهجة ، والاشراق في لون الزعفران ، والرائحة في رائحة المسك ، وكذلك شبهها بالدرمك ، وهو الحبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة ، مع لينها ونعومتها ، وهو معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن مجاهد أن أرض الجنة من فضة ، وترابها المسك ، فاللون في البياض لون الفضة ، والرائحة رائحة المسك . وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال : قيل : يارسول الله ، كيف بناء الجنة ؟ قال : « لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، وملاطها مسك أذفر ، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران » وروى أبو الشيخ عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « قلت ليلة أسري بي : يا جبريل : إنهم يسألوني عن الجنة قال : فأخبرهم أنها من درة بيضاء ،

وأن أرضها عقيان ، والعقيان الذهب ، فان كان محفوظاً فهي أرض الجنين. الذهبيتين ، فيكون جبريل أخبر بأعلى الجنين وأفضلها ، والله أعلم. آخر كلامه . قوله : وقصورها من لؤلؤ وزبرجد الخ . في « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « إن للمؤمن في الجنة حيمة من لؤلؤ واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » ومن حديث ابن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبي ﷺ : هذه خديجة أقرأها السلام ربها ، وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب . والقصب ههنا اللؤلؤ المجوف . وروى ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة لقصرأ من لؤلؤ ، ليس فيه صدع ولا وهن ، أعده الله عز وجل لحليته إبراهيم » .

فصل

في أرض الجنة وحبائنها وترايبها

والأرض مرمرية كخالص فضة مثل المرارة^(١) تنالها العينان في مسلم تشبيهاً بالدرمك الصافي وبالمسك العظيم الشأن هذا لحسن اللون لكن ذا لطيب الريح صار هناك تشبيهاً حباًؤها در وياقوت كذا ك لآلىء نثرت كثر جمان

(١) أي المرارة ، وسهل الهمزة لوزن الشعر .

وترايبها من زعفران أو من المسك الذي ما استل من غزلان
تقدم شرح هذا الفصل في الفصل الذي قبله

فصل

في صفة غرفاتها

غرفاتها في الجو ينظر بطنها من ظهرها والظهر من بطنان
سكانها أهل القيام مع الصيا موطيب الكلمات والاحسان
ثنان خالص حقه سبحانه وعبيده أيضاً لهم ثنتان

روى الطبراني عن أبي مالك الأشعري ، أن رسول الله ﷺ قال « ان
في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنهما من ظاهرها ، أعدّها الله لمن
أطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » ورواه ابن وهب
عن ابن عمرو ، ولفظه « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً
والناس نيام » قال محمد بن عبد الواحد ، وهذا عندي إسناد حسن . وفي
حديث أبي سعيد « ان أهل الجنة ليتراؤن أهل الغرف فوقهم ، كما تراؤن
الكوكب الغابر في الاق » وروى الترمذي واستغربه عن علي قال : قال
رسول الله ﷺ « ان في الجنة لغرفاً ترى ظهورها من بطونها ، وبطونها من
ظهورها » فقام اعرابي ، فقال : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : « لمن طيب
الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلى بالليل والناس نيام »

فصل

في خيام أهل الجنة

للعبد فيها خيمة من لؤلؤ قد جوفت هي صنعة الرحمن
ستون ميلاً طولها في الجو في كل الزوايا أجمل النسوان
يغشى الجميع فلا يشاهد بعضهم بعضاً وهذا لا تساع مكان
فيها مقاصيرها الأبواب من ذهب ودر زين بالمرجان
وخيامها منصوبة برياضها وشواطئ الأنهار ذي الجريان
ما في الخيام سوى التي لو قابلت للذين لقلت منكسفات
لله هاتيك الخيام فكم بها للقلب من علق ومن أشجان
فيهن حور قاصرات الطرف خيـرات حسان هن خير حسان
خيرات أخلاق حسان أوجهاً فالحسن والاحسان متفقان

قد تقدم حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال « إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤ واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ، فلا يرى بعضهم بعضاً » متفق عليه . وعن ابن مسعود في قوله (مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ قال : « در مجوف » وروى ابن المبارك عن أبي الدرداء قال : الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً من در .

فصل

في أرائكها وسررها

فيها الأرائك وهي من سرر عليهن الحجال كثيرة الألوان
لا تستحق اسم الأرائك دونها تيك الحجال وذاك وضع لسان
بشخانة يدعونها بلسان فا رس وهو ظهر البيت ذي الأركان
قال تعالى (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) الطور :
٢٠ وقال تعالى (ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين . على سرر موضونة
متكئين عليها متقابلين) الواقعة : ١٣ - ١٦ وقال تعالى (فيها سرر مرفوعة)
الغاشية : ٣ ؛ فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ،
ليس بعضها خلف بعض ، ولا بعيداً من بعض ، والوضين في لغتهم النضة
والنسيج المضاعف بعضه فوق بعض . وقال الليث : الوضن نسج السرير
وأشباهه . قالوا : موضونة : منسوجة بقصات الذهب ، مشبكة بالدر
والياقوت والزبرجد . قال ابن عباس : سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر
والياقوت والسرير ، مثل ما بين مكة وأيلة . وقال السكبي : طول السرير
في السماء مائة ذراع ، فإذا أواد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس
عليه ، فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه . وأما الأرائك ، فهي جمع أريكة
حتى يكون السرير في الحجلة ، فان كان سرير بغير حجلة لا يكون أريكة ،
وان كانت حجلة بغير سرير لم يكن أريكة ، ولا يكون أريكة إلا والسرير

في الحجلة ، فإذا اجتمعا كانت أريكة . وقال مجاهد : هي الأسرة في الحجال .
وقال الليث : الأريكة : سرير حجلة ، فالحجلة والسرير أريكة . وقال أبو
ابو اسحق : الأرائك الفرش في الحجال .

قال الناظم في « حادي الأرواح » قلت : ها هنا ثلاثة أشياء ، أحدها
السرر ، والثاني الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه ، والثالثة الفراش الذي
على السرير ، ولا يسمى السرير أريكة حتى يجتمع ذلك كله . وفي « الصحاح »
الاربيكة : سرير متخذ مزين في قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهو
حجلة . وفي الحديث أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة ، وهو الزر الذي
يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها .

قوله : بشخانة يدعونها الخ . أي : إن الأريكة تسمى بلسان
الفرس بشخانة .

فصل

في أشجارها وثمارها وظلالها

أشجارها نوعان منها ماله في هذه الدنيا مثال ثان
كالسدر أصل النبق مخضودمكا ن الشوك من ثمر ذوي ألوان
هذا وظل السدر من خير الظلا ل ونفعه الترويح للأبدان
وثماره أيضاً ذوات منافع من بعضها تفريح ذي الأحزان

والطلح وهو الموز منضود كما نضدت يد بأصابع وبنات
أو أنه شجر البوادي موقراً حملاً مكان الشوك في الأغصان
وكذلك الرماز والأعنان والسنخل التي منها القطوف دراني
ذكر الناظم في هذا الفصل أن أشجار الجنة نوعان ، منها ماله نظير في
هذه الدنيا ، والنوع الثاني مالا نظير له في الدنيا ، وبدأ بالنوع الأول وهو
الذي له مثل في هذه الدنيا . وقد قال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب
اليمين . في سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب .
وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٢٧ - ٣٣ وقال تعالى
(ذواتا أفنان) الرحمن : ٤٨ جمع فتن وهو الغصن . وقال (فيها فاكهة
ونخل ورمات) الرحمن : ٦٨

قال الناظم في « حادي الأرواح » والمخضوض الذي قد خضد شوكة ،
أي : نزع وقطع فلا شوك فيه ، هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل ،
وقتادة ، وأبي الأحوص ، وقسامه بن زهير . واحتجوا بمجتين . الأولى :
أن الحضد في اللغة القطع . خضدت الشجر : قطعت شوكة ، فهو خضيد ،
ومخضود . والثانية : ماروي ابن أبي داود عن عتبة السلمي قال : كنت
جالساً مع رسول الله ﷺ ، فجاء أعرابي فقال : أسمعك تذكر في الجنة
شجرة لأعلم شجرة أكثر شوكةً منها ، يعني الطلح . فقال رسول الله ﷺ :
« إن الله قد جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود ،
فيها سبعون لوناً من الطعام ، لا يشبه لوناً آخر » الملبود الذي قد اجتمع شعره
بعضه إلى بعض . وروى ابن المبارك عن سليم بن عامر قال : أقبل أعرابي
يوماً فقال : ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية ، وما كنت أرى في الجنة

شجرة تؤذي صاحبها . قال : وما هي ؟ قال : السدر ، فإن له شوكة مؤذياً
قال : أليس يقول عز وجل (في سدر مخضود) الواقعة : ٢٨ خضد الله
شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة . وقالت طائفة : هو الموقر حملاً ،
ولم يصب الذي أنكروا هذا القول ، وهو صحيح ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله
لما خضد شوكه فأذبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقره بالحمل ، والحديثان
المدكوران يجمعان القولين ، ومن قال الخضود ما لا يعقر ولا يرد اليد منه شوك
ولا أذى ، فقد فسره بلازم المعنى ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم
المعنى المقصود تارة ، وفرداً من أفراد تارة ، ومثلاً من أمثله ، فيحكيا
الجماعون للغث والسمين أقولاً مختلفة ، ولا اختلاف بينها . وأما الطلح ،
فأكثر المفسرين أنه شجر الموز ، وهذا قول علي ، وابن عباس ، وأبي
هريرة ، وأبي سعيد الخدري . وقالت طائفة : بل هو شجر عظام طوال من
السهوادي الكثير الشوك ، وله نور ورائحة طيبة ، وظل ظليل . قال ابن
قتيبة : هو الذي نضد بالحمل أو بالورق ، فليس له ساق بارز . وقال مسروق :
ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها ، وانهارها تجري من غير أخدود .
وقال الليث : الطلح شجر أم غيلان ، من أعظم العضاة شوكة وأصلبه عوداً ،
وأجوده صمغاً . قال أبو اسحاق : له نور طيب الرائحة ، وليس في الجنة مما
في الدنيا إلا الأسامي ؛ والظاهر أن التفسير بالموز قتييل به لحسن نضده ، والا
فالطلح في اللغة هو الشجر العظام من البوادي . والله أعلم

هذا ونوع ماله في هذه الدنيا نظير كي يرى بعيان
يكفي من التعداد قول إلهنا من كل فاكهة بها زوجان
وأثوا به متشابهاً في اللون مختلف الطعوم فذاك ذو ألوان

أو أنه متشابهاً في الاسم مختلف الطعم فذاك قول ثاني

قال الله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات إن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً) البقرة : ٢٥ . قال الناظم : قال مجاهد : ما أشبهه به . وقال ابن زيد : يعرفونه . وقال آخرون : قيل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم ، وهو أعظم من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا : هذا هو . قال أبو عبيدة : كلما نزع ثمرة عادت مكانها أخرى . قال الحسن وقتادة وابن جريج وجماعة : خيار كله لارذل فيه ، وعلى هذا ، فالمراد بالمشابهة التوافق والتماثل . وقال ابن مسعود ، وابن عباس ، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ : متشابهاً في اللون والمرئي ، وليس يشبه الطعم الطعم وقال مجاهد : متشابهاً لونه مختلفاً طعمه ، وكذلك قال الربيع ابن أنس . وقال يحيى ابن أبي كثير : عشب الجنة الزعفران ، وكتبانها المسك . ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ، ثم يأتون بمثلها فيقولون : هذا الذي جئتمونا به آنفاً فيقول لهم الخدم : كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف . وقال عبد الرحمن بن زيد : يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح ، والرمان بالرمان ، وليس هو مثله في الطعم ، واختاره ابن جرير .

أو أنه وسط خيار كله فالفحل منه ليس ذا ثنينات
أو أنه لثارنا ذي مشبه في اسم ولون ليس يختلفان
لكن لبهجتها ولذة طعمها أمر سوى هذا الذي تجدان

فيلذها في الأكل عند منالها وتلذها من قبله العينان
قال ابن عباس وما بالجنة السعليا سوى أسماء ما تريان
يعني الحقائق لاتماثل هذه وكلاهما في الاسم متحدان
ياطيب هاتيك الثمار وغرسها في المسك ذاك التراب للستان
وكذلك الماء الذي يسقى به ياطيب ذاك الورد للظمان
تقدم شرح ماتضمنته هذه الأبيات

وإذا تناولت الثمار أتت نظـيرتها فحلت دونها بمكان
لم تنقطع أبداً ولم ترقب نزول الشمس من حمل إلى ميزان
وكذلك لم تمنع ولم تحتج إلى أن ترتقي للقنـو في العيدان

قال الله تعالى (وفاكهة كثيرة . لامقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٣٢ ،
٣٣ روى الطبراني عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل إذا
زرع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى »
قوله : لم تنقطع أبداً الخ . قال الله تعالى (لامقطوعة ولا ممنوعة)
أي : لاتكون في وقت دون وقت ، ولا يمنع من أرادها .

بل ذلكت تلك القطوف فكيفما شئت انتزعت بأسهل الامكان

قال الله تعالى (قطوفها دانية) الحاقة : ٢٢ القطوف : جمع قطف ،
وهو مايقطف ، أي ثمارها دانية قريبة من يتناولها فيأخذها كيف شاء . قال
البراء بن عازب : يتناول الثمرة وهو نائم . وقال تعالى (ودانية عليهم ظلها
وذلكت قطوفها تذليلاً) الدهر : ١٤ قال ابن عباس : إذا هم أن يتناولها تدلت
إليه حتى يتناول مايريد . وقال غيره : قربت إليهم مذلة كيف شاؤوا ، فهم

يتناولونها قياماً وقعوداً، ومضجعين، فيكون كقوله (قطوفها دانية) الحاقة: ٢٢
ومعنى تذليل القطف : تسهيل تناوله . وفي نصب (دانية) وجهان ، أحدهما
أنه على الحال عطفاً على قوله (متكئين) والثاني أنه صفة الجنة .

وكذلك لم تمنع ولم يحتج إلى أن يرتقي للقنو في العيدان

القنو واحد الأقاء ، والعيدان جمع عيدانه ، وهي النخل الطوال

بل ذلت تلك القطوف فكيفما شئت انتزعت بأسهل الامكان

ولقد أتى خبر بأز الساق من ذهب رواه الترمذي ببيان

روي الترمذي وحسنه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما

في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب »

قال ابن عباس وهاتيك الجذو ع زمرد من أحسن الألوان

ومقطعاتهم من الكرم الذي فيها ومن سعة من العقيان

وثمارها مافيه من عجم كأمثال القلال فجبل ذو الاحسان

روى ابن المبارك عن ابن عباس قال : نخل الجنة جذوعها من زهر

أخضر ، وكرهها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة لأهل الجنة ، فيها مقطعاتهم

وحللم ، وثمرها أمثال القلال ، والدلاء أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من

العسل ، وألين من الزبد ، ليس له عجم .

وظلالها ممدودة ليست تقني حراً ولا شمساً وأنى ذان؟

أو ما سمعت بظل أصل واحد فيه يسير الراكب العجلان

مائة سنين قدرت لاتنقضي هذا العظيم الأصل والأفنان

ولقد روى الخُدري أيضاً أن طوًبى قدرها مائة بلا نقصان
تفتتح الأكماء فيها عن لبا سهم بما شاؤوا من الألوان

في «الصحيحين» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» وقرؤوا ان ستم (وظل ممدود) الواقعة ٣ : وروى أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد » وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال : الظل الممدود : شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها ، قال : فيشتمى بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحاً من الجنة فيحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا . وروى ابن وهب عن أبي سعيد الخُدري قال : قال رجل : يا رسول الله ، ما طوبى ! قال « شجرة في الجنة مسير مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمائها » وقد رواه حرمله عنه بزيادة في أوله أن رجلاً قال : طوبى لمن رآك وآمن بك . قال : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » وروى أبو يعلى عن سلمى بنت أبي بكر قالت : سمعت رسول الله ﷺ ، وذكر سدرة المنتهى فقال « يسير في ظل الفن منها الراكب مائة سنة » أو قال : « يستظل في الفن منها مائة ركب فيها فراش من الذهب ، كأن ثمارها القلال » رواه الترمذي وقال : شك يحيى ، وهو حديث حسن غريب

فصل

في سماع اهل الجنة

قال ابن عباس ويرسل ربنا ريحاً تهز ذوائب الأغصان
تنتشر أصواتاً تلذ لمسمع الـ انسان كالنغمات بالأوزان
يالذة الأسماع لأتتعوضي بلذادة الأوتار والعيدان
أو ما سمعت سماعهم فيها غنا ء الحور بالأصوات والألحان
واهاً لذيالك السماع فانه ملئت به الأذنان بالاحسان
واهاً لذيالك السماع وطيبه من مثل أقمار على أغصان
واهاً لذيالك السماع فكم به للقلب من طرب ومن أشجان
واهاً لذيالك السماع ولم أقل ذياك تصغيراً له بلسان
باظن سامعه بصوت أطيب الـ أصوات من حور الجنان حسان
نحن النواعم والخوالد خيراً ت كاملات الحسن والاحسان
لسنا نموت ولا نخاف ومالنا سخط ولا ضغن من الأضغان
طوبى لمن كنا له وكذلك طو بي للذي هو حظنا لفظان
في ذاك آثار روين وذكرها في الترمذي ومعجم الطبراني

ورواه يحيى شيخ الازاعي تفسيراً للفظه يجبرون أغان

قوله : واهاً قد تقدم تفسير ذلك .

قال الله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون . فأما الذين آمنوا و عملوا
الصالحات فهم في روضة يجبرون) الروم : ١٥ قال يحيى بن أبي كثير :
الخبرة : اللذة والسمع ، ولا يخالف هذا قول ابن عباس : بكرمون .
وقول مجاهد وقتادة : ينعمون . فلذة الاذن بالسمع من الخبرة والنعيم . وروى
الترمذي واستغربه عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لمجتمعاً
للحور العين يرفعن أصواتهم ، لم تسمع الخلائق بمثلهما ، يقلن : نحن الخالدات
فلا نبئد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا ننسخط ، طوبى
لمن كان لنا وكناله » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن في الجنة نهراً
طول الجنة ، حافته العذارى قيام متقابلات ، يغنين بأصوات حتى يسمعهما
الخلائق ، ما يرون في الجنة لذة مثلهما . قلنا بأبا هريرة ، وما ذلك الغناء ؟
قال : إن شاء الله التسييح ، والتقديس ، والتحميد ، وثناء على الرب عز وجل .
هكذا رواه موقوفاً جعفر الفرياني . وروى أبو نعيم عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب ، وفروعها من زبرجد
ولؤلؤ ، فتهب لها ريح فتصفق ، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألد
منه » وروى جعفر الفرياني عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول
الله ﷺ قال « ما من عبد يدخل إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان
من الحور العين ، تغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن ، وليس
بزامير الشيطان » وروى الطبراني عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ
« إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعهما أحد قط . إن بما

يعنين به : نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام ، ينظرون بقرة أعيان ،
وإن مما يعنين به : نحن الخالدات فلا تمتنه ، نحن الآمات فلا تحفنه ، نحن
المقيات فلا تظعننه . تفرد به ابن أبي مريم . وروى ابن وهب أنه قال رجل من
قريش لابن شهاب : هل في الجنة سماع ، فانه حيب إلى السماع ؟ فقال : إي
والذي نفس ابن شهاب بيده ، ان في الجنة شجر آمله اللؤلؤ والزبرجد ،
تحتة حور ناهدات ، يعنين بأوان ، يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن
الخالدات فلا نموت ، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً ، فأجبن الجراري :
فلا ندرى أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر ، ولهم سماع أعلى من
هذا . وروى ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي قال : بلغني أنه ليس من خلق
الله أحسن صوتاً من اسرافيل ، فيأمره الله تعالى ، فيأخذ في السماع ، فما يبقى
ملك إلا وقطع عليه صلاته ، فيمكث بذلك ماشاء الله أن يمكث ، فيقول
الله عز وجل : وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري . وعن محمد
ابن المنكدر قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين كانوا ينزهون
أسماعهم وأنفسمهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان ؟ أسكنوهم رياض
المسك ، ثم يقول للملائكة : أسمعوهم تمجيدي وتمجيدي . وروى ابن أبي
الدنيا عن مالك بن دينار في قوله تعالى : (وإن له عندنا لزلفى وحسن
مآب) ص : ٤ . قال : إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع ، فيوضع في
الجنة ، نودي يداود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني
به في دار الدنيا ، قال : فيستفرع صوت داود نعيم أهل الجنة . وروى حماد
ابن سلمة ، عن شهر بن حوشب أن الله جل ثناؤه يقول للملائكة : إن عبادي
كانو يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعوننه من أجلي ، فأسمعوهم عبادي ،

فيأخذون بأصوات ، من تسبيح وتكبير لم يسمعو بمثله قط . وعن ابن عباس قال : في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام فيتحدثون في ظلها ، فيشتهي بعضهم ، فيذكر هو الدنيا ، فيرسل الله رجلاً من الجنة فيحرك تلك الشجرة بكل هو كان في الدنيا ، ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع ، وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله ، وسلامه عليهم ، وخطابه ، ومحاضرتهم لهم ، ويقرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه كأنهم لم يسمعوه قبل ذلك . روى أبو الشيخ عن عبد الله بن بريدة قال : إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله ، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والبرجد والذهب والزمرد ، فلم تقرأ أعينهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم وأحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين ، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد

نزه سماعك ان أردت سماع ذياك الغنا عن هذه الألحان
لاتؤثر الأدنى على الأعلى فتحرم ذا وذا ياذلة الحرمان
إن اختيارك للسمع النازل الـ أدنى على الأعلى من النقصان
والله إن سماعهم في القلب والـ ايمان مثل السم في الأبدان
والله ما انفك الذي هو دأبه أبدأ من الاشرار بالرحمن
فالقلب بيت الرب جل جلاله حياً واخلصاً مع الاحسان
فاذا تعلق بالسمع أصاره عبداً لكل فلانة وفلات

حب الكتاب وحب الحاز الغنا في قلب عبد ليس يجتمعان
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الايمان
واللهو خف عليهم لما رأوا مافيه من طرب ومن ألحان
قوت النفوس وانما القرآز قوت القلب أنى يستوي القوتان؟!
ولذا تراه حظ ذي النقصان كالجهال والنسوان والصبيان
وألذم فيه أقلهم من العقل الصحيح فسل أخا العرفان
بالذة الفساق لست كلذة الابرار في عقل ولا قرآن

شرع الناظم رحمه الله تعالى في التحذير من سماع الأغاني والألحان .
وللعلماء رحمهم الله تعالى في هذه المسألة مصنفات مفردة ، كالامام أبي بكر
الطرطوشي ، والقاضي أبي الطيب الطبري ، وللحافظ ابن رجب « نزهة
الأسماع في مسألة السماع » وغيرهم ، وهو من مكائد الشيطان التي كادها من
قل نصيبه من العلم والعقل والدين ، وصاد بها قلوب المبطلين والجاهلين سماع
المكاهم والتصديه . والغناء بالآلات المحرمة ، هو الذي يصد القلوب عن القرآن ،
ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان فهو قرآن الشيطان ، والحجاب الكثيف
عن الرحمن ، وهو رقية اللواط والزنا ، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقة
غاية المنى كادبه الشيطان النفوس المبطله ، وحسنه لها مكرآ منه ، وغرورآ ،
وأوحى اليها الشبه الباطلة على حسنه ، فقبلت النفوس وحيه ، واتخذت لأجله
القرآن مهجورآ ، فلورأيتهم عند ذاك السماع وقد خشعت منهم الأصوات ،
وهدأت منهم الحركات ، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه ، وانصابها انصابه

واحدة اليه ، فتابوا له كتابيل النشوان ، وتكسروا في حر كانهم ورقصهم ، ولا تحرك الخناييت والنسوان ، ويحق لهم ذلك وقد خالط خماره النفوس ، ففعل فيها أعظم مما يفعله حميا الكؤوس ، فلغير الله ، بل للشيطان قلوب هناك تمزق ، وأثواب تشقق ، وأموال في غير طاعة الله تنفق ، حتى إذا عمل السكر في عمله ، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله ، واستفزم بصوته وحيله ، وأجلب عليهم بخيله ورجله ، وخز في صدورهم وخزاً ، وأزم إلى ضرب الأرض بالأقدام آزاً ، فلورأ يجعلهم كالحمير حول المدار ، وتارة كالذباب يتروص وسط الديار ، بنا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام ، واسوأنا من أشبه الحمير والأنعام وشماتة أعداء الاسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الاسلام . قال الامام أبو بكر الطرطوشي في خطبة كتبه في تحريم السماع : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، ونسأل الله أن يرينا الحق حقاً فنبتعه ، والباطل باطلاً فنجتنبه ، وقد كان الناس فيما مضى يتستر أحدهم بالمعصية اذا واقعها ، ثم يستغفر الله ويتوب اليه منها ، ثم كثرو الجهل ، وقل العلم ، وناقص الأمر ، حتى صار أحدهم يأتي بالمعصية جهاراً ، ثم ازداد الأمر إداراً حتى بلغنا أن طائفة من اخواننا المسلمين ، وفقنا الله وإياهم ، استزلم الشيطان ، واستغوى عقولهم في حب الأغاني واللهو وسماع الطقطقة والتغبير ، واعتقدته من الدين الذي يقربهم إلى الله ، وجاهرت به جماعة المسلمين ، وشاقت سبيل المؤمنين ، وخالفت الفقهاء والعلماء وحمة الدين (ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) النساء : ١١٥ فرأيت أن أوضح الحق ، وأكشف من شبه أهل الباطل بالحجج التي تضمنها كتاب الله وسنة رسوله ، وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور

الفتيا عليهم في أقاصي الأرض وأدانيها ، حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين في بدعتها ، والله ولي التوفيق . ثم قال : أما مالك فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه ، قال : وإذا اشترى جارية فوجدتها مغنية ، فله أن يردّها بالعيب . وسئل مالك عما ترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال : لما يفعله عندنا الفساق . قال : وأما أبو حنيفة فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب ، وكذلك مذهب أهل الكوفة ، سفيان ، وحماد ، وإبراهيم ، والشعبي وغيرهم ، لاختلاف بينهم في ذلك ، ولانعلم خلافاً أيضاً بين أهل البصرة في المنع منه . قال الناظم رحمه الله تعالى : مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب ، وقوله فيه أغلظ الأقوال ، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع المهي كلها ، كالزمار ، والدف ، وحتى والضرب بالقضيب ، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق ، وترد به الشهادة ، وأبلغ من ذلك قالوا : إن السماع فسق ، والتلذذ به كفر ، هذا لفظهم . ورووا في ذلك حديثاً لا يصح رفعه ، قالوا : ويجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه إذا مر به أو كان في جواره . وأما الشافعي فقال في كتاب أدب القضاء : إن الغناء هو مكروه يشبه الباطل والمحال ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه ، وأنكروا على من نسب إليه حله ، كالقاضي أبي الطيب الطبري ، والشيخ أبي اسحاق ، وابن الصباغ . قال الشيخ أبو اسحاق في « التنبيه » ولا يصح يعني الاجارة على منفعة محرمة ، كالغناء والزمر ، وحمل الحمر ، ولم يذكر فيه خلافاً . وقال في « المهذب » : ولا يجوز على المنافع المحرمة ، لأنه محرم ، فلا يجوز أخذ العوض عنه كليلته والدم ، فقد تضمن كلامه أموراً . أحدها : أن منفعة الغناء بمجرد منفعة محرمة . الثاني : أن الاستتجار عليها باطل .

الثالث : أن أكل المال به أكل مال باطل ، بمنزلة أكله عوضاً عن الميتة والدم . الرابع : أنه لا يجوز للرجل بذل ماله المغني ، ويحرم عليه ذلك ، فإنه بذل ماله في مقابلة محرم ، وأن بذله في ذلك كبذله في مقابلة الدم والميتة . الخامس : أن الزمر حرام ، فإن كان الزمر الذي هو أخف آلات اللهو حراماً ، فكيف بما هو أشد منه ؟ كالعود والطنبور ، واليراع ، ولا ينبغي لمن شتم رائحة العلم أن يتدفع في تحريم ذلك ، فأقل ما فيه أنه من شعار الفساق وشاربي الخمر ، وقد تواتر عن الشافعي رحمه الله أنه قال : خلفت ببغداد شيئاً يحذره الزنادقة يسمونه التغيير ، يصدون به الناس عن القرآن ، فإنه كان هذا قوله في التغيير ، وتعليله أنه يصد عن القرآن ، وهو شعر رهد في الدنيا ، يعني به مغن ، فيضرب بعض الحاضرين بقضيب نطع ، أو مخذة على توقيع غناه ، فليت شعري ما يقول في سماع التغيير عنده كتفلة في بحر قد اشتعل على كل مفسدة وكل محرم ؟! فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون ، وعبد جاهل ، وأما مذهب الامام أحمد ، فقال عبد الله ابنه : سألت أبي عن الغناء فقال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني ، ثم يذكر قول مالك : إنما يفعل عندنا الفساق . قال عبد الله : وسمعت أبي يقول : سمعت يحيى القطان يقول : لو أن رجلاً عمل بكل رخصة بقول أهل الكوفة في النيذ ، وأهل مكة في المتعة ، لكان فاسقاً . قال أحمد : وقال سليمان التيمي : لو أخذت برخصة كل عالم ، اجتمع فيك الشر كله ، ونص في أيتام ورتوا جارية مغنية ، وأرادوا بيعها ، قال : لاتباع إلا على أنها ساذجة ، قالوا : إذا بيعت مغنية ساوت عشرين ألفاً أو نحوها ، وإذا بيعت ساذجة لاتساوي ألفين ، ، فقال : لاتباع إلا على أنها ساذجة . ولو كانت

منقعه الغناء مباحة ، لما فوت هذا المال على الأيتام . وقد أحسن الناظم رحمه
الله تعالى في قوله :

تلي الكتاب فأطرقوا لاختيفة لكنه إطراق ساه لاهي
وأتى الغناء فكالحمير تناهقوا والله مارقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونغمة شادن نتم شهدت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بأوامر ونواهي
سمعوا الدرعداً وبرقاً إذ حوى زجراً وتخويفاً بفعل مناهي
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن شهواتها يا ويحها المناهي
وأتى السماع موافقاً أغراضها فلأجل ذا غدا عظيم الجاه
أين المساعد للهوى من قاطع أسبابه عند الجهول الساهي
إن لم يكن خمر الجسوم فإنه خمر العقول مماثل ومضاهي
فانظر إلى النشوان عند شرابه وانظر إلى النشوان عند ملاهي
وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي
واحكم بأي الخمرتين أحق بالـتـحريم والتأثم عند الله

وقد أكثر العلماء الكلام على هذا السماع الشيطاني المحدث ، ولكن آثرنا
لاختصار ، والله أعلم .

فصل

في أنهار الجنة

أنهارها في غير أخذود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان
من تحتهم تجري كما شلوا ومفجرة وما للنهر من نقصان
عسل مصفى ثم ماء ثم خمـر ثم أنهار من الألبان
والله ما تلك المواد كهذه لكن هما في اللفظ مجتمعان
هذا وبينهما يسير تشابه وهو اشتراك قام بالأذهان

روى ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك قال : إنكم تظنون أن أنهار
الجنة أخذود في الأرض ، لا والله إنها لسانحة على وجه الأرض ، إحدى
حافتيها اللؤلؤ ، والآخر الياقوت ، وطينه المسك الأذفر ، قال معاوية بن
قرة : ما الأذفر ؟ قال : الذي لا يخلط له . رواه ابن مروان في تفسيره
عن أنس مرفوعاً هكذا ، وروى أبو خيثمة عن أنس أنه قرأ هذه الآية
(إنا اعطيناك الكوثر) فقال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت الكوثر ، فإذا
هو نهر يجري ، ولم يشق شقاً ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فضربت بيدي
إلى تربته ، فإذا مسك أذفر ، وإذا حصابؤه اللؤلؤ » وروى سفيان الثوري
عن مسروق في قوله تعالى (وماء مسكوب) الواقعة : ٣١ قال : أنهار تجري
في غير أخذود ، ونخل طلعتها هضيم من أصلها الى فرعها ، أو كلمة نحوها .

قوله : من تحتهم تجري الخ . قد تكرر في القرآن الكريم في عدة مواضع قوله تعالى (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار) طه : ٧٦ وفي موضع (تجري تحتها الأنهار) التوبة : ١٠٠ وفي موضع (تجري من تحتهم الأنهار) الأنعام : ٦ وهذا يدل على أمور : أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقة . والثاني : أنها جارية لا واقفة . الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم ، كما هو المعبود في أنهار الدنيا . وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم ، وتصريفهم لها كيف شاؤوا . هؤلاء أتوا من ضعف الفهم ، فإن أنهارها وإن جرت في غير أهدود ، فهي تحت العور ، والمنازل ، والغرف ، وتحت الأشجار ، وهو سبحانه لم يقل : من تحت أرضها . قد أخبر عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا . فقال (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) الأنعام : ٦ فهذا على المعبود المتعارف ، وكذلك ما حكاه عن قول فرعون (وهذه الأنهار تجري من تحتي) الزخرف : ٥١ وقال تعالى (فيها عينان نضاختان) الرحمن : ٦٦ أي بالماء والفواكه ، قاله سعيد . وقال أنس : بالمسك والعنبر تنضحان على دور أهل الجنة ، كما ينضح المطر على دور أهل الدنيا . وقال البراء : اللتان تجريان أفضل من النضاختين . رواها ابن أبي شيبه ، وقال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) محمد : ١٥ فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا ، فأفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وأفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة ، وأن يصير قارصاً ،

وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها ، وآفة العسل عدم تصفيته ، وهذا من آيات الرب تعالى أن يجري أنهاراً من أجناس لم تجر العاده في الدنيا باجرائها ، ويجريها في غير أخدود ، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها ، كما نفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا ، من الصداع ، والغول ، واللغو ، ونزف المال ، وتصدع الرأس ، وهي كربة المذاق ، وهي رجس من عمل الشيطان ، توقع العداوة والبغضاء بين الناس ، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو إلى الزنا ، وربما دعت إلى الوقوع على البنت ، وذوات المحارم ، وتذهب الغيرة ، وتورث الحزى والندامة والفضيحة ، وتلحق ساربه بأنقص نزع الانسان ، وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الاسماء والصفات ، وتكسوه أبحح الأسماء والصفات ، وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرناه ، وكلها منفية عن خمر الجنة .

فصل

في طعام أهل الجنة

وطعامهم ما تشتهي نفوسهم ولحوم طير ناعم وسمان
وفواكه شتى بحسب مناهم ياشيعة كملت لذي الايمان
لحم وخمر والنساء وفواكه والطيب مع روح ومع ريحان
وصحافهم ذهب يطوف عليهم بأكف خدام من الولدان

وانظر إلى جعل اللذذة للعيون وشهوة للنفس في الشيطان
للعين فيها لذة تدعو إلى شهواتها بالنفس والأمران
سبب التناول وهو يوجب لذة أخرى سوى ما تالت العينان

قال تعالى (إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه ما يشتهون كلوا واشربوا
هنيئاً بما كنتم تعملون) المرسلات : ٤١ وقال تعالى (مثل الجنة التي وعد
المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها) الواقعة : ٢٥ وقال تعالى
(وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا
تأثيم) الرعد : ٣٥ وفي « صحيح مسلم » من حديث جابر قال : قال رسول
الله ﷺ « يأكل أهل الجنة ويشربون ، ولا يتمخضون ، ولا يتغوطون
ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ، يلهمون التسبيح والحمد .
وفي « المسند » والنسائي بسند صحيح ، عن زيد بن أرقم قال : جاء رجل
من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم ترعم أن أهل الجنة يأكلون
ويشربون ؟ قال « نعم ، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم يعطى قوة مائة
رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة » . قال : فإن الذي يأكل ويشرب
يكون له الحاجة وليس في الجنة أذى ، قال : « يكون حاجة أحدهم رشحاً
يفيض من جلودهم كريح المسك فيضربطنه » . ورواه الحاكم في « صحيحه »
بنحوه ، وروى الحسن بن عرفة عن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله
ﷺ « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشبهه ، فيخرج من يديك مشوياً ،
وروي الحاكم عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة طيراً
أمثال البخاتي » فقال أبو بكر : إنها لناعمة يارسول الله . قال « أنعم منها من

بأكلها، وأنت بمن يأكلها». وروى الحاكم عن قعدة في قوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) الواقعة : ٢١ نحوه بلفظة أخرى . وعن ابن عمرو في قوله تعالى (ويطاف عليهم بصحاف من ذهب) الزخرف : ٧١ قال : بسبعين صحيفة ، كل صحيفة فيها لون ليس في الأخرى . وروى الدراوردي عن أنس بن مالك أنه قال في الكوثر : ويرفعه فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، فقال : عمر : إنها لناعمة ، فقال : أكلها أنعم منها ، وفي رواية (أبو بكر) بدل (عمر) وقال تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون . إذا رأيتهم حسبتهم أولاداً منشوراً) الدهر : ٣٠ قال أبو عبيدة والبراء : مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون . وقال آخر : مخلدون مقرطون مسورون ، في آذانهم القرطة ، وفي أيديهم الأساور ، وهذا ابن الأعرابي . قال الأولون : الخلد هو البقاء . قال ابن عباس : لا يموتون ، وهذا قول مجاهد ، ومقاتل ، والكلبي ، وجمعت طائفة بين القولين ، لا يعرف لهم الكبر والهرم ، وفي آذانهم القرطة ، وشبههم باللؤلؤ لما فيه من البياض وحسن الحلقة . وفي كونه منشوراً فائدتان : احدهما : أنهم غير معطلين ، بل مشغولون في خدمتهم وجوائعهم . والثاني : أن اللؤلؤ إذا كان منشوراً لاسيما على بساط من ذهب أو حرير ، كان أحسن لمنظره ، وأبهى من كونه مجموعاً في مكان . وفي حديث أنس عن النبي ﷺ « أنا أول الناس إذا بمثوا » وفيه يطوف على ألف خادم ، كأنهم أولؤ مكنون . المكنون : المستور المصون الذي لم تبدله الأيدي .

وقول الناظم : وانظر إلى جعل اللذاعة للعيون الخ . أي : انظر إلى اللذاعة التي تحصل بالعيون بسبب النظر إلى ألوان الذين هم كاللؤلؤ المنشور . وشهوة النفس لما في الصحاف التي يطوفون بها ، فاجتمع لهم لذة النظر ولذة

الشهوة ، لما في الصغاف ، وذلك يوجب لذة أخرى ، فتكمل لهم اللذة .
والله أعلم

فصل

في شرابهم

يسقون فيها من رحيق ختمه بالمسك أوله كمثل الثاني
من خمرة لذت لشاربها بلا غول ولا داء ولا نقصان
والخمر في الدنيا فهذا وصفها تغتال عقل الشارب السكران
وبها من الأذواء ماهي أهله ويخاف من عدم لذي الوجدان
فنفي لنا الرحمن أجمعها عن الخمر التي في جنة الحيوانات
قال تعالى (يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس

المتنافسون) المطففين : ٢٦ ، ٢٥ رحيق مختوم ، أي : الخمر ختم بالمسك . وعن
ابن مسعود : ختامه مسك ، أي : خلطه ، وليس بخاتم ختم .

قال الناظم : قلت : يريد والله أعلم أن آخره مسك يخالطه ، فهو من
الخاتمة ، ليس من الخاتم ، وهو قول علقمة ومسروق ، قال : يجدون عاقبتها
طعم المسك ، وقال مجاهد : طيبه مسك ، كأنه يريد ما يبقى في أسفل الأناء

من الدردي . وقال أبو الدرداء: هو، أي : ختامه مسك ، شراب أبيض مثل الفضة ، يهتمون به آخر شرايهم ، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها . رواه الحاكم .

قوله : من خمرة لذت لشاربها الخ . نفى الله سبحانه عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداق ، والغول ، واللغو ، والأتزاف ، وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا: تغتال العقل ، وتكثر اللغو على شربها ، بل ولا يطيب شربها ذلك إلا باللغو ، وتنزف في نفسها ، وتنزف المال ، وتصعد الرأس ، وهي كريمة المذاق ، وقد تقدم بعض آفاتنا في فصل أنهار الجنة . والله أعلم .

وشرايهم من سلسيل مزجه الـ كافور ذاك شراب ذي الاحسان
هذا شراب أولي اليمين ولكن الـ أبرار شرايهم شراب ثاني
يدعى بتسنيم سنام شرايهم شرب المقرب خيرة الرحمن
صقى المقرب سعيه فصفا له ذاك الشراب فتلك تصفيتان
لكن أصحاب اليمين فأهل مزج بالمباح وليس بالعصيان
مزج الشراب لهم كما مزجواهم الـ أعمال ذاك المزج بالميزان
هذا وذو التخليط مزجى أمره والحكم فيه لربه الديان

قال تعالى (ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا. عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) الدهر: ٧٤٦ قال بعض السلف : معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم . قيل : الباء بمعنى من ؛ أي : يشرب منها .

وقيل : يروى بها ، وهذا أصح وألطف وأبلغ . وقيل : الباء الظرفية ، والعين اسم للمكان . وقال تعالى (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً . عيناً فيها تسمى سلسيلاً) الدهر : ١٧ ، ١٨ فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً ان شراب الابرار يمزج منها ، لأن أوثك أخلصوا الاعمال كلها لله تعالى فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا ، فزج شرابهم ، ونظير هذا قوله (يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقربون) المطففين ٢٥ ، ٢٨ فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشئين ، بالكافور ، وبالزنجبيل ، فما في الكافور من البرد ، وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرايين ، ومجىء أحدهما على الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وأذ من كل منهما بانفراده ، وتعديل كيفية كل منهما بكيفية الآخر . وما ألفت ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها ، فان شرابهم مزج أولاً بالكافور والزنجبيل بعده فيعده ، والظاهر أن الكأس الثانية غير الاولى وأنها نوعان لذيذان من الشراب ، أحدهما مزج بالكافور ، والثاني بالزنجبيل . وايضاً فانه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والايثار ، والصبر ، والوفاء ، بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعافها وهو ما أوجبوه على انفسهم بالنذر على الوفاء : باعلاها ، وهو ما أوجه الله عليهم ، ولهذا قال : (جزاؤهم بما صبروا جنة وحريراً) الدهر : ١٢ فان في الصبر الحشونة ، وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى ان يكون في اجزائهم من سعة الجنة ، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والحشونة ، وجمع لهم بين النصرة والسرور ، وهذا جمال بواطنهم كما جملوا في الدنيا

ظواهرهم بشرائع الاسلام ، وبواطنهم بحقائق الايمان ، أفاده الناظم رحمه الله تعالى .

فصل

في مصرف طعامهم وشرابهم ودمضمه

هذا وتصريف الماء كل منهم عرق يفيض لهم من الابدان
كروائح المسك الذي ما فيه خلا ط غيره من سائر الالوان
فتعود هاتيك البطوز ضوا مرأ تبغي الطعام على مدى الازمان
لا غائظ فيها ولا بول ولا مخط ولا بصق من الانسان
ولهم جشاء ريحه مسك يكو ز به تمام الهضم بالاحسان
هذا وهذا صح عنه فواحد في مسلم والأحمد الأثران

قوله: هذا وهذا صح عنه فواحد في مسلم البخ . تقدم الحديث الذي رواه مسلم في ذلك من حديث جابر ، وتقدم الحديث الذي رواه الامام أحمد والنسائي من حديث زيد بن أرقم قال : جاء رجل من اهل الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم . . . الحديث . قوله هذا وهذا صح عنه البخ . أي أن تصريف ما كل أهل الجنة قد بينه النبي ﷺ ، ففي حديث جابر أن ذلك جشاء ، ورشح كرشع المسك . وفي حديث زيد بن أرقم أن ذلك يكون رشحاً يفيض من جلودهم كرشع المسك : قوله . ولأحمد الأثران ، اي ان حديث

جابر وحديث زيد بن أرقم قد رواهما الامام أحمد، وأما مسلم فلم يرو
الا حديث جابر، ومع ذلك فهما صحيحان ، والله اعلم

فصل

في لباس اهل الجنة

وهم الملوك على الأسرة فوقها
واباسهم من سندس خضرو من
ماذاك من دود بني من فوقه
كلا ولا نسجت على المنوال نسه
لكنها حلل تشق ثمارها
بيض وخضر ثم صفر ثم حم
لا تقرب الدنس المقرب للبلى
ونضيف إحداهن وهو خمارها
سبعوز من حلل عليها لا تعو
لكن يراه من ورا ذا كله
تيك الرؤوس مرصع التيجان
إستبرق نوعان معروفان
تلك البيوت وعاد ذو طيران
عج ثيابنا بالقطن والكتان
عنها رأيت شقائق النعمان
ر كالرباط بأحسن الالوان
ماللبلى فيهن من سلطان
ليست له الدينا من الاثمان
ق الطرف عن مخ ورا الساقان
مثل الشراب لدى زجاج أو ان

قال الله تعالى (ان المتقين في مقام أمين في جنات و عيون . يلبسون من سندس
وإستبرق متقابلين) الدخان: ٥٣، ٥٤ وقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا

لانضيق اجر من أحسن عملا. اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار
يجلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق
متكئين فيها على الأرائك) الكهف: ٣٠، ٣١ قال جماعة من المفسرين: السندس:
من مارق الديباج والاستبرق ما غلظ منه. وقال آخرون: المراد به الصفيق. وقال
الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الالوان الأخضر والبي للباس
الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس، والتذاذ العين به، وبين نعومته
والتذاذ الجسم به. وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:
«من يدخل الجنة ينعم فلا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، في الجنة
ملا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قال الناظم في
«حادي الارواح»: والظاهر أن الثياب المعينة لا يلحقها البلى، ويحتمل ان
المراد الجنس، بل لا تزال عليه الثياب الجدد، كما انها لا ينقطع أكلها في
جنسه، بل كل ما كول يخلفه ما كول آخر، والله أعلم. وروى أحمد عن
ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «قيد سوط أحدكم من الجنة خير من
الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم خير من الدنيا ومثلها معها، ونضيف
امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها» قلت: وما النضيف؟ قال:
«الحمار» وروى ابن وهب عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله
ﷺ «إن الرجل في الجنة ليتكىء سبعين سنة قبل ان يتحول، ثم تأتيه امرأة
فتضرب على منكبيه، فيظهر وجهه في خدها أقصى من المرأة، وان ادنى
لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام، ويسألها
من أنت فتقول: انا المزيد، وانه ليكون عليها سبعون حلة ثوباً، ادناها
مثل النعمان من طوبي، فينقدها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك،
وان عليها التيجان، وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب»

وروى احمد عن ابن عمر ومر فوعاً ، وفيه : فقام آخراي اعرابي فقال : اخبرني عن ثياب اهل الجنة ، أتخلق خلقاً او تنسج نسجاً ؟ فضحك بعض القوم . فقال صلى الله عليه وسلم « تضحكون من جاهل يسأل عالماً؟ » فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال : « أين السائل ؟ » قال : ها هو ذا يارسول الله . قال : تشقق عنها ثمار الجنة ثلاث مرار . وروى البيهقي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بدمه ودمه وجعله رفيق السفرة البررة ، واذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجاً ، فقال : يارب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا ، الا فلاناً كان يقوم بي آناء الليل والنهار ، ويحل حلاله ، ويحرم حرامه ، يقول : رب فأعطه ، فيتوجه الله تاج الملك ثم يكسوه من حلال الكرامة ، ثم يقول : هل رضيت ، فيقول : يارب أرغب في أفضل من هذا ، فيعطيه الله الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ثم يقول هل رضيت ؟ فيقول : نعم يارب » وروى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى (يحلون فيها من اساور من ذهب) الكهف : ٣١ فقال : ان عليهم التيجان ، إن ادنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب . قوله : المنوال . قال في «القاموس» : والنول الوادي السائل ، وحبل السفينة . وخشبة الحائك كالمنوال ، والمنوال جمع أنوال . انتهى كلامه .

فصل

في فرشهم وما يتبعها

والفرش من إستبرق قد بطننت ماظنكم بظهارة لبطان
مرفوعة فوق الأسرة يتسكي هو والحبيب بخلوة وأمان
يتحدثان على الأرائك ماترى حين في الخلوات ينتحيان
هذا وكم زربية ونمارق ووسائد صفت بلا حسابان

قال الله تعالى (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) الرحمن : ٥٤
قال تعالى (وفرش مرفوعة) الواقعة : ٣٤ فوصف الفرش بكونها مبطنة
بالإستبرق ، وهذا يدل على أمرين ، أحدهما أن طهارتها أعلى واحسن من بطانتها
لأنها للأرض ، وظهائرها للجمال والزينة والمباهرة . قال سفيان الثوري : عن
عبد الله في قوله (بطائنها من إستبرق) قال : هذه البطائن قد خبرتم عنها ،
فكيف بالظهار ؟ الثاني : أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة ،
والظهارة . وقد روي في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة ، فالمراد
ارتفاع محلها . كما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله
تعالى (وفرش مرفوعة) الواقعة : ٣٤ قال : ارتفاعها كما بين السماء والأرض
ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ، واستغربه الترمذي . وقيل : معناه ان
الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها . وروى ابن وهب عنه عن النبي

ﷺ قال « بين الفراشين كما بين السماء والارض » وهذا أشبه ان يكون هو المحفوظ. وروى الطبراني عن كعب قال : مسيرة أربعين سنة . وعن أبي أمامة عند الطبراني قال : سئل رسول الله ﷺ عن الفرس المرفوعة . قال : « لو طرح فراش في أعلاها لوقع الى قرارها مائة خريف » وفي رفع هذا الحديث نظر . فقد روى ابن أبي الدنيا عنه قال : لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفاً . وأما البسط ، والزراي ، فقد قال تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) الرحمن : ٧٦ وقال تعالى (فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة . وزراي مبثوثة) الغاشية : ١٣ . ١٦ عن سعيد بن جبير قال : الرفرف رباح الجنة ، والعبقري عتاق الزراي . وقال الحسن : هي البسط ، وبه قال أهل المدينة . وأما البارق ، فقال الواحدي : هي الوسائد واحدها نمرقة بضم النون و كسرهما . قال مقاتل : هي الوسائد مصفوفة على الطنافس ، وزراي ، يعني : البسط . والطنافس واحدها زربية في قول جميع أهل اللغة والتفسير ، ومبثوثة مبسوطة ، منشورة . قوله : فوق الأسرة يتكفي الخ . الأسرة : جمع سرير . متكئين . قال في « القاموس » توكأ عليه تحامل واعتمد ، وانما جعل له متكأً .

وقوله ﷺ « أما أنا فلا آكل متكأً » أي : جالساً جلوس المنكمش المتربع ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل ، بل كان جلوسه للأكل مستوفزاً ، مقعياً غير متربع ولا متمكن ، وليس المراد الميل على شق كما يظنه عوام الطلبة ، وذكر الاتكاء لأنه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن ، بخلاف المريض المهموم .

وقوله تعالى (متكئين على فرش . .) الآية الرحمن : ٥٤ منصوب على الحال من فاعل قوله (ولمن خاف مقام ربه) الرحمن : ٤٦ ، وانما جمع حملا على معنى من . وقيل : منصوب على المدح . وقيل : عاملها محذوف ، والتقدير : يتنعمون متكئين ، أي : مضطجعين أو متربعين

فصل

في حلي اهل الجنة

والحلي أصفى لؤلؤ وزبرجد وكذلك أسورة من العقيان
ماذاك يختص الاناث وانما هو للاناث كذلك للذكران
التاركين لباسه في هذه الدنيا لأجل لباسه بجنان
أوما سمعت بأن حليتهم الى حيث انتهاء وضوءهم بوزان
وكذا وضوء ابي هريرة كان قد فازت به العضدان والساقان
وسواه أنكر ذا عليه قائلاً ما الساق موضع حليه الانسان
ماذاك الاموضع الكعبين والزندين لا الساقان والعضدان

قال الله تعالى (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لانضع اجر من
أحسن عملاً . اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من
أساور من ذهب . . .) الكهف : ٣٠ ، ٣١ الآية يحتمل ان يكون اساور
من لؤلؤ ، وان تكون مر كبة منها معاً . والله اعلم . وروى ابن ابي الدنيا
عن وهب قال : ان لله عز جل منذ يوم خلق يصوغ علي اهل الجنة . وعن
الحسن : الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء . وروى أحمد ابن
منيع عن سعد ابن ابي وقاص عن النبي ﷺ قال : « لو أن رجلاً من أهل الجنة

اطلع فبدأ سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، وروى ابن وهب عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ حدثهم، وذكر حلي أهل الجنة فقال « مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر، عليهم كاليب من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك، شباب جرد مكحلون، وفي « الصحيحين » والسياق لمسلم عن أبي حازم قال : كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة وكان يمد يده حتى يبلغ إبطه. فقلت : يا أبا هريرة هذا الوضوء فقال : يا بني فروخ، انتم ها هنا، لو علمت انكم ها هنا ما توضأت هذا الوضوء : سمعت خليلي ﷺ يقول : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » .

وكذلك أهل الفقه مختلفون في هذا وفيه عندهم قولان
والراجح الأقوى انتهاء وضوئنا للمرفقين كذلك الكعبان
هذا الذي قد حدد الرحمن في القرآن لا تعدل عن القرآن
واحفظ حدود الرب لا تتعداها وكذلك لا تنجح الى النقصان
وانظر الى فعل الرسول تجده قد أبدى المراد وجاء بالتيان
ومن استطاع يطيل غرته فهو قوف على الراوي هو الفوقاني
فأبو هريرة قال ذا من كيسه فغدا يميزه اولو العرفان
ونعيم الراوي له قد شك في رفع الحديث كذا روى الشيباني
وإطالة الغرات ليس بممكن أبداً وذا في غاية التبيان
قال الناظم في « حادي الارواح » وقد ساق حديث أبي هريرة المتقدم،
وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته ، والصحيح أنه

لايستحب وهو قول اهل المدينة . وعن احمد روايتان ، والحديث لا يدل على الاطالة ، فان الحلية انما تكون زيننا في الساعد والمعصم ، لافي العضد والكتف . واما قوله : فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل . فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام ابي هريرة ، لامن كلام النبي ﷺ ، بين ذلك غير واحد من الحفاظ . وفي « مسند الامام أحمد » في هذا الحديث قال نعيم : فلا ادري قوله : فمن استطاع ان يطيل غرته فليفعل . من تمام كلام النبي ﷺ ، اوشىء قاله ابو هريرة من عنده . وكان شيخنا رحمه الله يقول : هذه اللفظة لا يمكن ان تكون من كلام النبي ﷺ ، فان الغرة لا تكون في اليد ، لا تكون الا في الوجه ، وإطالته غير بمكنة ، اذ تدخل في الرأس ، ولا يسمى ذلك غرة .

فصل

في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة وصلهن ومهورهن

يامن يطوف الكعبة الحصن التي	حفت بذاك الحجر والاركان
ويظل يسعى دائماً حول الصفا	ومحسر مسعاه لا العلمان
ويروم قربان الوصال على منى	والخيف يحجبه عن القربان
فلذ تراه محرماً أبداً ومو	ضع حله منه فليس بدان
يبغي التمتع مفرداً عن حبه	متجرداً يبغي شفيح قران

فيظل بالجمرات يرمي قلبه هذي مناسكه وكل زمان
والناس قد قضوا مناسكهم وقد حثوا ركاتهم الى الأوطان
وخذت بهم همهم لهم وعزائم نحو المنازل اول الازمان
يعني الى الجنة التي أسكنها آدم وحواء عليها السلام كما اشار الى ذلك
الناظم في الميمية بقوله :

وحيّ على جنات عدن فانها منازلك الاولى وفيها الخيم
ولكننا سي العدو فهل ترى نعود الى أوطاننا ونسلم
واشار الناظم بهذه الاستعارات
رفعت لهم في السير أعلام الوصا ل فشمروا يا خيبة الكسلان
ورأوا على بعد خياماً مشرفا ت مشرقات النور والبرهان
فتيمموا تلك الخيام فأنسوا فيهن أقمارا بلا نقصان
من قاصرات الطرف لا تبغي سوى محبوبها من سائر الشبان
وقصرت عليه طرفها من حسنه والطرف في ذا الوجه للنسوان
أو أنها قصرت عليه طرفه من حسنها فالطرف للذكران
والاول المعهود من وضع الخطا ب فلا تحد عن ظاهر القرآن
ولربما دلت اشارته على الثاني فتلك اشارة للمعاب

قوله : من قاصرات الطرف الخ . . . قال الله تعالى (فيهن قاصرات
الطرف لم يطمثنّ انس قبلهم ولا جان) الرحمن : ٥٩ (كأنهن الياقوت والمرجان)

الرحمن : ٦٠ وصفين سبحانه بقصر الطرف في ثلاث مواضع : أحدها هذا ،
والثاني قوله في الصافات : ٤٨ (وعندهم قاصرات الطرف عين) والثالث قوله
في سورة ص : ٥٢ (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) والمفسرون كلهم على
ان المعنى قصر طرفهن على أزواجهن ، فلا يطحنن الى غيرهم ، وهذا معنى قول الناظم :
قصر عليه طرفها من حسنه الخ . وقيل : قصر طرف أزواجهن عليهم ، فلا
يدعهم حسنهن وجمالهن ان ينظروا الى غيرهن ، وهذا صحيح من جهة
المعنى دون اللفظ . قال مجاهد : والله ما هن متبرجات ، ولا متطلعات . وهذا
معنى قول الناظم : أو أنها قصرت عليه طرفه الخ . قوله : والأول المعهود
من وضع الخطاب . أي أن القول الاول وهوان المعنى قصرت عليه طرفها
من حسنه هو ظاهر القرآن .

هذا وليس القاصرات كمن غدت مقصورة فيها اذا صنفان

قال تعالى (حور مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ أي محبوسات في
الخيام ، قاله مقاتل . وقال ابو عبيدة : خدرن في الخيام . وقال الفراء محبوسات
على أزواجهن لا يطحنن الى من سواهم . قال الناظم : قلت : هذا معنى
قاصرات الطرف ، وهؤلاء مقصورات ، أي هن في الخيام . قال الناظم :

يا مطلق الطرف المعذب في الألى جردن عن حسن وعن احسان

لاتسيبك صورة من تحتها الـداء الدوي تبوء بالخسران

قبحٌ خلّاقها وقبح فعلها شيطانة في صورة الانسان

تنقاد للأذال والارذال هم اكفاؤها من دون ذي الاحسان

مائم من دين ولا عقل ولا خلق ولا خوف من الرحمن
وجماها زور ومصنوع فإن تركته لم تطمح لها العينان
طبعت على ترك الحفاظ فمالها بوفاء حق البعل قط يدان
ان قصر الساعي عليها ساعة قالت وهل أوليت من احسان
اورام تقويماً لها استعصت ولم تقبل سوى التعويج والنقصان
أفكارها في المكرو والكيد الذي قد حمار فيه فكرة الانسان
فجمالها قشر رقيق تحته ماشئت من عيب ومن نقصان
نقد رديء فوقه من فضة شبيء يظن به من الاثمان
فالناقدون يرون ماذا تحته والناس اكثرهم من العميان

شرح الناظم رحمه الله تعالى في ذكر عيوب نساء الدنيا، فقال: لا تسينك
صورة من تحتها الخ . أي : ان صورتها وان حسنت ، فتحتمها مالا يحصى من
القبائح . قوله : تنقاد للانذال والارذال الخ . قال في «القاموس» : النذل
والنذيل : الحسيس من الناس المحتقر في جميع أحواله ، جمع انذال ، ونذول
ونذلاء ، ونذال . وقد نذل ككرم نذالة ، ونذولة . قال : والردل ،
والرذال ، والرذيل والارذل : الدون الحسيس ، او الرديء من كل شيء ،
جمع أرذال ، ورذول ، ورذلاء ، ورذال ، وأرذلون . وقد رذل ككرم
وعلم رذالة ، ورذولة بالضم . انتهى : قوله هم اكفاؤها الخ . اي : انها
لنذالتها ورذالتها تنقاد للانذال والأرذال . قوله : طبعت على ترك الحفاظ

الخ . اي . انها طبعت على عدم الوفاء بحق الزوج . قوله : ان قصر الساعي عليها ساعة الخ . يدل على ذلك الحديث الصحيح ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن ، فاني اطلعت في النار فرأيت اكثر اهلها النساء » فقامت امرأة جزلة فقالت : ولم ذاك يا رسول الله ؟ قال : « انكن تكفرن العشير ، وتكثرن اللعن » قوله : أو رآه تقويما لها استعصت الخ . يشير الى ما في « الصحيحين » عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع ، وان اعوج ما في الضلع اعلاه ، فان ذهب تقيمه كسرتة ، وان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » متفق عليه . وفي رواية في « الصحيحين » « المرأة كالضلع ان اقمته كسرتها ، وان استمعت بها استمعت بها وفيها عوج ، وان ذهب تقيمه كسرتها ، وكسرها طلاقها » قال الناظم :

أما جميلات الوجوه فخائنا ت بعولهن وهن للأخذان

الأخذان جمع خدن . قال في « القاموس » الخدن بالكسر وكأمير :
الصاحب ، ومن يخادك في أمر ظاهر وباطن .

والاخذان : الاحباب يزنون بهن في السر . قال الحسن : المسافحة
هي ان كل من دعاها تبعته ، وذات خدن ، اي تختص بواحد لاتزني الا
معه ، والعرب تحرم الاولى ، وتجاوز الثانية .

والحافظات الغيب منهن التي قد أصبحت فرداً من النسوان
فانظر مصارع من يليك ومن خلا من قبل من شيب ومن شبان
وارغب بعقلك ان تبيع العالي الـ باقي بذا الادنى الذي هو فاني

ان كان قد أعياك خود مثاما تبغي ولم تظفر الى ذا الآن
فاخطب من الرحمن خوداً ثم قدم مهرها مادمت ذا امكان
ذلك الزناح عليك أيسر اريكن لك نسبة للعلم والايمان
والله لم تخرج الى الدنيا للذة عيشها او للحطام الفاني
لكن خرجت لكي تعدل زادلا أخرى فجئت بأقبح الخسران
أهملت جمع الزاد حتى فات بل فات الذي أهلك عن ذا الشان
والله لو أن القلوب سليمة لتقطعت أسفا من الحرمان
لكنها سكرى بحب حياتها الدنيا وسوف تفيق بعد زمان

قوله : خود . الخود : الحسنة الخلق الشابة الناعمة . قوله : والحافظات
للغيب . أي : حافظات للفروج في غيبة الأزواج . وقيل : حافظات لسرهم .
وقيل : حافظات للغيب بحفظ الله . وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ « خير النساء امرأة ، ان نظرت اليها سرتك ، وان
أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها » ثم تلا (الرجال
قوامون على النساء) النساء : ٣٤ الآية . قوله : فانظر مصارع من يليك ومن
خلا الخ اي : انظر مصارع العشاق ، واقرأ ما صنفه العلماء في ذلك كـ « مصارع
العشاق » للشيخ ابي محمد جعفر السراج ، ترى ماجرى على عشاق الصور .
قوله : والله لو أن القلوب سليمة الخ . (لو) تدل على امتناع الشيء لا امتناع
غيره ، فاذا كان ما بعدها مثبتاً كان منقياً ، نحو : لوجاءني أكرمه . واذا

كان منفيًا كان مثبتًا، نحو: لو لم يسيء لم أعاقبه . هكذا ذكر النجاة ، فعنى البيت على هذا : إن القلوب ليست بسليمة لأن ما بعد (لو) مثبت ، والله أعلم

فصل

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أخا العرفان

حور حسان قد كلن خلانقا ومحاسناً من أجمل النسوان

قال الله تعالى (وزوجناهم بحور عين) الدخان : ٤٥ الحور جمع حورا وهي : المرأة الشابة الحسنة الجميلة البيضاء ، شديدة سواد العين التي يحار الطرف فيها من رقة الجلد وصفاء اللون ، قاله مجاهد . والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور في العين ، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها ، فهو يتضمن الأمرين . وقال تعالى (وحور عين . كأمثل اللؤلؤ المكنون) الواقعة : ٢٢ ، ٢٣ روى الطبراني عن أم سلمة قالت : قلت : يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل (وحور عين) قال : « حور ، بيض ، عين ، ضخام العيون ، شفر ، الحوراء بمنزلة جناح النسور . قلت : أخبرني عن قوله (كأنهن بيض مكنون) الصافات : ٤٩ قال صفاؤهن صفاء الدر في الاصداف الذي لم تمسه الأيدي . قلت : أخبرني عن قوله (فيهن خيرات حسان) الرحمن : ٧٠ قال : خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه . قلت : أخبرني عن قوله (كأنهن بيض مكنون) الصافات : ٤٩ قال : رقتهن كرقعة الجلد الذي رأبته في داخل البيضة بما يلي القشر ... الحديث .

حتى يحار الطرف في الحسن الذي قد ألبست فالطرف كالخيران
ويقول لما أن يشاهد حسنها سبحان معطي الحسن والاحسان
والطرف يشرب من كووس جمالها فتراه مثل الشارب النشوان
كملت خلاقتها وأكمل حسنها كالبدر ليل الست بعد ثمان
والشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت ذوائب الأغصان
فتراه يعجب وهو موضع ذلك من ليل وشمس كيف يجتمعان
فيقول سبحان الذي ذا صنعه سبحان متقن صنعة الانسان
لا الليل يدرك شمسها فتغيب عند مجيئه حتى الصباح الثاني
والشمس لا تأتي بطرد الليل بل يتصاحبان كلاهما أخوان
وكلاهما مرآة صاحبه إذا ماشاء يبصر وجهه يريان
فيرى محاسن وجهه في وجهها وترى محاسنها به بعيان

روى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « ان
الرجل في الجنة ليتكوى سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة فتضرب
على منكبه ، فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة . . » الحديث . وروى
أبو يعلى الموصلي عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة قال : حدثنا رسول
الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه ، فذكر حديث الصور . وفيه « والذي
بعثني بالحق نبياً ، ما أنتم في الدنيا بأزواجكم ومساكنكم من أهل
الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل رجل منهم على اثنين وسبعين زوجة به
ينشأ الله ، وثنتين من ولد أم ، هما فضل على من أنشأ الله ، لعيادتها الله عز وجل

في الدنيا ، يدخل على الأولى منها في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ ، عليها سبعون حلة من سندس وإستبرق ، وانه ليضع يده بين كتفها ، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلى مخ ساقها ، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة . . . إلى آخر الحديث ، هذا قطعة من حديث الصور الذي تفرد به اسمعيل بن رافع . وقد روى له الترمذي ، وابن ماجه . وقال الترمذي : ضعفه بعض أهل العلم . وسمعت محمد يعني البخاري يقول : هو ثقة مقارب . . . الحديث .

قال الناظم : قال شيخنا أبو الحجاج الحافظ : هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ، ساقه اسماعيل وغيره ، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد ، وما تضمنه معروف في الأحاديث ، والله أعلم .

حمر الخدود تغورهن لآلاً
سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها
فيضيء سقف القصر بالجدران
ولقد روينا أن برقاً ساطعاً
يبدو فيسأل عنه من بجانان؟
فيقال هذا ضوء ثغر ضاحك
في الجنة العليا كما تريان
لله لاثم ذلك الثغر الذي
في لثمه إدراك كل أمان

روى ابو نعيم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «سَطَعَ نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم ، فاذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها» وروى ابن أبي الدنيا عن يزيد الرقاسي قال : بلغني أن نوراً سَطَعَ في الجنة لم يبق موضع في الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه . فقيل : ما هذا؟

قيل : حوراء ضحكت في وجه زوجها . قال صالح : فشقق رجل من ناحية المجلس ، فلم يزل يشقق حتى مات . ورواه الخطيب في « تاريخه » مرفوعاً ، ولم يذكر (الشقاق)

ريانة الأعطاف من ماء الشبا ب فغصنها بالماء ذو جريان
لما جرى ماء النعيم بغصنها حمل الثمار كثيرة الألوان
فالورد والتفاح والرمان في غصن تعالي غارس البستان
والقدر منها كالقضب للذن في حسن القوام كأوسط الغضبان
في مغرس كالعاج تحسب أنه عالي النقا أو واحد الكشبان
لا الظهر يلحقها وليس ثديها بلواحق للبطن أو بدوان
لكنهن كواعب ونواهد فثديهن كألطف الرمان

القضب: الغصن وهو واحد القضبان. الكشيب: التل من الرمل. النقامن الرمل. والنقو والبقا: عظم العضد. وقوله: وليس ثديها هو بضم الثا وكسر الدال جمع ثدي.

والجيد ذو طول وحسن في بياض واعتدال ليس ذا نكران
يشكو الحلي بعاده فله مدى الـ أيام وسواس من الهجران
والمعصمان فسان تشأ شبههما بسبيكتين عليهما كفان
كالزبد ليناً في نعومة ملمس أصداف در دورت بوزان
والصدر متسع على بطن لها حفت به خصران ذات ثمان
وعليه أحسن سره هي مجمع الـ خصرين قد غارت من الأركان
حق من العاج اتدار وحوله حبات مسك جل ذو الاتقان

وإذا انحدرت رأيت أمراً هائلاً مألصفاً عليه من سلطان
لا الحيض يغشاه ولا البول ولا شيء من الآفات في النسوان
فخذان قد حفا به حرساً له فجنابه في غرة وصيان

قوله : والجيد ذو طول الخ . وصف الجيد وهو الرقبة بأنه ذو طول
وحسن ، وأنه ليس بالطويل ولا بالقصير ، كما قال امرؤ القيس :

وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش إذا هي رضته ولا بمعطل

قوله : والمعصان الخ . المعصان ثنية معصم ، وهو موضع السوار من
الزند . والزند : طرف الذراع الذي انحسر عنه اللحم .

قوله : ذات ثمان . قال العلامة الميداني : لما تكلم على المثل المشهور : أخذت
من هيت ، وذكر قوله لعبد الله بن أبي أمية : إن فتح الله عليكم الطائف ،
فسل ان تنفل بادية بنت غيلان بن سلمة ، فانها متبلة هيفاء شعوع نجلاء ،
ثناصف وجهها في القسامة ، ونجزاً معتدلاً في الوسامة ، ان قامت تثنت ،
وان قعدت تبنت ، وان تكلمت تغنت ، أعلاها قضيب ، وأسفلها كتيب ،
اذا أقبلت أقبلت بأربع ، ولما أدبرت أدبرت بثمان الخ ،

قوله : تقبل بأربع ، يعني : بأربع عكن في بطنها .

وقوله : وتدبر بثمان . يعني : أطراف هذه العكن الأربع في جنبها ،

لكل عكنة طرفان ، لأن العكن تحيط بالطرفين والجنبيين ، حتى تلحق
بالمثنين من مؤخر المرأة . وقال : بثمان ، وإنما هي عدد الأطراف ، وواحد
طرف ، وهو مذكر ، لأن هذا كقولهم : هذا الثوب سبع في ثمان ، على
نية الأسبار . انتهى .

قاما بخدمته هو السلطان ييسنها وحق طاعة السلطان
وهو المطاع أميره لا ينثني عنه ولا هو عنده يجبان
وجماعها فهو الشفاء لصبا فالصب منه ليس بالضجران
وإذا يجامعها تعود كما أتت بكرأ بغير دم ولا نقصان
فهو الشهي وعضوه لا ينثني جاء الحديث بذا بلانكران

روى الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ
« إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم ، عدن أبقاراً » تفرد به يعلى . وروى
أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سئل : هل يس أهل الجنة أزواجهم ؟
قال : « نعم بذكر لا يمل ، وفرج لا يخفى ، وشهوة لا تنقطع » .

ولقد روينا أن شغلهم الذي قد جاء في (يس) دون بيان
شغل العروس بعمرسه من بعد ما عبثت به الأشواق طول زمان
بالله لا تسأله عن أشغاله تلك الليالي شأنه ذو شان

قال عكرمة في قوله تعالى (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)
يسن : ٥٥ أي افتضاض الأبقار . رواه سعيد بن منصور . وروى عبد الله
ابن أحمد ، عن ابن مسعود في الآية المذكورة قال : شغلهم افتضاض
العذارى . وروى الحاكم عن الأوزاعي في الآية المذكورة قال : شغلهم
افتضاض الأبقار . ومثله قال ابن عباس فيها . رواه ابن أبي الدنيا .

واضرب لهم مثلاً بصب غاب عن محبوبه في شاسع البلدان

والشوق يزعجه اليه وماله بلقائه سبب من الامكان
وافي اليه بعد طول مغيبه عنه وصار الوصل ذا إمكان
أتلومه أن صار ذا شغل به لا والذي أعطى بلا حسابان
يارب غفراً قد طغت أقلامنا يارب معذرة من الطغيان

قوله : غفراً هو بفتح الغين مصدر منصوب . أي : اغفر غفراً ، والغفر
التغطية . يقال : غفر الله ذنبك ، أي : ستره . ومعنى قول « رب اغفر لي »
استر علي ذنبي في الدنيا وفي عقوبته في الآخرة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

أقدامها من فضة قد ركبت من فوقها ساقان ملتفان
والساق مثل العاج ماموم يرى مخ العظام وراءه بعيان
والريح مسك والجسوم نواعم واللون كالياقوت والمرجان
وكلامها يسبي العقول بنغمة زادت على الأوتار والعيدان
وهي العروب بشكلها وبدلها وتحبب للزوج كل أوان
وهي التي عند الجماع تزيد في حركاتها للعين والأذنان

لطفاً وحسن تبعل وتغنجج وتحبب تفسير ذي العرفان
تلك الحلاوة والملاحة أوجبا اطلاق هذا اللفظ وضع لسان
فملاحة التصوير قبل غناجها هي أول وهي المحل الثاني
فإذاهما اجتمعا لصب وامق بلغت به اللذات كل مكان

قوله : وهي العروب الخ. قال الله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن
أبكاراً . عرباً ..) الواقعة : ٣٥ - ٥٧ الآية . عرباً جمع عروب ، وهن المتحبيات
إلى أزواجهن ، وزاد ابن الأعرابي : المطيبات لأزواجهن . وقال أبو
عبيد : الحسنة التبعل ، يريد حسن موافقتها وملاطفتها عند الجماع ، وقال
المبرد : هي العاشقة لزوجها ، وذكر المفسرون في تفسير العرب : أنهم
العواتق ، المتحبيات ، الغنجات ، الشكلات ، الغلمات ، المغنوجات ،
كل ذلك من ألفاظهم . قال البخاري في « صحيحه » عرباً : متصلة ، واحدها
عروب ، تسميها أهل مكة العربية ، وأهل المدينة : الغنجة ، وأهل العراق :
الشكلة ، فجمع سبحانه بين حسن صورتها ، وحسن عشرتها ، وهذا غاية
ما يطلب من النساء ، وبه تكمل لذة الرجل بهن ، فان لذته بالمرأة التي لم
يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها ، وكذلك هي قوله : تبعل . قال في
« القاموس » تبعلت : أطاعت بعلمها أو تربنت له .

قوله : تغنجج . قال في « القاموس » ، الغنجج بالضم وبضمين وكفراب :
الشكل ، غنجت الجارية كسبع ، وتغنجت ، وهي مغناج ، وغنجة ، وهذا
شرح ما ذكر الناظم في هذه الأبيات ، والله أعلم .

فصل

أتراب سن واحد متائل سن الشباب لأجل الشبان
بكر فلم يأخذ بكارتهاسوى الـ محبوب من انس ولا من جان
حصن عليه حارس من أعظم الحراس بأساً شأنه ذو شان
فإذا أحس بداخل للحصن ولى هارباً فتراه ذا إمعان
ويعود وهنا حين رب الحصن يخرج منه فهو كذا مدى الأزمان
وكذا رواه أبو هريرة إنها تنصاع بكراً للجماع الثاني
لكن دراجا أبا السمح الذي فيه يضعفه أولو الاتقان
هذا وبعضهم يصح عنه في التفسير كالمولود من حبان
فحديثه دون الصحيح وإنه فوق الضعيف وليس ذا إتقان
يعطى المجمع قوة المائة التي اجتمعت لأقوى واحد الانسان
لأن قوته تضاعف هكذا إذ قد يكون أضعف الأركان
ويكون أقوى منه ذانقص من الإيمان والأعمال والاحسان

قوله : أتراب . الاتراب جمع ترب ، وهو لدة الانسان .

قوله : سن الشباب . وهو ثلاث وثلثون سنة ، كما تقدم .

قوله : بكر الخ . قال الله تعالى (لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان)
الرحمن : ٥٦ أي لم يمسهن . قاله أبو عبيدة . وقال الفراء الطمث : الافتضاض ،
وهو النكاح بالتدمية ، والطمث هو الدم ، والطامث هي الحائض . قال
المفسرون : لم يطمئن ، ولم يغشهن ، ولم يجامعن . هذه ألفاظهم . وقال
بعضهم : هن اللواتي أنشئن في الجنة من حورها ، قاله مقاتل . وبعضهم
يقول : يعني نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبكاراً ، قاله الشعبي . وزاد : لم
يمسهن منذ أنشئن خلقاً . قال ابن عباس : هن الآدميات اللاتي متن أبكاراً .
قال الناظم : قلت : ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة ليس من نساء
الدنيا ، وإنما هن من الحور العين ، وأما نساء الدنيا ، فقد طمئن الانس ،
ونساء الجن قد طمئن الجن ، والآية تدل على ذلك كما قال أبو اسحاق ،
ويدل عليه التي بعدها (حور مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ قال
الامام أحمد : والحور العين لا يمتن عند النفخة في الصور ، لأنهن خلقن للبقاء .
وفي الآية دليل لما ذهب اليه الجمهور ، أن مؤمني الجن في الجنة ، كما أن كافرهم
في النار ، وبوب عليه البخاري في « صحيحه » فقال : باب ثواب الجن وعقابهم
ونص عليه غير واحد من السلف .

قوله : وكذا رواه أبو هريرة الخ . هو ما روى ابن وهب عن أبي
هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : يا رسول الله ، أنطأ في الجنة ؟ قال :
« نعم والذي نفسي بيده ، دحماً ، دحماً ، فاذا قام رجعت مطهرة بكراً »
وذكر الناظم أن في اسناده دراجاً أبا السمع ، وهو ضعيف . قال أحمد :
عامة أحاديثه مناكير . وقال النسائي منكر الحديث . وقال أبو حاتم ،
والدارقطني . ضعيف ومتروك . وقال النسائي أيضاً : ليس بالقوي ، وساق

له ابن عدي أحاديث وقال : عامتها لا يتابع عليها ، ووثقه يحيى . وأخرج
عنه ابن حبان في « صحيحه » . وقال ابن المديني : ثقة

قوله : وبعضهم يصح عنه في التفسير الخ . المراد أبو حاتم : ابن حبان
وذكر الناظم في النظم أن حديثه دون الصحيح ، وفوق الضعيف ،
والله أعلم .

قوله : يعطى المجمع الخ . روى ابو نعيم عن أنس قال : قال رسول
الله ﷺ « للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة » فقلنا : يا رسول الله ،
أوله قوة على ذلك ؟ قال : « انه يعطى قوة مائة رجل » في اسناده أحمد بن
حفص السعدي ، له منا كبير .

ولقد روينا أنه يغشى بيوم واحد مائة من النسوان
ورجاله شرط الصحيح ورواهم فيه وذا في معجم الطبراني
هذا دليل أن قدر نسائهم متفاوت بتفاوت الايمان
وبه يزول توهم الاشكال عن تلك النصوص بمنة الرحمن
وبقوة المائة التي حصلت له أفضى إلى مائة بلا خوران
وأعفهم في هذه الدنيا هو الـ أفوى هناك ازهده في الفاني
فاجمع قواك للمامناك وغمض الـ معينين واصبر ساعة لزمان
ماها هنا والله مايسوى قلامة ظفر واحدة ترى بجنان
ماها هنا الا النقار وسيء الـ أخلاق مع عيب ومع نقصان
هم وغم دائم لا ينتهي حتى الطلاق وبالفراق الثاني

والله قد جعل النساء عوانياً شرعاً فأضحى البعل وهو العاني
لاتؤثر الأدنى على الأعلى فان تفعل رجعت بذلة وهوان

روى الطبراني عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، هل نصل الى
نساءنا في الجنة . فقال : « ان الرجل ليصل في اليوم الواحد الى مائة عذراء »
تفرد به الجعفي . قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : رجاله عندي على شرط
الصحيح . وروى ابو الشيخ عن ابن عباس قال : قيل : يا رسول الله ،
أنقضي الى نساءنا في الجنة كما نقضي اليهن في الدنيا ؟ قال : « والذي نفس
محمد بيده ، ان الرجل ليفضي في الغداة الواحدة الى مائة عذراء » فيه زيد
ابن أبي الحواري ، وهو العمي . قال فيه ابن معين : صالح . وقال مرة :
لا شيء ، وقال مرة : ضعيف يكتب حديثه ، وكذلك قال ابو حاتم .
وقال الدارقطني : صالح ، وضعفه النسائي . وقال السعدي : متمسك .

قال الناظم : قلت : وحسبه رواية شعبة عنه ، والاحاديث الصحيحة
إنما فيها « لكن منهم زوجتان » وليس في الصحيح زيادة على ذلك . فان كانت
هذه الاحاديث محفوظة ، فاما أن يراد بها لكل واحد من المراري زيادة
على الزوجين ، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة ،
كالخدم ، والولدان . واما أن يراد به أن يعطى قوة من يجمع هذا العدد ،
ويكون هذا هو المحفوظ ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال : له كذا وكذا
زوجة . قال : وقد روى الترمذي عن أنس عن النبي ﷺ قال : « يعطى
المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » قيل : يا رسول الله ، أويطيق
ذلك ؟ قال : « يعطى قوة مائة » هذا حديث صحيح ، فلعل من رواه

«يفضي الى مائة عذراء» بالمعنى، أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات ، والله اعلم .

قال : ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين ، لما في «الصحيحين» من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ان للعبد المؤمن في الجنة حيمة من لؤلؤة مجوفة ، طولها ستون ميلاً ، للعبد المؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم ، لا يرى بعضهم بعضاً » . انتهى كلامه .

قوله : والله قد جعل النساء عوانياً الخ . قال في «القاموس» : العواني : النساء ، لأنهم يظلمن ، فلا ينتصرن .

فصل

وإذا بدت في حلة من لبسها وتمايلت كتمايل النشوان
تهتز كالغصن الرطيب وحمله ورد وتفاح على رمان
وتبخترت في مشيها ويحق ذا كمثلها في جنة الحيوان
قوله : ورد الخ . الورد في الحدود ، والتفاح في الوجنات ، والرمان في الصدر ، وهما النهدان .

قوله : وتبخترت : البخترة والتبختر : مشية حسنة ، والبخترى : الحسن المشي والجسم ، والمخترال كالبختر ، قاله في القاموس .

ووصائف من خلفها وأمامها وعلى شمائلها وعن أيمن

كالبدر ليلة تمه قد خف في غسق الدجى بكواكب الميزان
فلسانه وفؤاده والطرف في دهش وإعجاب وفي سبحان
فالقلب قبل زفافها في عرسه والعرس إثر العرس متصلان
حتى إذا ما واجهته تقابلاً أرايت إذ يتقابل القمران
فسل المتيم هل يحل الصبر عن ضم وتقييل وعن فلتان
وسل المتيم أين خلف صبره في أي واد أم بأي مكان؟
وسل المتيم كيف حالته وقد ملئت له الأذنان والعينان
من منطق رقت حواشيه ووجهه كم به للشمس من جريان
وسل المتيم كيف عيشته إذا وهما على فرشيهما خلوان
يتساقطان لآئماً منشورة من بين منظوم كنظم جمان

جمان كغراب: اللزوء وهنوات اشكال الاواز من فضة، الواحدة جمانة
قاله في « القاموس » .

قواه : بكواكب الميزان ؛ اي : كوكب الجوزاء .

وسل المتيم كيف مجلسه مع الـمـحـبـوب في روح وفي ريحان
وتدور كاسات الرحيق عليهما بأ كف أقمار من الولدان
يتنازعان الكأس هذا مرة والخود اخرى ثم يتكثان
فيضمها وتضمه أرايت معشـوـقـين بعد البعد يلتقيان

غاب الرقيب وغاب كل منكذ وهما بثوب الوصل مشتملان
أتراهما ضجرين من ذا العيش لا وحياة ربك ما هما ضجران
ويزيد كل منها حباً لصا حبه جديداً سائر الأزمان
ووصاله يكسوه حباً بعده متسلسلاً لا ينتهي بزمان
فالوصل محفوف بحب سابق وبلاحق وكلاهما صنوان
فرق لطيف بين ذاك وبين ذا يدريه ذو شغل بهذا الشأن
ومزبد هم في كل وقت حاصل سبحان ذي الملكوت والسلطان
يا غافلاً عما خلقت له انتبه جد الرحيل فلست باليقظان
سار الرفاق وخلفوك مع الألى قنعوا ابداً الحظ الخسيس الفاني
ورأيت أكثر من ترى متخلفاً فتبعتهم ورضيت بالحرمان
لكن أتيت بخطي عجز وجهـل بعد ذا وصحبت كل أمان
ممتك نفسك باللحاق مع القعو دعن المسير وراحة الأبدان
ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

فصل

في ذكر الخلاف بين الناس هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا ؟

والناس بينهم خلاف هل بها حبل وفي هذا لهم قولان
فنفاه طاووس و ابراهيم ثم مجاهد وهم أولو العرفان
وروى العقيلي الصدوق ابورزبن صاحب المبعوث بالقرآن
أن لا توالد في الجنازرواه تعليقا محمد العظيم الشاف
وجكاه عنه الترمذي وقال اسحاق بن ابراهيم ذو الاتقان
لا يشتهي ولدا بها ولو اشتها ه لكان ذاك محقق الامكان
وروى هشام لابنه عن عامر عن ناجي عن سعد بن سنان
ان المتمعم بالجنار إذا اشتهى الولد الذي هو نسخة الانسان
فالحمل ثم الوضع ثم السن في فرد من الساعات في الأزمان
اسناده عندي صحيح قد رواه الترمذي واحمد الشيباني
ورجال ذا الاسناد محتج بهم في مسلم وهم أولو إتقان
لكن غريب ماله من شاهد فرد بهذا الاسناد ليس بثان

لولا حديث ابي رزين كان ذا كالتص يقرب منه في التبيان
ولذلك أوله ابن ابراهيم بالشرط الذي هو منتفى الوجدان
وبذلك رام الجمع بين حديثه وأبي رزين وهو ذو إمكان
هذا وفي تأويله نظر فان اذا لتحقيق وذو إتقان
ولربما جاءت لغير تحقق والعكس في اذناك وضع لسان
حاصل هذا الفصل قد ذكره الناظم في « حادي الأرواح » ولندكر
كلامه ملخصاً . قال : فصل في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة ؟
روى الترمذي واستغربه ، عن ابي سعيد الحدري قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « إذا انتهى الولد في الجنة ، كان حمله ووضعه وسنه في
ساعة كما يشتهي » قال اسحق بن ابراهيم : ولكن لا يشتهي . قال بعضهم : في
الجنة جماع ، ولا يكون ولد . وقد روي عن أبي رزين العقيلي عن النبي
ﷺ قال « إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد » .

قال الناظم : قلت : حديث أبي سعيد على شرط الصحيح ، ورجاله محتج
بهم فيه ، ولكنه غريب جداً ، وتأويل اسحاق فيه نظر . وروى أبو نعيم
عن أبي سعيد المذكور قل : قيل : يا رسول الله ، أيولد لأهل الجنة ، فان
الولد من تمام السرور ؟ فقال : « نعم والذي نفسي بيده ما هو كقدر
ما يمتنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه في ساعة واحدة » وروى الحاكم
مثله أيضاً عنه . قال البيهقي : وهذا إسناد ضعيف برة ، وفي حديث أبي
رزين الطويل الذي أشار اليه البخاري « غير أن لاتوالد » رواه احمد ،
والطبراني ، وأبو الشيخ ، وابن منده ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، وغيرهم ،

على سبيل القبول والتسليم ، فهذا حديث صريح في انتفاء الولد .
وقوله : إذا اشتهى . معلق بالشرط ، ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ،
والالمعلق به ، و (إذا) وان كانت ظاهرة في المحقق ، فقد تستعمل لمجرد التعليق
الأعم من المحقق وغيره ، قالوا : وفي هذا الموضع يتبين ذلك بوجوه عشرة ،
ثم ذكرها الناظم ، ثم قال : النافون للولادة في الجنة ، لم ينفوها لزيغ
في قلوبهم ، ولكن لحديث أبي رزين « غير أن لاتوالد » وقد حكى الترمذي
في ذلك قولين للسلف والخلف ، وحديث الترمذي غريب ، فان كان رسول
الله ﷺ قد قاله ، فهو الحق الذي لا شك فيه ، ولا تناقض بينه وبين
حديث أبي رزين « غير أن لاتوالد » إذ ذلك نفي للتوالد المعهود في الدنيا
لاينفي ولادة حمل الولد ووضعه ، وسنه ، وشبابه في ساعة واحدة .
انتهى كلامه .

قوله : وروى هشام لابنه النخ . هذا هو حديث أبي سعيد الذي تقدم
أول الفصل .

قوله : عن سعد بن سنان . هو أبو سعيد ، سعد بن مالك بن سنان الحُدَري
رضي الله عنه .

قال الناظم :

واحتج من نصر الولاية في الجـنات سائر شهوة الانسان
والله قد جعل البنين مع النساء من أعظم الشهوات في القرآن
فأجيب عنه بأنه لا يشتهي ولدًا ولا حبلاً من النسوان

واحتج من منع الولادة أنها ملزومة أمرين ممتنعان
حيض وإنزال المني وذانك الـ أمران في الجنات مفقودان
وروى صدي عن رسول الله أن منيهم إذ ذاك ذو فقدان
بل لامني ولا منية هكذا يروي سليمان هو الطبراني
وأجيب عنه بأنه نوع سوى المعهود في الدنيا من النسوان
فالنفي للمعهود في الدنيا من الـ ايلاد والاثبات نوع ثاني
والله خالق نوعنا من أربع متقابلات كلها بوزان
ذكر وأنثى والذي هو ضده وكذاك من انثى بلا ذكران
والعكس أيضاً مثل حوا أمنا هي أربع معلومة التبيان
وكذاك مولود الجنان يجوز أن يأتي بلا حيض ولا فيضان
والأمر في ذا ممكن في نفسه والقطع ممتنع بلا برهان

فوله: واحتج من نصر الولادة الخ . أي : احتج من نصر القول بالولادة
في الجنة ، بأن في الجنة جميع الشهوات ، والنساء والبنين من أعظم الشهوات
كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين . .)
آل عمران : ١٤ الآية .

قوله : وأجيب عنه الخ . أي : أجاب من منع الولادة بأنه لا يشتهي
ولداً وحبلاً .

قوله : واحتج من منع الولادة . أي : احتج مانعو الولادة بأنه يلزمها

أمران بمتنعان في الجنة ، وهما الحيض ، وانزال المني .

قوله : وروى صدي ، أي : روى أبو أمامة صدي بن عجلان ، عن رسول الله ﷺ أنه سئل : هل يتناكح أهل الجنة ؟ قال « بذكر لا يمل ، وشهوة لا تنقطع ، دحماً دحماً » وفي لفظ عنه « دحماً دحماً ، ولكن لا مني ولا منية » أي : لا انزال ولا موت ، فهو صريح في انتفاء المني في الجنة ، فاحتج من أنكر الولادة بأنه نوع سوى المعهود في الدنيا من النسوان ، فالنفي للمعهود في الدنيا من الايلاء ، والاثبات نوع آخر .

قوله : والله خالق نوعنا من أربع النخ . أي : لان الله خلق نوع الانسان من أربعة أشياء متقابلة ، من ذكر وأنثى ، كبنى آدم ، ولا من ذكر ولا أنثى ، كما آدم عليه السلام ، و ذكر بلا أنثى كجواء أمنا ، ومن أنثى بلا ذكر ، كعيسى عليه السلام ، فهذه أربع كما ذكره الناظم .

قوله : وكذلك مولود الجنان النخ . أي : ان مولود الجنان يجوز أن يوجد بلا حيض ولا فيضان ، أي مني ، وقدرة الله سالحة . والله أعلم .

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم

ويروونه سبحانه من فوقهم رؤيا العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسول الله لم ينكره إلا فاسد الايمان

وأتى به القرآن تصريحاً وتعريضاً هما بسياقه نوعان
وهي الزيادة قد أتت في يونس تفسيره قد جاء بالقرآن
ورواه عنه مسلم بصحيحه يروي صهيب ذا بلاتمان
وهو المزيدي كذاك فسرهُ أبو بكر هو الصديق ذو الايقان
وعليه أصحاب الرسول وتابعوهم بعدهم تبعية الاحسان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل رؤية أهل الجنة ربهم تبارك
وتعالى بأبصارهم جبهة ، كما يرى القمر . وقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ،
وجميع الصحابة والتابعين ، وأئمة الاسلام ، وأنكرها أهل البدع ، كالجمية ،
والمعتزلة ، والباطنية ، والرافضة .

قوله : وأتى بها القرآن تصريحاً وتعريضاً الخ . التصريح كما في قوله تعالى (وجوه
يومئذ ناضرة . إلي ربهما ناظرة) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ وقوله تعالى (اتقوا الله
واعلموا أنكم ملاقوه) البقرة ٢٢٣ وقوله (تحييتهم يوم يلقونه سلام)
الاحزاب : ٤٤ وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) الكهف : ١١٠
وقوله (الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) البقرة : ٢٤٩ وأجمع أهل اللسان
على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع ، اقتضى المعاينة
والتعريض ، كقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين :
١٥ وقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦ .

قوله : وهي الزيادة قد أتت في يونس الخ . في « صحيح مسلم » عن
صهيب قال : قرأ رسول الله ﷺ (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦
قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل

الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم
يثقل موازيننا ، ويبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، ويمجرنا من النار ؟
فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر
إليه ، وهي الزيادة . وروى الحسن بن عرفة عن أنس عنه عليه السلام قال : « للذين
أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى ، وهي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى »
قوله : وهو المزيد . كذا فسره أبو بكر النخ . يعني قوله تعالى (لهم
ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) ق : ٣٥ قال علي وأنس : هو النظر إلى
وجه الله تعالى ، وقاله من التابعين زيد بن وهب ، وغيره .

قوله : وعليه أصحاب الرسول وقابعوهم الخ . أي إن أثبات رؤيته سبحانه
هو قول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقابعوهم باحسان .

ولقد أتى ذكر اللقاء لربنا الله — رحمنا في سور من الفرقان
ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى الله — اجماع فيه جماعة ببيان
وعليه أصحاب الحديث جميعهم لغة وعرفاً ليس يختلفان

يعني قوله تعالى (واتقوا الله واءلموا أنكم ملاقوه) البقرة : ٢٢٣ وقوله
تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) الأحزاب : ٤٤ وقد أجمع أهل اللسان على
أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع ، اقتضى الرؤية والمعابنة ،
ولا ينتقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه) التوبة :
٧٧ فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة ، على أن المنافقين يرونه في عرصات
القيامة والكفار أيضاً . كما في « الصحيحين » في حديث التجلي يوم القيامة .

وفي هذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون . والثاني : يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار فلا يروه بعد ذلك .
والثالث : يراه المنافقون دون الكفار ، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها في تكليسه لهم . ولشيخ الاسلام في ذلك مصنف مفرد .

هذا ويكفي أنه سبحانه وصف الوجوه بنظرة يجنان
وأعاد أيضاً وصفها نظراً وذا لاشك يفهم رؤية بعيان
وأنت أداة (إلى) لرفع الوهم من فكر كذاك ترقب الانسان
وأضافه محل رؤيتهم بذلك الوجه إذ قامت به العينان
تا لله ما هذا بفكر وانتظار مغيب أو رؤية لجنان
ما في الجنان من انتظار مؤلم واللفظ يأباه لذي العرفان
لاتفسد والفظ الكتاب فليس فيه حيلة يافرة الروغان
ما فوق ذلك التصريح شي، ما الذي يأتي به من بعد ذا التبيان؟
لو قال أبين ما يقال لقلتم هو مجمل ما فيه من تبيان
قال الناظم في « حادي الأرواح » في الكلام على قوله تعالى (وجوه يومئذ
ناضرة ، الى ربها ناظرة) القيامة : ٢٢، ٢٣ وأنت إذا أجرت هذه الآية من
تحريفها عن مواضعها ، والكذب على المتكلم بها فيما أراد منها ، وجدتها
منادية نداء صريحا : إن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة ، وإن
أبيت التحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلاً، فتأويل نصوص المصنف

والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا . واسمع الآن أيها السني تفسير النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الاسلام لهذه الآية . روى ابن مردويه عن ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) القيامة : ٢٢ قال : من البهاء والحسن (إلى ربه ناظرة) القيامة : ٣٣ وقال ابن عباس : تنظر الى وجه ربه عز وجل . وقال عكرمة : (ناضرة) من النعيم الى ربه (ناظرة) تنظر نظرا . وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث . وأما الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية ، فمتواترة ، منها حديث ابي بكر الصديق عند أحمد في ذكر استشفاع الناس من نبي الى نبي ، وهو طويل جداً ، فيه : « فاذا نظر إلى ربه عز وجل ، خر ساجداً » ومنها حديث ابي هريرة وأبي سعيد في « الصحيحين » أن أناساً قالوا : يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ » قالوا : لا . قال : « هل تضارون في رؤية الشمس ايس دونها سحب ؟ » قالوا : لا . قال : « فانكم ترونه كذلك . . . » الحديث . وفي « الصحيحين » عن جرير بن عبد الله قال : كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر الى القمر ليلة أربع عشرة ، فقال : « انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا ، لاتضامون في رؤيته ، فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا . . . » الحديث . والاحاديث بذلك كثيرة ، وهي متواترة ، كما تقدم قوله : وصف الوجوه بنظرة بجنان ، والمراد الحسن والجمال ، ثم قال (الى ربه ناظرة) وهي الرؤية بالعيان . قوله : وأنت أداه (الى) لرفع

للوم من فكر الخ . أي : أن المعنى النظر الى الرب تعالى وأنت أداة (الى)
الذبح توهم الانتظار ، وذلك كما يقول المؤولة: ان معنى ناظرة: تنتظر الثواب،
قوله : وإضافة محل رؤيتهم بذكر الوجه أي : إنه تعالى قال :
(وجوه يومئذ ناظرة) القيامة : ٢٢ فاضاف النظر الى الوجوه لأن
العينان فيه .

ولقد أتى في سورة التطفيف أن القوم قد حجبوا عن الرحمن
فيدل بالمفهوم ان المؤمنين يرونه في جنة الحيوان
وبذا استدل الشافعي واحمد وسواهما من عالمي الازمان
واتى بذا المفهوم تصريحاً بآ خرها فلا تخدع عن القرآن
واتى بذاك مكذباً للكافرين الساخرين بشيعة الرحمن
ضحكوا من الكفار يومئذ كما ضحكوا هم منهم على الايمان
وأثابهم نظراً اليه ضد ما قد قاله فيهم اولو الكفران
فلذلك فسره الأئمة انه نظر الى الرب العظيم الشأن
لله ذاك الفهم يؤتیه الذي هو اهله من جاد بالاحسان
يشير الى قوله تعالى في سورة المطففين عن الكفار (كلا انهم عن
ربهم يومئذ لحجوبون) المطففين : ١٥ فمفهومه أن المؤمنين يرونه سبحانه .
قال الناظم في « حادي الأرواح » (كلا انهم عن ربهم يومئذ
لحجوبون) . أي : عن رؤيته وسماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنون ويسمعوا

كلامه ، كانوا أيضاً مجبورين عنه . وقد احتج بهذا الشافعي وغيره من الأئمة . انتهى كلامه .

قوله : وأتى هذا المفهوم تصریحاً بآخرها الخ . يعني قوله تعالى (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون) المطففين : ٣٥،٣٤ أي : ينظرون الى الرب سبحانه كما فسرهما الأئمة بذلك ، وذلك أن الكفار في الدنيا كانوا من المؤمنين يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، فجزاهم الله تعالى بأن جعلهم يضحكون على الكفار وهم على الأرائك ، كما كانوا يضحكون عليهم في الدنيا ، والله أعلم

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وروي ابن ماجه مسنداً عن جابر خبراً وشاهده ففي القرآن

بيناهم في عيشهم وسرورهم ونعيمهم في لذة وتهان

وإذا بنور ساطع قد أشرقت منه الجنان قصيها والداني

رفعوا اليه رؤوسهم فأوه نو ر الرب لا يخفي على انسان

وإذا بر بهم تعالى فوقهم قد جاء للتسليم بالاحسان

قال : السلام عليكم فيرونه جهراً تعالى الرب ذو السلطان

مصدق ذا (يس) قد ضمنته عند القول من رب بهم رحمان

من رد ذا فعلى رسول الله رد وسوف عند الله يلتقيان

في ذا الحديث علوه ومجيئه وكلامه حتى يرى بعيان

هذي أصول الدين في مضمونه لا قول جهنم صاحب البهتان

يعني قوله تعالى (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ روى ابن ماجه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، اذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قول الله عز وجل (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ، ماداموا ينظرون إليه ، حتى يحتاج عنهم ، ويبقى فيهم بركته ونوره »

وكذا حديث أبي هريرة ذلك الـ...خبر الطويل أتى به الشيخان

فيه تجلى الرب جل جلاله ومجيبه وكلامه ببيان

وكذاك رؤيته وتكليم لمن يختاره من أمة الانسان

فيه أصول الدين أجمعها فلا تخدعك عنه شيعة الشيطان

وحكى رسول الله فيه تجدد الـ...غضب الذي الربذي السلطان

إجماع أهل العزم من رسل الاله وذلك اجماع على البرهان

لا تخدعن عن الحديث بهذه الـ آراء فهي كثيرة الهذيان

أصحابها أهل التخرص والتناقض والتهاثر قائلو البهتان

حديث أبي هريرة الذي أشار إليه ، هو ما في « الصحيحين » واللفظ لمسلم

عن أبي هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم ، فرفع إليه الذراع

وكانت تعجبه ، فنهس منها نيسة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل

تدرون بم ذلك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ،

فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض ، إيتوا آدم ، فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اسئع لنا الى ربك ، ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ ألا ترى الى ما قد بلغنا ، فيقول آدم : ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا الى غيري ، اذهبوا الى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل الى أهل الأرض ، وسمك الله عبداً شكوراً ، اسئع لنا الى ربك ، ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا الى ابراهيم ، فيأتون الى ابراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اسئع لنا الى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسي نفسي ، اذهبوا الى غيري ، اذهبوا الى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالاته ، وبتكليمه على الناس ، اسئع لنا الى ربك ، ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ ألا ترى الى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفساً لم أوامر بقتلها ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا الى عيسى ، فيأتون

عيسى ، فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهدي ،
وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى
ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى : إن ربي قد غضب
اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ،
نفسي ، نفسي ، إذهبوا إلى محمد ، فيأتونني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله
وخاتم النبيين ، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى
ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فأنتقل فآتي
تحت العرش ، فأقع ساجداً للربي ، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده
وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك
سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : يا رب ، أمي أمي ، فيقال :
يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب
الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفسي بيده
إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر « أو » كما بين
مكة وبصرى » .

يكفيك أنك لو حرصت فلن ترى فئتين منهم قط يتفقان
إلا إذا ما قلدا لسواهما فتراهما جيلا من العميان
ويقودهم أعمى يظن كبصر يا محنة العميان خلف فلان
هل يستوي هذا ومبصر رشده الله أكبر كيف يستويان
أو ما سمعت منادي الإيمان يخبر عن منادي جنة الحيوان ؟
يا أهلها لكم لدى الرحمن وعد وهو منجزه لكم بضمنا

قالوا أما بيضت أوجهن كذا أعمالنا ثقلت في الميزان
وكذاك قد أدخلتنا الجنات حين أجرتنا من مدخل النيران
فيقول عندي موعد قد آران أعطيكموه برحمتي وحناني
فيرونه من بعد كشف حجابيه جبراً روى ذا مسلم بيان

روى مسلم في « صحيحه » عن صهيب أن النبي ﷺ قال : « إذا دخل
أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم
عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ، ألم
يبيض وجوهنا ، وبدخلنا الجنة ، وبنجينا من النار ؟ فيكشف الحجاب ،
فينظرون إليه ، فوالله ما أعظم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه .

ولقد أتانا في الصحيحين اللذين هما أصح الكتب بعد قرآن
برواية الثقة الصدوق جرير البجلي عن عمه جاء بالقرآن
أن العباد يرونه سبحانه رؤيا العيان كما يرى القمران
قد تقدم حديث جرير في الرؤية .

قوله : البردين . قال في « القاموس » البردان : الغداة
والعشي ، كالبردين .

فإن استطعتم كل وقت فاحفظوا البردين ما عثتم مدى الأزمان
ولقد روى بضع وعشرون امرأة من صحب احمد خيرة الرحمن
أخبار هذا الباب عن قد أتى بالوحي تفصيلاً بلا كتمان
وألذ شيء للقلوب فهذه الأخبار مع أمثالها هي بهجة الايمان

نقل الناظم في « حادي الارواح » قال الطبراني : فتحصل في الباب من روى عن رسول الله ﷺ حديث الرؤية ثلاثة وعشرون نفساً ، ثم سرد أسماءهم . قال : وروى الدارقطني عن يحيى بن معين قال : عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية كلها صحاح . وقال البيهقي : روينا في اثبات الرؤية عن أبي بكر ومن تقدم غيرهم ، ولم يرد عن أحد نفيها ، ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم اليها ، فعلمنا أنهم كانوا على القول برويته بالأبصار في الآخرة متفقين ، وقد دل القرآن والسنة المتوازنة واجماع الصحابة وأئمة الاسلام وأهل الحديث عصابة الاسلام ، ويزك الايمان ، وخاصة رسول الله ﷺ ، على أن الله سبحانه يرى يوم القيامة بالأبصار ، كما يرى القمر ليلة البدر صجراً ، وكما ترى الشمس في الظهيرة ، فان كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة ، فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم ، لاستحالة أن يروه أسفل منهم ، أو خلفهم ، وأمامهم ، أو عن شمائلهم ، وان لم يكن لما أخبر به حقيقة كما تقوله فروخ الصابئة ، والفلاسفة ، والمجوس ، والفرعونية ، والمعتزلة ، والرافضة ، وغيرهم من أهل البدع ؛ بطل الشرع والقرآن ، فان الذي جاء بهذه الاحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة ، والذي بلغها هو الذي بلغ الدين ، فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عظيم ، حيث يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الاحاديث وفهم معناها انكارها ، والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق . والمنجرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان : أحدهما : من يزعم أنه يرى في الدنيا ويجازر ويسامر . والثاني : من يزعم

أنه لا يرى في الآخرة البتة ، ولا يكلم عباده ، وما أخبر به الله ورسوله
وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين ، وبالله التوفيق .

والله لولا رؤية الرحمن في الجنات ما طابت لذي العرفان
أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه وخطابه في جنة الحيوان
وأشد شيء في العذاب حجاب به سبحانه عن ساكني النيران
وإذ آراه المؤمنون نسوا الذي هم فيه مما نالت العينان

قوله : أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه الخ ؟ اي : أن أعلى نعيم أهل الجنة
هو نعيم رؤية وجه ربهم تعالى كما في حديث صهيب الذي رواه مسلم قال :
قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية وقال : يكشف الحجاب ، فينظرون إليه ،
فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهي الزيادة . وفي الحديث الذي
رواه ابن ماجه مرفوعاً « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ،
فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال :
السلام عليكم يا أهل الجنة ، وهو قول الله عز وجل (سلام قولاً من رب
رحيم) يس : ٥٨ فلا يلتفتون الى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون
إليه ، حتى يجتعب عنهم . . . » الحديث .

قوله : وأشد شيء في العذاب حجاب به الخ . دليله قوله تعالى (كلا إنهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين : ١٥

فاذا توارى عنهم عادوا الى لذاتهم من سائر الألوان

فلهم نعيم عند رؤيته سوى هذا النعيم فحبذا الأمران
أوما سمعت سؤال أعرف خلقه بجلاله المبعوث بالقرآن؟!
شوقا اليه ولذة النظر الذي بجلال وجه الرب ذي السلطان
فالشوق لذة روحه في هذه الدنيا ويوم قيامة الابدان
تلتذ بالنظر الذي فازت به دون الجوارح هذه العينان
يعني الحديث الذي رواه الامام أحمد ، والحاكم في « صحيحه » من
حديث زيد بن ثابت . وفيه « وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك »
والله ما في هذه الدنيا ألد من اشتياق العبد الرحمن
وكذاك رؤية وجهه سبحانه هي أكمل اللذات للانسان
لكنها الجهمي ينكر ذا وذا والوجه أيضاً خشية الحدثنان
تباً له المخدوع أنكر وجهه ولقاءه ومحبة الديان
وكلامه وصفاته وعلوه والعرش عطله من الرحمن
فتراه في وادورسل الله في وادوذا من أعظم الكفران

فصل

في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة

أوَ ما سمعت بأنه سبحانه حقاً يكلم حزبه بجنان؟
فيقول جل جلاله هل أنتم راضون قالوا نحن ذور رضوان
أم كيف لانرضى وقد أعطيتنا مالم ينله قط من انسان
هل تم شيء غير ذافيكون أفضل منه نسأله من المنان
فيقول أفضل منه رضواني فلا يغشاكم سخط من الرحمن
ويذكر الرحمن واحدهم بما قد كان منه سائف الأزمان
منه اليه ليس ثم وساطة ماذاك تويينحاً من الرحمن
لكنّ يعرفه الذي قد ناله من فضله والعفو والاحسان
ويسلم الرحمن جل جلاله حقاً عليهم وهو في القرآن

في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله
ﷺ « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك
ربنا وسعديك ، فيقول : هل رضىتم ؟ فيقولون : وما لنا لانرضى وقد أعطيتنا
مالم تعط أحداً من خلقك ؟! فيقول : إنا أعطيتكم أفضل من ذلك . قالوا : ربنا

وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط أبداً،
ومن تراجم البخاري عليه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة،
وساق فيه عدة أحاديث، وقد أخبر سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة، وأن
ذلك السلام حقيقة، وهو قوله (سلام قولا من رب رحيم) يس: ٥٨ وقد فسر النبي ﷺ
الآية في حديث جابر في الرؤية، وأنه يشرف عليهم من فوقهم، ويقول:
سلام عليكم يا أهل الجنة، فيرونه عياناً. وفي هذا اثبات الرؤية والتكليم،
والعلو. والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة، وتكفر القائل بها، وفي حديث
أبي هريرة في سوق الجنة قال النبي ﷺ «ولا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا
حاضره الله محاضرة، فيقول: يا فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا...؟»
الحديث. وفي حديث عدي بن حاتم «مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم
القيامة» وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه «فيقول تبارك وتعالى للعبد:
ألم أكرمك وأسودك...؟» الحديث. وحديث أنس في يوم المزيد ومخاطبته
فيه لأهل الجنة مراراً. وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها التكليم.

وكذاك يسمعهم لذيذ خطابه سبحانه بتلاوة الفرقان

فكانهم لم يسمعه قبل ذا هذا رواه الحافظ الطبراني

هذا سماع مطلق وسماعنا القرآن في الدنيا فنوع ثاني

والله يسمع قوله بوساطة وبدونها نوعان معروفان

فسماع موسى لم يكن بوساطة وسماعنا بتوسط الانسان

من صير النوعين نوعاً واحداً فمخالف للعقل والقرآن

روى أبو الشيخ عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريده قال : إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله ، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والزمرد ، فلم تقرأ أعينهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين ، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد .
قوله : فسماع موسى لم يكن بوساطة . أي : إن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بغير وساطة ، وأما سماعنا كلام الله فهو بوساطة .
قوله : من صير النوعين نوعاً واحداً . أي : كالجهمية وأتباعهم ، ومخالفتهم للعقل والقرآن ظاهرة .

فصل

في يوم المزيّد وما أعد الله لهم فيه من الكرامة

أو- ما سمعت بشأنهم يوم المزيّد وأنه شأن عظيم الشان؟! هو يوم جمعتنا ويوم زيارة الرحمن وقت صلاتنا وأذان والسابقون إلى الصلاة هم الألى فازوا بذلك السابق بالاحسان سبق بسبق والمؤخر ها هنا متأخر في ذلك الميدان والأقربون إلى الامام فهم أولوا زلفى هناك فما هنا قربان قرب بقرب والمباعد مثله بعد يبعد حكمة الديان

ولهـم منابر لؤلؤ وزبرجد ومنابر الياقوت والعقيان
هذا وأدناهم وما فيهم دنا من فوق ذاك المسك كالكشبان
ما عندهم أهل المنابر فوقهم مما يرون بهم من الاحسان
فيرون ربهم' تعالى جهرة نظر العيان كما يرى القمران
ويحاضر الرحمن واحدهم محاضرته الحبيب يقول يابن فلان
هل تذكر اليوم الذي قد كنت فيه مبارزاً بالذنب والعصيان
فيقول رب أما مننت بغفرة قدماً فانك واسع الغفران
فيجيبه الرحمن مغفرتي التي قد أوصلتك إلى المحل الداني

يشير إلى حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء ، فيها نكتة سوداء ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه الجمعة يعرضها عليك ربك عز وجل لتكون لك عيداً ، ولقومك من بعدك ، تكون أنت الأول ، وتكون اليهود والنصارى من بعدك . قلت : مالنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير ، فيها ساعة من دعا الله تعالى فيها بخير قسم له ، أعطاه آياه ، وأليس له قسم ، إلا ذخره له ما هو أعظم منه . قلت : ما هذه النكتة السوداء فيها ؟ قال : هي الساعة تقوم يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام عندنا ، ونحن ندعوه يوم المزيد في الآخرة . قلت : وما تدعونه يوم المزيد ؟ قال : ان ربك اتخذ في الجنة وادياً أبيض من مسك أبيض ، فاذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ، ثم

حف الكرمي بمنابر من نور ، ثم جاء النبيون حتى يجلسوا عليها ، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ، ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ، ثم جاء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكنب ، فيتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه ، ثم يقول : أنا الذي صدقتكم وغدي ، وأتمت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي ، فيسألونه ، ويسألونه ، حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، إلى أن منصرف الناس من يوم الجمعة ، ثم يصعد على كرسیه ، ويصعد معه الصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ، درة بيضاء ، لافصم فيها ، ولانظم ، أو ياقوتة حمراء ، أو زبرجدة خضراء ، فيها غرفها وأبوابها ، مطردة فيها أنهارها ، متدلّية فيها ثمارها ، فيها أزراجها وخدمها ، فليسوا إلى شيء أخرج منهم إلى يوم الجمعة ، ليزدادوا من كرامته عز وجل ، وليزدادوا نظراً إلى وجهه ، فلذلك دعي يوم المزيّد . أخرجه عبد الله ابن أحمد في كتاب السنة .

قوله : والسابقون إلى الصلاة الخ . روى أبو نعيم وأبو النضر وجماعة قالوا : حدثنا المسعودي عن المنهال بن عمرو ، وعن أبي عبيدة عن عبد الله قال : سارعوا إلى الجمعة ، فإن الله ينزل لأهل الجنة في كل جمعة في كتب من كافور أبيض ، فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة .

فصل

في المطر الذي يصيبهم هناك

ويظلمهم إذ ذاك منه سحابة تأتي بمثل الواابل الهتان
بيناهم في النور إذ غشيتهم سبحان منشيها من الرضوان
فتظل تمطرهم بطيب مارأوا شهباً له في سائف الأزمان
فيزيدهم هذا جمالاً فوق ما بهم وتلك مواهب المنان

روى ابن ابي عاصم في كتاب « السنة » عن سعيد بن المسيب أنه لقي
أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة .
قال سعيد : أو فيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرني رسول الله ﷺ ، أن أهل الجنة إذا
دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ،
فيزورون الله تبارك وتعالى ، فيبرز لهم عرشه ، ويتبدى لهم في روضة من
رياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من
زبرجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس
أدناهم وما فيهم دني على كئنان المسك والكافور ، ما يرون أن أصحاب
الكراسي بأفضل منهم مجلساً . قال : يا أبا هريرة : وهل ترى ربنا عز وجل ؟
قال : نعم ، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليله البدر ؟ قلنا : لا . قال :
فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد الا حاضره .

الله محاضرة، حتى يقول : يافلان بن فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟
فيذكره بعض عذراته في الدنيا ، فيقول : بلى ، أفلم تغفري؟
فيقول : بلى ، فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه ، فينأهم على ذلك
غشيتهم صحابة من فوقهم ، فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل
ريحه شيئاً قط ، قال : ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا الى ما أعددت
لكم من الكرامة ، فخذوا ما اشتهيتم . قال : فيأتون سوقاً قد حفت بها
الملائكة ، فيه ما لم تنظر العين الى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر
على القلوب ، قال : فيحمل لنا ما اشتهينا ، ليس يباع ولا يشرى . وفي ذلك
السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً ، قال : فيقبل ذو البزة المرتفعة ، فيلقى
من هو دونه وما فيهم دني ، فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة ، فما
ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل له أحسن من ذلك ، وذلك أنه لا ينبغي
لأحد أن يحزن فيها ، قال : ثم ننصرف الى منازلنا ، فيلقانا أزواجنا ،
فيقلن : مرحباً وأهلاً ، لقد جئتنا ، وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما
فارقتنا عليه ، فيقول : انا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل ، ويحرق لنا أن
ننقلب بمثل ما انقلبنا . ورواه الترمذي وابن ماجه .

فصل

في سوق الجنة الذي ينصرفون اليه من ذلك المجلس

فيقول جل جلاله قوموا الى ما قد ذخرت لكم من الاحسان

يأتون سوقاً لا يباع ويشترى فيه فخذ منه بلا أثمان
قد أسلف التجار أثمان المبيع بعقدهم في بيعة الرضوان
لله سوق قد أقامته الملا نكحة الكرام بكل ما احسان
فيها الذي والله لا عين رأت كلا ولا سمعت به أذنان
كلا ولم يخطر على قلب امرئ فيكون عنه معبراً بلسان
فيري امرءاً من فوقه في هيئة فيروعه ماتنظر العينان
فاذا عليه مثلها اذ ليس يلبس حق أهلها شيء من الأحزان
واها لذا السوق الذي من حله نال التهاني كلها بأمان
يدعى بسوق تعارف ما فيه من صخب ولا غش ولا أيمان
وتجارة من ليس تلبيه تجار ات ولا بيع عن الرحمن
أهل المروءة والفتوة والتقى والذكر للرحمن كل أوان
يامن تعوض عنه بالسوق الذي ركزت لديه راية الشيطان
لو كنت تدري قدر ذلك السوق لم تركن الى سوق الكساد الفاني

فصل

في حالهم عند رجوعهم الى أهليهم ومنازلهم

فإذا هم رجعوا الى أهليهم بمواهب حصلت من الرحمن
قالوا لهم أهلا ورحباً ما الذي أعطيتم من ذا الجمال الثاني؟
والله لا ازددتم جمالاً فوق ما كنتم عليه قبل هذا الآن
قالوا وأنتم والذي أنشاكم قد زدتم حسناً على الاحسان
لكن يحق لنا وقد كنا اذا جلساء رب العرش ذي الرضوان
فهم الى يوم المزيد أشد شو قاً من محب للحبيب الداني
تقدم حديث أبي هريرة في شرح ما تضمنه هذا الفصل في الفصل
قبلها ، والله أعلم .

فصل

في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحاله النوم
والموت عليهم .

هذا وخاتمة النعيم خلودهم ابدأ بدار الخلد والرضوان

أوما سمعت منادي الايمان يخبر عن مناديهم بحسن بيان
لكم حياة ما بها موت وعا فية بلا سقم ولا أحزان
ولكم نعيم مابه بؤس وما لشبابكم هرم مدى الأزمان
كلا ولا نوم هناك يكون ذا نوم وموت بيننا أخوان
هذا علمناه اضطراراً من كتا ب الله فافهم مقتضى القرآن
والجهنم أفناها وأفني اهلها تباً لذاك الجاهل الفتان
طردالنفى دوام فعل الرب في الماضي وفي مستقبل الازمان
وأبو الهذيل يقول يفنى كل ما فيها من الحركات للسكان
وتصير دار الخلد مع سكانها وثمارها كحجارة البنيان
قالوا ولولا ذلك لم يثبت لنا رب لأجل تسلسل الأعيان
فالقوم إما جاحدون لربهم أو منكرون حقائق الايمان

روى مسلم عن ابي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

«ينادي مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تحيوا
فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا
فلا تبأسوا أبداً ، وذلك قول الله عز وجل (ونودوا أن تلكم الجنة
أورثتموها بما كنتم تعملون) الأعراف : ٤٣ وروى نحوه عثمان بن أبي
شبة مختصراً .

قوله : هذا علمناه اضطراراً الخ . يعني قوله تعالى (ونودوا أن تلكم

الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) وروى ابن مردويه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون » وروى الطبراني عنه بلفظ قال : سئل نبي الله ﷺ فقيل : أينام أهل الجنة ؟ فقال : « النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون » .

قوله : والجهم أفضاها الخ . تقدم الكلام في معنى فناء الجنة والنار عند الجهمية ، وفناء حرركاتها عند أبي الهذيل بما أغنى عن الاعداء .

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار والرد على من قال ان الذبح لملك الموت وان ذلك مجاز لاحقيقة له .

أو-ما سمعت بذبحه للموت بين المنزلين كذبح كبش الضان
حاشا لذا الملك الكريم وانما هو موتنا المحتوم للانسان
والله ينشي منه كبشا أملحاً يوم المعاد يرى لنا بعيان
ينشي من الاعراض أجساماً كذا بالعكس كل قابل الامكان
عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « يجاء بالموت كأنه
كبش أملح ، فيتوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون
هذا ؟ فيشربون وينظرون فيقولون : نعم هذا الموت ، ثم يقال : يا أهل
النار هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت .
قال : فيؤمر به فيذبح ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل

النار خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وأنذرهم يوم الحسرة ...)
مريم : ٣٩ الآية . متفق عليه . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ
« إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، أتى بالموت حتى يجعل
بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، فيزداد
أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم » وعن أبي
هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار
النار ، أتى بالموت ملبياً ، فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ،
ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون
مستبشرين ، يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون
هذا ؟ فيقولون - هؤلاء - هؤلاء - قد عرفناه ، وهو الموت الذي وكل بنا ،
فيضع فيذبح ذبجاً على السور ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ،
ويا أهل النار خلود لا موت » رواه النسائي ، والترمذي وقال : حديث
حسن صحيح .

قال الناظم في « حادي الأرواح » : وهذا الكبش ، والاضجاع ،
والذبح ، ومعابنة الفريقين ، ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه
بعض الناس خطأ قبيحاً ، قال : الموت عرض ، والعرض لا يتجسم فضلاً
عن أن يذبح ، وهذا لا يصح ، فإن الله سبحانه وينشئ من الموت صورة
كبش يذبح ، كما ينشئ من الأعمال صوراً معابنة يثاب بها ويعاقب ، والله
تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها ، وينشئ من الأجسام
أعراضاً ، ومن الأجسام أجساماً ، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تبارك
وتعالى ، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال . ولا حاجة إلى تكلف من
قال : إن الذبح لملك الموت ، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله

ورسوله ، والتأويل الباطل الذي لا يوجهه عقل ولا نقل ، وسببه قلة الفهم
لمراد الرسول من كلامه ، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث دل على أن نفس
العرض يذبح ، وظن غلط آخر أن العرض يعدم ويزول ، ويصير مكانه
جسم يذبح ، ولم يهتد الفريقان الى هذا القول الذي ذكرناه ، الى آخر
ما ذكره . ثم احتج الناظم لما ذكره بأن أعمال العباد توزن فتخف تارة ،
وتثقل أخرى ، فقال :

أفما تصدق أن أعمال العباد د تحط يوم العرض في الميزان؟
وكذلك تثقل تارة وتخف أخرى ذاك في القرآن ذو تبيان
وله لسان كفتاه تقيمه والكفتان اليه ناظرتان
ما ذاك أمراً معنوياً بل هو المحسوس حقاً عند ذي الايمان

أقول : يدل لما ذكره الناظم أن الأعمال توزن يوم القيامة ، فتثقل
تارة ، وتخف أخرى ، كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ...) الأنبياء
٤٧ الآية ، وذلك أمر محسوس ، فتوزن الأعمال بميزان له كفتان ولسان ،
وايس ذلك أمراً معنوياً ، بل هو محسوس ، والله أعلم .

أوَ ما سمعت بأن تسييح العباد د وذكرهم وقراءة القرآن؟
يشييه رب العرش في صور تجا دل عنه يوم قيامة الأبدان
أوَ ما سمعت بأز ذلك حول عر ش الرب ذو صوت وذو دوران؟
يشفعن عند الرب جل جلاله ويذكرون بصاحب الاحسان

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مُؤَنَسٌ فِي الْقَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الْأَكْفَازِ؟

فِي صُورَةِ الرَّجْلِ الْجَمِيلِ الْوَجْهِ فِي سِنِّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشَّبَّانِ

فِي الْحَدِيثِ أَنَّ مَا تَذَكَّرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ ، وَتَسْبِيحِهِ ، وَتَحْمِيدِهِ ، وَتَهْلِيلِهِ
يَتَعَاطَفُنَ حَوْلَ الْعَرْشِ ، لَهْنِ دَوِيِّ كَدَوِيِّ النُّحْلِ ، يَذَكَّرُنَ بِصَاحِبِينَ .
ذَكَرَهُ أَحْمَدُ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ ، لِلصُّورَةِ الَّتِي
يَرَاهَا . فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ ، وَأَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئِ ،
وَهَذَا حَقِيقَةٌ لَا خِيَالَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْشَأَ لَهُ مِنْ عَمَلِهِ صُورَةَ حَسَنَةً ، وَصُورَةَ
قَبِيحَةٍ . وَقَالَ قَتَادَةُ : بَلَّغْنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنْ الْمُؤْمِنُ إِذَا خَرَجَ
مِنْ قَبْرِهِ ، صُورَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ حَسَنَةٍ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأُرَاكَ أَمْرًا الصَّادِقِ ، فَيَقُولُ لَهُ : أَنَا عَمَلُكَ ، فَيَكُونُ لَهُ نُورًا وَقَائِدًا إِلَى
الْجَنَّةِ . وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ ، صُورَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ سَيِّئَةٍ ،
وَبَشَارَةَ سَيِّئَةٍ ، فَيَقُولُ : مَا أَنْتَ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُرَاكَ أَمْرًا السُّوءِ ، فَيَقُولُ :
أَنَا عَمَلُكَ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ حَتَّى يَدْخُلَهُ النَّارَ .

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَا نَتَلَوُهُ فِي أَيَّامِ هَذَا الْعَمْرِ مِنْ قُرْآنٍ؟

يَأْتِي يَجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الْحِشْرِ لِلرَّحْمَنِ كِي يَنْجِيكَ مِنْ نِيرَانِ

فِي صُورَةِ الرَّجْلِ الَّذِي هُوَ شَاحِبٌ يَاحِبِذَا ذَاكَ الشَّفِيعِ الدَّانِي

أَوْ مَا سَمِعْتَ حَدِيثَ صَدَقَ قَدَأْتِي فِي سُورَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ؟

فِرْقَانَ مِنْ طَيْرِ صَوَافٍ بَيْنَهَا شَرْقٌ وَمِنْهُ الضُّوءُ ذُو تَبْيَانِ

شَبَّهَهَا بَغَامَتَيْنِ وَانْثَشَأَ بَغْيَايَتَيْنِ هُمَا إِذَا مَثَلَانِ

هذا مثال الأجر وهو فعالنا كتلاوة القرآن بالاحسان
فالموت يشبهه لنا في صورة خلقة حتى يرى بعيان
والموت مخلوق بنص الوحي والمخلوق يقبل سائر الألوان
في نفسه وبنشأة أخرى بقدر خالق الأعراض والألوان
أو ما سمعت بقلبه سبحانه الـ أعيان من لون إلى ألوان ؟
وكذلك الأعراض يقبل ربها أعيانها والكل ذو إمكان
لم يفهم الجهال هذا كله فأتوا بتأويلات ذي البطلان
فكذب ومؤول ومحير ماذا طعم حلاوة الايمان
لما فسا الجهال في آذانه أعموه دون تدبر القرآن
فتنى لنا العطفين منه تكبراً وتبخراً في حلة الهديان
إن قلت: قال الله قال رسوله فيقول جهلاً: أين قول فلان؟

في « الصحيح » عن النواس بن سمران الكلبي قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران » وضرب لها رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ، مانسيتين بعد قال : « كأنها غامتان ، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبها » قال النووي في « شرح مسلم » قال أهل اللغة : الغامة والغيابة : كل شيء أظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما . قال العلماء : المراد أن ثوابها يأتي كغمامتين ، وقوله ﷺ « أو كأنهما فرقان من طير صواف » وفي الرواية الأخرى « كأنهما

حزقان من طير صاف « الفرقان بكسر الفاء واسكان الراء. والحزقان بكسر الحاء المهملة واسكان الزاي ومعناها واحد ، وهما قطيعان وجماعتان . يقال في الواحد : فرق ، وحزق ، وحزبة ، أي : جماعة .

قوله : « أو ظلتان سوداوان بينهما شرق » . الشرح بفتح الراء واسكانها ، أي ضياء ونور . وفي « الصحيح » عنه صلى الله عليه وسلم « تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنها غمامتان ... » الحديث ، فهذه القراءة ينشأ الله تعالى غمامتين ، فان الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً ، ويعملها مادة لها . وذكر ابن المبارك في رقائقه : أخبرنا رجل عن زيد بن أسلم قال : بلغني أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة ، أحسن ما خلق الله وجهاً وثياباً وأطيه رجماً ، فيجلس إلى جنبه ، كلما أفرعه شيء أمنه ، وكلما تخوف شيئاً هون عليه ، فيقول له : جزاك الله من صاحب خيراً ، من أنت ؟ فيقول : أما تعرفني وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك ؟ أنا عمك كان والله حسناً ، فلذلك تراه حسناً ، وكان طيباً ، فلذلك تراني طيباً ، تعال فاركني فطالما ركبتك في الدنيا . وهو قوله سبحانه (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) الزمر : ٦١ حتى يأتي به إلى ربه ، فيقول : رب إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب عمله ، وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب في تجارته ، غير صاحبي قد شغل في نفسه ، فيقول الرب تبارك وتعالى : فما تسأل ؟ قال : المغفرة والرحمة ، أو نحو هذا ، فيقول : فإني غفرت له ، ثم يكسى حلة الكرامة ، ويجعل عليه تاج الوقار ، وفيه لؤلؤة تضيء من مسيرة يومين ، ثم يقول : يارب إن أوبه قد كان شغل عنها ، وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل على أوبه من عمله ، فيعطيان مثل ما أعطي . ويمثل للكافر عمله

في صورة أقبح ما خلق الله وجهاً ، وأنتنه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه ، كلما أفزعه شيء زاده ، وكلما تخوف من شيء زاده خوفاً ، فيقول : بس صاحب أنت ، ومن أنت ؟ فيقول : وما تعرفني ؟ فيقول : لا ، فيقول : أنا عمك كان قبيحاً ، فلذلك تراني قبيحاً ، كان منتناً ، فلذلك تراني منتناً ، فطأطأ رأسك أركبك فطالما ركبتني في الدنيا « وهو قوله تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) النحل : ٢٥

فصل

في أن الجنة قيعان وان أغراسها الكلم الطيب والعمل الصالح

أوماسمعت بأنها القيعان فاغرس ما نشاء بذا الزمان الفاني
وغراسها التسييح والتكبير والتحميد والتوحيد للرحمن
تباً لتارك غرسه ماذا الذي قد فاته من مدة الامكان
يا من يقر بذا ولا يسعى له بالله قل لي كيف يجتمعان؟!
أرأيت لو عطلت أرضك من غراس ما الذي تجني من البستار؟
وكذا لو عطلتها من بذرها ترجو المغل يكون كالكيان
ما قال رب العالمين وعنده هذا فراجع مقتضى القرآن

في « جامع الترمذي » من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لقيت ابراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد

أقرأ أمتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ،
وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . قال الترمذي :
حديث حسن غريب ، من حديث ابن مسعود ، وفي الترمذي من حديث
أبي الزبير ، عن جابر عن النبي ﷺ قال : « من قال : سبحان الله وبحمده غرست
له نخلة في الجنة » قال : الترمذي : حديث حسن صحيح . وروى ابن ماجه
عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرساً . فقال : يا أبا
هريرة ، ما الذي تغرس ؟ قال : غرساً . قال : ألا أدلك على غراس خير من
هذا ؟ سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، يغرس لك بكل
واحدة شجرة في الجنة .

وتأمل الباء التي قد عينت سبب الفلاح لحكمة الفرقان
وأظن باء النفي قد غرتك في ذاك الحديث أتى به الشيخان
لن يدخل الجنات أصلاً كادح بالسعي منه ولو على الأجنان
والله ما بين النصوص تعارض والكل مصدرها عن الرحمن
لكنّ بالاثبات والتسيب والـ الباء التي للنفي بالأثام
والفرق بينها ففرق ظاهر يدرية ذو حفظ من العرفان
قال الناظم في « حادي الأرواح » : روى أبو نعيم من حديث جابر قال :
سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ، ولا يجيره من
النار ، ولا أنا إلا بتوحيد الله » واسناده على شرط مسلم ، وأصله في الصحيح
وهنا أمر يجب التنبيه عليه ، وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله ، وليس عمل
العبد مستقلاً بدخولها ، وان كان نبياً ، ولهذا أثبت الله دخولها بالأعمال في

قوله (بما كنتم تعملون) النحل : ٣٢ ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال في قوله « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » ولا تنافي بين الأمرين لوجهين أحدهما : ما ذكره سفيان وغيره ، قال : كانوا يقولون : النجاة من النار بعفو الله ، ودخول الجنة برحمته ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال . ويدل على هذا حديث أبي هريرة أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم . رواه الترمذي . الثاني : أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعارضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر ، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره ، وان لم يكن مستقلاً بمجصوله . وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين في قوله « سدوا وقاربوا ، واعملوا ان أحدًا منكم لن ينجو بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا إلا يتعمدني الله برحمته » . ومن عرف الله سبحانه ، وشهد مشهد حقه عليه ، وشهد تقصيره وذنوبه ، وأبصر هذين المشهدين بقلبه ، عرف ذلك ، وجزم به ، والله المستعان . انتهى كلامه .

فصل

في اقامة المآثم على المتخلفين عن رفقة السابقين

المآثم كمقعد : كل مجتمع في حزن او فرح ، او خاص بالنساء ، قاله في « القاموس »

بالله ما عذر أمرىء هو مؤمن حقاً بهذا ليس باليقظان ؟

بل قلبه في رقدة فاذا استفا ق قلبسه هو حلة الكسلان

تالله لو شأقتك جنات النعيم طلبتها بنفائس الأثام
وسعيت جهدك في وصال نواعم وكواعب بيض الوجوه حسان
جليت عليك عرائس والله لو تجلى على صخر من الصوان
رقت حواشيه وعاد لوقته ينهال مثل نقي من الكثبان
لكنّ فلبك في القساوة جاز حد الصخر والحصباء في أشجان
لو هزك الشوق المقيم وكنت ذا حسن لما استبدلت بالأدوان
أوصادفت منك الصفات حياة قلب كنت ذا طلب لهذا الشأن
خود تزف إلى ضرير مقعد يا محنة الحسناء بالعميان
شمس تزف إليه ما ذا حيلة العنين في الغشيان

ومعنى كلام الناظم: أنا تلونا عليك صفات الجنة ، ونعوت عرائسها ،
فلو صادف لك أدنى حياة قلب منك وإيمان ، لسعيت جهدك في طلبها ،
وآثرت النعيم الباقي على الحزف الفاني ، لكن قلبك أقسى من الصخر ،
ولكن نحن بما وصفنا لك من صفات الجنة وعرائسها بمنزلة من زف خودآ ،
وهي المرأة البيضاء الناعمة إلى ضرير مقعد ، أو زف أجمل النساء التي هي
كالشمس إلى عنين عاجز عن الجماع .

ياسلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان
ياسلعة الرحمن ليس ينالها في الألف الا واحد لا اثنان
ياسلعة الرحمن ماذا كفؤها الا أولو التقوى مع الايمان

ياسلعة الرحمن سوقك كاسد بين الأراذل سلفه الحيوان
ياسلعة الرحمن اين المشتري فلقد عرضت بأيسر الاثمان؟
ياسلعة الرحمن هل من خاطب فالمهر قبل الموت ذو إمكان؟
ياسلعة الرحمن كيف تصبّر الخطاب عنك وهم ذوو ايمان؟
ياسلعة الرحمن لولا أنها حجبت بكل مكاره الانسان
ما كان عنها قط من متخلف وتعطلت دار الجزاء الثاني
لكنها حجبت بكل كريهة ليصد عنها المبطل المتواني
وتنالها الهمم التي تسمو الى رب العلى بمشيئة الرحمن

قوله : ولكنها حجبت بكل كريهة الخ. روى البخاري ومسلم عن
أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت
النار بالشهوات »

قوله : حفت . أصل الحفاف : الدائر بالشيء المحيط به ، الذي لا يتوصل
اليه الا بعد أن يتخطى ، فمثل النبي ﷺ المكاره والشهوات بذلك ،
فالجنة لا تنال الا بقطع مفاوز المكاره ، والصبر عليها ، والنار لا ينجى منها
الا بتوك الشهوات ، وفطام النفس عنها . وروي عن النبي ﷺ أنه مثل
طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر ، فقال : طريق الجنة حزن بربوة ،
وطريق النار سهل بسهوة . والحزن : هو الطريق الوعر المسلك ، والربوة :
المكان المرتفع ، وأراد به أعلى ما يكون في الروابي . والسهوة بالسين المهملة :
هو الموضع السهل الذي لا غلظ فيه ولا وعورة . والمكاره : كل ما يشق
على النفس فعله ، ويصعب عليها عمله ، كالطهارة في السبرات ، وغيرها من

اعمال الطاعات ، والصبر على المصائب ، وجميع المكروهات . والشهوات :
كل ما يوافق النفس ويلبثها وتدعو إليه ، ويوافقها . وذكر الناظم العلة في
حجب الجنة بالمسكاره ، وحف النار بالشهوات ، وذلك ليصد عن الجنة
المبطل المتواني المتقاعد ، وتناها الهمم التي تسمو الى معالي الأمور ، وتؤثر
الأعلى على الأدنى ، ولو حصل من ذلك أعظم المشقة ، والله أعلم .

فاتعب ليوم معادك الاذنى تجد راحتته يوم المعاد الثاني

وإذا أتت ذا الشأن نفسك فاتهمها ثم راجع مطلع الايمان

فاذا رأيت الليل بعد وصبحه ما انشق عنه عموده لأذان

والناس قد صلوا صلاة الصبح وانستظروا طلوع الشمس قرب زمان

فاعلم بأن العين قد عميت فنا شدربك المعروف بالاحسان

أي . إذا كان الصبح قد طلع والناس قد صلوا صلاة الصبح ، وقرب
طلوع الشمس ، وأنت لجهلك وغفلتك لاتعلم بطلوع الفجر ، وتظن أن
الليل لم يزل ، فاعلم بأن عينك قد عميت ، أي : عين بعيرتك ، فاسأل ربك
سبحانه ايمانا يباشر قلبك المحجوب .

واسأله إيماناً يباشر قلبك المحجوب عنه لتنظر العينان

واسأله نوراً هادياً يهديك في طرق المسير اليه كل أوان

والله ما خوفي الذنوب فانها لعل طريق العفو والغفران

لكننا أخشى انسلاخ القلب عن تحكيم هذا الوحي والقرآن

ورضى بآراء الرجال وحرصها لا كان ذلك بمنة الرحمن

فبأي وجه ألتقي ربي اذا أعرضت عن ذا الوحي طول زمان
وعزله عما أريد لأجله عزلاً حقيقياً بلا كتمان
صرحت أن يقيننا لا يستفاد به وليس لديه من إتقان
أوليته هجراً وتأويلاً وتحريفاً وتفويضاً بلا برهان
وسعيت جهدي في عقوبة ممسك بعراه لا تقليد رأي فلان

يقول الناظم : والله ما أخشى الذنوب ، لأن أسباب غفرانها متعددة ،
وعفو الرب تعالى واسع ، وإنما أخشى انسلاخ قلبي عن تحكيم الوحي المبين
من كلام رب العالمين ، وقول نبيه الصادق الأمين ، فبأي وجه ألقى الله
تعالى إذا فعلت ذلك وأعرضت عن الوحي المنزل من السماء ، ورضيت
بآراء الرجال وخرصها ، وقدمتها على كلام الله ورسوله ، وعزلت القرآن
عما أريد لأجله ، وهو أنه أريد بانزاله الهدى واليقين ، فما حجتي عند الله اذا
صرحت بأنه لا يفيد اليقين ، وأوليته هجراً وتأويلاً وتحريفاً وتفويضاً ،
ومع ذلك سعيت جهدي في عقوبة من تمسك بالوحي النازل من السماء وقدمه
على التقليد والآراء الهراء ، كما فعل ذلك من فعله من المبتدعين ، عياذاً بالله من
ذلك .

يا معرضاً عما يراد به وقد جد المسير فمتهاه داني
جدلاً يضحك آمننا متبخرأ وكأزه قد نال عقد أمان
خلع السرور عليه أو في حله طردت جميع الهم والاحزان
يختال في حلل المسرة ناسيا ما بعدها من حلة الا كفان

ماسعيه الا لطيب العيش في الدنيا ولو أفضى الى النيران
قد باع طيب العيش في دار النعيم بذا الحطام المضمحل الفاني
اني أظنك لاتصدق كونه بالقرب بل ظن بلا إيقان
بل قد سمعت الناس قالوا جنة ايضا ونار بل لهم قولان
والوقف مذهبك الذي تختاره واذا انتهى الايمان للرجحان
أم تؤثر الأدنى عليه وقالت النفس التي استعلت على الشيطان
أتبيع نقدا حاضراً بنسيئة بعد الممات وطي ذي الاكوان
لو أنه بنسيئة الدنيا لها ن الأمر لكن في معاد ثان
دع ما سمعت الناس قالوه وخذ ما قد رأيت مشاهد بعيان
والله لو جالست نفسك خاليا وبجنتها بحثاً بلا روغان
لرأيت هذا كما فيها ولو أمنت لألقته إلى الآذان
هذا هو السر الذي من أجله اختارت عليه العاجل المتداني
نقد قد اشتدت اليه حاجة منها ولم يحصل لها بهوان
أتبيعه بنسيئة في غير هذي الدار بعد قيامة الابدان؟!
هذا وان جزمت بها قطعاً ولكن حظها في حيز الامكان
ما ذاك قطعي لها والحاصل الموجود مشهود برأي عيان
فتألفت من بين شهوتها وشبهتها قياسات من البطلان

واستجدت منهارضى بالعاجل الـ أدنى على الموعود بعد زمان
وأتى من التأويل كل ملائم لمرادها يارقة الايمان
وصغت الى شبهات اهل الشرك والتعطيل مع نقص من العرفان
واستنقصت اهل التقى ورأتهم في الناس كالغرباء في البلدان
ورأت عقول الناس دائرة على جمع الحطام وخدمة السلطان
وعلى المليحة والمليح وعشرة الـ أحباب والاصحاب والاخوان
فاستوعرت ترك الجميع ولم تجد عوضا تلذبه من الاحسان
فالقلب ليس يقر إلا في إناء فهو دون الجسم ذوجولان
يبغي له سكننا يلذ بقربه فتراه شبه الواله الحيران
فيجب هذا ثم يهوى غيره فيظل منتقلا مدى الازمان
لو نال كل مليحة ورياسة لم يطمئن وكان ذا دوران
بل لو ينال بأسرها الدنيا لما قرت بما قد ناله العينان
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى واختر لنفسك أحسن الانسان
فالقلب مضطر الى محبوبه الـ أعلى فلا يغنيه حب ثاني
وصلاحه وفلاحه ونعيمه تجريد هذا الحب للرحمن
فاذا تخلى منه أصبح حائراً ويعود في ذا الكوز ذاهيان

قوله : جذلان . قال في « القاموس » : جذل جذولا : انتصب ،
ونبت ، وكفرح ، فرح فهو جذل وجذلان : انتهى .

فصل

في زهد أهل العلم والايان وايتارهم الذهب الباقي على الحزف الفاني .

لكنّ ذا الايمان يعلم ان هذا كاظلال وكل هذا فاني
كخيال طيف ما استتم زيارة الا وصبح رحيله بأذات
وسحابة طلعت بيوم صائف فالظل منسوخ بقرب زمان
وكزهرة وافى الربيع بحسنا او لامعاً فكلاهما اخوان
أو كالسراب يلوح للظمان في وسط الهجير بمستوى القيعان
او كالأماني طاب منها ذكرها بالقول واستحضارها بجنان
وهي الغرور رؤوس أموال المفا ليس الألى تجروا بلا أثمان
او كالطعام يلذ عند مساعه لكنّ عقباه كما تجدان
هذا هو المثل الذي ضرب الرسو ل لها وذا في غاية التبيان

كما في « المسند » أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان : أأنت تؤتى
بطعامك وقدم ملح وقزح ، ثم تشرب عليه اللبن والماء؟ قال : بلى قال : فإلى
ما يصير؟ قال : إلى ما قد علمت ، قال : فان الله عز وجل ضرب مثل

الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم .

وإذا أردت ترى حقيقتها فخذ منه مثلاً واحداً ذا شان
أدخل بجهدك أصبعاً في اليم وانظر ما تعلقه إذا بعيان
هذا هو الدنيا كذا قال الرسول ل ممثلاً والحق ذو تبيان
قال ﷺ « ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم ،
فلينظر بم يرجع »

وكذاك مثلها بظل الدوح في وقت الحرور لقائل الركبان
في قوله ﷺ « مالي وللدنيا إنما أنا والدنيا كمثل راكب قال تحت ظل
شجرة ثم راح وتركها »

هذا ولو عدلت جناح بعوضة عند الاله الحق في الميزان
لم يسق منها كافراً من شربة ماء وكان أحق بالحرمان
عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لو كانت
الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » رواه الترمذي
وقال : حديث صحيح .

تالله ما عقل امرىء قد باع ما يبقى بما هو مضمحل فاني
هذا ويفتي ثم يقضي حاكماً بالحجر من سفه لذا الانسان
اذ باع شيئاً قدره فوق الذي يعتاضه من هذه الأثمان
فن السفية حقيقة ان كنت ذا عقل واين العقل للسكران؟!

معنى كلامه أن السفه يحكم بالحجر عليه إذا باع شيئاً بأقل من قيمته ،
فأولى بالسفه من باع الآخرة التي هذا قدرها بالدنيا وهي لاتساوي عند
الله جناح بعوضة .

والله لو أن القلوب شهدن منا كان شأن غير هذا الشأن

نفس من الانفاس هذا العيش ان قسناه بالعيش الطويل الثاني

ياخسة الشركاء مع عدم الوفاء وطول جفوتها مع الهجران

هل فيك معتر فيسلو عاشق بمصارع العشاق كل زمان

لكن على تلك العيون غشاوة وعلى القلوب أكنة النسيان

وأخو البصائر حاضر متيقظ متفرد عن زمرة العميان

يسمو الى ذاك الرفيق الأرفع الأعلى وخلى اللعب للصبيان

والناس كلهم فصييان وإن بلغوا سوى الافراد والوحدان

وإذا رأى ما يشتهيه قال مو عدك الجنان وجد في الأثمان

وإذا أبت الا الجماح أعاضها بالعلم بعد حقائق الايمان

ويرى من الخسران بيع الدائم الباقي به يا ذلة الخسران

ويرى مصارع اهلها من حوله وقلوبهم كمرجل النيران

حسراتها هن الوقود فان خبت زادت سعيراً بالوقود الثاني

جاؤوا فرادى مثل ما خلقوا بلا مال ولا أهل ولا اخوان

ما معهم شيء سوى الاعمال فهي متاجر للنار او لجنان
تسعى بهم أعمالهم سوقاً الى السدارين سوق الخيل بالركبان
صبروا قليلاً فاستراحوا دائماً يا عزة التوفيق للانسان
حمدوا التقى عند المات كذا السرى عند الصباح فحبذا الحمدان
وخذت بهم عزما تهم نحو العلى وسروا فمنازلوا الى نعمان
باعوا الذي يفنى من الخزف الحسيس بدائم من خالص العقيان
رفعت لهم في اليسر اعلام السعيا دة والهدى يا ذلة الحيران
فتسابق الاقوام وابتدروا لها كتسابق الفرسان يوم رهان
وأخو الهوينيا في الديار مخدّف مع شكله يا خيبة الكسلان

قوله : وخذت بهم همم الخ . الوخذ للبعير : الاسراع ، أو أن يرمي
بقوائمه كمشي النعام ، أو سعة الخطو ، كالوخذان ، والوخذ . وقد وخذ
كوعد ، فهو واخذ ، ووخذاد ، ووخذ . قوله في « القاموس » .

قوله : خزف . الخزف محرّكة : الجر ، وكل ما عمل من طين وشوي

بالنار حتى يكون فخاراً . قوله في « القاموس »

فصل

في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والايان أن يتجرد الله
ويحكم عليها بما يوجبه الدليل والبرهان، فان رأى حقاً قبله وحمد الله عليه، وإن
رأى باطلاً عرف به وأرشد إليه .

يا أيها القاري لها اجلس مجلس الحكم الأمين أتى له الحصان
واحكم هداك الله حكماً يشهد العقل الصريح به مع القرآن
واحبس لسانك برهة عن كفره حتى تعارضها بلا عدوان
فاذا فعلت فعنده أمثالها فنزال آخر دعوة الفرسان
فالكفر ليس سوى العناد وردّ ما جاء الرسول به لقول فلان
فانظر لعلك هكذا دوز الذي قد قالها فتفوز بالخسران
فالحق شمس والعيون نواظر لا تختفي الا على العميان
والقلب يعمي عن هداه مثلما تعمي وأعظم هذه العينان

يقول الناظم : يا أيها القاري وهذه المنظومة المباركة ، اجلس مجلس الحكم
الأمين غير الخائن جلس إليه الحصان ، واحكم حكماً يشهد له العقل
الصريح مع محكم القرآن ، ولا تبادر بتكفير قائلها ، بل احبس لسانك
برهة ، أي : عن أن تحكم بكفره بمجرد هواك ، حتى تعارض ما قاله بغير

اعتداء ، فاذا فعلت ، أي : فعنده أمثالها ، وآخر الأمر يدعوك إلى
المبارزة والمنازلة .

قوله : فنزال هذا ونحوه . اسم مبني على الكسر ، كحذام ، وقطام
ونحوهما ، وهو بفتح أوله . ثم بين أن الكفر ليس إلا العناد ، ورد ما قال
الرسول لأجل قول فلان وفلان ، ثم قال : فانظر لعلك هكذا الخ . أي :
لعلك بمن يعاند ويرد قول الرسول ﷺ لأجل أقوال الناس . ثم أخذ
الناظم في الشكاية من الأربعة الذين ذكروهم فقال :

هذا وإني بعد ، ممتحن بأر بعة وكلهم ذوو أضغان
فظ غليظ جاهل متمعلم ضخم العمامة واسع الأردان
متفهب متضلع بالجهل ذو ضلع وذو جلع من العرفان
مزجي البضاعة في العلوم وإنه زاج من الإيهام والهديان
يشكو إلى الله الحقوق تظالماً من جهله كشكاية الأبدان
من جاهل متطبب يفني الوري ويحيل ذلك على قضا الرحمن

قوله : متفهب . قال في « القاموس » : تفهب في كلامه ، تنطع ،
وتوسع ، كأنه ملأ به فبه .

قوله : متضلع . تضلع : امتلأ شعباً أو ريباً ، حتى بلغ الماء أضلاعه ،
قاله في « القاموس » .

قوله : ذو ضلع . قال في « القاموس » ضلع كمنع : مال وجنف وجار .
وفلاناً ضرب ضلعه . وضع السيف كفرح : اعوج . والضالع : الجائر ،

والضلع محرّكة : الاعوجاج خلقة ، ويسكن ، ومنه : لأقمن ضلعك بالوجهين .

قوله : زاج . قال في « القاموس » : وبضاعة مزجاة : قليلة ، ولم يتم صلاحها ، والزجاء : النفاذ في الأمر ، وهو أزجى منه : أشد نفاذاً .

قوله : من جاهل متطبب الخ . قال الناس : أفسد ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ، ونصف متطبب ، ونصف نحوي . هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان .

عجت فروج الخلق ثم دماؤهم وحقوقهم منه إلى الديان
ما عنده علم سوى التفكير والتبديع والتضليل والبهتان
فإذا تيقن أنه المغلوب عند تقابل الفرسان في الميدان
قال اشتكوه إلى القضاة فإنهم حكوا وإلا اشكوا إلى السلطان
قولوا له : هذا يحل الملك بل هذا يزيل الملك مثل فلان
فاعقره من قبل اشتداد الأمر منه بقوة الأتباع والأعوان
وإذا دعاكم للرسول وحكمه فادعوه كلكم لرأي فلان
وإذا اجتمعتم في المجالس فالغطوا والغوا إذا ما احتج بالقرآن
هذا كما قال الشيخ نصر المنبجي لبيبرس الجاشنكير^(١) : إن هذا يخشى
على الدولة منه - كما جرى لابن التومرت صاحب المغرب - يعني شيخ الإسلام
رحمه الله تعالى .

واستنصروا بمحاضر وشهادة قد أصلحت بالرفق والاتقان

(١) هو محمد بن عبد الله بن تومرت البربري ، أبو عبد الله المتلقب بالمهدي ، ويقال له :

مهدي الموحدين ، صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب .

لا تسألوا الشهداء كيف تحمّلوا وبأي وقت بل بأي مكان؟
وارفوا شهادتهم ومثّسوا حالها بل أصلحوها غاية الامكان
فإذا هم شهدوا فزكّوهم ولا تصغوا لقول الجارح الطعان
قولوا العدالة منهم قطعية لسنا نعارضها بقول فلان
أي : إذا قدح قادح في شهودكم ، فلا تلتفتوا لقوله ، ولا تصغوا له ،
وقولوا : الأصل في الناس العدالة ، ونحو ذلك .

ثبتت على الحكام بل حكموا بها فالطعن فيها ليس ذا إمكان
من جاء يقدح فيهم فليتخذ ظهراً كمثل حجارة الصوان
وإذا هو استعداهم فجوأبهم أتردها بعداوة الأديان؟!
أي : قولوا : لا ترد شهادة العدو بعداوة الأديان .

فصل

في حال العدو الثاني

أو حاسد قد بات يغلي صدره بعداوتي كالمرجل الملائن
لو قلت : هذا البحر قال مكذباً هذا السراب يكون بالقيعان
أو قلت : هذي الشمس قال مباحماً الشمس لم تطلع إلى ذا الآن
أو قلت : قال الله قال رسوله غضب الخبيث وجاء بالكتمان

أوحرف القرآن عن موضوعه تحريف كذاب على القرآن
صال النصوص عليه فهو بدفعها متوكل بالدأب والديدان
فكلامه في النص عند خلافه من باب دفع الصائل الطعان
فالقصد دفع النص عن مداوله كي لا يصول إذا التقى الزحفان

فصل

في حال العدو الثالث

والثالث الأعمى المقلد ذنك الـرجلين قائد زمرة العميان
فاللعن والتكفير والتبديع والاستضليل والتفسيق بالعدوان
وإذا هم سألوه مستنداً له قال: اسمعوا ما قاله الرجلان
هذا العدو الثالث ، وهو الجاهل المقلد للعدوين اللذين تقدا ، وهما
الجاهل المتعلم ، والחסد .
قوله : قل : اسمعوا الخ . المراد بالرجلين : الجاهل ، والחסد .

فصل

في حال العدو الرابع

هذا ورابعهم وليس بكلبهم حاشا الكلاب الآكي الاثنان
خنزير طبع في خليقة ناطق متسوف بالكذب والبهتان
كالكلب يتبعهم يشمش أعظماً يرمونها والقوم للحمان
يتفكهون بها رخيصاً سعرها ميتاً بلا عوض ولا أثمان
هو فضلة في الناس لا علم ولا دين ولا تمكين ذي سلطان
فإذا رأى شراً تحرك بيتغي ذكراً كمثل تحرك الثعبان

قوله : كالكلب يتبعهم . الظاهر أن مراده أن هذا العدو الرابع يتبع الأعداء الثلاثة في أكل لحوم العلماء أتباع الكتاب والسنة ، والتفكه بها .
قوله : فإذا رأى شراً . أي : إن هذا العدو إذا رأى شراً رفع رأسه وتحرك بيتغي ذكراً كتتحرك الثعبان ، وهو كما في « القاموس » الحية الضخمة الطويلة ، او الذكر خاصة ، او عام .

ليزول عنه أذى الكساد فينفق الكلب العقور على ذكور الضان
فبقاؤه في الناس أعظم محنة من عسكر يعزى إلى غازان
غازان من ملوك التتار . ثم أخذ الناظم في التشكي
من عدم نفاق بضاعته هذه ، وان العلماء الكبار الذين هم أهل لها قد سافروا عن

هذه البلدان والأوطان، أي ماتوا ولم يجدوا إلا الصعافقة، وهم كما في «القاموس» قوم يشهدون السوق للتجارة بلا رأس مال، فإذا استرى التجار شيئاً دخلوا معهم، الواحد صعفتي، وصعفق، وصعفوق بالفتح، جمع: صعافيق أيضاً. انتهى.

هذي بضاعة ضارب في الأرض يبغى تاجراً يتاع بالأثمان
وجد التجار جميعهم قد سافروا عن هذه البلدان والأوطان
إلا الصعافقة الذين تكلفوا أن يتجروا فينا بلا أثمان
فهم الزبون لها فيالله ارحموا من يبعه من مفلس مديان
أي: بالله يامعشر المسلمين ارحموا تاجراً قد جاء ببضاعة، فإذا التجار
قد سافروا ولم يجدوا إلا هؤلاء الصعافقه الذين لا مال لهم، بل هم مفاليس
مديونين.

يارب فارزقها بحمك تاجراً قد طاف بالآفاق والبلدان
ماكل منقوش لديه أصفر ذهباً يراه خالص العقيان
وكذا الزجاج ودرة الغواص في تمييزه ما إن هما مثلان
ثم ختم الكتاب بالتوجه الى الله تعالى وسؤاله بأسمائه وصفاته أن ينصر
كتابه، ورسوله، ودينه، وأن ينصر حزب الايمان على حزب الضلال
وعسكر الشيطان، فقال:

فصل

في توجه أهل السنة الى رب العالمين أن ينصر دينه وكتابه ورسوله
وعباده المؤمنين .

هذا ونصر الدين فرض لازم لا للكفاية بل على الأعيان
بيد وإما باللسان فإن عجزت فالتوجه والدعا بجنان
مابعد ذا والله للايمان حبة خردل يناصر الايمان
بحياة وجهك خير مسؤول به وبنور وجهك يا عظيم الشأن

قوله : بحياة وجهك الخ . لا يقال : هذا يعارض ما رواه ابو داود عن
جابر قال : قال رسول الله ﷺ « لا يسأل بوجه الله الا الجنة » لأنه ورد في
دعاء النبي ﷺ منصرفه من الطائف ، حين كذبه أهل الطائف ومن في
الطائف من أهل مكة ، فدعا النبي ﷺ بالدعاء المأثور « اللهم اليك اشكو
ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين ،
وأنت ربي ، الى من تكلمي » وفي آخره « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت
له الظلمات ... » الخ والحديث المروي في « الأذكار » « اللهم أنت أحق من
ذكر ، وأحق من عبد » وفي آخره « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له
السموات والارض » . وفي حديث آخر « أعوذ بوجه الله الكريم ، وباسم
الله القديم ، وبكلماته التامة ، من شر السامة واللامة ، ومن شر ما خلقت
اي رب ، ومن شر هذا اليوم ، ومن شر ما بعده ، ومن شر الدنيا والآخرة »
وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة ، فيجاب عن ذلك بأن ما ورد من ذلك

أنه سؤال ما يقرب من الجنة ، أو يمنعه من الاعمال التي تمنعه من الجنة ، فيكون قد سأل بوجه الله ، وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة ، كما في الحديث الصحيح « اللهم اني أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل » وأما ما يختص بالدنيا كسؤال المال ، والرزق ، والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا ، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة ، فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله . والناظم إنما سأل بوجه الله ما يقرب إلى الجنة ، بل هو طريق إلى الجنة ، وهو نصره كتاب الله ، ورسوله ، ودينه . وعلى هذا فلا تعارض بين الأحاديث كما لا يخفى . والله أعلم .

وبحق نعمتك التي أوليتها من غير ما عوض ولا أثمان
وبحق رحمتك التي وسعت جميع الخلق محسنهم كذلك الجاني
وبحق أسماء لك الحسنى معا فيها نعوت المدح للرحمن
وبحق حمدك وهو حمد واسع الـ أكوان بل أضعاف ذي الأكوان
وبأنك الله الاله الحق معبود الورى متقدس عن ثان
بل كل معبود سواك فباطل من دون عرشك للثرى التحتاني
وبك المعاذ ولا ملاذسواك أنت غياث كل ملدد لطفان
من ذاك للمضطر يسمعه سواك يجيب دعوته مع العصيان
إنا توجهنا إليك لحاجة ترضيك طالبا أحق معان
فاجعل قضاه بعض أنعمك التي سبغت علينا منك كل زمان

أنصر كتابك والرسول ودينك العلي الذي أنزلت بالبرهان
واخترته ديناً لنفسك واصطفيت مقيمته من أمة الانسان
ورضىته ديناً لمن ترضاه من هذا الوري هو قيم الأديان
وأقر عين رسولك المبعوث بالمدين الحنيف بنصره المتداني
وانصره بالنصر العزيز كمثل ما قد كنت تنصره بكل زمان
يارب وانصر خير حزينا على حزب الضلال وعسكر الشيطان
يارب واجعل شر حزينا فداً لخيارهم ولعسكر القرآن
يارب واجعل حزبك المنصور أهـ ل تراحم وتواصل وتدان
يارب واحمهم من البدع التي قد أحدثت في الدين كل زمان
يارب جذبهم طرائقها التي تفضي بسالكها إلى النيران
يارب واهدهم بنور الوحي كي يصلوا اليك فيظفروا بجنان
يارب كن لهم وياً ناصراً واحفظهم من فتنة الفتان
وانصرهم يارب بالحق الذي أنزلته يامنزل القرآن
يارب إنهم هم الغرباء قد لجؤوا اليك وأنت ذوالاحسان
يارب قد عادوا لا جلك كل هـ ذا الخلق إلا صادق الايمان
قد فارقوهم فيك أحوج ما هم ديناً اليهم في رضى الرحمن
ورضوا ولا تيك التي من نالها نال الايمان ونال كل أمان

ورضوا بوحيك من سواه وما ارتضوا بسواه من آراء ذي الهذيان
يارب ثبتهم على الايمان واجعلهم هداة التائه الحيران
وانصر على حزب النفاة عساكر الـ إثبات أهل الحق والعرفان
وأقم لأهل السنة النبوية الـ أنصار وانصرهم بكل زمان
واجعلهم للمتقين أئمة وارزقهم صبراً مع الايقان
تهدي بأمرك لا بما قد أحدثوا ودعوا اليه الناس بالعدوان
وأعزمهم بالحق وانصرهم به نصراً عزيزاً أنت ذو السلطان
واغفر ذنوبهم وأصلح شأنهم فلأنت أهل العفو والغفران
ولك الحمد كلها حمداً كما يرضيك لا يفتنى على الأزمان
ملء السموات العلى والأرض والـ موجود بعد ومنتهى الامكان
بما تشاء وراء ذلك كله حمداً بغير نهاية بزمان
وعلى رسولك أفضل الصلوات والتسليم منك وأكمل الرضوان
وعلى صحابته جميعاً والألى تبعوهم من بعد بالاحسان

وصلى الله على محمد عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وأمينه على وحيه ،
وسفيره بينه وبين عباده ، وسلم .

وقد كتب في آخر نسخة الأصل المخطوطة مايلي :

وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب بمعونة الملك الوهاب ، منتصف شهر رجب
من سنة ألف وثلاثمائة وأربعين ، بقلم الفقير الى عفو الواحد المنان ، سليمان بن عبد
الرحمن بن حمدان ، غفر الله له ولوالديه ولمشاخه ولجميع المسلمين والمسلمات ،
الأحياء منهم والأموات .

وعلى هامشها :

الى هنا بلغ التصحيح حسب الطاقة والامكان على نسخة
عليها خط المؤلف ، والتصحيح المذكور في حلقة التدريس ، على يد شيخنا
الشيخ عبد الله بن عبدالعزيز العنقري ، نسأ الله في أجله ، وختم له بصالح عمله ،
غير أنا لم نتعرض لمافي من التحريف من جهة الاعراب ، وتكسر
الاوزان ، بل أبقيناه على ما في الاصل^(١)

(١) هذا وقد قمنا بتصحيح ذلك حسب الطاقة والجهد . وعذر الشيخ
العنقري رحمه الله واضح ، حيث أن النسخة الخطية لاتقع - غالباً - الا بيد عالم عارف
بما فيها من خطأ ، وعذرنا أن النسخة المطبوعة تقع في كل يد ، فلا بد
من التصحيح .

وقد قمنا باجراء التصحيحات الكثيرة في طبعته الأولى ١٣٨٢ وفي طبعته الثانية
١٣٨٣ ، وفي هذه الطبعة الثالثة مطلع سنة ١٤٠٦ ، والحمد لله بنعمته تتم
الصالحات ، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين

زهير الشاويش

الفهرس

الموضوع	الصفحة
فصل في جنابة التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود والمقبول .	٣
افتراق الأمة المحمدية الى ثلاث وسبعين فرقة . . .	٣
الكلام على وقعة الحرة وما وقع فيها من الفتن ما جرى من الفتن بسبب التأويل	٣ ٥
ترجمة أحمد بن نصر الخزاعي	٧
بعض ماجره تأويل ابن سينا وغيره	٧
ما حصل في وقعة شقحب في زمن شيخ الاسلام ابن تيمية بعض ماجره التأويل من البدع والمستحدثات .	٨ ١٠
معنى التأويل عند المتقدمين ، وبعداصطلاحاته عند المتأخرين	١٢
فصل فيما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه	١٥
لزام أهل التأويل أربعة لوازم	١٦
فصل في طريقة ابن سينا وذويه في التأويل	١٧
تسلط أوغاد الناس على النصوص بالتأويل والتحريف	٢٠
مطالبة المؤلفين بأدلة الاثبات وجوابهم عنها .	٢٣
تسمية المؤلفين التحريف بالتأويل .	٢٤

- ٢٤ فصل في شبه المحرفين للنصوص باليهود وإرثهم التحريف منهم وبرائة أهل الاثبات بما رموهم به من هذه الشبه .
- ٢٥ التحريف والتعديل والكتمان من صفات اليهود
- ٢٨ فصل في بيان بهتان المعطلة في تشبيه أهل الاثبات بفرعون ، وقولهم : إن مقالة العلو عنه أخذوها وإنهم أولى بفرعون وإنهم أشباهه .
- ٣٠ فصل في بيان تدليس المعطلة وتلبيسهم الحق بالباطل
- ٣٠ معنى كلمة (استوى) الوارد ذكرها في القرآن
- ٣٢ الفرق بين الاستواء والاستيلاء
- ٣٣ المراد من العرش في قوله تعالى (ثم استوى على العرش)
- ٣٤ الاستواء المطلق له عدة معان
- ٣٦ معنى (الرحمن الرحيم) في القرآن
- ٣٧ فصل في بيان سبب غلط المعطلة في الالفاظ والحكم عليها باحتمال عدة معان حتى أسقطوا الاستدلال بها .
- ٣٨ الألفاظ قسمان مفرد ومركب ، والمركب نص وظاهر ومجمل ، والخلاف فيما عند المؤولين ،
- ٤٠ دعوى القائلين بالاجمال الذين لم يعرفوا العلم
- ٤٠ تعريف الزنيم
- ٤٠ تعريف الدراهم الزيوف .
- ٤١ أكثر الناس ليسوا بأهل لمعرفة الزيوف
- ٤١ من أراد تجارة تنجيه من غضب الله وتقيد الجنات ورؤية الرحمن فليبيء ثمناً تباع بثله لادراهم زيوف

اللفظ المركب تبين مراده القران المحفوظة به	٤٣
فصل في بيان شبه غلط المتكلمين في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني	٤٤
فصل في بيان تناقض النفاة وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب .	٤٧
ادعائهم بأن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لفظية لا تفيد اليقين فحرفها وسموه تأويلاً	٤٨
معنى التأويل في قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم)	٤٨
قال ابن عباس : التفسير على أربعة أوجه .	٤٨
بعض التأويلات الشنيعة التي تأولها القرامطة والباطنية والرافضة .	٥١
فصل في مطالبة المتكلمين بالفرق بين ما يتأول وما لا يتأول من نصوص الكتاب والسنة .	٥٥
فصل في ذكر فرق آخر لهم وبيان بطلانه	٥٧
فصل في بيان مخافة طريقهم لطريق أهل الاستقامة عقلاً ونقلاً	٥٩
طريق النفاة عكس طريق أهل الاستقامة	٦٠
التقليد الاعمى هو الاخذ بقول الناس وان خالف نصوص الكتاب والسنة	٦٠
فصل في بيان كذب اهل النفاة ورميهم أهل الحق بأنهم أشياء الحوارج وبيان شبههم المحقق بالحوارج .	٦٣
الموازنة بين النفاة والحوارج .	٦٥

بعض ما تقوله الجهمية في الصفات من التأويلات	٦٦
بعض ما في كتب النفاة من الطامات	٧٢
ضرر النفاة على الدين	٧٥
فصل في تلقيب النفاة أهل السنة بالحشوية وبيان من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفتين ، وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدعة ،	٧٦
الحشوية وسبب تسميتهم بهذا الاسم .	٧٧
بعض الاحاديث الواردة في صفات الله وتسمية النفاة لمن يعتقد بها بالحشوية	٧٧
أول من نطق بكلمة الحشوية : عمرو بن عبيد المعزلي	٨٠
من أهم أولى بتسميتهم حشوية	٨٠
فصل في بيان عداوة النفاة في تلقيب أهل القرآن والحديث بالمجسة وبيان أنهم أولى بكل لقب خبيث .	٨١
فصل في بيان مورد أهل التعطيل وأنهم تعرضوا بالقلوط عن مورد السلسيل	٨٥
فصل في بيان هدم أهل التعطيل لقواعد الاسلام والايمان بعزلهم نصوص السنة والقرآن .	٨٦
لولا هبة الاسلام والقرآن لأتى المبتدعة بكل مصيبة	٨٩
امتحان المأمون الناس بأن القرآن مخلوق	٨٩
ترجمة المأمون	٩٠
طعن المعطلة في أصحاب الحديث	٩٣

- ٩٤ النفاة والمعطة نزلوا كتاب الله وسنة رسوله منزلة الخليفة
الحاكم بأمر الله الفاطمي
- ٩٧ فصل في بيان بطلان قول الملحدين : إن الاستدلال بكلام
الله ورسوله لا يفيد العلم واليقين .
- ١٠١ الرد على القائلين بأن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد اليقين .
- ١٠١ معنى قوله تعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) لغة وشرعاً
- ١٠٣ بيان بطلان قول النفاة وأنه خلاف الحس والعقل والنقل والفطرة
- ١٠٤ بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان
- ١٠٦ لو صح ما قاله المعطلة لانقطعت سبيل العلم
- ١٠٧ المعطلة يقولون : إن اللغات أتت بنقل الآحاد
- ١٠٩ من المصائب التي تلبس بها المعطلة أنهم قالوا : إن لفظة (الله)
فيها خلاف ، هل هي لفظ عربي أم سرياني
- ١١٠ فصل في تنزيه أهل الحديث والشريعة عن الألقاب
القييحة الشنيعة
- ١١١ فصل في نكتة بديعة تبين ميراث الملقين من المشركين والموحدين
- ١١٤ فصل في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن
جميع ديانات الأنبياء
- ١١٥ تعريف التي واللتيا
- ١١٥ تعريف كلمة (طلسم)
- ١١٧ خلال الجبرية بقولهم : إن خالفت الشرع فقد أظعت
القدر والارادة
- ١١٨ بعض ما يعتقدوه أهل الإرجاء والجهميون

- ١٢٠ فصل في جواب الرب تبارك وتعالى يوم القيامة ، اذا سئل
المعطل والمثبت عن قول كل واحد منهما .
- ١٢٤ فصل في تحميل أهل الاثبات للمعطين شهادة تؤدى عند
رب العالمين
- ١٢٩ كلام العلماء في المجاز وثبوته أو نفيه
- ١٣٤ أهل الاثبات يؤمنون بالقدر خيره وشره .
- ١٣٤ الايمان بالقدر على درجتين .
- ١٣٥ أئمة السلف أنكروا الجبر .
- ١٣٦ كلام الزبيدي والأوزاعي في الرد على أهل الجبر
- ١٣٩ مذاهب العلماء في الايمان وتعريفه
- ١٤٠ قول العلماء في زيادة الايمان ونقصانه
- ١٤٢ جمهور العلماء على أن الايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي .
- ١٤٣ الايمان مراتب بعضها فوق بعض
- ١٤٣ بعض صفات المؤمنين
- ١٤٤ الجواب على الجهمية القائلين بأن الأعمال ليست من الايمان
من وجوه
- ١٤٧ فصل في عهود المثبتين مع رب العالمين
- ١٥٠ فصل في شهادة أهل الاثبات على أهل التعطيل أنه ليس في
السماء إله يعبد ولا لله بيننا كلام ولا في القبر رسول
- ١٥١ تخطئة ابن حزم لمن يقول بأن الروح عرض وذكر بعض
الأداة من الكتاب والسنة على ذلك .
- ١٥٣ ثلاث عورات لأهل البدع

١٥٤	فصل في الكلام على حياة الأنبياء في قبورهم
١٦٠	فصل فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور
١٦٢	فصل في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة
١٦٤	ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء
١٦٦	احتجاجهم برؤية رسول الله ﷺ موسى عليه السلام يصلي في قبره
١٦٩	الجواب على حديث « ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحه حتى أورد عليه السلام »
١٧٧	الكلام على الروح وأنها مخلوقة
١٧٢	فضل يوم الجمعة
١٧٨	السلام على أهل القبور وخطابهم ، والكلام على الروح
١٨٠	فصل في كسر انجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقلي الاسلام وحصونه جيلاً بعد جيل
١٨٢	للتركيب ست معان
١٨٤	ابطال القول بالجواهر الفرد
١٨٨	ترجمة الفخر الرازي وكلام العلماء عليه
١٩٠	أصح الطرق الكلامية طريقة القرآن
١٩١	الفخر الرازي وأتباعه حكموا للناس في وجود الرب تعالى ثلاثة أقوال
١٩٤	ترجمة أبي الحسن الآمدي
١٩٥	فصل في أحكام هذه التراكيب الستة
١٩٨	الرد على المعطلة نفاة الصفات
٢٠١	الفلاسفة والجهمية يقولون : إن اثبات الصفات يلزم منه التركيب ، والرد عليهم .

فصل في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المعطلين	٢٠١
بيان توحيد الفلاسفة وبطلان عقائدهم	٢٠٣
فصل في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الاتحاد	٢٠٥
فصل في النوع الرابع من أنواعه	٢٠٨
فصل في توحيد الأنبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين	٢٠٩
فصل في النوع الثاني وهو الثبوت من أنواع التوحيد القولي بعض ما صنف في أسماء الله الحسنى	٢١٣
ما يجري صفة أو خبراً على الرب تعالى أقسام	٢١٤
الرضى بالقضاء الديني واجب	٢١٦
الأبيات التي أظهرها بعض الزنادقة على لسان بعض أهل الذمة وجواب شيخ الإسلام ابن تيمية عليها	٢٢٠
لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان	٢٢١
فصل في بعض الصفات	٢٢٦
فصل : وهو الرقيب على الحواطر والواظ . . .	٢٢٧
فصل : وهو الرفيق يجب أهل الرفق . . .	٢٢٨
فصل : وهو الورد يجهم ويجه أحبابه . . .	٢٢٩
فصل : وهو الغفور فلو أتى بقرابها . . .	٢٣٠
فصل : وهو الاله السيد الصمد الذي . . .	٢٣١
معنى الصمد	٢٣١
	٢٣٢

فصل : وهو الحسيب كفاية وحماية ...	٢٣٣
فصل : هذا ومن أوصافه القدوس ذو التنزيه ...	٢٣٣
الرزق نوعان : رزق القلوب ورزق الأبدان	٢٣٤
فصل : هذا ومن أوصافه القيوم ...	٢٣٦
فصل : والنور من أسمائه أيضاً ومن أوصافه ...	٢٣٧
شرح قول الناظم : احذر تزل ؛ فتحت رجلك هوة ... الخ .	٢٣٩
فصل : وهو المقدم والمؤخر ...	٢٤١
كلام التفتازاني في صفة التكوين لله تعالى	٢٤٣
امتناع اطلاق اسم المشتق على الشيء من غير أن يكون مأخذاً الاشتقاق وصفاً قائماً به أزلية لوجوه أربعة	٢٤٣
لا يتصور التكوين بدون المكون	٢٤٥
الصواب أن الخلق غير المخلوق والدليل على ذلك من الكتاب والسنة	٢٤٦
فصل : هذا ومن أسمائه ما ليس يفرد بل يقال إذا أتى بقران	٢٤٨
فصل : ودلالة الأسماء أنواع ثلاث ...	٢٥٠
فصل في بيان حقيقة الالحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين	٢٥١
معنى الالحاد في أسمائه تعالى	٢٥٢
ضلال أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود	٢٥٣
الكلام على أهل التعطيل الذين عطلوا الأسماء الحسنى من معانيها وجحدوا حقائقها	٢٥٥
إلحاد النفاة الجاحدين لله	٢٥٦
فصل في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين	٢٥٧

تعريف العبادة لغة واصطلاحاً	٢٥٨
التوحيد نوعان ، توحيد في المعرفة والاثبات ، وتوحيد في الطاب والقصد	٢٥٩
التوحيد الذي جاء الرسول ﷺ به انما يتضمن إثبات الألية لله وحده . . .	٢٦٠
الصدق والاخلاص ركنا التوحيد	٢٦٣
فصل : والشرك فاحذره ، وهو نوعان ١شرك ظاهر ، وشرك خفي .	٢٦٣
الشرك الذي لا يغفره الله .	٢٦٦
قطع الأسباب التي تتعلق بها المشركون	٢٦٧
الشرك نوعان أكبر وأصغر	٢٦٨
الشفاعة التي أثبتها الله تعالى والتي نفاها	٢٧٠
فصل في صف العسكرين وتقابل الصفيين واستدارة رحي الحرب العوان وتداول الأقران	٢٧٢
أرسطو والفارابي ومخالفة مذاهبها للمسلمين	٢٧٣
الكلام على ابن سينا وأمثاله بمن خالفوا مذاهب المسلمين	٢٧٥
الكلام على شيطان الطاق المعتزلي الشيعي وأمثاله المخالفين لمذاهب المسلمين	٢٧٦
فصل : العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولوالعرفان..	٢٧٩
فصل في عقدالهدنة والأمانالواقع بين المعطلة وأهل الاحاد حزب جنكسغان	٢٨٠
الكلام على التعارض بين السمع والعقل . .	٢٨١

- ٢٨٣- الطريقة التي يدعو بها المسلم الى دين الاسلام وفساد طريقة
المتدعة وأهل الأهواء
- ٢٨٦- محاربة المتكلمين للمثبثة أهل السنة ومصانعتهم للمعطلة
أهل البدعة
- ٢٨٨- أقرب الطرق في اثبات الصفات الكاملة لله تعالى ونفي الصفات
الناقصة عنه طريقة القرآن
- ٢٨٩- فصل في مصارع النفاة والمعتلين بأسنة أمراء الاثبات الموحدين.
- ٢٩٣- ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية وبعض من أظن في ذكره
وتصانيفه التي تتلج الصدور
- ٢٩٥- فصل في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران
من جهة الاسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان
- ٢٩٩- الكلام على بعض صفات الرب عز وجل وتأويل المعطلة
والنفاة لها .
- ٣٠٠- الرد على تأويلات المعطلة والنفاة من عدة اوجه وذكر
الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة
- ٣٠٧- الكلام على بعض صفات الله تعالى والرد على المؤولين فيها
لغة وشرعاً
- ٣١٣- تعريف النفاة من أهل الكلام للجسم ورد شيخ الاسلام ابن
تيمية عليهم
- ٣١٤- الكلام على الجوهر الفرد وكلام العلماء فيه
- ٣١٧- ضلال من يزعم أن الرب مركب مؤلف من أجزاء

فصل في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملوك والجبروت	٣٢٠
معنى الطاغوت لغة	٣٢٠
ثلاثة أجوبة في الرد على من ألزم التجسيم والتركيب المشبهة	٣٢٣
فصل في مبدأ العداوة الواقعة بين المثبتين الموحدتين وبين النفاة المعطلين	٣٢٦
ضلال من تحاكم الى غير الكتاب والسنة .	٣٢٨
عباد الصليب نزهوا بتاركهم من النساء والولدان وجعلوا لله سبحانه ولداً	٣٢٩
ترتيب رجال الدين عند النصارى .	٣٢٩
معارضة النفاة للأخبار بالفشر واهذيان	٣٣٢
فصل في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران ، والاثبات أساس العلم والايان	٣٣٤
الكلام على الجوهر الفرد وأجزاء الانسان	٣٣٧
الجهيمه قالوا بفناء الجنة والنار	٣٣٨
أنواع الذكر ومراتب الذاكرين	٣٤٠
التعطيل أساس الزندقة	٣٤٤
فصل في بهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والاثبات بتنقيص الرسول ﷺ	٣٤٥
أهل التعطيل رموا أهل التوحيد لما جردوا التوحيد	٣٤٦
بيان الحقوق التي لله ورسوله .	٣٤٨
مخالفة النفاة لقول الرسول والأئمة	٣٥١

- ٣٥٢ النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيداً
- ٣٥٦ الكلام على شد الرحال الى مسجد النبي ﷺ وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام
- ٣٥٨ حكم السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة
- ٣٥٩ الكلام على حديث « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ... » السلام على النبي ﷺ وآدابه
- ٣٦١ أحاديث زيارة قبر النبي ﷺ وكلام العلماء فيها
- ٣٦٥ آداب دخول مسجد النبي عليه الصلاة والسلام
- ٣٦٦ زيارة قبور أهل البقيع وقبور الشهداء
- ٣٦٧ اختلاف بعض العلماء : هل مكة أفضل أم المدينة ، وأقوال العلماء في ذلك .
- ٣٦٨ فصل في تعيين أن اتباع السنة والقرآن طريق للنجاة من النيران
- ٣٦٩ اتباع رسول الله ﷺ في الأقوال والأعمال منجاة يوم الحساب من العذاب .
- ٣٧٠ لولا التنافس بين الخلق لما وجد التفرق
- ٣٧١ فصل في تيسير الير الى الله على المشبتين الموحدين وامتناعه على المعطلين والمشركين
- ٣٧٣ كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون ، ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟
- ٣٧٥ فصل في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه الا على من ليس بذئ عيين .

فصل في التفاوت بين حظ المثبتين المعطلين من وحي رب العالمين .	٣٧٦
فصل في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء	٣٨٠
أنوار الهدى في الكتاب والسنة	٣٨٢
العلم ثلاثة أقسام	٣٨٣
الأخذ بالحديث المرسل والضعيف مقدم على القياس عند أكثر الأئمة	٣٨٤
المسكوت عنه هو ما لم يذكر جملة بتحليل ولا تحريم	٣٨٦
فصل في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين	٣٨٩
بيان المفاسد التي حصلت من القواعد التي وضعت مخالفة للكتاب والسنة .	٣٩٠
فصل : هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها كلها . . .	٣٩٢
فصل في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا ؟	٣٩٤
ما ألزم أهل التعطيل به أهل الاثبات	٣٩٦
بيان اللوازم التي تلزم أهل التعطيل	٣٩٩
فصل في الرد على المعطلة لتكفيرهم أهل العلم والايان وذكر انقسامهم الى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران	٤٠٢
تقسيم أهل الجهل والتعطيل الى أهل عناد وجهال	٤٠٤
أنواع الكفر خمسة	٤٠٦
أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم	٤٠٦
من عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً	٤٠٧

- ٤١١ فصل : والآخرون فأهل عجز عن بلوغ الحق ...
- ٤١٣ فصل في تلاعب المكفرين لأهل السنة والايان بالدين
كتلاعب الصبيان
- ٤١٧ اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث في الايمان بالله وصفاته
- ٤٢٥ فصل في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ وخاصة
ولا يفيض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر
- ٤٢٩ فصل في تعيين الهجرة من الآراء والبدع الى سنته كما كانت
فرضاً من الأمصار الى بلدته عليه السلام
- ٤٣٤ فصل في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين
- ٤٣٧ فصل في شكوك أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء
المخالفة لها الى الرحمن
- ٤٣٩ المخالفون للكتاب والسنة في أمر مريج
- ٤٤٣ فصل في أذان أهل السنة: الاعلام بصريحها جهرآ على رؤوس
منابر الاسلام
- ٤٤٥ أنواع العلو ثابتة لله عز وجل ، وهي علو القمر ، وعلو القدر ،
وعلو الذات
- ٤٤٦ الضمير العائد في قوله تعالى (ثم دنا فتدلى)
- ٤٤٨ فصل في تلازم التعطيل والشرك
- ٤٥٠ التوحيد نوعان، توحيد العلم والاعتقاد، توحيد القصد والارادة
- ٤٥١ فصل في بيان أن المعطل شر من المشرك
- ٤٥٦ فصل في مثل المشرك والمعطل

٤٥٨	فصل فيما أعدد الله تعالى من الاحسان المتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ عند فساد الزمان
٤٦٣	القباض على دينه عند فساد الزمان كالقباض على الحجر
٤٦٧	فصل في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل المنة لأولياته التمسكين بالكتاب والسنة
٤٦٧	فصل في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين
٤٦٩	فصل في أبواب الجنة
٤٧١	فصل في مقدار ما بين الباب والباب منها
٤٧٢	فصل في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها
٤٧٤	فصل في مفتاح باب الجنة
٤٧٦	فصل في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها
٤٧٨	فصل في صفوف أهل الجنة
٤٨٠	فصل في صفة أول زمرة تدخل الجنة
٤٨٠	فصل في صفة الزمرة الثانية
٤٨١	فصل في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى
٤٨٢	فصل في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم
٤٨٣	فصل : هذا وسابع عشرها أخباره سبحانه في حكم القرآن
٤٨٤	الدليل السابع عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه
٤٨٩	ذكر الأدلة الدالة على ثبوت العلو إجمالاً
٤٩٢	فصل : هذا وثامن عشرها تنزيههم سبحانه عن موجب النقصان
٤٩٣	الدليل الثامن عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه

- ٤٩٤ ذكر قصة فنحاص اليهودي مع أبي بكر الصديق رضي
الله عنه
- ٤٩٦ ذكر شيخ الاسلام الانصاري الهروي ، واتهام بعض
الأقران له بالتجسيم ، ووشايته عند السلطان .
- ٤٩٧ اتهام شيخ الاسلام ابن تيمية بالتجسيم ورميه بالافك من
بعض أعدائه كما في رحلة ابن بطوطة المشهورة
- ٤٩٨ تكذيب الاتهام من الحافظ ابن رجب الحنبلي ، والحافظ
ابن عبد الهادي المقدسي ، والحافظ ابن كثير الدمشقي
- ٤٩٩ معنى الوسيلة التي أعطاها رسول الله ﷺ
- ٥٠٠ ذكر بعض صفات الله تعالى وامرارها عند السلف كما جاءت
وتأويلها عند الجهمية وغيرهم
- ٥٠٤ فصل في بناء الجنة
- ٥٠٦ فصل في أرض الجنة وحصانها وترباتها
- ٥٠٧ فصل في صفة غرفاتها
- ٥٠٧ فصل في خيام أهل الجنة
- ٥٠٩ فصل في أرائكها وسررها
- ٥١٠ فصل في أشجارها وثمارها وظلالها
- ٥١١ أشجار الجنة نوعان
- ٥١١ معنى الخضود في قوله تعالى (وسدر مخضود)
- ٥١٣ معنى المتشابه في قوله تعالى (كلما وزقوا منها من ثمرة رزقاً
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً)
- ٥١٤ معنى قوله تعالى (قطوفها دانية)

عظم شجر الجنة	٥١٦
فصل في سماع أهل الجنة	٥١٧
وصف الحور العين في الجنة	٥١٨
التحذير من سماع الأغاني والألحان وكلام العلماء في هذا السماع الشيطاني المحدث	٥٢١
فصل في أنهار الجنة	٥٢٦
فصل في طعام أهل الجنة	٥٢٨
فصل في شراب أهل الجنة	٥٤٧
فصل في مصرف طعامهم وشرابهم وهضمه	٥٣٤
فصل في لباس أهل الجنة	٥٣٥
فصل في فرشهم وما يتبعها	٥٣٨
فصل في حلي أهل الجنة	٥٤٠
فصل في عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة وصالهن ومهورهن	٥٤٢
ذكر عيوب نساء الدنيا	٥٤٥
فصل : فاسمع عرائس الجذات ثم اختر لنفسك يا أخا العرفان	٥٤٨
فصل : أقدامها من فضة قد ركبت من فوقها ساقان ملتفان	٥٥٤
فصل : آتراب سن واحد متماثل سن الشباب لأجمل الشبان	٥٥٦
وطء نساء اهل الجنة	٥٥٩
فصل : واذا بدت في حلة من لبسها وتمايلت كتبائل النشوان	٥٦٠
فصل في ذكر الخلاف بين الناس هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا ؟	٥٦٣
فصل في رؤية أهل الجنة بهم تبارك وتعالى ونظرهم الي وجهه الكريم	٦٥٧

- ٥٧٠ بعض الأدلة من الكتاب والسنة على رؤية الله عز وجل في الجنة
- ٥٧٤ حديث شفاعة رسول الله ﷺ عند ربه يوم القيامة
- ٥٧٨ دلالة القرآن والسنة المتواترة واجماع الصحابة وأهل الحديث على رؤية الله تعالى يوم القيامة
- ٥٧٩ أعلى النعيم رؤية وجهه تبارك وتعالى يوم القيامة
- ٥٨١ فصل في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة
- ٥٨٣ فصل في يوم المزيد وما أعد الله لهم فيه من الكرامة
- ٤٨٦ فصل في المطر الذي يصيبهم هناك
- ٥٨٧ فصل في سوق الجنة الذي ينصرفون اليه من ذلك المجلس
- ٥٨٩ فصل في حالهم عند رجوعهم الى أهلهم ومنازلهم
- ٥٨٩ فصل في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة النوم والموت عليهم
- ٥٩١ فصل في ذبح الموت بين الجنة والنار والرد على من قال : ان الذبح لملك الموت ، وان ذلك مجاز لاحقيقة له
- ٥٩٣ وزن الأعمال يوم القيامة
- ٥٩٤ تصوير عمل المؤمن في القبر بصورة حسنة ، وعمل الكافر بصورة سيئة
- ٦١٤ فصل في حال العدو الثالث : والثالث الأعمى المقلد ذينك الرجلين قائد زمرة العميان
- ٦١٥ فصل في حال العدو الرابع : هذا ورابعهم وليس بكتابهم
- ٦١٧ فصل في توجه أهل السنة الى رب العالمين ان ينصر دينه ، وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين